

الناشر العربية للعلوم ناشرون

دانيال ستيل

DANIELLE
STEEL

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

القبلة

THE KISS

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



www.mlazna.com-RAYAHEEN

القُبلة

THE KISS

DANIELLE STEEL
دانيال ستيل

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة
تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي،
والسجّل على الشّريط أو القرص أو قرصية أو أي وسيلة نشر أخرى
أو حفظ المعلومات، واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر

المحتويات

9	مقدمة بقلم المترجم
15	الفصل الأول
39	الفصل الثاني
67	الفصل الثالث
99	الفصل الرابع
141	الفصل الخامس
159	الفصل السادس
183	الفصل السابع
203	الفصل الثامن
211	الفصل التاسع
227	الفصل العاشر
241	الفصل الحادي عشر

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The Kiss

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة

بمقتضى الاتفاق الخطّي الموقع بينها وبين الدار العربية للعلوم

Copyright © 2001 by Danielle Steel

All rights reserved including
the rights of reproduction in whole
or in part in any form.

Arabic Copyright © 2003 by Arab Scientific Publishers

ISBN 9953-29-904-8

الطبعة الأولى

1424 هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة للناشر



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين القينة، شارع ساقية الجوز، بناية الريم

هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (961-1)

فاكس: 786230 (961-1) ص.ب: 13-5574 - بيروت - لبنان

البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تمت الطباعة في:

٢٢٤

مطبعة المتوسط

هاتف: 860138 (961-1) - بيروت - لبنان

الإهداء

إلى زوجتي المخلصة

وابني الحبيب

أنطوان

253	الفصل الثاني عشر
281	الفصل الثالث عشر
303	الفصل الرابع عشر
323	الفصل الخامس عشر
365	الفصل السادس عشر
381	الفصل السابع عشر
395	الفصل الثامن عشر
411	الفصل التاسع عشر

مقدمة بقلم المترجم

تعتبر دانييل ستيل Danielle Steel من أشهر الكاتبات وأكثرهم انتشاراً في العالم، خاصةً مع مبيع أكثر من 490 مليون نسخة من رواياتها. إن أشهر الروايات التي ألقتها ولاقت رواجاً هي: "وثبة إيمان"، "الرحلة"، "المنزلة في شارع هوب"، "قوى لا تقاوم"، "غراي دان"، "الحلو المر"، "صورة امرأة"، "الشبح"، و"القبلة".

وكتبت دانييل ستيل أيضاً قصائد شعرية ونشرت في ديوان "الحب". كما وأن لها أعمالاً غير قصصية مثل "إعجاب الطفل"، وكتاب "توره الساطع" الذي تحكي فيه عن حياة وموت ابنتها نيكولاس تريزا.

دانييل ستيل:

إن روايات دانييل ستيل ذات طابع رومانسي وهي الأكثر رواجاً في العالم. وإذا أمعنا النظر في حياة دانييل ستيل الشخصية لنتطرق من زوجها الأول وصولاً إلى زوجها الخامس وإيجابها لأولادها التسعة من هؤلاء الأزواج، نجد أنها ميالة إلى الرومانسية والخيال الجامح (الفانتازيا) إلى حد كبير. وهذا الميل، على ما يبدو، هو الذي قضى على كل علاقاتها الزوجية، لأن هذه العلاقات لا ترتقي إلى مستوى توقعاتها. وإذا قرأنا رواياتها بعناية نجد بعضاً من ملامح وأحداث حياتها تتعكس في صفحات رواياتها وتتخلل حياتها المهنية التي تعتبر ناجحة. وإذا نظرنا إلى حياتها وعلاقات الصداقة التي تربطها بمن حولها نجد أن حياتها لا تخلو من المرح والنشاط والحيوية مع أن هذا يتناقض تماماً مع الأخطار التي تعرضت لها في حياتها، وسوء الحظ الذي رافقها، خاصة بسبب أزواجها: فزوجها الأول، داني زغلدر، اعتقل

"القبلة":

في روايتها الثالثة والخمسين التي تلاقي رولاً كبيراً تظهر دانييل ستيل كيف أن لحظة انكسار يمكن أن تغير حياة الناس وإلى الأبد. رواية "القبلة" هي استعراض مؤثر لهشاشة الحياة، وقصة تحبس الأنفاس، تدور حول طاقة الحب القادرة على أن تشفي، وتعق، وتحول، أو تجمع شتات النفوس المحطمة.

في مساء يوم فاني من شهر حزيران (يونيو)، تمر حافلة حمراء ذات طبقتين ممتلئة بالركاب في شارع في لندن. وعلى مسافة ليست بعيدة يركب رجل وامرأة سيارة ليموزين بعد أمسية ساحرة أمضياها في المرح والرقص واختيلاء المشرب المفضل. وفي خلوتها داخل السيارة يغرقان في قبلة دافئة. وفي لحظة مطبوعة في ذاكرة الزمن ترتطم سيارتهما لليموزين وهي في أقصى سرعتها بالبرص الضخم وتتحول إلى حطام من الحديد والزجاج تحت وطأة ثقل الحافلة. ويبدأ ركبها العاشقان رحلة طويلة نحو الشفاء والأمل والحلم بمستقبل جميل.

إيزابيل فوربيستر امرأة فرنسية ولطيفة وحساسة للغاية. وهي زوجة غورون وهو مصرفي باريس مشهور كان قد أغلق قلبه دونها منذ زمن طويل. إيزابيل جميلة وثرية وأنيقة، وغوردون طاعية عديم المشاعر. أما ابنهما تيدي Teddy فهو مريض جداً ويحتاج إلى عناية مستمرة، تعيش إيزابيل سنوات في العزلة والفراغ العاطفي فتصعب كل مشاعرها في العناية بابنها المينوس من حالته، وفي بذل الجهد لجعل منزلهم الباريسي منزلاً سعيداً قدر الإمكان بالنسبة إلى ابنتها المراهقة صوفي. وتسمح إيزابيل لنفسها بنوع من المسرة الخاصة السرية: ألا وهي صداقة عن بعد وعبر الهاتف مع رجل أمريكي، بيل روبنسون، سياسي نافذ غني يعيش في واشنطن، وهو على غرار إيزابيل، يعيش علاقة زواج جوفاء مع زوجة تخونه.

يعتبر بيل أن إيزابيل لئيمة من السماء، امرأة ذات جمال فائق وفضول

وحكم عليه بالسجن لارتكابه جرائم اغتصاب وسلب، وزوجها الثاني، بيل تووث، كان مدمن هيروين. وبعدما تزوجت عدة زيجات باءت بالفشل والطلاق وصولاً إلى زوجها الخامس صاحب شركة سفن شحن، والذي أدانته المحكمة بجرم القتل غير العمد بعد حادث اصطدام سفن في جنوب فرنسا. والكارثة الأكبر في حياتها هي حادثة موت ابنها نيك، من زوجها بيل. ففي التاسعة عشرة من عمره أخذ جرعة زائدة من المخدرات أدت إلى وفاته.

إضافة إلى رواياتها وأعمالها غير القصصية، كتبت دانييل ستيل سلسلة كتب "ماكس ومرتا"، وهذه موجهة بشكل خاص للشباب لتساعدهم على مواجهة المشاكل وتحدي صعوبات الحياة. وكتبت أيضاً سلسلة كتب "فريدي" للأطفال. ولقد تبنى التلفزيون العديد من روايات ستيل وصنع منها مسلسلات تلفزيونية. واهتمت دانييل ستيل بقضية منع استغلال الأطفال وسوء معاملتهم، ودعت إلى إنعاش حالة الأطفال وتحسينها وتحقيق السعادة والاستقرار لهم. وتعلم أنها تعتني بأولادها التسعة جيداً، وتكثر من اهتمامها بكتبها التي تدرّ عليها ثروات طائلة سنوياً.

وعن أسلوب عملها وطريقتها في كتابة الروايات تقول دانييل ستيل أن كتبها تبدأ بصورة أو شخصية أو حالة معينة تهتم بها وتطورها إلى رواية خلال فترة قد تستغرق أكثر من سنتين. ولا تعتمد ستيل في رواياتها على شخصيات واقعية أو على حياتها الشخصية. بل بالحري إنها تفضل أن تكون مبدعة ومبتكرة في قصصها على أن تنقذ باناس حقيقيين في واقع الحياة.

بدأت ستيل الكتابة منذ الطفولة. وفي آخر مرحلة المراهقة صار لديها شغف بالتأليف، وكتبت الكثير من الشعر، وأكملت أول رواية لها وهي في التاسعة عشرة من عمرها.

فكري، فيشعر أنها تولم روحه، وأنها تمسه وتتواصل معه، رغم البعد، بنفها وتقصصها العاطفي⁽¹⁾ اللطيف. لقد كانت علاقتها نعمة من السماء وحبل نجاة لكليهما في خضم زيجات تعيسة لا يمكنهما أن يتخلصا منها ولا أن يخوناها.

يتفق بيل وإيزابيل على اللقاء في لندن لبضعة أيام ثمينة ووبرينة. فيجدان أن صداقتهما تتبدل. ويعترف كل منهما بالحلم للآخر. ولكن بيل لا يستطيع أن يطلق زوجته لأنه يخشى أن يؤثر هذا على مركزه السياسي. وإيزابيل بدورها تخشى للطلاق خوفاً من زوجها غوردون القاسي القلب الذي سيأخذ أيها يدي منها وقد يحرمه من العناية الطبية التي يحتاج إليها. ويتفق إيزابيل وبيل على أن يفترا، ويودعا بعضهما بعضاً بقبلة حلوة مرة. ولكن سيارتهما تصطمم بالبالص بشكل مروّع ويتأذيان بشكل رهيب. ويُفلقان إلى المشفى حيث يشقان طريقاً جديدة في الحياة، طريقاً مخوفة بالألم وأيضاً بالأمل.

وفي أجنحة المشفى الباردة المعتمّة في لندن يتشبث بيل وإيزابيل بأهداب الحياة في حين أن جسديهما تبعثرا إلى أشلاء مهشمة يصعب شفاؤها. وخلال الأيام والأسابيع التالية يبدأ بيل وإيزابيل بالتماثل للشفاء ببطء وقد تمكك التحدي منهما الجسد والروح والفرود، فيجب عليهما معاً، لا أن يعتقا الحياة من جديد فحسب، بل أن يواجها ما خلقها وراءهما. فيالنسبة لإيزابيل، يتحول زواجها الخالي من الحب إلى صراع قلب مع زوجها. وأما بالنسبة لبيل فإن فترة الاستشفاء كشفت عن جراح أعمق من الجراح التي أحدثها الفولاذ في جسده، والوقائع والأحداث سوف تهز كيانه حتى الصميم.

وتتعدّد طبيعة العلاقة المتنامية بينهما، ويظهر في الأفق خطر يهدد علاقتهما بالانفصال. وهذه المرة قد يخسر كل منهما الآخر نهائياً.

في هذه الرواية المؤثرة والعاطفية، تلمس دانييل ستيل قصة شجاعة في

(1) التلمس العاطفي (empathy): أو التوحد العاطفي: حالة نفسية يشعر المصاب بها بتسوس شعور شخص آخر أو جماعة ويوجد بين ذاته وذات الشخص أو الجماعة الأخرى.

مواجهة خطر خسارة لا تعوض. وبموهبتها كقصاصة محترفة تسير أغوار القوة التي نحتاج إليها لتتغلب على مخاوفنا، وتظهر لنا كيف أن الفيبرات الصعبة للقاسية تعود علينا بمكافآت وجوائز غير متوقعة، وكيف أن أطول الرحلات وأشدها خطراً قد تبدأ بمجرد قبلة.

أخيراً:

ورغم أن رواية "القبلة" غير محررة بشكل كامل⁽¹⁾، ورغم أن بعض النقد يحدون شوائب في هذه الرواية من جهة التكرار، والأسلوب اللغوي الطفولي، ومثالية بعض الشخصيات، إلا أنها رواية لا تتطلب كبير عناء لفهمها بحيكمتها الميلودرامية. ورغم ما كتبت على ظهر الكتاب بأن هذه الرواية "أدب قصصي"، إلا أنها بالحرى قصة رومانسية مؤثرة تجتذب الملايين من القراء الذين يلتهمون روايات دانييل ستيل ويجعلون منها ظاهرة نشر أدبية فريدة في العالم المعاصر.

جدير بالذكر أن جميع الحواشي السفلية ليست في الرواية الأصلية، بل وضعناها لجعل بعض التعبيرات والرواية عموماً واضحة أكثر للقارئ الكريم. نأمل أن تتال هذه الترجمة استحسانكم، وأن تستمتعوا بقراءة هذه الرواية الجميلة، والله من وراء القصد.

أنطوان عبد الله

(1) يحرر: (edit): يد كتبت الأخرين للشر.

الفصل الأول

وقفت إيزابيل فوربستر في نافذة غرفة نومها تنظر إلى الحديقة في منزلها الكائن في شارع غرينيل في الدائرة⁽¹⁾ السابعة في باريس. إنه المنزل الذي كانت قد عاشت فيه مع زوجها غوردون لعشرين سنة، والذي كان قد أبصر إيداعها الثور فيه. كان قد بُني هذا المنزل في القرن الثامن عشر وكان له أبواب برونزية فخمة طويلة من جهة الشارع تؤدي إلى الفناء الداخلي. كان المنزل مبنيًا على صورة حرف (U) حول الفناء. كان المنزل مألوفًا، عتيقًا، وجميلًا بأسطحه العالية والألواح الإكستاتية الرائعة⁽²⁾، والقوالب الجميلة والأرضية المفروشة بالباركيت⁽³⁾ بنون البراندي. كان كل ما حولها يستأق وقد عنيَ به أن يكون في منتهى الجمال والكمال. وكانت إيزابيل تدير أمور المنزل وترتبه بنوق وبراعة فنية وإتقان، بيد رصينة حازمة ولكن لطيفة. وكانت الحديقة مشدبة بعناية، والأزهار البيضاء التي كانت قد غرستها قبل سنوات تُعتبر من أجمل الورد في باريس. وكان المنزل يحفل بالعائيات التي كانت قد جمعتها مع غوردون عبر السفين، محليًا ومن خلال رحلات سفرهما. وكان العديد منها قد أتت بها من منزل والديها.

كان كل ما في المنزل متأنًا، والخشب مدهونًا بالزيت تمامًا، والفضيات ممتعة، وحوامل المصابيح البلورية على الجدران متألقة تحت شمس حزيران

(1) الدائرة (arrondissement): منطقة إدارية من مناطق مدينة فرنسية كبيرة. (المترجم)

(2) الألواح الإكستاتية (boiseries): ألواح خشبية نقيقة منقوشة مطلية في العادة تُكسى بها الجدران لتأخذ رونقًا وجمالاً. (المترجم)

(3) الباركيت (parquet): أرضية مفروشة بقطع أو ألواح خشبية مزخرفة تُتَّصَل بِبَدَلِ البلاط في أوروبا وأمريكا. (المترجم)

(يونيو) المساطعة التي كانت تتسرب إلى غرفة النوم عبر الستائر. أدركت إيزابيل وجهها عن منظر حديقة ورودها وهي تتهدد. لقد كانت منغلقة وقلقة بخصوص مغادرة باريس بعد ظهر ذلك اليوم. لقد كانت قلماً تخرج من المنزل، فقد كانت فرص أو مناسبات ذلك نادرة بالنسبة لها. أما الآن وقد سلحت لها الفرصة بذلك، فإنها تشعر بالذنب حيال ذلك، بسبب تبدي.

كانت صوفي، ابنة إيزابيل، قد مضت إلى البرتغال مع أصدقائها في اليوم السابق. كانت في الثامنة عشرة من عمرها وستذهب إلى الجامعة في الخريف. إنه ثيودور، ابن إيزابيل، هو من أباقها في المنزل، ومنذ أربع عشرة سنة. فألته وبذ قبل أو أنه بثلاثة أشهر، نأدى للغبلة عند الولادة، وبنيجة ذلك ما كانت رستاه قد اكتمل نموها بعد وهذا أضعف قلبه. وكان يتلقى تعليماً خصوصياً في المنزل ولم يذهب البتة إلى المدرسة. إنه في الرابعة عشرة من عمره، ولقد أمضى جُل حياته طريح الفراش، وكان يتجول حول المنزل من خلال كرسي متولب كلما كان لا يقدر أن يقوم بذلك اعتماداً على قوته. وعندما كان الجو جميلاً دافئاً كانت إيزابيل تأخذه على عربته ليتنزه في حديقة المنزل. واعتماداً على حالته، كانت إما تساعده على السير قليلاً أو كان يكتب بالجلوس في كرسيه. كانت حيويته لا تقهر، وكانت عيناه تلمعان عندما تدخل والدته إلى غرفته. لقد كان لديه دائماً شئ طريف مضحك يخبرها عنه. إن الرباط الذي جمع بينهما تعجز للكلمات عن وصفه وهذا الرباط تحدى السنين والزمان والمخاوف والأخطار الخاصة التي واجهها معاً. لقد كانت تشعر أحياناً أنهما شخصان بروح واحدة. لقد كانت تبتعث فيه الحياة والقوة، وتحدث إليه لساعات طوال، وتقرأ له، وتضمه بين ذراعيها عندما يأخذ منه الضعف كل مأخذ وتتقطع معه لفاسه فيكاد لا يقوى على الكلام، وكانت تجعله يضحك ما أمكنها ذلك. لقد كان يرى الحياة من منظرها، وكان دائماً يذكرها بعصفور صغير ضعيف مبيض الجناح.

كانت وغوردون قد اقترحا على أطبانه إجراء عملية زرع رئة وقلب،

تلك التي كانت تجرى في الولايات المتحدة، ولكن تبين في نهاية المطاف أنه أشد ضعفاً من أن يحتمل العملية الجراحية، أو حتى الرحلة نفسها. وبالتالي لا تتفع المجازفة في هذا الأمر. كان عالمٌ ثيودور يتألف من والدته وأخته، وتحده تخوم المنزل الرابع الأتبق الكائن في شارع جرينيل. كان والده مزعجاً على الدوام إزاء مرض ابنه، وكان محسباً على تبدي أن تُعنى به الممرضات طوال حياته، ولكن كانت أمه هي التي تعتني به معظم الوقت. مضى وقت طويل على التخلي عن أصدقائها واهتماماتها الخاصة وكل مظاهر الحياة الشخصية لديها. أما اتصالها مع العالم في السنوات الأخيرة فكان في المساء عند تواجد غوردون وكان هذا نادراً جداً. كانت ترى أن رسالتها ومهمتها في الحياة هي إبقاء تبدي على قيد الحياة وإسعاده. وهذا ما جعل وقتها وعنايتها تتحولان على مر السنين عن شقيقته صوفي التي بدأ لها تتفهم ذلك، وكانت إيزابيل مُحبة لها على الدوام. ولكن واقع تبدي فرض عليها أن تكون له الأولوية. فقد كانت حياته تعتمد على ذلك. في الأشهر الأربعة الأخيرة، وخاصة منذ بداية الربيع، تحسنت حالة ثيودور، وهذا ما أعطى والدته فرصة مناسبة لتقوم برحلتها السائرة والمتوقّعة إلى لندن. لقد كانت هذه الرحلة من اقتراح بيل روبنسون، والتي بدت متعذرة ظاهرياً للوهلة الأولى.

كانت إيزابيل وبيل قد التقيا قبل أربع سنوات في حفل استقبال أقامه السفير الأمريكي في باريس الذي كان من زملاء الدراسة لثيودور في برنستون. كان بيل في خضم الحياة السياسية، وكان معروفاً عنه أنه من أقوى الشخصيات في واشنطن، وعلى الأرجح أكثرهم ثراءً. أخبرها غوردون أن ولوم روبنسون هو الذي كان وراء إيصال الرئيس السابق إلى البيت الأبيض. كان قد ورث ثروة ضخمة تكاد لا تحصى وافتاد إلى السياسة وإلى السلطة التي قدتمتها له منذ شبابه. ولقد كان هذا ملائماً له، وفي الواقع كان يفضل أن يبقى وراء الكواليس. لقد كان له نفوذ وتأثير كبيران على المرشحين وعلى اللناخبين على السواء، ولكن ما أثر في إيزابيل هو هدوءه وتواضعه

عندما التقيا لأول مرة. عندما أوضح غوردون ظروف بيل لها بدأ من الصعب أن تصدق مدى الثراء والسلطة اللتين كان يتمتع بهما. فقد كان بيل متواضعاً ومتحفظاً وهذا ما أعجبها فيه منذ اللحظة الأولى. لقد كان هادئاً سهل المعشر وبدا شاباً بشكل مثير للدهشة، وسرعان ما أبدى حسناً الدعابة والمرح. لقد جلست إلى جواره على العشاء واستمعت بصحبته اللطيفة. وكانت في غاية السرور والدهشة إذ كتب لها في الأسبوع التالي، وبهذا أرسل لها كتاباً فنياً نافذاً كانا قد تناقشا حوله، وكانت قد أخبرته أنها تسعى وراء هذا الكتاب منذ زمن طويل. لقد اندهلت إذ تذكر ذلك، لاسيما وأنها تترك وطأة ضغط الأعمال والأشغال الكثيرة التي يزرع تحتها، وتأثرت من أنه كلف نفسه عناء البحث عن الكتاب وإرسالها لها. فقد كان مشغولاً بالكتب الفنية والنادرة.

كان حديثهما يكاد لا ينتهي حول سلسلة اللوحات الزيتية التي وُجِدت آنذاك، بعد أن هربها النازيون سراً معهم خلال الحرب، وتم اكتشافها مؤخراً في كهف في مكان ما في هولندا. وامتد حديثهما أيضاً ليتناول موضوع اللوحات المزيفة، وسرقات الفن، وأخيراً عمليات التجديد، والتي كانت ما قد قامت بها عندما التقت بغوردون. لقد كانت مبتدئة متمرنة في متحف اللوفر، وفي الوقت الذي تقاعدت فيه، وذلك عند ولائحتها لصفوي، كانت تعتبر ماهرة وموهوبة.

أما بيل فقد قرأ بضع صفحات، وهي أيضاً كذلك، وخلال الأشهر التالية نشأت صداقة غريبة ولكن مريحة بينهما وذلك عن طريق الهاتف والرسائل. وقد وجدت بعض الكتب الفنية النادرة لإرسالها له، وفي المرة التالية التي جاء فيها إلى باريس، اتصل بها هاتفياً ودعاها للعداء. ترددت في البداية ولكنها لم تستطع أن تقاوم، وكانت هذه من النوازل التي تركت فيها ثيودور في وقت العداء. كانت صداقتهما قد بدت قبل أربع سنوات، وكان تبدي في العاشرة من عمره آنذاك. وعبر الأيام، ألبعت صداقتهما وتطورت. فكان يتصل بها هاتفياً من وقت لآخر، في لوقات غير اعتيادية بالنسبة له، وذلك عندما كان يعمل حتى وقت متأخر. هذا الوقت الذي يكون صباحاً باكراً عندها. لقد أخبرته أنها

تستيقظ الساعة الخامسة فجراً لكي تُعنى بتبدي كل صباح. وبعد ستة أشهر أخرى سألها إذا كان غوردون يعارض اتصاله بها. في الواقع لم تخبره عن ذلك أبداً. لقد عدت صداقتها لبيل مسرّعاً الخفية السرية التي بذلت جهودها لكي تحتفظ بها لنفسها.

لماذا سيعارض؟ سألتها باندهاش. لم تكن لتريد أن تثقيه عن الاتصال بها. لقد كانت تستمتع بمكالمته لها كثيراً، وكان بينهما اهتمامات عديدة مشتركة. والغريب في الأمر أنه غدا نافذة الاتصال الحقيقي الوحيدة لها بالعالم الخارجي. لقد توقفت أصداقها عن الاتصال بها منذ سنين. وازداد انقطاعها عن الآخرين بشكل مطرد، إذ كانت تعضي أيلها ولياليها في العناية بتبدي. ولكن كان لديها قلق بخصوص اعتراض غوردون على مكالمات بيل. لقد ذكرت له كتب الفن الأولى التي كان قد أرسلها لها عند وصولهما وبدا غوردون مندهلاً ولكنه لم يتقوه بكلمة البتة. ولم يُبَد أي اهتمام معين برسائل بيل الكتب لها، ولم نقل له شيئاً عن الاتصالات الهاتفية. فسيكون أصعب عليها أن تغسرها له، وهي في حد ذاتها مكالمات برينة للعناية. فالأشياء التي كانا يصارحان بعضهما البعض بها لم تكن شخصية على الإطلاق، ولم تكن خارجة عن اللياقة، ولم يبادر أي منهما بالحديث عن حياته الشخصية، وكانا في بداية الأمر قلماً يتحدث أحدهما عن شريك حياته. لقد كان بالنسبة لها صوتاً لطيفاً ودوداً وصل إلى مسامعها فجأة في الساعات الحالكة من الصباح الباكر. وبما أن جرس الهاتف ما كان يرن في غرفة نومها ليلاً، فإن غوردون لم يسمعه. وفي الواقع كانت تتوقع أن يعترض غوردون على هذه الاتصالات، لو عرف، ولذلك لم تخبره البتة. لم تكن تود أن تخسر نعمة مكالمات بيل أو صداقته لها.

كان بيل يتصل كل بضعة أسابيع في البداية، ثم ازدادت ببطء مكالمته لها. وتقالوا للعداء معاً من جديد بعد حوالي ستة من لقاءتهما الأول. ومرة، حين كان غوردون خارج المنزل لأخذها بيل إلى العشاء. فقتلوا العشاء في مطعم

صغير هادئ قرب المنزل، وقد صُعِقَتْ عندما عانت إلى المنزل وأدركت أن الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل. لقد كانت تشعر وكأنها ورودة ذابلة ذلوية تشرب الشمس والمطر. إن الأمور التي تحدثنا عنها كانت تغذي روحها، وكانت مكالماته وزياراته الفادرة تعزِّزها وتقويها. وباستثناء أولادها، ما كان لدى إيزابيل أحد تتحدث إليه.

كان غوردون رئيس كبير المصارف الاستثمارية الأمريكية في باريس، وكان في ذلك المنصب منذ سنوات. وفي الثامنة والخمسين من العمر، كان يكبر إيزابيل بسبع عشرة سنة. لقد ابتعدا عن بعضهما عبر السنين، وكانت هي تذكر ذلك، وتظن أن السبب يعود إلى تيدي. لم يستطع غوردون أن يحتمل جو المرض المستمر الذي كان يحيط بالطفل كسيف مسلول مسلط على وشك أن يهوي على عنق الغلام. ما كان غوردون يسمح لنفسه بأن يكون قريباً من تيدي، وكان الجميع يعرف ذلك. كانت كراهيته لمرض تيدي مفرطة للغاية، بل كانت شبه رهابية⁽¹⁾. كان تيدي نفسه بشدة يدرك ذلك، وكان يظن وهو صغير أن والده يكرهه. ولكن مع نموه في السن صار يرى الأمر من منظور مختلف.

عندما بلغ العاشرة من العمر أدرك تيدي أن والده كان يخاف بسبب مرضه بل كان مذعوراً من مرضه، وكانت الطريقة الوحيدة ألمسه للهروب من هذا الشعور هو أن يتجاهله بالكلية، ويدعي أو يعتبر أن الطفل لم يوجع أصلاً. لم يأخذ تيدي أي موقف من والده بسبب شعوره ذلك، وكان يتحدث عن ذلك صراحة وعلناً مع إيزابيل، وعلام الحزن بادية عليه كما لو أنه كان يحكي عن بلد يود لو يزوره ويعرف أنه ليس له إلى ذلك من سبيل. كان الطفل ووالده غريباً بالنسبة لبعضهما البعض كما لو أنهما لم يلتقيا أبداً تقريباً. كان غوردون قد أوصد باب قلبه دونه، ووضع كل طاقته في عمله، كما كان يفعل

(1) الرهاب (phobic): الرهاب؛ الخوف المرضي؛ خوف مبالغ فيه ومتزني من نوع من المثيرات والأوضاع. وهو في كل الأحوال خوف غير مقبول وغير مبرر. المترجم

لسنوات عديدة، وأقصى نفسه قدر الإمكان عن الحياة في المنزل، وخاصة زوجته. الشخص الوحيد من أفراد عائلته الذي بدا منجذباً قليلاً إليه هو صوفي. لقد كانت شخصيتها أقرب إلى شخصيته منها إلى شخصيتها ولذتها. وكانت هناك عدة وجهات نظر مشتركة بين صوفي وغوردون، وبرودة معينة متبديدة في الهيئة والأسلوب. بالنسبة لغوردون، كان على مدى السنين بشيد جذراً بينه وبين الجانب الأكثر عاطفية في الحياة الذي كان يراه في جميع أحواله على أنه ضعف لا يروق له على الإطلاق. أما في حالة صوفي فيبدو ببساطة أنها ورثت عن ولدها هذه الصفة التي غرسها في نفسها. فحتى عندما كانت طفلة صغيرة كان الجانب العاطفي عندها أقل بكثير مما هو عند أخيها، وبدلاً من أن تطلب المساعدة من أحد، وخاصة من إيزابيل، فإنها كانت تزيّر على ذلك أن كتم كل شيء بنفسها. إن برودة عولطف غوردون أحدثت في نفس صوفي استقلالية ذاتية ونوعاً من الاعتداد بالنفس المتحفظ. وكانت إيزابيل تتساءل أحياناً عما إذا كان ذلك هو رد فعل غريزي لديها نحو تطلب أخيها وحاجته إلى الكثير من وقت والنتها. فلئلا تحصل على أقل مما تحتاج إليه أو تطلب، كانت صوفي تفتح نفسها وعالمها الخاص الصغير أنها ما كانت في حاجة إلى شيء منهم. لم تكن تتبادل الثقة والأسرار مع إيزابيل، وكانت تمتنع عن الحديث عن عولطفها ومشاعرها إن أمكنها تحاشي ذلك، وكانت على اللوم قادرة على ذلك وتتصرف على هذا النحو. وكانت إيزابيل تعرف أن صوفي، إن كانت مستقياً بأحد، فإن يكون بها وهي أمها، بل بأصدقائها. وكان الأمل يحدو نفس إيزابيل على اللوم بأنها مستجد مع صوفي عندما تكبر أساساً مشتركاً تقوم عليه صداقة بينهما. ولكن كان هذا بعيد المنال، فلم تكن علاقتها مع ابنتها الوحيدة بمنزلة تلك السهولة بالنسبة لها.

من جهة أخرى، إن برودة غوردون تجاه زوجته كان مبالغاً فيها. إن استعاد صوفي الظاهر عن والتهما كان يمكن تعليقه بمحاولتها للوقوف على قدميها وإكثاله على نفسها مقابل عزِّز أخيها وحاجته المستمرة إلى أمه، وذلك

سعيًا منها لأن تكون مختلفة عنه. بالنسبة لها، بدا تقريباً أنها تحاول أن تبرهن على أنها ليست في حاجة إلى الوقت والطاقة اللذين ما كانت والدتها قادرة على منحهما لها. وبالنسبة لغوردون، إن المسألة على ما يبدو لها جذور أصق بكثير مما كانت إيزابيل على الأقل تشعر بها أو تراها على أنها استياء كبير عسيف منه تجاهها أو تجاه قسوة القدر الذي منحهما ولداً معاقاً كان غوردون يلقي تبعته عليها هي.

كان لغوردون نظرة هادئة إلى الحياة، وكان ينظر إلى الحياة عموماً من مسافة أمان كما لو أنه كان يرغب في متابعة مباراة دون أن يشارك في اللعب فيها، خلافاً لتيدي وإيزابيل اللذين كانا عاطفيين تجاه كل شيء يشعرون به ويعبران عنه. إن الشعور المتقد الذي كانت تتشارك فيه مع الطفل هو الذي أبقى تيدي على قيد الحياة خلال حياته المعينة بالمرض. وتقاربا في العناية بابنها وتكريس وقتها له أبعده غوردون عنها منذ وقت طويل. وعلى الصعيد العاطفي كان غوردون قد اختفى من حياتها العاطفية منذ سنين، بُعيد ولادة تيدي. وحتى قبل انتقالها ببيل بسنوات، كان غوردون قد تخلى عن النوم في غرفة نومهما. وكان غوردون قد علل ذلك بقوله أنها كانت تأتي إلى الفراش في وقت متأخر جداً وتنهض في وقت مبكر جداً، وهذا كان يزعجه. ولكنها كانت تشعر وبكل تأكيد أن الأمر أكبر من ذلك. وبما أنها ما كانت تريد للأمر أن تسوء أكثر من ذلك بينهما ولا أن تجابهه فإنها لم تيدي اهتماماً بالرد عليه إزاء ذلك. ولكنها كانت تعرف ومنذ زمن بعيد أن عواطف غوردون نحوها قد اضمحلت في البداية ومن ثم تلاشت نهائياً.

لم تعد إيزابيل حتى تذكر آخر مرة لمسها فيها أو قبّلها أو مارس الحب معها. لقد كانت هذه حقيقة حياتية تتكلمها الآن. وقد مضى وقت طويل منذ أن تعلمت أن تحيا بدون حب زوجها لها. وكانت غالباً ما ترتاب في أنه لم يكن فقط يربط مرض تيدي بها، بل أيضاً كان يلومها عليه، رغم أن الأطباء أكدوا

لها أنها غير مسؤولة عن مرضه وخداجه⁽¹⁾. لم تتأقش إيزابيل هذا الموضوع فعلياً مع غوردون، ولم يكن ثمة وسيلة أمامها لتبرئ نفسها من اتهاماته الصامتة. ولكنها كانت تشعر بها دائماً وتعرف أن لديه هذه الفكرة. لقد بدا وكأن مجرد رؤية غوردون لإيزابيل ينكره بحجرة تمرير الطفل (في المشفى)، وكما أنه نذب ابنه منذ الولادة، بدافع الرعب من علته ومرضه، فإنه أخيراً نذب إيزابيل أيضاً من حياته. لقد شيد جدراً بينه وبين زوجته وذلك لكي يحول بينه وبين صور المرض التي كان يعقها. لم يستطع أبداً أن يتساهل أو يتسامح مع ما فهمه على أنه ضعف منذ أن كان هو نفسه طفلاً. وهذا الجدار الحائل بينهما ما عادت إيزابيل تحاول أن تهدمه رغم أنها حاولت ذلك في البداية. لقد ساءت محاولاتها بالتقرب منه بعد ولادة تيدي بالفشل، فقد كان غوردون يرفض كل محاولاتها، إلى أن قبلت أخيراً هذه الفجوة الواسعة من العزلة بينهما كأمر واقع في حياتهما.

لقد كان غوردون دائماً بارد الأعصاب والمشاعر وعلياً جداً بطبيعته. وقيل أنه كان قاسياً لا يرحم في العمل، ولم يكن لديه نداء من أي جانب في حياته، ورغم ذلك فقد كان عاطفياً محباً لها في البداية. لقد بدا اعتداده بنفسه كأنه تحدّ لها وكان غير ملوف بالنسبة لها. وبسبب طبيعته تلك فإنها اعتبرت كل ابتسامة فلزت بها وكل إيماءة دافئة حصلت عليها فتصمراً لها وذلك لأنه ما كان يظهر مودة لأحد آخر غيرها. لقد كانت شابة فتية آنذاك، وكانت مأسورة به. لقد كان يبدو مقتزراً وبالغ القوة في عينيها، ومؤثراً في كثير من الأحوال. لقد كان رجلاً يسيطر بشكل كامل على كل جوانب عالمه. وكان غوردون يرى في إيزابيل الكثير من الأشياء التي تروق له والتي كانت ستجمل منها زوجة مثالية بدون ريب. وبالتأكيد فإن نسبها ومحتدها الكريم، وميراثها وصيتها الأستقرطي، وارتباطاتها وعلاقتها المهمة هي التي ساعدته بشكل كبير في مجال عمله في المصرف. كانت ثروة عائلتها قد تبذرت

(1) الخداج (premature birth): ولادة الطفل قبل أوقته.

قبل سنوات مضت، وأما أهميتها في مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية فكانت لا تزال كبيرة. إن زواجه منها زاد من مكانته الاجتماعية وكان عاملاً هاماً بالنسبة له. فقد كان لها دور كبير في تعزيز منزلته ومهنته. وإضافة إلى أصلها وشجرة نسبها الكريم كانت تتمتع ببراعة طفولية فتحت لها الطريق بسهولة إلى قلبه.

لياً تكن دوافعه الاجتماعية الخفية إلا أنه كان يشعر بعنوية وحلاوة إيزابيل الشابة التي كان يصعب على أي رجل أن يقارمها. لقد كانت عاطفية، لطيفة، دونما رياء أو خداع. وساهم كبرياء مظهره وتطهرس هندامه واهتمامه الكبير بها عندما كان يتودد إليها في جعلها تنظر إليه كبطل. لقد كانت مقنونة بكنلته، مسحورة بنجاحه وتقوده في الحياة، ولقد كان غوردون متملقاً بما فيه الكفاية، وهو الذي كان يكبرها بسبع عشرة سنة، ليقول لها ما هو مناسب وفي الشكل المناسب. وحتى عائلتها كانت في غاية السرور عندما تطلب يدها للزواج. لقد كان واضحاً بالنسبة لها أن غوردون سيكون زوجاً مثالياً وسُعيى بها للغاية، لو هذا ما اعتقدت. وعلى الرغم من الصيت المأخوذ عنه بأنه حازم في معاملته في المصرف، إلا أنه بدا لها غاية في اللطف، ولكن تبين فيما بعد أنه لم يكن هكذا تماماً.

في الوقت الذي التقت فيه إيزابيل ببيل رويبنسون كانت امرأة تعيش في عزلة، وشهر على صحة طفلها الميوس من حالته الصحية، وتعيش مع زوج كان قلماً يتحدث إليها، وتحيا حياة في غيبة الوحدة. لقد كان صوت بيل، أحياناً نافذة اتصالها الوحيد مع راشد آخر طوال يومها، فيما عدا طبيب تبدي، أو ممرضته. وبدا أنه الشخص الوحيد في عالمها الذي كان مهتماً بها حقاً وبصدق. كان غوردون، إن فعل، فنادراً ما يسألها عن أحوالها. جلّ ما كان يقول لها، وفي الحالات القصوى، هو أنه سيكون خارجاً من أجل العشاء ليلاً، أو أنه يزعم أن ينطلق في رحلة صبيحة اليوم التالي. ما عاد يشاركها مجريات أحداث أيامه. وكانت محادثتهما القصيرة المقنونة تعزّز مراراً وتكراراً إحساسها بأنها لم تعد موجودة في حياتها. أما الساعات التي كانت تقضيها في

الحديث إلى بيل فقد فتحت اللوفاذ إلى عالم أوسع وأغنى. كانت تلك الساعات كتسمة هراء عليل بالنسبة إلى إيزابيل، وحبل نجاة تلجأ إليه في لايالها الحالكة. ومن خلال أحاديثهما العديدة المتبادلة معاً عبر السنين صار بيل صديقها الحميم، وغدا غوردون هو الغريب في حياتها.

لقد حولت أن تشرح ذلك لبيل مرة في إحدى مكالماتها الهاتفية في الصباح الباكر، في السنة الثانية من صداقتهما. كان تبدي مريضاً لأسابيع عديدة، وكانت تشعر أنها منهارة ومنهكة وأيلة للسقوط، وكانت مكتئبة بسبب برودة تعامل غوردون معها في الليلة الفائتة. فقد أخبرها أنها إما تهدر وقتها سدى في عطايتها بلبنها لأن الجميع كانوا يرون بوضوح أن الغلام على وشك الموت عما قريب، وأنها يجب أن تستسلم لهذه الفكرة. قال لها أن وفاة الطفل في النهاية ستكون رحمةً للجميع. كان صوتها يتهدج بالبكاء، والدموع تتفرق من عينيها عندما راحت تحكي عن ذلك لبيل الذي هالةً تحجر قلب ولاد الطفل وسوته نحو إيزابيل.

أعتقد أن غوردون مستاء مني جداً بسبب كل السنين التي أمضيتها في العناية بتبدي. إذ لم يكن لدي الكثير من الوقت لأفضيه معه كما ينبغي. هذا ما لُسرّت به له إذ كانت تعتقد أنها لم تخصص وقتاً له بالمقدار الذي كانت تعرف أنه يقرّض فيها أن تكرسه له. وكان غوردون ومنذ زمن طويل قد رسخ في ذهنها فكرة أنها خلّفته كزوجة. وهال بيل أن يسمع مدى استعداها لتقبل ما يقوله غوردون لها.

قال لها بيل بلطف: تبندو من المعقول، وفي ظروفك، أن تكون لتبدي الأولية في حياتك يا إيزابيل. لقد كان يستشير الأطباء من أجلها ولعدة أشهر على أمل أن يحصل على شفاء معجزتي لتبدي. ولكن ما قاله الأطباء له لم يكن مشجعاً. بحسب قول إيزابيل كان الطفل يعاني من مرض متتكس⁽¹⁾

(1) مرض متتكس (degenerative): أي مرض يتدهور أكثر فكلّار متقللاً من سبه إلى أسوأ.

يصيب قلبه، وكانت رثاء فيهما قصور⁽¹⁾، ولأن جسده كله كان أخذاً في التلف على نحو بطيء. وكان الرأي مجتمعاً على أنه وبمعجزة فقط يمكن أن يعيش حتى العشرينات من عمره. ولقد كان فواد بيل يتمزق لإدراكه ما تعانيه إيزابيل الآن وصما ستواجهه يوماً ما.

على مر السنين القليلة التالية ازدادت صداقتهما عمقاً. كانا كثيراً ما يتحدثان على الهاتف، وكانت إيزابيل تكتب له رسائل فلسفية طويلة، خاصة في الليالي التي كانت تمضيها ساهرة جالسة إلى جوار سرير تيدي. فقد مضى وقت طويل منذ أن غدا تيدي محور حياتها، وليس فقط أنه أبداها عن غوردون وحسب، بل إنه أفضاها أحياناً عن صوفي التي كانت تلوم ولتتها على ذلك فسي أكثر من مناسبة. لقد تهمت ولتتها باهتمامها بأخيها فقط. والوحيد الذي أمكن لإيزابيل أن تحدثه عن ذلك كان بيل، وذلك خلال أحاديثها الطويلة في قلب الليل.

لحظات المشاركة بينهما تجاوزت وقائع حياتهما اليومية، وكانت ضفوفات الحلبة السياسية تتلاشى كالدخان عندما كان يتحدث إليها. وبالنسبة إلى إيزابيل، عندما كانت تتحدث إلى بيل، كانت كما لو أنها تنتقل إلى مكان وزمان تنسى فيهما مرض تيدي ونبد غوردون لها وسخط صوفي عليها. بدأ وكأنها ترتفع من الحياة التي تعيش إلى أماكن أخرى وموضوعات أخرى. كانت يوماً ما تهتم بها بعق كبير. لقد أعطاها بيل منظراً جيداً للعالم، وكانا يتحدثان دونما كلفة ويضحكان معاً. لقد حكى لها كثيراً عن حياته، وعن الناس الذين عرفهم، والأصدقاء الذين اهتم بهم، وبين القبيلة والأخرى، ورعاً عنه، كان يخبرها عن زوجته وابنتيه في الجامعة البيديتين عنه. لقد تزوج عندما كان في الثانية والعشرين من عمره ولم يبقَ من زواجه بعد ثلاثين سنة سوى قشور زواج. فقد صارت زوجته سيندي تكره العالم السياسي الذي يعيش فيه.

(1) قصور (inadequate) في الرثة: أي أنها تعجز عن أداء المهمة أو الوظيفة الأساسية لها.

والناس الذين يلتقيان بهم، والولجات المترتبة على بيل، والمناسبات التي كان يفترض فيها حضورها، والوقت الطويل الذي كان يمضيه في السفر. لقد كانت تزدي كلياً بالسياسيين وتحتقرهم. وكانت تكره أن يكرس بيل حياته لهم.

الأشياء الوحيدة التي كانت تهتم بها سنثيا، الآن وقد كبرت الفتاتان، هي أصدقائها في كونكتيكوت⁽¹⁾، وحضور الطفلات، ولعب التنس. وبدأ أنه ما كان يهمها أن يكون سبيل جزءاً من حياتها. لقد تجمعت عواطفها نحوه قبل عدة سنوات، وراحت تعيش حياتها دون أن تشعر بالأسى عليه. لقد رافقته ثلاثين سنة في كل نشاطاته. وكانت تعتبر حياته السياسية في مقدمة كل شيء. ولم يكن بيل متولجاً أبداً في أي حدث يخصهم كعائلة مثل حفلات التخرج، والأعياد. لقد كان على النول في مكان آخر، يهيئُ مرشحاً للانتخابات الأولية⁽²⁾ أو الكهنية. وصر في السنوات الأربع الأخيرة كثير التردد على البيت الأبيض. ما عدا يؤثر فيها، وكان ليسرّها أن تخبره أن كل ما يفعله كان يضجرها، والأكثر من ذلك أنها نبذت من حياتها الرجل الذي كانت تمقت مهنته. وكل ما كان بينهما انتهى منذ زمن بعيد. لقد اكتشف في العام المنصرم أنها كانت تخفي عنه علاقات سرية مكتومة ومنذ سنوات. لقد كانت هذه بمثابة انتقام منه على حماقة وحيدة ارتكبها قبل عشر سنوات مع زوجة أحد أعضاء الكونغرس ولم يكرها ثانية. ولكن لم تكن سيندي معادة على الصفر.

خلافاً لإيزابيل وغوردون، كان وسيندي لا يزالان يتشاطران غرفة النوم دون النزاع. لقد مضت سنوات منذ أن تشاركا الفراش. وكأنها كانت تقفقر تقرباً بلتها لم تعد مهتمة جنسياً بزوجها. لقد كانت جميلة الشكل، ولها بشرة

(1) كونكتيكوت (Connecticut): هي الولاية الأمريكية الواقعة في أقصى جنوب نيو إنجلاند في الولايات المتحدة الأمريكية. يحدها من الشمال ولاية ماسشوسيتس، وإلى الشرق رود آيلاند، ومن الجنوب خليج لونغ آيلاند سلوند، ومن الغرب ولاية نيويورك.

(2) انتخابات أولية: (primary): انتخابات يجريها حزب لانتقاء مرشح مقبله لرئاسة الجمهورية أو منصب ما.

سمره، وشعرها استلح إلى لون أشقر عبر السنين، وتقريباً كانت على نفس الدرجة من الجمال عندما تزوج بها قبل ثلاثين سنة مع بعض التصلب في شخصيتها وطباعها الآن، وهذه ما كنت لتعجب عن ناظره. لقد بنت جدراناً بينه وبينها يصعب هدمها، وما عاد يخطر له أبداً أن يحاول ذلك. لقد وضع طلاقته في عمله، وكان يتحدث إلى إيزابيل عندما يحتاج إلى يد يمسك بها أو كتف يكي عليه، أو شخص يضحك معه. لقد كانت إيزابيل هي الشخص الذي كان ليعترف له بأنه متعب أو متعب العزم. وكانت هي على استعداد دائم لتصفي إليه. لقد شذّه إليها لطف لم يجده أبداً في زوجته. لقد كان يحب روح سيندي المفعمة بالحياة، ومظهرها، ونشاطها، وحس الدعابة والحب عندها. لقد كان يطيب له أن يراقبها وهما في مرحلة الصبا، ولما الآن فإنه يتسامح فيما إذا كانت حتى ستفقدته إذا ما اختفى عن وجه الأرض. وكانت ابنتاه تبدوان مرحيتين مسليّ والذتهما عندما تكونان في المنزل ولكنهما غير مكثرتين به جوهرياً. وبداً أنه ما عاد أحد يهتم لوجوده أو لعدم وجوده في المنزل. لقد كانوا يتعاملون معه وكأنه زائر غير مرتقب عندما يصل إلى المنزل بعد رحلة ماء، ولم يكن هو ليشرع بالانتماء إلى ذلك المنزل. لقد كان كمثل رجل بلا وطن. لقد كان يشعر بأن ليس له جنور. وكان جزء من قلبه مغلفاً على ذلك الشخص الذي يقطن شارع روي دي غرينيل في باريس. لم يخبر إيزابيل أبداً بأنه يحبها، ولا هي لفحت ذلك، ولكن مضت عليه حتى الآن سنوات عديدة وهو متعلق بها بشدة. وكانت إيزابيل معجبة به كثيراً.

إن المشاعر التي عبر عنها كل من بيل وإيزابيل للأخر كانت لا تتعدى الصدفة رسمياً. لم يعترف أي منهما للأخر أو لنفسه بأن هناك أكثر من مجرد إعجاب وارتياح واستمتاع بفن الحوار المقفود. ولكن بيل قد لاحظ على نفسه عبر السنين أنه يُصاب بالقلق عندما لا تأتيه رسائل منها، وأنه كان يشتاق إليها عندما كانت لا تستطيع تلقي مكالمته بسبب وضع تبدي الصحي السيئ أو بسبب مرافقتها لغوردون إلى مكان ما. لقد كان قلقه واشتياقه أكبر من أن

يستطيع الإفصاح عنه أو الإقرار به. لقد صار وجودها راسخاً في حياته وعليه كان يعول ويستند. وقد كان يعني لها الشيء الكثير. فباستثناء ابنها البالغ من العمر أربع عشرة سنة، كان بيل للشخص الوحيد الذي أمكنها أن تتحدث إليه. فقد كانت تعجز تماماً عن الحديث إلى غوردون كما تتحدث إلى بيل.

لقد كان غوردون في الواقع إنكليزياً في شكله وأسلوبه أكثر مما هو أمريكي. لقد كان ولاده أمريكيين كلاهما، ولكنه ترعرع في إنكلترا. لقد ذهب إلى إيتون، وبعدها أرسل إلى الولايات المتحدة كي يدرس في الجامعة، فمضى إلى برينستون. ولكنه سرعان ما عاد إلى إنكلترا بعد التخرج، ومن هناك انتقل إلى باريس للعمل في المصرف. ولكن أيضاً كان أصله، إلا أنه كان يبدو بريطانياً أكثر منه أمريكياً بكثير.

التقى غوردون بإيزابيل في فصل صيف في منزل جدها الصيفي في هامشير عندما كانت تزورهم قادمة من باريس. كانت آنذاك في العشرين من عمرها بينما كان هو يناهز الأربعين، وما كان قد تزوج أبداً من قبل. ورغم صف النساء الجميلات في حياته، وبعضهن سابقات على الأخرى، إلا أنه لم يجد أياً منهن جذيرة باللائزام أو بالزواج. كانت والدته إيزابيل إنكليزية ووالدها فرنسي. وكانت قد عاشت في باريس طوال حياتها، وكانت تزور جديها في إنكلترا كل صيف. لقد كانت تتحدث الإنكليزية بدون أخطاء، وكانت فائتة بكل معنى الكلمة. لقد كانت ساحرة أخذة، نكية، عاقلة حكيمة، ومُحبة رقيقة القلب. وإن نظفها وخفة ظنّها وفقتها شبه السحرية خلّبت لهُ من أول لحظة رآها فيها. ولأول مرة فسي حياته، آمن غوردون بأنه واقع في الحب. وكانت الفرص الاجتماعية المحتملة التي يقدمها له زواجه بها تروق له بشكل لا يُقارم. فقد كان غوردون ينحدر من عائلة محترمة، ولكن ليست شهيرة أبداً مثل عائلة إيزابيل. فقد كانت ولدتها تنحدر من عائلة بريطانية هامة لها ارتباط كبير بمصلحة المصارف، وترتبطها علاقة قريبي بعيدة مع الملكة، وكان ولدها رجل دولة فرنسي مرموق. وبالنتيجة كان غوردون يرى فيها ناداً مناسباً لتكون

شريكة حياته. لقد كان نسبها سامياً، وكان خجلها ودمائة خلقها وتواضعها وعدم ادعائها تجعلها أقرب إلى الكمال. لقد مالت والنهت قبل أن تلتقي إيزابيل بغوردون، وكان ولداها قد أعجب به، وبارك قرانهما بموافقته. فقد فكر أن غوردون هو الزوج المثالي لإيزابيل، وتمت خطوبة إيزابيل وغوردون وتزوجا خلال عام. وكان هو الأمر النهائي. فقد أوضح لها من البداية أنه هو من يتخذ كل القرارات في حياتهما. وكانت إيزابيل تتوقع ذلك منه. فقد اتخذ هذا الدور بسبب صغر سنّها، إذ ما كانت لتعرض على ذلك. لقد حدّد لها الأشخاص الذين ينبغي عليها زيارتهم، والمكان الذي سيعيشان فيه، وطريقة للحياة معاً، بل حتى إنه هو من اختار المنزل في شارع رو دي غريفيل، واشتراه حتى قبل أن تراه إيزابيل. كان آنذاك قد صار نثوء مديراً للمصرف، وتمتّع بمركز مرموق. ولقد تعرّضت منزلته بسبب زواجه من إيزابيل. وكان عليه بالمقابل أن يؤمن لها حياة آمنة سالمة. وسرعان ما لاحظت إيزابيل القيود التي وضعها عليها عندما كان الزمن يمرّ.

لقد حدّد لها غوردون من من أسدقها لم يحثهم، ومن كان بإمكانها أن تراه، ومن لم يوافق عليهم. لقد كان يتوقع منها أن تكون مضيافة ويسخاء لصالح المصرف، ولقد تعلمت كيف تكون هكذا سريعاً. لقد كانت خبيرة ماهرة وبارعة وتتمتّع بحس تربوي وتنظيمي لاف للانباء، وكانت على استعداد كامل لتبني تعليماته. وفيما بعد بدأت تشعر بأنه كان محققاً أحياناً، بعد أن كان قد أقصى من دائرة حياتهما الاجتماعية عدداً من الناس الذين كانت تحبهم. لقد قال لها غوردون بشكل قاطع بأنهم ما كانوا جديرين بها. أما إيزابيل فقد كانت أكثر انفتاحاً على الناس الجدد والفرص الجديدة والمخططات والمشاريع والخيارات المختلفة المتنوعة التي تقدمها الحياة. لقد كانت تلميذة فنون، ولكنها اتخذت وظيفة لها كرممة آثار فنية مبتدئة في متحف اللوفر عندما تزوجت غوردون رغم احتجاجاته. لقد كانت هذه مساحة استقلالها الوحيدة. ولقد أحببت العمل والناس الذين كانت تلتقي بهم هناك.

لقد كان غوردون يجد أن عملها هو نوع من الممارسات البرهيمية وأصر على أن تترك عملها ما إن حبلت بصوفي. وبعد إنجابها للطفلة، وعلى الرغم من ممتة الأمومة، إلا أن إيزابيل وجدت أنها خسرت المتحف والتحديات والمكافآت التي كان يقدمها العمل فيه. ولكن غوردون ما كان ليرضى أن يسمعها تتحدث عن عودتها إلى العمل بعد ولادة الطفلة، وحملت إيزابيل من جديد وبسرعة، وفي هذه المرة فقدت الطفل. واستغرق شفاؤها وقتاً طويلاً، وما عاد من السهل عليها أن تحمل من جديد. وعندما حصل هذا مرت بفترة حمل صعبة بشديدي وتمخض الحمل عن ولادته قبل أوانه وعن كل النتائج والاضطرابات اللاحقة الناجمة عن ذلك ولتلق حوله.

ومنذ ذلك الحين بدأ التباعد بين غوردون وإيزابيل. لقد كان مشغولاً جداً في المصرف في تلك الأونة. ولقد انزعج كثيراً، لأن مع وجود طفل مريض تحت سقف بيته، لن تستطيع بعد الآن أن تستضيف الناس تكراراً كما قبل، ولن تستطيع الاهتمام كثيراً بواجباتها العائلية والاجتماعية نحوه. وفي الواقع، في تلك السنوات التي تلت ولادة تيدي، ما كان لدى إيزابيل أي وقت تقريباً للاهتمام بغوردون أو صوفي، وكانت تشعر أحياناً أنهما كانا يتحالفان ضدها، وهذا ما كانت ترى فيه ظلماً كبيراً لها. لقد بنت حياتها كلها وكأنها تنور في فلك ابنها المريض. ما كانت لتفكر أو تسمح لنفسها أن تتركه رغم وجود المررضات اللواتي استخدمتهن لأجله. وللأسف فقد وافت المنية ولدها آنذاك بعد أن كانت ودهتها قد مضت قبله بسنوات. وما كان حولها من يؤيدها ويساعدها خلال سنوات تيدي الأولى فكانت دائماً إلى جواره. ما كان غوردون يسرير أن يسمع عن مشاكل تيدي أو تراجع أو تقدم حالته الصحية. لقد كان يستاء من سماع ذلك، وكما لو أنه كان يعاقبها، فقد أقصى نفسه فوراً عن أي علاقة أو احتكاك حميم مع زوجته. وغدا من السهل إنك حقيقة أخيراً أنه ما عاد يحسبها. لم تكن متأكدة من ذلك، وهو لم يهدد بتركها أو الانفصال عنها، أفقه من الناحية الجسدية. ولكن كان يخالفها شعور مطرد مزعج بأنه قد تركها

أو رمى بها في خضم الليل تحت رحمة الريح والأواء.

بعد تبدي لم ينجبا أي طفل. فما عاد غوردون يرغب بأن يُرزق بطفل، وما عاد لدى إيزابيل وقت لذلك. لقد هبت كل وقتها ومشاعرها وكل ما لديها لابنها. وصار غوردون يوحى لها، بشكل مباشر أو غير مباشر، بأنها خذلتها. لقد كان الأمر وكأنها ارتكبت أكبر الجرائم، وكأن مرض تبدي كان غلطاً. لم يكن لدى الغلام ما يجعل غوردون يفخر به، فلم يكن يرى مهارته وقدراته اللغوية، أو حصيلته، ولا نكاهه للامع، ولا حس الدعابة عنده رغم الأعباء التي يحملها. ما كان يزعج غوردون أكثر هو الشبه الذي كان يجده بين تبدي وإيزابيل. ولم يكن يشعر إلا بالازدراء نحوها وبحق عميق صامت مكتوم لم يكن ليصرّح عنه على الإطلاق.

ما لم تكن إيزابيل تعرفه، حتى أخبرتها ابنة خالة غوردون بعد سنوات لاحقة، هو أن غوردون كان له أخ أصغر منه كان يعاني من مرض الشلل منذ الطفولة وأنه مات وهو في التاسعة من عمره. لم ينكر غوردون أو أي أحد أبداً لإيزابيل شيئاً عن أخيه. فالموضوع كان محظوراً لتطرق إليه بالنسبة له. ورغم أن والدة غوردون كانت تحبه كثيراً عندما كان صغير السن إلا أن القسم الأخير من طفولته أمضاه يراقب والذته تعتني بأخيه إلى أن مات. لم تكن ابنة الخالة متأكدة تماماً من طبيعة المرض الذي كان يعاني منه شقيق غوردون، أو مما حدث بالضبط، ولكنها كانت تعرف أن والدة غوردون سقطت طريحة الفراش بعد موت الغلام. ومنذ ذلك الحين كانت قعيبة المرض الذي دام طويلاً وماتت في النهاية موتاً بطيئاً مؤلماً. ولما الانفصاح الذي بقي لدى غوردون من جزء كل ذلك فهو إحصاسه بخيانة أخيه ووالذته له، وعدم اهتمامها به وعدم منحهما له الحنان والوقت، وأخيراً موتها وهجره.

قالت ابنة الخالة أن والذتها كانت تعرف تماماً أن والد غوردون قد مات بقلب منكسر، رغم أن ذلك كان بعد سنوات لاحقة، ولكنه لم يُشَفَّ من وقع الفخسرة المزدوجة. في الواقع، كان غوردون يشعر أنه فقد عائلته كلها بنتيجة

مرض طفل واحد. وفيما بعد خسر وقت إيزابيل واهتمامها اللذين تكسرا إلى مرض سيدي. بفضل ما أوضحته ابنة الخالة لإيزابيل، أدركت هذه الأخيرة حقيقة ما كان يجري، ولكن عندما حاولت أن تحدث غوردون عن ذلك طلب منها بشكل قاطع أن تنتهي الموضوع، وقال لها أن هذه ترمات. قال لها بأنه لم يكن يكسّر لية مشاعر حميمة لأخيه ولم يشعر أبداً بأي خسران، وأن موت والذته كان قد صار آنذاك تكرر باهتة، وأن والده كان رجلاً صعب المرس. ولكن عندما تحدثت إيزابيل عن ذلك، ورغم اعتراضه، لاحظت نظرة هلع في عينيه. لقد كانت عينا طفل مجروح أكثر منها عينا رجل غاضب. وعندما تسألت إذا كان هذا هو السبب الذي جعله يتزوج متأخراً إلى ذلك الحد، والذي جعله يبقى في منأى عن الجميع. ولرحت أخيراً السبب الذي يجعله يرفض تبدي بكل الأشكال. ولكن فهمها للسبب لم يساعدها في التأثير على غوردون. فلم تنفتح أبداً أبواب السعادة السماوية بينهما، ولاحظ غوردون أن إيزابيل وتبدي ظلّا حميين وبقيا هكذا.

حاولت أن توضح ذلك لبيل، ولكن وجد أن هذه الحالة يصعب فهمها ولها قسوة ووحشية من غوردون أن يقصدها عنه عاطفياً. لقد كانت إيزابيل أحد أروع النساء التي رآهن، وقد عمل لطفها ولباقتهما في جعلها أكثر فتنة وجاذبية بالنسبة له. ولكن أيأ كان ما يفكر به تجاهها إلا أنه لم يبد أي تلميح رومانسي نحوها، وما كان حتى لتسمح لنفسه بأن يفكر في ذلك. لقد أفهمته إيزابيل بوضوح ومن البداية أنه ليس هناك خيار في هذا الموضوع. فإن كانا سيحافظان على صداقتهما يجب أن يحترم كل منهما زواج الآخر الجدير بالاحترام. لقد كانت مخلصنة وصادقة للغاية في علاقتها مع غوردون رغم قسوته نحوها أو إبتعاده عنها في السنوات الأخيرة. لقد كان لا يزال زوجها، وكان يدهش بيل أنها كانت تحترمه وتقدر علاقة زوجها تقديراً كبيراً. وكانت فكرة الطلاق أو حتى فكرة الخيانة بعيدتين جداً عن تفكيرها. كل ما كانت تطلبه من بيل هو الصداقة. ورغم عزلتها مع غوردون في معظم الأحيان إلا

أنها قبلت هذا الأمر كواقع أساسي في زواجها. وما كانت تطمح لأكثر من ذلك، وكانت لترفض كل ما عدا ذلك في الواقع، ولكنها كانت تغتر الارتياح والعزاء اللذين كان يقدمهما بيل لها. لقد كان يعطينها النصح بخصوص أشياء كثيرة، وكان له مثلهما نفس الاعتبار لمعظم الأشياء، وكانت على الأكل مستشعر بالارتياح للحديث إليه بل حتى كانت تنسى كل قلقها ومشاكلها خلال ذلك. في نظرها كانت صداقة بيل هبة فائقة الطبيعة منحها لها وكانت موضع تقدير كبير بالنسبة لها. ولكنها ما كانت أكثر من ذلك.

تقد طرأت فكرة الرحلة إلى لندن بالصدفة وبراءة وذلك خلال إحدى مكالماتها في الصباح الباكر. لقد كانت تتحدث عن معرض وشيك في توت غاليري تترقق شوقاً لزيارته ولكنها كانت تعرف أنها لن تستطيع ذلك إذ ليس في مخطط القائمين عليه نقله إلى باريس. فاقترح عليها بيل أن تسافر بالطائرة إلى لندن ليوم أو حتى يومين فتشاهد العرض وتستمع ببعض الوقت هناك بعيداً عن القلق حول زوجها وأطفالها كنوع من التغيير. لقد كانت فكرة جديدة تماماً طسبها إذ إنها لم تفعل ذلك أبداً من قبل. وفي البداية أصرت على أنه يصعب عليها القيام بذلك، على الأقل لأنها لم تترك تبدي يوماً من الأيام.

سألها بيل: "بم ٢٧؟" ومدّ ساقيه الطويلتين واضعاً حذاءه فوق طاولة مكتبه. لقد كان الوقت منتصف الليل عنده، وكان في مكتبه ذلك اليوم من الساعة الثامنة صباحاً. ولكنه تريت في المكتب لبرهة لكي يتمكن من الاتصال بها. واستأف حديثه: "هذا جيد بالنسبة لك، كما وأن حالة تبدي قد غدت أفضل في الشهرين الأخيرين. وإذا طرأت مشكلة ما فيمكنك أن تعودتي إلى منزلك في غضون ساعتين".

لقد بدت الفكرة معقولة، ولكن لم يسبق لها، خلال عشرين سنة زواج من غوردون، أن سافرت لأي مكان من دون غوردون. لقد كان زواجهما زواجاً أوروبياً على الطراز القديم، وذلك خلافاً للارتباطات المتحررة التي تجمع بينه وبين سندي، فقد كان مألوفاً بالنسبة لبيل وسندي أن يسافر كل منهما وحده

كثير من سفرهما معاً. وما عاد يبذل أي جهد أو محاولة لبمضي إنجازاته معها. اللهم، ما عدا بعض الأسابيع العرضية بمضيها هنا أو هناك في هامبوتز. ويسبو أن سندي كانت أكثر سعادة عندما لا يكون معها. ففي آخر مرة اقترح فيها أن يذهبا في رحلة معاً، أنه بمليون عذر كي يتهرب، في حين أنها ذهبت لتذكار في رحلة إلى أوروبية مع إحدى ابنتيها. لقد كان الأمر مفهوماً بينهما. لقد فارق زواجهما الروح منذ زمن طويل، وهذا الأمر حقيقة رغم عدم رغبة أي منهما بالاعتراف به. لقد كانت تفعل ما يحلو لها، ومع من تشاء، دون أن تحتاج إلى توضيح أي أمر. وكان بيل منشغلاً بالحياة السياسية التي يهواها، ومكالماته الهاتفية مع إيزابيل في باريس. لقد كان هذا التفوت غريباً بينهما.

في نهاية الأمر، وبعد عدة أحاديث، أقتع بيل إيزابيل بالذهاب إلى لندن. وعندما قررا ذلك كانت إيزابيل في غاية السرور والإثارة. وبالكاد استطاعت أن تنتظر موعد المعرض والقيام ببعض التسوق في لندن. لقد كانت تخطط للسزول في فندق كلاريدج وربما كانت لتود رؤية صديقة قديمة لها من أيام المدرسة فنقلت من باريس إلى لندن.

وما هي إلا بضعة أيام بعد ذلك حتى اكتشف بيل أنه في حاجة لمقابلة السفير الأمريكي في إنكلترا. لقد كان متبرعاً رئيسياً للحملة الرئاسية الأخيرة، وكان بيل في حاجة إلى دعمه من أجل مرشح آخر، وكان يريد أن يطرح الموضوع معه بأسرع ما يمكن لكي يتوصل إلى أساس وقاعدة يستندون إليها من أجل التبرعات. فبدع هذا السفير يستطيع بيل إيجاح مرشحه. وكان من دواعي الصدفة المسارة بالنسبة له أن تكون إيزابيل هناك في نفس الفترة. لقد أثر لديها الشوق للسفر عندما أخبرها أنه سيكون في لندن في الوقت نفسه.

سألته بلغة إنكليزية ذات لكمة بريطانية: "هل تعمدت أن تكون هناك؟" كانت كلماتها ممتزجة بلكنة فرنسية خفيفة كان يجدها ساحرة. ورغم أنها في العادة والأربعين من العمر إلا أنها كانت لا تزال جميلة، ولا يبدل شكلها على حقيقة عمرها. كان لها شعر بني داكن يشوبه لون أحمر، وبشرة قشدية اللون

كلون الخرف، وعيان خضراوان وسعتان منقلتان بلون الكهرمان. بناء على طلبه، كانت قد أرسلت له قبل سنتين صورة فوتوغرافية لها مع ولديها. وكان كثيراً ما ينظر إلى الصورة ويبتسم وهو يتحدث إليها في المكالمات الهاتفية في آخر الليل أو بولكير الصباح.

'الطبع لا'. قال ذلك تقياً لسؤالها الذي لم يكن غير ملائم تماماً. لقد كان يعرف تماماً بمخططات سفرها عندما حثك الموعد مع السفير في لندن. قال في نفسه أنه من الملائم أن ينسق جدول أعماله بحيث يكون هناك في الفترة نفسها، ولكنه في أصاقل قلبه كان يدرك أن الأمر هو أكثر من ذلك.

لقد كان يحب أن يراها، ويتشوق منذ أشهر إلى وضع المرات التي اعتاد أن يراها فيها في باريس كل عام. فكان إما أن يجد مبرراً للذهاب، عندما كانت تمضي عليه فترة لا يراها، أو يتوقف لزيارها في طريقه إلى مكان ما آخر. لقد اعتاد أن يراها ثلاث أو أربع مرات سنوياً، وعندما يكون في باريس كانا يلتقيان على العشاء. ما كانت تخبر غوردون عن لقاءتهما، ولكنها كانت، رغم ذلك، تؤكد لنفسها ولبيبل أنه ليس من خطب أو سرية في لقاءتهما. لقد كانت للتسميات التي يطلقها هي وبيبل على الأشياء مهذبة، لينة، مختصرة، وملائمة. لقد بدا الأمر وكأنهما كلما التقيا يحلمان روايات كتب عليها كلمة 'اصدقاء'. ولقد كانا كذلك بالفعل. إلا أنه مع ذلك كان يدرك ومذ زمن طويل أن ما يشعر به نحوها كان كبير مما أمكنه أن يخبرها أو يخبر أي شخص آخر عنه.

لقد كان يتشوق للوصول إلى لندن، لقائه في السفارة ما كان يستغرق منه إلا بضع ساعات، وما عدا ذلك، فإنه كان يخطط لقضاء ما أمكنه من وقت معها. لقد أكد لها أنه كان هو أيضاً يحرق شوقاً ليرى المعرض في البيت، ولقد كانت تتيرها فكرة أن تشاركه في ذلك. فكانت تقول لنفسها، أن هذا هو السبب الرئيسي في ذهابها إلى لندن أولاً ولغيراً. ورؤية بيبل سيكون أمراً إضافياً غير مرتقب. لقد حاولت أن تحدد كل شيء في ذهنها. فقد كانا صديقين

مثاليين وليس أكثر، وأما السبب في أنه ما من أحد عرف بصداقتهما فيعود إلى تضليلهما أن يكون الأمر على هذا النحو من البساطة. قالت في نفسها أن ليس هناك ما يخفونه، كانت في نظره ترتدي عباءة من الإحساس بالمسؤولية بدت في غاية الأهمية بالنسبة لها. فلقد كانت قد وضعت حدوداً لملاقاتهما، وهذه الحدود كان يسيل يحترهما من أجلها. فما كان ليفعل أي شيء يُغضبها أو يُخيفها. فما كان يريد أن يعرض أي شيء. لو أي شخص للخضرة، فقد صارت علاقته بها شينة بشكل لا متناهٍ بالنسبة لها.

وعندما وقعت في غرفة نومها في منزلها في شارع روي غرينويل، نظرت إلى ساعتها، وتهدت. لقد أن الأوان لتعذر، ولكنها، وفي آخر لحظة، شعرت أنها كارهة لفكرة ترك بيدي. لقد كانت قد أعطت آلاف التعليمات للممرضات اللواتي سيعلن بهن بشأن غيبتها. لقد كُنَّ نفس الممرضات اللواتي يعتين به دائماً، ولكن هذه المرة سوف يمتنن في الغرفة نفسها معه خلال غيبتها. وإذا فكرت بيدي، سارت على رؤوس أصابعها برفق نحو الباب الذي يلي باب غرفة نومها. لقد أرادت أن تلقي نظرة نقدية أخيرة على بيدي. لقد كانت قد آقت عليه للتو تحية الوداع ولكنها شعرت بغصة في قلبها لمجرد تفكيرها بمغادرتهم. ولوهلة فكرت فيما إذا كان يجدر بها الذهاب إلى لندن. ولكنه كان نائماً بمسق وسلام عندما دخلت الغرفة، ونظرت إليها الممرضة بانتسامة ولوحت لها بيدها لكي تتابع سيرها دون تلكؤ. كانت هذه الممرضة التي تسهر عليه الآن إحدى أفضل الممرضات بالنسبة لإيزابيل. لقد كانت امرأة ضخمة الجثة باسمه الوجه شقراء البشرة من بريتين. رنكت لها إيزابيل التحية، ثم عادت على أعقابها وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب. لم يبق لها ما تفعله، فلأن الأوان لكي تذهب.

التقطت إيزابيل حقيبة يدها وحقيبة صغيرة تضع فيها أغراضها حين تسوي قضاء الليل خارج المنزل، وقامت بترتيب هذامها وقد ارتنكت بنلة سوداء، ونظرت إلى ساعتها من جديد. وعرفت أن بيبل في تلك اللحظة لا

الفصل الثاني

مرّ بيل روبنسون عبر الجمرک في مطار (هيثرو) (1) وعليه علامة العزيمة فبدأ وكلّنه في عجلة من أمره. وقد كان هكذا بالفعل. ولم يستغرق سوى بضع دقائق ليوضّب حقيبتّه. إذ حمل حقيبة يده (2) باليد الأخرى، خطا نحو السائق من فندق كلاريديج الذي كان يقف يتحفظ جانباً حاملاً لافتة صغيرة كتب اسمها عليها. لقد كان من عادته أن ينزل في فندق كلاريديج كلما قدّم إلى (لندن). وقد أفتح لوريل أيضاً بأن تمكث هناك. كان الفندق يحفل بالتقاليد القديمة، وكان مشهوراً له على الدوام بأنه أفضل فندق في البلدة، وقد كان يقع هناك منذ ثلاثين سنة. وأكثر ما كان يروق له في الفندق هو أن القادمين عليه كانوا يعرفونه.

وضح السائق حقيبة سفر بيل وحقيبة يده في صندوق السيارة لليوميون، ثم نظّر إلى ذلك الأمريكي الطويل القائمة الأثيب الشعر، وأص لثو بتلك الهالة من النفوذ والنجاح التي تحيط به بشكل لافت للانتباه، والتي يستحيل تجاهلها. كان لبيل عينان زرقاوان لامعتان تبرقان بتعبير لطيف، وشعرٌ كان يوسماً لشعر رملي اللون ولكن خطّه للشيب الآن. كانت تتبدى عليه علامة الرجولة بشكل واضح جلي، وكان له ذقن مربع عريض بشكل ملفت. كان يرتدي بنطالاً فضفاضاً رمادي اللون، وسترة فضفاضة، وقميصاً أزرق، ويضع ربطة عنق زرقاء داكنة من ماركة هرمس، وكان حذاءه الجلدي الأسود قد لُمع بعناية شديدة قبل مغادرته لنيويورك. كانت تحيط به لمة من الأمانة

(1) هيثرو (Heathrow): مطار يقع غرب لندن على بعد 25 كلم (15 ميلاً) عن مركزها.

(2) حقيبة اليد (briefcase): محفلة مسطحة لها مقبض تستخدم عادة لحمل الأوراق أو الوثائق أو الكتب.

يزال مسافراً في طائرته القادمة من نيويورك. فقد كان يعمل هناك في الليالي الأخيرة الفائتة. وفي أغلب الأحيان كان يتعلّ ذهباً وإياباً إلى واشنطن.

وضعت حقيبة سفرها على المقعد الخلفي من سيارتها ووضعت حقيبتها من نوع هرمس كيلى على المقعد الأمامي بجوارها. قادت سيارتها عبر شارع رو دي غرينيل بانتسامة في عينها وهي تستمع إلى مذياع السيارة، وقد حدثت وجهتها نحو مطار شارل دي غول، في حين أن بيل روبنسون كان ينظر من نافذة الطائرة غفستريم التي يملكها ويستخدمها دائماً. لقد كان يبتسم بينه وبين نفسه بينما كان يفكر فيها. لقد ربّط لوصول طائرته إلى لندن في نفس وقت وصول إيزابيل إليها. ولقد كان يغمره الإحساس بالترقب.

ردة فعل لديها، وكل فكرة تخطر في بالها، وما كانت لتتردد في مشاركته أصق أسرارها. وكان هذا أحد الأشياء التي كانت تفكر إليها في علاقتها مع غوردون.

وصل بيل إلى فندق كلاريدج وسجل اسمه، وسرعان ما عرفه البواب توم وسُرُّ لروزيته من جديد. وجد بيل نفسه يخوض حديثاً مهذباً لبقاً ودياً دار حول الطقس والانتخابات المحلية الأخيرة مع المدير المساعد الذي ولّكه إلى غرفته. لقد كانت هذه عبارة عن جناح كبير مُنمَّس في الطابق الثالث مزين بقماش صقيل مزخرف برسوم أزهار، ونسيج حريري بلون أزرق باهت، وعتبات أثرية عتيقة. ما إن غادر المدير المساعد الغرفة حتى جال بنظرة للحظة في أرجاء الغرفة ولتقط سماع الهاتف. وابتسم حالما سمع صوتاً مألوفاً يجيبه.

- كيف كانت الرحلة؟

- "مريحة جداً"، قالت إيزابيل وابتسمت عندما سمعت صوته. لقد زامنا وصولهما، فلم تضحى إلا عشرين دقيقة على وصولها إلى الفندق قبله. وسألته: كيف كانت رحلتك أنت؟

قال: "رائعة". لقد بدا كطفل. وإذ ابتسم ظهرت عليه العلامت الطفولية التي تميز كل الأمريكيين، هذه العلامت التي كانت تجتذب للنساء إليه دائماً. واستأنف يقول: "لقد شعرتُ وكأن الرحلة ستكون إلى الأبد، وما كنت أطيق صبراً للوصول إلى هنا". قال ذلك وهما يضحكان ببعض العصبية. لقد مضى عليهما قرابة ستة أشهر مذ التقيا آخر مرة في (باريس). لقد كان يعتزم العودة عاجلاً، ولكن تطورات ومضاعفات سياسية غير متوقعة حالت دون ذلك هذه المرة، وكان يتوق لروزيته.

سألها: هل أنت متعبة؟ أتريدان أن نستريح لبعض الوقت؟

ضحكت وقالت: بعد رحلة ساعة؟ أعقد أني على ما يرام. كيف حالك

أنت؟

الرفيقة، فكان حسن الهندام دون أن يرتدي أي شيء لاقى أو مبهرج. وإذ فنن الجريدة ليقراً فيها وهو يجلس في مقعد السيارة الخلفي، كانت النساء يلاحظن أنسام يديه الجميلتين، وكان يضع في مصممه ساعة من ماركة باتيك فيليب كانت ساندي قد أعطته إياها قبل سنوات مضت. كان كل ما يخصه، وكل ما يرتديه له طابع الأناقة الرفيعة والهادئة بحيث تحقق له الجاذبية اللائقة لشخصه. ولكن الأهم بالنسبة لبول روبنسون هو أنه كان يفضل أن يبقى خلف الكواليس. فعلى الرغم من ارتباطاته الواضحة بالسياسة وللفرص المتاحة له، إلا أنه لم يكن في حاجة البتة لأن يكون رجل واجهة. بل إنه في الواقع كان يؤسّر أن تكون الأمور على ما هي عليه. لقد كان يتمتع بالتنفيذ والإثارة السياسية وكان يثق بولطن وظواهر الأحداث السياسية المتغيرة أبداً، وما كانت له رغبة في أن يكون معروفاً شعبياً. بل بالحري كان يهيم أكثر بكثير أن يكون محتجباً متولياً عن الأقطار. ما كان لديه حاجة أو رغبة أن يثير المزيد من الضجة حوله أو أن يلتفت الانتباه إليه.

لقد كان هذا في الحقيقة أحد جوانب شخصيته التي كان يشترك فيه مع إيزابيل. فقد كانت هذه السمة تتبدى عندها في خجل، وأما بالنسبة له فقد كانت هذه إحدى الأوت التي كان يستعمل بها نفوذها خلف الأبواب المغلقة. وعلى الرغم من المعظم الذي يراه عليه المرء وهو يدخل إلى حجرة ما، فمن هيئته أو من المعظم الذي يبدو عليه ونيله لما يريد دون أن يندس ببنت شفة، يدرك المرء أنه يفرض على الآخرين احترامه والانتباه إليه اعتماداً على صمته أكثر من اعتماده على كلامه أو فعله. وعلى المتوال نفسه كان الناس يرون إيزابيل دونما حاجة لأن تقول شيئاً. وفي الواقع ما كانت لتشعر بالارتياح عندما يتركز الانتباه عليها، بل بالحري كانت تشعر أنها حرة وعلى سجيبتها فقط عندما تكون في محادثات شخصية فردية كمثل تلك الأحاديث التي كانت تنور بينهما. لقد كانت تلك الصفة أحد الجوانب التي يحبها فيها، ألا وهي الطريقة التي تكون فيها مريحة معه. لقد كان يدرِك كل لتفاعل تشعر به، وكل

- 'جائع. هل تريدان أن نخرج ونتناول شيئاً؟' لقد كانت الساعة الثالثة بعد الظهر.

- 'لقد ذلك. ولربما أمكننا أن نتمشى بعد ذلك. فإنا لم نُحرك طواق النهار. فقد كنت جالسة لتوي في الطائرة'. لقد كانت متشوقة لرويتها، وأمكنته أن يشعر بذلك من نبرة صوتها. لقد كانت لقاءتهما متلواها بالتقرب دائماً، وعندما يلتقيان كانا يتحدثان ساعت وساعات لا نهاية لها، تملأها كما كانا يفتلان على الهاتف. لم يكن ثمة ارتباك أو حرج لبدأ بينهما، مهما كانت الفترة التي تكون قد مضت على آخر لقاء لهما.

- 'كيف كان تبدي عندما تركته؟' لقد كان مهتماً كما هو على الدوام. لقد كان يعلم كم كان تبدي مصدر قلق دائم لها.

- 'كان نائماً. ولكنه كان قد أمضى ليلة هائلة جيدة. وقد اتصلت صوفي من اليرتغال ليلة أمس. إنها تعطني وقتاً طيباً مع أسدقتها. كيف بدأت؟'

- 'بخير، على ما أظن. سوف تجيئان إلى هنا خلال بضعة أسابيع مع والديهما. ما عاد أحد يخبرنني بشيء. وإن كنت أعرف مكان تولجدهما فهو من خلال النقود التي تُخصم من بطاقة الائتمان التي تخصصني. سوف تأخذهما سيندي إلى جنوب فرنسا قبل أن تذهبوا إلى (مين) لتزريا والذي سيندي'. سوف يلتقي بهما بيل بعد ذلك في هامبتونز في نهاية الصيف كما اعتاد أن يفعل على الدوام. ما عادت سيندي تسأله أن يعضم إبهين، فلقد كانت تعلم أنها قضية خاسرة، وستذهل إذا ما أراد ذلك فعلاً. 'ما رقم غرفتك؟' سألتها وهو ينظر إلى ساعة يده. لقد كان لديهما متسع من الوقت لعشاء سريع، وكان يخطط ليأخذها إلى مطعم هاري من أجل تناول العشاء تلك الليلة.

- '314'.

فعلق قائلاً: 'نحن في الطابق نفسه. لا أعرف أين هي غرفتك. أنا في الغرفة 329. سوف أعرِّج عليك في طريقنا للخروج. هل تكفي عشر دقائق؟'

- 'تماماً'. ولبستمت بخجل عندئذ، وسادت لحظة صمت بينهما. وقطعتها بالقول: 'إني سعيدة لرويتك يا بيل'. وبدت فرنسية جداً لوهلة، وشعر بها فجأة شابة للغاية. لقد كانت تعني له أكثر مما يستطيع أن يشرحه. لقد كانت على الصورة المثالية التي رسمها عن المرأة، ولكن كان يعجز عن وصف هذه الصورة بالكلمات. لقد كانت لطيفة، مهيبة، صابرة، منقمة، مهتمة بكل ما يفعله، شغوفة، مرحة، رقيقة المشاعر. لقد كانت بمثابة هبة غير مرتقبة في حياته كما كان هو بالنسبة لها. لقد كان مبعث الأمل في نفسها عندما ينهار كل ما حولها أو يتلاشى عبر السنين. ما كان حولها ثمة من تستطيع أن تعول عليه، فصحة تبدي كانت مصدر قلق دائم لها، وكانت تعرف أنها قد تُخسره في أية لحظة، وأما غوردون فكان بالنسبة لها رجلاً تشاركه نفس المنزل فقط وقد منحها اسمه. ولكنها غالباً ما كانت تشعر بأنه ما عاد جزءاً من حياتها. ويستثناء ظهورها الطيني معه في بعض المناسبات العرضية فإنه ما عاد يحتاج إليها في حياته. وبحكم العمر الذي وصلت إليه صوفي فإنها طارت من عش حياتهم العائلية. وصارت إيزابيل تشعر في تلك الأيام بالوحدة والعزلة أكثر من أي وقت مضى. اللهم ما عاد الوقت الذي كانت تمضيه مع بيل شخصياً أو عبر الهاتف. لقد كان للدعامة الأساسية لحياتها، وفرحها، ومرحها، وراحتها وعزالتها، وصديقها الحميم.

- 'قال لها بلطف: 'وأنا أيضاً سعيد لرويتك. سوف أمرّ عليك خلال عشر دقائق. وعندها يمكننا أن نرتب خططنا'. لقد كان يعرف أنهما سيذهبان إلى معرض تيت في اليوم التالي، وأن هناك بعض صالات العرض الخاصة التي ذكرت له أنها تريد زيارتها. لقد كان بنوي أن يتناول معها طعام العشاء في كلتا الليلتين. وأيضاً يود أن يأخذها إلى المسرح لأنه كان يعرف كم تحبه، ولكنه كان لا يرغب في إضاعة الوقت الثمين في ذلك بينما هو يرغب في الجلوس معها والحديث إليها. لقد كان ذلك الوقت هو بعد ظهر يوم الثلاثاء، وسيبقى هناك حتى ليلة يوم الخميس. وقالت أنها قد تستطيع البقاء حتى

صباح يوم الجمعة، فهذا يعتمد على وضع يدي الصبحي. وكانت تشعر بأنها يجب أن تكون في باريس من أجل عطلة نهاية الأسبوع. لقد بدا وكأن هناك سباق مع الزمن وأن بضعة الأيام هذه هي هدية فالقة الطبيعة لهما. لم تتسَّنْ لهما هكذا فرصة من قبل. ولم تكن لديه دوافع خفية أو نوايا أو خطط. لقد كان يتشوق إلى فرصة أن يكون معها وحسب. لقد كان ما يتشاركان به نغماً ووبريداً على نحو رائع.

غسل بيل يديه ووجهه، وحلق ذقنه على عجل، وهو يفكر برويتها، وما هي إلا عشر دقائق حتى كان يسير في البهو بحثاً عن رقم غرفتها. لقد كانت على بعد منطقتين ولكنه وجدها في النهاية. قرع الباب وراح ينتظر وبدا الانتظار مطوّلاً حتى السام، ثم فتحت الباب ووقفت هناك تنظر إليه لوهلة بإتسامة خجول.

سألته: كيف حاله؟ وقد توردت بشرتها القشدية اللون قليلاً، والتمع شعرها الطويل اللدائن المتكّلي خلف كتفها، وعيناها تحديقان إلى عينيها بشكل مباشر. واستأنفت قائلةً تبدو رائعاً. وخملت خارجةً من الغرفة وعانقته. لم يسبق له أن قبل إلا وجنتها، وهذا ما فعله الآن. لقد كانت علائم سريرة خفية على بشرته بتأثير عطلة نهاية أسبوع أمضاها في منزله في غرينويتش قبل عدة أسابيع، في حين كانت بشرتها يبيضاء قشدية اللون. لقد مضت سنوات على عطلات الصيف التي كانت تُسمَرُ⁽¹⁾ فيها بشرتها في جنوب فرنسا قبل سنوات. أما غوردون فكان لا يزال يذهب إلى هناك بين العينة والأخرى ليرى أصدقائه، أو مرافقاً صوفي، بينما كانت إيزابيل تبقى في المنزل مع ابنتها.

- وأنت أيضاً تبدين رائعة. قال لها بإعجاب. كلما رآها كان يندهل بجمالها. لقد كان ينسى ذلك أحياناً، وذلك عندما يكون مأخوذاً إلى كلماتها وأفكارها وتبادل الآراء معها. ولقد كان مأسوراً بروحها أكثر منه بمظهرها.

(1) سَمَرُ: (tan) أي تُعرض بشرتها للشمس بالتعرض للشمس.

ولكنها كانت على الدوام ذات جمال أخاذ. حطّت إلى جانبه ودست يدها في ذراعه بأوثقها العذبة. لقد كانت لا تزال تتحرك ككفاته، أكثر من المرأة التي اعتادت أن تكون. ولقت انتباهه على الفور فستلها الأسود الأنيق، وحقيبة من ماركة هيرمس، وحذاءها الأنيق ذا الكعب المرتفع. كانت تضع في يدها خاتم زواجها، وتضع على أنفها أفراناً من الجواهر المرصعة. وإذا نظرت إليها فإنيك ستجد صعوبة في أن تصدق بأنها تحصل هموماً في الحياة. لقد كانت لها ابتسامة دافئة مرحة وكان يفرها الفرح والسرور لمجرد رؤيته. يا إلهي، يا إيزابيل، إنك تعيش في غابة الروعة. إنها لم تتغير أبداً، على الأقل خلال السنوات الأربع الأخيرة، ولكنها كانت نحيفة أكثر مما كانت عليه قبل ستة أشهر، ولكن بجمالها الكلاسيكي، كانت تبدو غير عرضة للتبدل عبر الزمن. لقد كان يشعر بفرح طفولي وهما يزلان على الدرج متابلين ذراع بعضهما بعضاً، ويتحدثان عن الرحلة، وعن مصالوات العرض التي سيزورانها، وعن معرض الفنون، كما وتحذرت عن ابنتيه. لقد كان يحب أن يخبرها قصصاً مسلية ضريبة عنهما، وكانت تضحك بينما سارا مجتازين البواب وصولاً إلى الأبواب الرئيسية للفندق.

ولقد لها: لقد كانت أخشى أن يحدث ما يعيق هذه الرحلة. كنت أخشى أن تحول صحة يدي دون مجيئك. لقد كان دائماً يصارحها عن فكره، وهي أيضاً كذلك. وقد كان يدي بالتأكيد من الممكن أن يشكل مانعاً لمجيئها. وربما شكل غوردون عائقاً أيضاً إذا لم يسمح لها بالمجيء. ولكنه بدأ غير مبالي بخطط ذهابها إلى لندن لبضعة أيام، وكان يدي مسروراً لأن بإمكانها أن تسافر. لم يكن سيدي يعرف شيئاً عن بيل ولكنه كان يحب أن يرى والدته سعيدة، وقد أدرك في الحال كم أنها كانت ترغب في الذهاب، لذا قام بترد أن يقف حائلاً بينها وبين ذلك.

- واعترفت له قائلة: وأنا أيضاً كنت قلقة. ولكنه الآن في حال أفضل بكثير. لا أعتقد أنه كان في حال جيدة كهذه خلال السنوات الخمس الأخيرة.

لقد كانت المرافقة صعبة عليه وصار وضعه أسوأ خلال بضع السنوات الأخيرة، فمع نموه أجهد قلبه ورتناه في مجارتهما معه. قالت له: لقد أردني فعلاً أن آتي*. شعر بيل وكأله يعرفه ومنذ سنين. ورغم أنه لم يعرف كيف، إلا أنه كان يأمل أن يلتقي به يوماً.

سارا خارجين إلى شارع بروك، وأخذت إيزابيل نفساً صيفياً بينما وقت إلى جانب بيل متلبطة ذراعه. لقد كان يوماً رائعاً من أيام شهر حزيران (يونيو) وداغها بشكل مفرط غير معقول.

- "أين تريدان أن نذهب؟" سألتها وهو يضع في ذهنه لائحة بالاحتمالات، فكل ما كان يريد هو أن يكون معها. فمجرد وجوده هناك كان بمثابة إجازة بالنسبة له. فما كان قد اعتاد على أن يأخذ وقت استراحة بعد الظهر، أو أن يتناول طعام عشاء غير رسمي، أو أن يتمشى في الشارع مع امرأة إلى جانبه. لقد كانت حياته كلها متمحورة حول عمله، وكل ما كان يعمل كان مرتبطاً بالسياسة. لم يكن لديه وقت فراغ في حياته، اللهم ما عدا الوقت الذي كان يمضيه مع إيزابيل. ومن جانبها، بدا الزمن وأنه توقف، وأن يقاعه ومحوره تغيرا. ما من أحد عرفه بشكل جيد كان يمكن أن يميزه الآن وهو واقف ينظر بارتياح وابتسام إلى هذه المرأة الجميلة ذات الشعر الطويل الداكن اللون. "ما رأيك بأن نتناول البيتزا في مكان ما؟" سألتها عرضاً، وأملت برأسها إيجاباً. لقد كانت في غاية السعادة، تنظر إليه مبسمة، وكانت بالتأكيد تستطيع التركيز على ما كان يقوله.

لاطفها قائلاً: "ماذا تبسمن؟" وهما يمشيان متمهلين في الشارع من غير هدى. لقد شعرا كلاهما، وعلى الأمل في هذه اللحظة، أنه ليس لديهما إلا الوقت.

- "إني في غاية السرور. لم أفعل مثل هذه الأشياء أبداً في حياتي. أشعر هنا أي متلذذة من كل ما يلقيني ويزعجني". كانت تعرف أن تيدي كان في أيد أمينة وأن كل ما في الكون كان على ما يرام.

- "هذا ما أتمناه لك دائماً. أريدك أن تسترخي وأن تنسى كل شيء".

وثبا في سيارة أجرة بعد بضع دقائق وذهبا إلى مكان صغير تتكره بيل يقع في سوق شيبارد، لقد كان قرب السفارة، وكان قد ذهب إلى هناك عدة مرات سعياً وراء وجبة سريعة يتناولها بين الاجتماعات. كانت هناك حديقة، وكان مالك المكان مسروراً لرويتيها عندما وصلا. لقد كانا يرتديان ثياباً أنيقة، وكان يحسب بهما جو من السحر بشكل كبير. أحضر لائحة المشروبات المفضلة لبيل، وناولهما لائحة الطعام ثم غادراهما.

"هذا رائع". قالت ذلك وهي تبسّم وتستند إلى كرسيها وتتنظر إليه. لقد رأته آخر مرة في باريس في الشتاء الماضي قبل العيد بقليل، وأهداها عندها نقاعاً جميلاً من ماركة هيرمس وكتاب من أول طبعة كانا قد تحدثنا عنه. لقد كان كتاباً ذا غلاف جلدي ونادراً جداً، وقد أحببت ذلك الكتاب كما أحببت كل ما أعطاهما إياه خلال السنوات الأربع الماضية. "أشعر أنني مدللة جداً".

- "هذا حسن". وربت على يدها. لقد اتفقا على تناول نوع من البيتزا، وطلبا سلطة أيضاً وزجاجة من المشروب المفضل.

مزاحته قائلاً: "يبدو أنك ستجعلني متخمة ونحن في منتصف النهار". لقد كان يعلم من خلال تناولهما العشاء معاً قبلاً أنها تحب هذا المشروب المفضل.

- "لا أعتقد أن هناك مثل هذا الخوف. فلما عرضت لأن أصبح متخماً أكثر منك". قال لها ذلك رغم أنها كانت تعلم أنه لم يأكل كثيراً خلال المناسبات التي رآته فيها. لقد كان رجلاً متحلاً يخلو من التفاتت والعيوب البارزة، ما خلا ميله إلى العمل بجد كبير. "ماذا سنفعل إذاً بعد ظهر هذا اليوم؟".

- "كما تشاء. يكفيني سرور أن أكون هنا". لقد كانت تشعر وأنها عصفور هرب من قفس مطلي بالذهب، والفرح أن يجولا على بعض صالات العرض ومحلات العاديات، وراقت لها الفكرة كثيراً. وراحا يندردشان على المشاء، وكانت الساعة الرابعة والنصف عندما غادرا المطعم، ونادى مستوقفاً سيارة أجرة أخرى. لقد كانت هناك سيارة ليموزين تحت تصرفه عند باب

الفندق، ولكنهما كانا يريدان الاستمتاع بحرية التجوال في لندن على راحتهما. وبعد صالات العرض والمحلات، سارا عائدتين إلى الفندق. وكانت الساعة آنذاك قد تجاوزت السادسة.

- "ما ريك في العشاء الساعة التاسعة؟ سألتها وهو يبتسم لها. "يمكننا أن نحتمي المشروب المفضل هنا ثم نذهب إلى مطعم هاري". كانت قد أقرت بأن هذا هو مطعمها المفضل كما هو بالنسبة له. فقد كان المطعم جديراً بالاحترام، ولم يكن أي منهما يشعر بالحرج لوجوده هناك. لم يكن لديهما ما يخفيانه سراً، وحتى لو سمع غوردون عن ذلك في النهاية، فلن يشعر بوخز ضمير إذا ما أخبرته أنها رأت بيل روينسون. لم تكن تتهيء بالمبادرة بإخباره عن ذلك، ولكن ليس لديها سبب يجعلها تشعر بالذنب، ولم تفعل ما تعتذر عنه. "سأفك إذاً من غرفتك الساعة الثامنة". قال لها ذلك ببل وهو يضع يده على كتفها بينما هما يتخلان المصعد. ما كان يمكن لأي شخص يراهما أن يصدق أن لهما غرفتين منفصلتين في الفندق وأنهما ما كانا متزوجين من بعضهما بعضاً. لقد بدأ متألمين مع بعضهما بعضاً وعلى سجيتهما للغاية لدرجة أن من كان يراهما سيعتقد على الأقل بأن هناك علاقة غرامية تربطهما. ولكنهما ما كانا لقيان بالآلى كل هذه الأمور بينما كانا يتحدثان في طرفيهما إلى الطابق الثالث ويتمشيان باتجاه غرفتهما.

قالت له: "لقد كانت فترة بعد الظهر رائعة بالنسبة لي". ووقفت على رؤوس أصابعها لتقبل وجنته. "أنت طيب معي، سيد روينسون. شكراً يا بيل". قالت له ذلك برزلة وابتسمت.

- "لا أنري لماذا يجب أن أكون طيباً معك. فأنت امرأة مخيفة وشخص مضجر ثقيل الظل. ولكن ينبغي علي القيام ببعض أعمال المحبة الإنسانية من حين لآخر. كما تعلمين، زوجات سياسيين، العُرج، والمُقعنين... وبعض الوقت معك. كما يقول براونلي". ضحكت من كلامه، ولمس ذراعها برفق وهي تفتح باب غرفتها. وقال لها: "خذني قسطاً من الراحة قبل أن نخرج الليلة يا إيزابيل.

سوف أجمعك سعيدة". لقد كان يعرف كم كانت حياتها مليئة بالضغط والتوتر، وكم كانت تشعر بالمسؤولية طوال الوقت معتبئةً بإبائها، وكان يريدان أن ترتاح وأن تستمتع بإجازة حقيقية هناك. لقد كان يدرك مما قالته له إنه لم يكن هناك لحد يهتَم بِشأنها كما يجب، وأراد أن يقوم بذلك بنفسه الآن في هذا الوقت القصير المتاح له. وعكسه أنها ستأخذ قبولة، ثم استلقت هناك في غرفتها وراحت تفكر فيه وهي في غرفتها مستقبلةً على السرير. لقد كانت تفكر في كيف دخل إلى حياتها وفي مجريات الصدق المحضه خلال السنوات الماضية وكم أنها محظوظة.

وراحت تتسامل عن السبب الذي جعله يبقى مع زوجته أحياناً. لقد كان من السهل عليها أن تترك أنه لم يكن هناك تواصل حقيقي بينهما وأنه كان يستحق أكثر من ذلك. ولكنها كانت تعرف أيضاً أنه ما كان ليود الحديث عن هذا الموضوع. إن حالة زواجه من سنثيا كان أمراً واقعاً قبلي، وتوازناً اختار ألا يزعزعه. لقد كانت تشعر بأنه سيكون محرراً له أن يغير هذا الوضع الذي يعيشه، فلم يكن يريد أن تهب رياح الفضيحة عليه أو أن يلتفت الانتباه له. إن جزءاً من قوته كان يكمن في حفاظه على البقاء بعيداً عن الأنظار، بحيث يستطيع أن يستخدم نفوذه دون أن تتسلط الأضواء عليه. ولكن الطلاق كان سيسترعى الانتباه إليه، خاصة إذا كان قاسياً ولاذعاً. ولقد كان يقول في معظم الأحيان أن سيدي كانت تروق لها الأمور على النحو الذي باتت عليه. لم تكن تريد الامتصاص التام من الحياة التي تعيشها إذ كانت تحب الاستفادة من المنافع العملية المتأتبة عن كونها زوجة وليم روينسون، بشكل خاص في واشنطن، وفي أي مكان عموماً. ورغم أنها كانت تقول أنها تكره السياسة إلا أنها ما كانت تستاء من أن يكون لها زوج له تأثير جدير بالاعتبار على الرئيس. ولكن إيزابيل كانت تشعر بالأسى نحوه. فقد كانت ترى أنه يستحق أفضل مما لديه في علاقته مع سيدي. وهو بدوره كان يقول ذلك عن إيزابيل. فالحياة التي كانت تعيشها مع غوردون بالتأكيد لم تكن هي الحياة الزوجية التي كانت

تصورها أو تلمح لها قبل عشرين سنة، ولكنها صارت واقعا تقبله الآن وتقبلت معه، وما عدت تفكر فيه الآن وهي مستلقية على ذلك السرير الكبير في فندق كلاريدج وتترقب ما سيحدث في تلك الأمسية التي ستمضيها في الحديث والضحك مع بيل. في تلك اللحظة بدأ غوردون لإيزابيل وكأنه جزء من عالم بعيد بل يكاد يكون غير موجود. لقد كان بيل يجلس دائما تصحك وتشر بالأمان والراحة. وكان كل ما ترجوه هو أن تكون معه في لندن.

نامت إيزابيل نوماً خفيفاً لبضع دقائق ثم نهضت في الساعة السابعة واستحمت. واختارت أن ترتدي فستاناً أسود اللون ضيقاً مشدوداً على الخصر ونشاراً حريزياً وحذاء ذا كعب، ووضعت عتداً من اللؤلؤ كانت قد أحضرته معها، وأقرابطاً من اللؤلؤ والجواهر كانت لودنتها يوماً. لقد كان الفستان محتشماً جداً ولكن يظهر أنوثتها وفنتتها المثيرة بشكل واضح. وأصغت القرشاة في شعرها على شكل جدلية فرنسية ناعمة، وتبرجت بحناية، وعندما وكفت ورجعت إلى الورا لتتظر إلى نفسها في المرآة لم تجد أي شيء لاهت للانتباه في شكلها. ولكنها فوجئت برودة فعل بيل عندما فتحت له الباب عند الساعة الثامنة تماماً، بعد أن اتصلت بمرمضة تبدي واطمأنت على صحته وعرفت أن غوردون خاراج المنزل وأن تبدي قد نام نوماً عميقاً لتوه، ولذلك لم تتحدث إليه، ولكنها كانت سعيدة لسماحها بأنه أمضى يوماً طيباً. فحسرتها لذلك ستجلسها تمضي وقتاً ممتعاً تلك الليلة مع بيل.

- يا للروعة! قال بيل وهو يخطو إلى الخلف تبدي إعجابها بها. لقد وضعت اللشار الحريزي على كتفيها على نحو حر فكشف عن كتفيها شبه العاري. أما الفستان الذي كان مشدوداً على خصرها فقد كان يعطي جسمها شكلاً فانتسناً. لقد بدت أنيقة ومهيبة ولكن أجمل مما كانت تظن، وهذا ما كان يزيد من سحرها. تبدي في غاية الجمال. من صنع هذا الفستان؟ سألتها مبدياً معرفة فضحكت. إذ كانت تظن أنه لا يعرف شيئاً عن مصممي الأزياء وليس له اهتمام بهم.

إنه من أزياء سان لوران. إنك تدهشني. فمنذ متى تهتم بالأزياء؟ لم يسبق له أبداً أن قال لها شيئاً كهذا من قبل. ولكن الأمور كانت مختلفة هذا. فلهيما متسع من الوقت، وبعلمان أن ألسهما يومين كاملين.

- منذ بدأت بارتدائه. أليس هذا الفستان الذي ترتديه اليوم هو زي شائيل؟ سألتها وهو يبدو فخوراً بنفسه، فضحكت من كلامه من جديد.

- أنا متأثرة جداً. علي أن أنبئها إلى ما ألبسه من الآن فصاعداً، وأن أحرص على أن يكون متطابقاً مع نوكه.

- لا أعلمك أن عليك أن تقضي. فانت تبدين جميلة يا إيزابيل. قال لها ذلك بلهجة دافئة. ونزلا بالمصعد وهما يقفان إلى جوار بعضهما ويتسلمان بهود. قالت له أنها اتصلت بالمرمضة وعلمت أن تبدي كان على ما يرام، ويكف سعيدة وهي تجرّه بذلك. لقد كان يريد لها فعلاً أن ترتاح وأن تمضي وقتاً ممتعاً، وحتى الآن كانت الأقدار تحالفهما. كان قد أمضى وقتاً طويلاً وهو يفكر في ترتيب برنامج لتمضية هذين اليومين معها. لقد أراد لهذه الرحلة أن تسبق في الذكرى طوال العمر لأنه من يدري إذا كانت الظروف ستسمح لهما بالتقاء على هذا النحو من جديد. لقد كان يمشي أن يفكر بذلك، إذ كان يشعر أنه لا تمنح لهما فرصة أخرى للقاء معاً من بعد.

سار بيل خلف إيزابيل وهما يدخلان إلى المطعم في فندق كلاريدج، واستدارت روس عديدة لتتظر إليهما وهما داخلان. لقد كانا يشكلمان شيئاً جميلاً معاً وقد جلسا إلى طاولة في ركن المكان، وطلب المشروب المفضل ومياهاً غازية له، وطلب المشروب المفضل لها. وكالمعتاد فبعد أول رشفة لها بدأ يرددان حول الفن والسياسة والمسرح ومزول عائلته الصيفي في فيرمونت، والأماكن التي كانا يحبان أن يذهبا إليها وهما أطفال. وأخبرته عن زيارتها لجديتها في هامشر عندما كانا على قيد الحياة وعن المرات النادرة ولكن المؤثرة التي رأت فيها الملكة. لقد كان مأخوذاً بقصصها، وكانت هي أيضاً مثله مأسورة بقصصه. وكما هو الحال دائماً، لقد كان هناك تشابه كبير

جداً بينهما في ردة فعلهما وفلسفتهما، والأشياء التي تهم كلا منهما، والذئس، والأماكن، وأهمية الروابط العائلية. وقد كانت إيزابيل من علق فيما بعد في سيارة للليموزين، في طريقهما لتناول العشاء، على أنه من الغريب أن الناس الذين تعني لهم العائلة الكثير يقعون في زيجات مع ناس بعيدين عنهم ويختارون ناساً ليس فيهم أي دهاء عاطفي.

لقد كانت سيندي أكثر دفئاً عندما كنا في الجامعة، ولكنها تحولت إلى امرأة متشائمة ساخرة نوعاً ما. لا لئدي إذا كانت هذه غلطتي أم لا. قال بيل ذلك بطريقة متأملة حاملة، وتابع: "إننا مختلفان كثيراً تقريباً، ولا أظن أنني لبيت حاجاتها لسنوات كثيرة، وأعتقد أنها كانت غاضبة مني ومنذ زمن طويل، أو على الأقل كانت خائبة الأمل من جراء ذلك. لقد أرادت أن أعيش معها حياة اجتماعية خاصة في كونكتيكونت ونيويورك. لم تكن أبداً مهتمة بالحياة السياسية في الأيام الأولى عندما استهوتني هذه الحياة وعرفت في لجنها حتى أنني، أما الآن وأنا في جو أكثر نقاء، فإني أعتقد أنها ضجرت من هذه الحياة واكتفت. ولقد أضحيينا منفردين سرّاً. ولكن إيزابيل كانت تعتقد أن الأمر بينهما كان أكثر من ذلك. لقد كان قد صرح لإيزابيل ومنذ عدة سنوات أنه كان يظن أن زوجته لم تكن مخلصه له في حياتهما الزوجية. وكان قد اعترف لإيزابيل عن علاقته الغرامية الوحيدة التي وقع فيها ذات يوم. والأكثر من ذلك، كانت إيزابيل تشعر، من خلال ما قلته ومن خلال ما لم يقله، أن سنثيا كانت بعيدة كل البعد من أن تكون عاطفية أو دافئة المشاعر. ليس فقط أنها بعيدة عنه الآن، بل أيضاً هي متعلقة على ما تعتبر أنه خذلها فيه. لم تسمع إيزابيل منه يوماً عن حميمية العلاقة بينهما أو عن قربهما من بعضهما بعضاً أو عن أي دعم عاطفي بينهما. ولم تستلعب إلا أن تتسامح فيما إذا كان الأمر مؤلماً جداً لئيل لدرجة لا يقوى معها على الاعتراف ببساطة أن زوجته ما عادت تحب. من كل ما قاله، كانت إيزابيل تتسامح فيما إذا كانت حتى قد أحبته يوماً. لقد كانت في ذهنها التسائلات نفسها المتعلقة بغوردون. ولكنها لم تُردِّدْ أن تصفط

على بيل بشأن زوجته. فإني كان ما يراه فيها، سواء عولطف لم ماضٍ منصرم، فإنها ما كانت ترغب أن تضطره لمواجهة أمر قد يسبب له الأذى الكثير أو الحرج حين الاعتراف به أو مناقشته.

- أعتقد أن غوردون أكثر برودة بكثير من سنثيا. قال ذلك بصنق، ولم تخالفه إيزابيل الرأي في ذلك، رغم أن إيزابيل كانت من جانبها على استعداد تام أيضاً لأن تلوم نفسها وتحمل نفسها مسؤولية الوضع الراهن لعلاقتها مع غوردون.

- أعتقد أنني شكلتُ له خيبة أمل كبيرة. قالت هذا بهوء، بينما كانت السيارة تسير بهما باتجاه بار هاري. أعتقد أنه كان يتوقع مني أن أكون اجتماعية أكثر أو منطلقة أكثر مما أنا عليه. لقد كنت على استعداد لأن أرفقه عنه وأحتفي بزواره، ولكني لست ماهرة في المبادرة تجاه الناس أو في التأثير عليهم. فهذا أمر صعب بالنسبة لي. لقد كنت أشعر في الأيام الأولى من زواجنا بأنثى دموية متحركة، وأن غوردون هو من كان يستخدم كل سلطته لتحقيق ذلك. لقد حدث لي ما أقوله للناس، وكيف أتصرف، وكيف أسلك، وبماذا أفكر. وفيما بعد، عندما كان يتيدي مريضاً، لم يعد لدي وقت أو صبر لألعب هذه اللعبة بعد. وحتى عندما كانت صوفي صغيرة السن، لقد كنت مهتمة بها أكثر مما كنت مهتمة بلؤلئك الناس السخيفين الذين كان يريديني أن أؤثر عليهم. جُلسَ ما كنت أريده هو حياة عائلية ومنزل. أعتقد أنه يمكنك القول أنني خذلته بهذا المعنى. وأعتقد أن غوردون أكثر طموحاً مني. كان بيل يعتقد أن الأمر أكثر من ذلك، وأن نوع البرودة والقسوة اللتين وصفتهما له بنتا مقصودتين لجعل إيزابيل تشعر أن التباعد بينهما وبين غوردون كان غلطها تماماً. لقد بدا وكأن غوردون كان يلتمح ضمناً أنه لو حولت إيزابيل ردم هذه الفجوة بينهما ليقى يؤثر في حياتها. وكان لدى بيل ارتياب في أن أسباب عوابه الآن ليس لها علاقة بها، أو بتبديدها، بل بالأشياء لم تكن إيزابيل قد بدأت حتى بالارتياب بها. ولكنك لم تُردِّدْ أن يزعجها بليحاته لها بذلك، كما وأنها كانت على استعداد لثوم

نفسها. وعلى الرغم من قسوة غوردون تجاهها، كانت وفية له وكانت تبرر له ما يفعله وما يقوله لها على الدوام. لقد كان بيل يرى أن سماحة النفس التي تبديها له غير جديرة به وأنها إما بدافع مثالياتها.

- "لا أرى كيف لك من الممكن أن تخيبي ليأ كان، يا إيزابيل. لم أعرف أبداً أي شخص يسعى لمنح نفسه للأخريين كما أنت تفعلين، وبكل استمتاعك، وأنا واثق أنك كنت هكذا معه". لقد كانت على استعداد لأن تسامح الجميع وتغفو تقريباً عن كل شيء، وكانت تفعل ذلك حقاً. واستأنف بيل: "كما وأن مرض يدي منذ لحظة ولادته ليست غلطتك".

- "يُعتقد غوردون أنني صعلت شيئاً خلال فترة حملي تسبب في ولادته قبل لونه. يقول الطبيب أن شيئاً ما حصل أثناء الحمل، ولكني لم أستطع أن أقتنع غوردون بأن ذلك ليس ذنبى". ما قلته أكد لبيل شعوره حيال ما يفعله غوردون تجاهها.

فسي الواقع إن بيل لم يرق له غوردون في المناسبتين اللتين التقى به فيهما. لقد وجده مغروراً متفاخراً متعظراً ومتكبراً، وطريقة حديثه التهمكية السافرة إلى إيزابيل كانت تجعل جلد بيل يمتلئ. لقد كان يعاملها وكأنها طفلة، وينبذها علناً بكلمات حادة، وينتقدها بشكل صريح ويطلب منها المغفرة بتلويحة من يده. ولكنه لم يعامل بيل هكذا لأنه كان متأزماً بشخصيته، بينما كان يتجاهل زوجته طوال الوقت. لقد كان غوردون مقتدوره أن يكون ساحراً جذاباً عندما أراد وذلك مع أناس اعتبرهم مهمين ويمكن أن يكونوا مفيدين له. ولكن بدا الأمر وكأن غوردون كان في حاجة إلى معاقبة إيزابيل لما هي عليه.

لقد بدا كأن لطفها وحنوها ولباقتها ولباقتها قد أثار زدرامه فحسب. وشعر بيل أن كل ذلك يعود إلى تأثير غوردون بعائلتها وشعوره أنه غير ملائم لنسبها إلى حد ما، ربما بسبب ارتباطها بالعائلة الملكية، ولكنه كان في حاجة إلى أن يحسبها ويعاملها بالدونية لكي يعيد تأكيد نفسه. لم يدلف أسلوب غوردون ووجهة نظره قلب بيل. ولكن من أجل إيزابيل على الأقل، تظاهر ببعض

الاحترام نحو غوردون عندما كانت تتحدث عنه. لم يُرد أن يضعها في موضع الدفاع عن الرجل. لقد كان إخلاصها وولاؤها واضحا، وسبق غوردون زوجها أولاً ولخيراً. ولكنها ما عانت تدعى أمام بيل بأنها كانت سعيدة مع غوردون، وببساطة فإنها قبلت زواجها منه على أنه قسمتها في الحياة، وصارت تأتي التزم من طريقة سير الأمور. لقد كانت ممتنة لوجود بيل إلى جوارها تتحدث إليه، وتستمع إليه، وكان يطيب لها أنه دائماً يجعلها تتضحك.

كان هناك حشد كبير في مطعم هاري تلك الليلة حتى إنهم بالكاد استطاعوا أن يدخلوا من باب المطعم. كانت هناك نساء يرتدين ثياب المسهرة وفساتين حفلات الكوكيتيل ويقفن إلى جانب بعضهن في المطعم مع رجال يرتدون بذلات سوداء وقمصان بيضاء وربطات عنق داكنة. بدا الحشد متعماً متسقاً وحسن اللباس، وكان مظهر إيزابيل مناسباً جداً للمكان مرتدية فستانها الأسود الضيق على خصرها. وبدا بيل متميزاً وأنيقاً وهو يرتدي بذلة زرقاء داكنة لها طيقتان على الصدر كان قد اشتراها قبل الرحلة مباشرة.

كانت الطاولة في انتظارهما، وسارع رئيس النادلين لاستقباله حالما رآه، وحيثما إيزابيل بأشمامة. لقد خصص لهما طاولة في ركن المكان حيث كان يعرف أن بيل يحب الجلوس فيه، وأمكنهما أن يريا عدة شخصيات مرموقة معروفة في المجتمع يجلسون إلى الطاولات إلى جوار الجدار. فكان هناك عدة ممثلات، ونجم سينمائي مشهور، وبعض الشخصيات الأدبية، وطاولة يجلس إليها رجال أعمال من البحرين، وأميرتان من السعودية، وطاولة يجلس إليها أمريكيون من الطبقات العليا أحدهم حقق ثروة من النفط. لقد كان الحشد مثيراً بشكل لاقت، وتوقف عدة أناس ليلقوا التحية على بيل. وعرضهم على إيزابيل دون تردد منادياً إياها بالسيدة فوريستر دون أن يشرح لهم من تكون بالنسبة له. وبينما هما وسط العشاء رأت إيزابيل مصرفياً فرنسياً شهيراً كانت التقت به قبل سنوات، ولا بد أنه كان يعرف غوردون، ولكنه لم يلق بالآ إليها، ولم يسلم عليهما في طريقه خارجاً.

قالت له: "لا أدري من يظننا للناس". ولم يئذ عليها القلق بل كانت مستمتعة. كان ضميرها مرتاحاً رغم أنه كان أمراً غير اعتيادي بالنسبة لها أن تكون في لندن وأن تتناول طعام العشاء مع رجل في مطعم هاري.

"على الأرجح أنهم يظنون أنك نجمة سينمائية فرنسية، وأني رجل أمريكي ريفي جلف استطلعت أنت أن توقعه بجبالك". ضحك وهو يقول ذلك بينما راح التادل يضع الكريستال الذي جاء مع "الدوسير"⁽¹⁾. لقد تناولوا وجبة احتفالية وكأسين من المشروب المفضل حتى الآن. أكلا وشبعوا، وكانا مسرورين ومرتاحين.

"لا بل إن الكثيرين يعرفون من تكون يا بيل على الرغم من أنك تظن أن ما من أحد يعرفك، ولكنهم لا يعرفون من أكون أنا". قالت له مزاحاً.

"يمكنني أن أعلن لهم عنا إذا أحببت. أو يمكننا أن نمر عليهم طولة طولة في طريقنا ونحن خارجان، ويمكنني أن أعرف الجميع عليك، ويمكنني أن أقول لهم أنك صديقتي المقربة الحميمة. هل تعتقدان أن هذا يكفيهم ليعرفوه؟ ما كان الناس هناك يرونه فيهما هو ثنائي رائع للغاية يستمتعان

برفقة بعضهما البعض. وإن النظر إليهما جعل الناس يبتسمون في سرور. ربما. هل تظن أن سنثيا كانت لتسأه لو سمعتُ بأنك كنت تتناول طعام العشاء مع امرأة أخرى؟ سألتها إيزابيل في فضول كما هو حالها دائماً تحوها.

"هل تريدان الصراحة؟ سألتها وهو يبتسم. لقد كان دائماً صريحاً معها. لقد كان وعداً قطعته على نفسه منذ زمن بعيد، أنه إن برولوج حول الحقيقة أبدأ مهما كان الحرج الذي يسببه التصريح بهذه الحقيقة. وعلى حد علمه كانت على الدوام صريحة معه، وكانت تؤكد له أنها كانت كذلك فعلاً. لقد كان في ذهنها انطباع عيق عن الصدق والصراحة التي كانا يتشاركان بها. بكل صراحة يا إيزابيل لا أظن أنها كانت لتهمت. اعتقد أنها تجاوزت هذه

(1) الدوسير (dessert): كلمة فرنسية الأصل وتعني اللقوكة أو الحلوى أو غيرها التي تؤكل بعد الطعام.

المرحلة منذ أمد بعيد. فطالما أتي لا أجل منها حقاً، علانية على الأقل، فهي أعتقد أنها مستعبر أن ما أفعله هو شأني الشخصي. سوف لن ترغب في أن أسأله عن حياتها. وفي الواقع لديها أشياء كثيرة تخفيها أكثر مني. كان قد سمع إشاعات عنها لعدة سنوات، وسأله عن ذلك فقط في أول مرتين، وبعدها كان قد قرّر أنه هو نفسه ما عاد يريد أن يعرف.

قالت إيزابيل وهي تستظر إليه: "يحزنني هذا للغاية. ما هكذا يكون الزواج".

- تحم لا ينبغي أن يكون هكذا. ولكن يبدو أن الزواج فيه إمكانية لاحتمالات كثيرة عديدة متنوعة. وإن الزواج الذي مُنيت به أنت وأنا ليس هو الزواج الذي يتكلم به الناس. لدينا ما يجعل المرء يحيا حياة استقرار في الزواج، ومن عدة نواحي، بعد زمن طويل.

- أشرت محقاً. قالت ذلك وهي مستغرقة في التفكير، بينما كان التادل يصب لكل منهما كوباً من المشروب المفضل.

- هل شعرت بهذا الاستقرار في زواجك؟ كان للمشروب المفضل الذي شربته لأن تأثير عليها إذ جعلها أكثر حيوية مما هي في العادة.

- ليس لدي خيار. إذا لم تأتلم وأذعن للواقع الذي أعيشه، فن يكون مستاحاً لمامي إلا أن أخرج من الحياة التي أعيشها. وربما لدينا نفس الأسباب المختلفة بالنسبة لكل منا، وما من أحد يرغب بذلك. فسألتها تريد هالة المسؤولية التي تحيط بها والتي أؤمنها لها وطريقة الحياة التي تعيشها. وأنا لا أريد أن أثير ضجة من جراء طلاقنا. ولذلك نبقى الحال على ما هو عليه. وعلاتوة على ذلك، إذا ما تطلقنا ستسأه الفتاتان. لا أفهم لماذا لم أقل ما كنت أبتغيه من الأشياء أو الناس. لم يكن في يده حيلة على الأقل. لقد تأقلم مع حالته، كما تعلم إيزابيل، وقيل زمن طويل. ولكنها أحياناً تتسائل عن السبب. فكونه في الثانية والخمسين من العمر، كان لا يزال فتياً إلى حدٍ يمكنه معه أن يبدأ حياة أخرى، ولقد كان يستحق السعادة، هذا ما كانت تفكر به إيزابيل بكل حال من

الأحوال. لقد أعطى الكثير ولم يَنْلْ بالمقابل إلا النذر اليسير. وكان بيل يفكر بنفس الشيء تجاه إيزابيل.

- "سوف لن تستطيع أن تجد أي شيء لو أي شخص آخر بدأ طالما أنت مقيد بها". قالت ذلك ثم ارتشف المشروب المفضل.

- "هل تترحين أن أتطلق؟" بدأ منذهاً، فهي لم تتحدث بهذا الأمر بشكل مباشر هكذا من قبل، وراح يتسائل عن السبب الذي يجعلها تقول ذلك الآن.

- "لا لري. ولكنني أتساءل أحياناً إذا ما كنا نهدر حياتنا سدى. ليس لدي خيار بسبب تبدي، وسوف لن أحصل على الطلاق بأي شكل من الأشكال. فلم يحدث مثل هذا أبداً في عائلتي. وفي مثل عصري، سيكون من الصعب أن أبداً من جديد. أما بالنسبة للرجل فالأمر مختلف. انذهل لسماحه ما تقول فهو لم يعتقد أبداً أنها فكرت يوماً بهجر غوردون، وكانت هذه أول مرة تفكر فيها هذا الأمر.

قال لها بهدوء: "ليس الأمر مختلفاً بالنسبة للرجل. ثم أنك أصغر مني بسبعى عشرة سنة. وإذا كان أحدنا سيفكر بحياة جديدة، فهو أنت يا إيزابيل. فأنت وغوردون لم تعيشا حياة زوجية حقيقية منذ سنين. وأنت تستحقين أكثر من ذلك بكثير". لقد كانت هذه أول مرة يكون فيها حازماً معها هكذا، ولكنها فتحت له المجال ليقول لها هذا، وقد كان مسروراً لقوله ذلك.

قالت بهدوء: "ما كان ليمنتني أن أفعل ذلك، وأنت تعلم... وسوف يُصاب كل من نعرفه وكل من تربطنا به أية علاقة بالرعب إذا حدث هذا، كما وأنتي لا أستطيع أبداً أن أمزق حياة تبدي. فيه أكثر هشاشة من أن يصمد بعد حدوث هكذا تحول خطير وكبير في حياته. ثم أن غوردون سوف لن يتساهل في ذلك. إنه ليقولني قبل أن يدعي لأذهب. ليس لدي شك في ذلك. إن الطلاق لم يكن أبداً احتمالاً ولو بعيداً في فكرها. بدت متزنة رصينة وهي تقول ذلك، ولكنها شعرت اللبلة، ولأول مرة، أنها مثل أسير تعهد بالألا يحاول الهرب من سجنه. لم تكن تسمع لنفسها أبداً بأن تفكر كم كان منزلها في باريس كئيباً محبطاً، وكم

كانت حياتها محدودة، وكم كان غوردون غائباً تماماً عن البيت. وفجأة الآن، وهي تجلس في مطعم هاري مع بيل، أدركت تماماً ما كانت تفتقده في حياتها. ولكنها كانت تصر في قرارة نفسها على أن سببه هو تركز حياتها حول طفلها المريض. لم تكن على استعداد لأن ترى أن حياة العزلة التي كانت تعيشها كانت في مجملها هكذا لأنها منبوذة عاطفياً ولستين من قبل الرجل الذي تزوجته.

- "لم أسمعك أبداً تتحدثين هكذا". قال لها بيل وهو يضع يده على يدها. لم تكن قبلاً مستعدة أبداً لأن تقرر لنفسها أو له بمدى تعاضتها، وكانت دائماً تضع الأعدار لذلك، ولم تعترف أبداً صراحة كم كان غوردون قوة هدامة كاملة. تتساءل بيل إذا ما كان غوردون قد هددها يوماً. ولكن سواء فعل ذلك أم لا، فإن إيزابيل بدت متزكة تماماً لطبيعة الرجل، ومدى قسوته، ليس فقط نحوها، بل أيضاً نحو طفلها. "ما الذي يجعلك تقولين ذلك الآن يا إيزابيل؟ هل هددك؟" لم تقل أبداً من قبل أن غوردون كان ليقولها إذا ما تركته، ويتسائل الآن إذا ما كانت قد تطرقت إلى الموضوع مع غوردون في وقت من الأوقات، تفرس بيل في عيني إيزابيل بينما ابتسمت له. كانت عيناها توحيان بالعمق والحكمة والحزن تحت ابتسامتها. ما كانت تتوقع أي حياة لها في المستقبل ما عدا الحياة التي تعيشها. لقد أصابها الأمل بحياة أفضل وضلها قبل سنوات عديدة.

- "أعتقد أنك أنهيتني". قالت له بلهجة معتزة ولكنها كانت تشعر وكأنها سجين لاذ بالفرار، وما عادت تريد أن تلتزم أو تقي بوعدها بالصمت الذي قطعته على نفسها يوماً. فعلى الجانب الآخر من القنال الإنكليزي شعرت فجأة بولاء نحو غوردون أقل مما كانت تشعر به في المنزل، كما كان بيل يعرفها جيداً.

ضحك بسيل وهو يأخذ رشفة أخرى من كئسه: "أود لو جعلتك نذلين. كنت لأود أن أرى ماذا ستفعلن وأنت منذهاً يا إيزابيل. هلا تحاول ذلك؟".

- "إنك مخيف. ها إنك قلقٌ من أن تكون موضع فضيحة، وفي الوقت نفسه تحرضني على أن أسلك بطريقة فاضحة. إذا استمررت في صب المشروب المفضل لي فانا متأكد أنك ستضطر لأن تخرجني من مطعم هاري مضطربة".

- "سوف ان أفعل أي شيء سوى أن لقي بك على كفتي وأقول للناس أنني وجدتك تحت طاواني. ولا أعتقد أن أحداً سيعترض علي".

- "وماذا ستفعل عندئذٍ. وقهقيت لتصورها ما يمكن أن يفعل بها، فلقد كانت في روح معنوية عالية، وكانت تريد أن تمتد تلك الأسمية إلى الأبد. في خلفية فكرها كانت تسمع نقات عفاريت الساعة تشير إلى مرور الوقت. فبعد هذه الليلة، سيبقى لها ولبيل فقط ليلة ونهاران يكونان فيها معاً، أو ليلتان إذا مكثت حتى يوم الجمعة. ولكن بعندئذٍ، سيتوجب على كليهما أن يعودا إلى حياتهما العادية. لقد كانت تشعر بنفسها وكأنها سندريلا في الحفلة الراقصة، وما كانت لترغب أن يعود الحوذي إلى وضعه الأول كجرذ أبيض، ولو إلى حين.

- "أعتقد أنني سأخذك إلى نادي أنابيل لترقص". كانت الفكرة قد خطرت له للتو، فضحكت إيزابيل.

- "إنها لفكرة طريفة. فلما لم أذهب إلى نادي أنابيل منذ سنوات، بل حتى منذ قبل أن أتزوج. لقد احتفلت بعيد ميلادي الثامن عشر هناك، وأخذني والذي مرة إلى هناك بعد أن خطبني غوردون. ولم أذهب إلى هناك من جديد منذ ذلك الحين. فغوردون يكره الرقص كرهاً شديداً".

- "إذاً نتقنا. سنذهب إلى هناك الليلة. وحالما نترغبين كأسك". قال لها ذلك مازحاً إذ كان يعرف أنها لن ترتشف إلا رشفة أو اثنتين، فقد كان كأسها لا يسزال شبه ممتلئ. لقد كانا سعيدين كلاهما. في الواقع كانا منذهلين بنشوى وجودهما معاً.

"ليس في وسعي إتهامه". قالت إيزابيل معترفةً، وهي تنظر بعينين

واسعتين في عينه، بينما قلوب هو رغبة بأن يحيطها بذراعيه. ولكنه لم يكن من الحماسة حتى يقوم بمثل هكذا تصرف. ثم أنه ما كان يرغب بأن يسيء إلى سمعتها أو أن يضعها في موقف محرج.

- "إذا لم يكن بمقدورك إنهاء كأسك من المشروب المفضل، إذاً فلنذهب إلى نادي أنابيل". قال بيل بلهجة تصميم، في حين أحضر لهما اللناد طبقاً من الشوكولا والسكاكر التي أعجبت إيزابيل. لقد أوضحت وقتاً رثماً، ولم تكن تضع في حسابها الذهاب إلى أي مكان آخر ما عدا العودة إلى الفندق. لم تكن تطمح بالمزيد ولم تتوقع أن يذهبا للرقص. قال لها من جديد ملاطفاً: "كدي فكرة. سأقبل أن تأكلي لوعي شوكولا بدلاً من احتساء كل الكأس، وسأخذك إلى نادي أنابيل". كان يريد أن يذهب معها الآن إلى هناك.

سألته: "هل أنت جاد؟" وبدت منذهلة ومسرورة وهي تزرد قطعة شوكولا صغيرة وتنظر إليه نظرة تحد: "ها هي أول واحدة".

فلاولها قطعة أخرى من الشوكولا وقال لها: "تلكم واحدة أخرى".

- "هذا مرعب. أنت لا ترينني فقط أن لأذهل بل أن أصاب بالبدانة أيضاً".

- "هذا سيستغرق وقتاً أطول من جعلك تنذهلين". قال لها وهو يبتسم لبسامة عريضة، وتناول قطعة من الشوكولا هو أيضاً. "إذاً ها بنا إلى نادي أنابيل". قال ذلك وهو يشير للنادل ليحضر له الفتورة.

- "لا أعتقد أنني سأستطيع الرقص بعد. بالإضافة إلى ذلك فإنك شاب وأنا متقدمة في السن. فالرجال هناك كبار في السن بعمر والذي، ويرقصون مع فتيات بعمر صوفي".

- "يمكنك أن تتجحي في الاختبار، ولكن أخشى أن أفضل أنا في ذلك. ولكن أياً يكن من أمر سينذل جهنماً. أنا لست رقصاً بارعاً، ولكن أعتقد أن الأمر سيكون مسلياً". قال ذلك وهو يبدو مرتاحاً ومسروراً، وبينما هما يغادران لسدات رؤوس العبيدين نحوهما. لقد كانا يشككان ثنائياً جميلاً.

أن يكون قد فعل ما يجعلها تستاء منه، ولكن على العكس، ما كانت قد شعرت به دخل إلى أصعاقها وأثر بها كثيراً حتى إنها لم تستطع أن تجد الكلمات المناسبة لتعبر عنه.

- "أنا على ما يرام. كل ما هنالك أنني سعيدة جداً في هذا المساء حتى إنني أود ألا يكون لهذه الأهمية انقضاء".

- "سوف لن تنتهي". قال لها ذلك بلطف، ولكنهما كلاهما كانا يدركان أنهما قد لا يستطيعان أن يلتقيا من جديد إلا بعد سنين. فما كان بإمكانها أن تعتمد على السفر إلى لندن، وإذا تغيرت حالة تيدي إلى الأسوأ، فإنها قد لا تتمكن من الذهاب إلى هناك قبل سنوات. ولم تكن تشعر بأنها تستطيع أن تراه في باريس بحرية كما فعلت هنا. فغوردون أن يتفهم ذلك أبداً، وما كان بإمكانها أن تتسرح له الأمر. قال لها بيل: "دعينا لا نفكر بما سيأتي فيما بعد يا إيزابيل. دعينا نستمتع بهذا الوقت معاً الآن ما أمكننا ذلك". ولما أت برأسها، وليست لها، ولكن بدموع في عينيها. لقد كانت تشعر بأنها ما هي إلا لحظات تمر بعد أن قالت له مرحباً حتى تودعه، وما سيتبقى لهما هو أصواتهما على الهاتف من جديد. ولقد كان يكره أن تعود إلى حياة العزلة التي كانت تعيشها. لقد كانت فتية جميلة، مليئة بالحياة، وكانت تستحق وجود شخص إلى جانبها يقدر كل ما كانت تطهيه. فطلب منها أخيراً أن "هلا ترقص من جديد؟" ولما أتت موافقة. فأمسك بيدها هذه المرة وعادا إلى ساحة الرقص. وبينما هما يرقصان بنت ترقص على مقربة أكثر منه. لم ينطق ببيت شقة، بل أغمض عينيه وهو يحتويها بين ذراعيه. لقد كانت تلك أجمل لحظة يمضيها معاً، وكأنها جوهرة وحيدة متألقة معلقة في سماء الليل.

غائراً نادي أنابيل بهدوء وقطعا نصف طريق العودة إلى الفندق دون أن يتكلم.

همست إيزابيل بسرعة: لقد كان وقتاً رائعاً هذا الذي أمضيته الليلة. وكانت تشعر وبشكل مرهف كم كان لطيفاً معها ووسيماً.

استغرق منهم الوصول إلى نادي أنابيل بضع دقائق فقط، وعندما وصلا، ومن جديد، بدا أن الجميع يعرفون بيل. لقد كان قد ذهب إلى نادي أنابيل قبل ستة أشهر برفقة السفير، وكان يتناول طعام عشائه هناك بين الفتية والأخرى مع أصدقائه كلما كان في لندن. كانت إيزابيل تبسم في حين كان المضيف يشلويعهما إلى طاولتهما. لقد شعرت فجأة بأنها فتية، وشعرت بأنه من السخف أن تكون هناك، ولكن شعرت بالإطراء لأنها برفقة بيل.

كان هناك حشد كبير في نادي إيزابيل تلك الليلة، وعديد منهم كانوا أزواجاً كالذين وصفتهم إيزابيل لبيل، رجالاً مسنين مع نساء شابات جداً، ولكن كان هناك عدة أزواج يمثل عمر بيل وإيزابيل أيضاً. كان هناك العديد من الناس يجلسون إلى الطاولات بجوار الجدار يتناولون طعام العشاء في حين كان بعض الناس يدرشون ويحتمسون المشروب المفضل في النادي الحميمي الدافئ. وعندما جلس بيل وإيزابيل إلى طاولة قرب ساحة الرقص، أجملت إذ رأته نظرة في عيني بيل. لقد كانت نظرة لم تعدها سابقاً. وعزت ذلك ليس إلى المشروب المفضل الذي كانا يشربانه وحميمية العلاقة بينهما وحسب، بل إلى ما في عينيها من حنان ودفء يفوق العادة تبثها في نظراته لها وهو واقفاً إلى ساحة الرقص بعد هنيهة دون أن ينبس ببنت شفة. لقد كانت صرورة لأغنية قديمة كانت تحبها دائماً، وفوجئت أن بيل لم يكن فقط رقصاً ماهراً بل بدا منسجماً معها تماماً في الرقص. لقد أحاطها بخراجه قوية وقرينة إليه، وراحت ترقص معه برشاقة في ساحة الرقص وهي تشعر بأنها أفضل عملة وسلاماً ولعلمنا أنها منذ سنين. انتقلا من أغنية إلى أخرى دون أن يتغيرا ساحة الرقص، وبدأ أن ساعات مضت عندما عادا أخيراً إلى طاولتهما، وطلبا المزيد من المشروب المفضل.

ارتشفت من كأسها رشفة، وألقت أعينها من جديد من فوق كأسيهما، ثم أدارت طرفها بعد هنيهة. لقد كانت تشعر بالخوف مما بدأت تحس به نحوه. ولاحظ نظرتها في الحال وشعر بالقلق: "أأنت على ما يرام؟" كان يخشى

- لقد أمضيت وقتاً منهاكاً. قال ذلك وهو يتسّم لها وهي تخطو دلخلة إلى غرفتها وتلتفت إلى الخلف ضاحكة.

- أنا سعيدة. قالت ذلك وهو يلوح لها بيده ثم يختفي في الرواق ماضياً إلى غرفته. كان جل ما تفكر به هو كم أنها محظوظة لأن لها صديقاً مثله. راحت تفكر بذلك وهي تطلق باب غرفتها بهنوء وتطلع حذاءها.

- وأنا أيضاً. قال لها ذلك وهو يحيط كتفها بذراعه مستمتعاً بدفئها وقد التصقت به. لم يكن بينهما أي خداع أو ادعاء أو حرج أو توتر أو تردد. بل إنها كانت تشعر بجواره بسعادة غامرة وهنوء وسلام فائق الطبيعة. توقفت بهما السيارة أمام الفندق، ولبثا ساكنين لوهلة، وانتظرهما السائق بأدب خارج السيارة دون أن يفتح الباب.

- هلا نزل؟ قالها بيل متأسفاً وتحرك بثقال مبتعداً عنها، وبذ رأى السائق حركة الراكبين في السيارة فتح الباب.

تبع بيل إيزابيل إلى ردهة الفندق مروراً بالباب الذي يدور حول محور. كانت الساعة قد دقت للثانية صباحاً، وكان هناك عاملان يلمعان الأرضية الرخامية. تناجبت إيزابيل بنعس وهما يصعدان في المصعد الذي توقف بهما في الطابق الثالث.

سألها بيل: متى ترغبين أن نبدأ صباح غد؟ قال لها ذلك وهو يتمنى لو أنه يمضي الليلة معها. لقد كان يدرك أن هذا الأمر مرفوض نهائياً، وأنه لا يريد أن يعرض صدقتهما للخطر بأن يطلب منها ذلك، أو أن يفعل ما يجعلها تتدم عليه. لقد كان يعلم إلى أي درجة تحافظ إيزابيل على نفسها وتعمل الصواب.

- الساعة العاشرة، ما رأيك؟ لا أعتقد أن المتحف يفتح قبل ذلك. كنا والقيس على عتبة باب غرفتها آنذاك، وقد بدت كلرهة لمفارقتها. لقد كان لتلك الأسمية تأثير هائل في نفسها من عدة نواح.

- ما رأيك في تناول الإفطار الساعة التاسعة؟ سوف أخرج عليك وننزل إلى الأسفل. اقترح عليها ذلك وهو يقف على مقربة شديدة منها.

- فكرة ذريفة. قالت ذلك ثم لبست من جديد واستأنفت هامسة له: لقد استمتعت بوجودي معك الليلة... شكراً لك... قالت ذلك بينما هو يفتح الباب بمفتاحها، ثم قبل أعلى رأسها.

الفصل الثالث

قرع بسيل بباب غرفة إيزابيل في صباح اليوم التالي، ليجدها على أهبة الاستعداد وقد ارتدت ملابسها وراحت تنتظره. وهذه المرة كانت ترتدي بذلة تفصيل من الكتان بلون أزرق بحري داكن. كانت تحمل حقيبة بلون أزرق بحري ماركة كيلي وترتدي حذاء أزرق دلكن من جلد القاطور⁽¹⁾، وتضع وشاحاً أخضر ساطعاً حول عنقها، وحلقاً من الزمرد والياقوت الأزرق. لقد بدت جميلة وفتية ويانة كما هي دائماً وأنيقة للغاية.

- تبدين رائعة اليوم". علق بهذا القول بينما كانا يتزلان السلام جنباً إلى جنب. كيف نمت؟

قالت مبتسمة: نمت بدون حراك مثل مسخرة. وأنت؟

- نمت متأكداً إذا ما كنت نمت بعمق أم أصابتنى إغماءة، ولكنني أشعر نسي على ما يرام اليوم". لم يند لها منذها ليلة أمس، وما كنت تعتقد أنه مسنهل حقاً. لقد كان يمازحها فقط، وبدا في روح معنوية عالية وهما يسيران داخلين إلى غرفة الطعام. كان قد اتصل وحجز طاولة، فطلب وليمة فطور كبيرة لكليهما.

قالت له باعتراض: "لا يعني أكل كل هذا". نظرت إلى ما كان قد طلبه: بيض، وافل⁽²⁾، رقائق، وتمبي⁽³⁾، وكرواسانت⁽⁴⁾، ووجبة شوفان،

(1) القاطور: (alligator): تمساح له رأس عريض.

(2) وافل: (waffles): نوع من الكيك الطري قوامه الطحين والبيض والحليب أو الماء.

(3) تمبي: (tempeh): كمش محضّر من فول الصويا.

(4) الكرواسانت: (croissants): كلمة فرنسية الأصل، وهي نوع من المعجنات المملأة على شكل رقائق أسطوانية.

وفواكه، وعصير برتقال، وقهوة - لقد كان ذلك أكثر مما يحتاج إليه جيش يتصور جوعاً، هذا ما عظمت به وهي تبسم.

ابتسم لها ابتسامة عريضة بوداعة وقال لها: لم أعرف ماذا تحبين على الإفطار. لذلك فقد طلبت كل الأنواع. ماذا تأكلين في العادة؟ سألهما بفضول، إذ كان يحب أن يعرف أدق التفاصيل عنها.

قالت: "عادة قهوة مع توست محمص جيداً، ولكن هذا أكثر تسلياً". ووضعت الوافل والببيض وتمبسي في صحنها، ثم أضافت بعض الفريز. ولدهشتهما، فقد أكلت مقداراً كبيراً من الطعام الذي كان قد طلبه، وأتى هو على معظم الباقي. وعندما غادرا الفندق كانا في سرور يتضحان ويتمازحان على ما أكلاه وعلى مدى البديهة التي سبغلت ليهما. "لا بأس في ذلك طالما أنني أراك بضع مرات في السنة". قالت ذلك وهي تستقل لليموزين التي كانت في انتظارهما. وقالت: "إذا رأيتك أكثر من ذلك فسوف أصبح بدينة للغاية". وبدأ مستغرباً حالمأ وهو ينظر ليهما. لقد كان يفكر كم يكون جميلاً لو أمكنه أن يتناول طعام الفطور معها كل يوم. لقد كانت امرأة تحلو مرافقتها ويرتاح المرء ليهما. لقد كانت نادرة ما تبدو سيئة المزاج حتى عندما كان يتصل بها عدة مرات في الأسبوع. أما سيدي فكانت دائماً تقول أنها تكره الاحتكاك أو الاتصال مع الناس قبل الظهرية. ولكن إيزابيل كانت عذبة ومتفقة في حديثها إلى بيل طوال الطريق حتى صالة التيت.

لقد كانت تحذثه عن كل اللوحات التي سيراتها، وعن تاريخ هذه اللوحات، وأصلها ومصدرها، والتقنية المستخدمة فيها والتفاصيل المميزة لمعظمها. لقد قامت بوظيفتها وكانت في غاية النشوة لزيارة المعرض في رفقته. ولقد استمتع بمشاركتها حماسها. وخلال تجوالهما في المعرض بدت على معرفة عميقة شاملة بكل لوحة، فتمتص أعد التفاصيل، وتشرح له كل شيء. لقد كانت زيارة المعرض معها خبرة جديدة تماماً عليه، وعندما غادرا المعرض عند الظهرية شعر وكأنه قد درس منهاجاً مكثفاً عن الفن.

- "إن لديك معرفة هائلة مذهلة. لماذا لا تسويدين من كل ذلك يا إيزابيل؟ فأنت تعرفين الكثير عن الفن فلا يجوز أن تذهب هذه المعرفة هباءً".

قالت بحزن: "ما عاد عندي وقت. فأنا لا أستطيع أن أترك تيدي".

- "وماذا لو قمت ببعض أعمال الترميم في المنزل، وهكذا تبقين إلى جواره؟ ومن الشهرة التي تحصلين عليها، يمكنك أن تأسسي ستوديو أو ورشة عمل في مكان ما. لا بد أن المنزل كبير بما يكفي لذلك".

- "أعتقد أن غوردون سيجعل هذا الأمر صعباً للغاية". قالت ذلك بهدوء ومسحة من الحزن والأسى تتبدى في صوتها. واستأفقت: ثم ترق له أبدأ فكرة عملي. لقد كان ينظر إلى ذلك على أنه نوع من البوهيمية وذلك عندما كنت أصعل في الوافر. لا أعتقد أن الأمر يستحق وجع الرأس الذي سببته ذلك". لقد كانت، ومنذ زمن بعيد، قد تخلت عن فكرة العمل، ليس فقط من أجل غوردون، بل من أجل ليهما أيضاً.

- "أعتقد أن هكذا عمل يناسبك تماماً". قال لها بيل ذلك بطريقة عملية. لقد كان معجباً بالمعرفة التي لديها، وبالأسلوب اللطيف الذي شاركته فيها. لقد كان الأمر وكلها تشاطره شغفها بالفن، فلم يشعر أبداً بأنها كانت تتفخر أو تجعله يشعر بأنه جاهل، رغم أنه لم تكن له أية دراية بالفن تضاهي معرفتها به. لقد كانت تمتاز بالثوق الرفع ويتواضع مذهلين بتبنيها في سلوكها وفي حديثها. وسألهما باهتمام: "هل ترسمين شخصياً؟".

- "لقد كنت أرسـم. أنا لست ماهرة في ذلك، ولكن كنت أحب الفن عادةً".
- "يمكنك أن تقومى بذلك أيضاً إذا كان عندك ستوديو. وأعتقد أنه سيكون متنصاً جيداً بالنسبة لك". ابتسمت للفكرة، ولكنها كانت تترك كم سيكون غوردون مستاءً من جراء ذلك. لقد كان يهتاج على الدول بسبب عملها وذلك قبل أن ينجبا صوفي، وكان على أطراد بصر عليها لأن تتخلى عن ذلك منذ ولادة الطفلة. لقد كان يصبر أن هذا العمل لا يلقى بمنزلتها نوعاً ما، ومجال عملها في الفن لا يناسب الصورة التي كانت لديه عنها أو أرادها لها. كل ما

كان يريد منها أنذاك هو أن تعجب له الأطفال وأن تدير أمور منزلهم وبالتالي فكل ما كان يخصها قبل الزواج، وكل ما كانت تفعله وتشقه يوماً، ما عاد له أي أهمية بالنسبة له. لقد كان يعود له الأمر الآن بأن يوجه ويقود ويستحكم ويسيطر على كل شيء وأن يعاملها كشيء يمتلكه. فالامتلاكية كانت مهمة بالنسبة له.

- أعتقد أن غوردون سيعتبر الأمر تحدياً له إذا ما عدت إلى الرسم أو الترميم الآن. لقد قالها لي صراحةً عندما أنجبنا الأطفال أن هذا كان جزءاً من صباي وما عاد تسلياً أو وسيلة تمضية وقت مناسبة لامرأة متروجة.

- وما هو الأمر المناسب لتضي به المرأة المتروجة وقتها؟ سألهما بيل وقد بدا متزعجاً. أدرك بيل أنه كان يكره الرجل وكل ما كان يمثله في نظره. لقد كان متكبراً وسطحياً ومستبداً، وكان واضحاً بالنسبة لبيل أنه لم يكن لديه أي احترام لها على الإطلاق، أو أدنى اهتمام من أي نوع بما كانت تحب أن تعمله، أو بما كانت هي عليه. لقد كانت مجرد "شيء" قد اكتسبه لكي يعزز حصيلته المهنية ووضعه الاجتماعي، وعندما حققت له ذلك، ما عاد لديه أي اهتمام بها. لقد بدا لبيل أن في هذا إجحافاً شديداً بحق إيزابيل. لقد كانت تستحق أكثر من ذلك بكثير.

- أعتقد أن تسيير المنزل هو كل ما يبريني غوردون أن أقوم به، والعناية بالأطفال، وأن أكون في منأى عن الظهور إلى أن تستدعي الضرورة ذلك، وهذا ما عاد له كبير أهمية أو دواع. أعتقد أنه يتساهل معي إذا ما قمت ببعض العمل الخيري في جمعية إنسانية يوماً ما، طالما يستحسن هو هذه الجمعية مع وجود أناس آخرين يعتبرهم مفيدين له أو يلقون به. فغوردون لا يؤمن بعمل أي شيء، ما لم يخدمه بشكل من الأشكال، وإلا فإنه يعتبره مضربة للوقت.

قال بيل معلقاً بأسى: يا له من أسلوب حياة حزين!

- لقد اعتاد على ذلك ونجح فيه. ولربما هو الآن المصرفي الأكثر

أهمية في أوروبا، وبالتأكيد في فرنسا، وصار له شهرة جيدة في الولايات المتحدة أيضاً. فالجمع مع في وول ستريت⁽¹⁾ وكل دول أوروبا الكبرى يعرفونه.

- وماذا بعد؟ ماذا يفيدك من كل ذلك في نهاية النهار يا إيزابيل؟ ماذا يكون المرء عندما ينتهي كل شيء ولا يبقى له إلا مهنته؟ أي نوع من البشر يكون عندئذ؟ لقد كنت أتساءل هكذا كثيراً في السنوات الأخيرة. لقد كنت أعتقد أن ذلك هو كل ما هو مهم، وأن علاقات العمل تجعل المرء يعتقد أنه شخص مهم. ولكن ماذا بعدئذ؟ ماذا يفيد ذلك إذا لم تكن لديه حياة عائلية يعيشها، وإذا كانت زوجته تعتبر حياته أو موته سواسية بالنسبة لها، ولولادة لا يستطيعون حتى أن يشكروا آخر مرة تناولوا طعام العشاء معه. أريد من الناس أن يشكروا أكثر من ذلك عني. لقد كانت هذه أحد الأشياء العديدة التي أحببتها فيه، ألا وهي أن قيم بيل وإحساسه بالأولويات كانت واضحة كالبور. ولكنها كانت تسدرك أيضاً أنها لم تكن راسخة ثابتة على الدوام ولقد دفع غالباً ثمن الدروس التي تعلمها. لقد كان زواجه فارغاً مثل زولجها، وما كانا لينكران ذلك، ورغم أنه كان يحب ابنتيه إلا أنه لم يكن قريباً منهما. لقد أمضى ربحاً كبيراً من الزمان يسعى وراء الحياة السليسية وصنع الرؤساء، وكان أحياناً يهتم لأمر ابنتيه عندما كانتا صغيرتين. وفي السنوات الأخيرة، بذل جهداً ليمضي وقتاً لسول معهما، وحصل على بعض النتائج المرضية. لقد كانت ابنتاه كاتهاما تستمتعان بصحبته وتفخران به رغم أنه كان لا يزال يسافر كثيراً. أما الآن وقد سافر إلى لندن، فقد اتفق معهما على موعد يتصل فيه بهما هاتفياً. ولكن تفرسه المطرد عن سيندي كان له وقعه على العائلة. لقد كانوا قلماً يلتقون جسيماً كمجموعة، وعندما كان يلتقي بابنتيه، كان ذلك اللقاء يكون فريداً في العادة، وهذا أيضاً كان ناجحاً. أما إيزابيل فقد كانت أوفر منه حظاً، فقد كان الأمر الوحيد الذي يبهما هو تيدي وصوفي، وكانت تضي وقتاً طويلاً معهما ودائماً. ولكن لا يمكن أن نقول لشيء نفسه عن غوردون. فالولدان كانا

(1) وول ستريت (Wall Street): موضع سوق البورصة في نيويورك.

غريبين عنه، حتى صوفي التي كانت أثيرة عنده.

"لا أعتقد أن غوردون قد بلغ مرحلة الاستارة التي وصلت إليها". قالت له إيزابيل ذلك بصوت، "ولا أظن أنه قد يبلغ ذلك أبداً". فهذه الأشياء لا تهمه إنه في غاية السرور لكونه مهماً في عالم المال. وكل ما عدا ذلك فليس بشيء أهمية بالنسبة له.

قال بيل: "سوف يؤول إلى رجل حزين يوماً ما. وعندئذ أنا أيضاً قد أصبح مثله". قال ذلك وهو ينظر إليها بأسف في حين كنا يحدان أترلجهما إلى السيارة. واستأنف: "أحسب أن هذا ما سيحدث لي أنا أيضاً في النهاية ولكن ربما في وقت متأخر عنه. فإنا أعيش حياة واقعية معك يا إيزابيل أكثر مما فعلت مع سيندي أو الفاتنين. أحسب أن يكون ذلك القارب قد فقتني منذ زمن بعيد. فإنا لم أكن هناك من أجلهما".

قالت إيزابيل بلطف: "أنا وثقة بأنهما ستقيمان السبب. فالفاتنان قد بلغت الرشد تقريباً الآن ولا تزال لديهما حياة تشاركك فيها".

"أمل أن ينظرا إلى الأمر على هذا النحو. فليديهما حياتهما الخاصة الآن، ولقد حاولت والديتهما أن تقنعهما كم أنا أناني نذل. وربما كانت على صواب". قال ذلك ثم نظر إلى صديقه مبتسماً وتابع كلامه: "لقد أحببت أفضل ما في نفسي. ولم تفعل هي ذلك أبداً. وليس لديها دفء عاطفي. ولست متأكداً فيما إذا كانت تريدني أبداً على ما أنا عليه الآن حقاً. وأعتقد أنها كانت تخاف فعلاً من هذا النوع من المودة الحميمة التي نتشاركها معاً، حتى ولو كانت على الهاتف معظم الوقت. ما كانت لتريد أن تكشف ذاتها لي، أو أن تتعامل مع ذاتي. فقد كان ما بهيما هو أن أكون هناك، وأن أذهب إلى الحفلات معها. وهذا ما لست أنسا، فإنا أحب أن أمضي وقتاً طيباً، ولكني لم أدرك أبداً كم كنت أفقد وجود شخص ما في حياتي أتحدث إليه. ليست بين سيندي وأنا أي نقاط لقاء على الإطلاق، ولا لتبادل المشاعر، حتى وإن كنا نتشاطر الغرفة نفسها. وهذا سوف لن يتغير أبداً".

حاولت إيزابيل أن تشجعه وأن تظهر أنها متفائلة بما يخصته فقالت: "ربما لكنكما ذلك إذا أردتما. ولو أعطيتها فرصة وكنت منفتحاً عليها، وربما تتعلم أن تصبح ودودة ومتألقة معك".

- "سيندي ليست هكذا". قال ذلك وقد تبدى بعض الأسى في عيبيه. واستأنف: "ولكني ما عدت أطلب هذا بعد. لقد انتهى الأمر بيننا منذ زمن بعيد، وفي الواقع أعتقد أنه من الأفضل أن يكون الحال هكذا. ليس هناك خيبة أمل، أو ألم. فإلما أظهر من فترة لأخرى من أجل مصطلحتها، وأحافظ على دفعي للفوتير، ولا أنسى أن أحضر حفلات تخرج بناتي، فهذا كل ما تريده مني الآن. نحن نعيش في عالمين مختلفين. وكلانا نشعر بأن هذا الوضع أكثر أمناً وملاءماً على ما أعتقد". لقد كان على يقين مما كان يشعر به، وما كان يخشى أن يكون لديه هذا الإحساس.

- "إنه لمن المذهل ذلك الذي فعله لحياتنا، أليس كذلك؟" قالت إيزابيل ذلك في تهدي وهما يتخذان مجلسهما في المقعد الخلفي من سيارة الليموزين من جديد، وهو يعطي السائق عنوان المطعم الذي سيتناولان فيه طعام العشاء. لقد كانت إيزابيل قد سمعت عن ذلك المطعم، ولكن لم تعرف مكانه. ولقد كان المطعم المفضل للأميرة ديانا لسنوات عديدة. قالت إيزابيل: "لقد سمحت لنفسك بأن تتجرف بعيداً عن سيندي وعن بناتك، وأنا سمحت لغوردون أن يقصيني من حياته دون اعتراض، لماذا نتسامح مع الآخرين الذين يفعلون هذا بنا؟ لماذا ندع الآخرين يتخذون ذلك الخيار دون أن نتحجج، أو على الأقل أن نبدى رأينا؟" لقد كانت تشعر بالذهول وهي تفكر بالأمر الآن. لقد بنت الأمور واضحة الآن أكثر من أي وقت مضى.

قال: "السبب هو أنهما كانا يسلكان هكذا معنا على الدوام. لم تكن نعلم أنهما سيصبحان هكذا وأن ما أعجبنا فيهما سيتلاشى. فقد كانت سيندي رائعة عندما كانت في الجامعة، وكانت متألقة، فائقة، ومرحة للغاية، ولكنها لم تكن عاطفية على الإطلاق. ربما تكون أكثر النساء أنانية وتلاعباً ومكراً على وجه

البسطة، وغوردون قاسي، بارد العواطف، ومستبد. وما كان لأي شيء نعلما
أن يغيّر في طبيعتهما. المشكلة أننا كنا نرغب في الاستقرار في الحياة
الزوجية، سواء اعترفنا بذلك أم لا. والسؤال هو لماذا كنا نعتقد أن ذلك هو كل
ما كنا نستحقه؟⁽¹⁾

- لقد كان والداي هكذا. قالت إيزابيل في هدوء، وهي تنظر إليه بعينيهما
الخضراوين الواسعتين، ولأوما برأسه. واستأنفت كلامها: لقد أحببتهما، ولكنهما
كانا بعيدين عني ومحظنين.

قال: كذلك والدي. لقد كان أهلي بكرهان الأطفال، وكانا قد صمنا
ينجبنا أطفالاً، ولكني ولدتُ وهما في الأربعينات من العمر وكان ذلك مفاجئاً
لهما. وكانا دائماً يتكرّرتني، ويخبرانني، أو يجعلانني أشعر أنهما كانا يعملان
معمروفاً كبيراً نحوي لإنجابهما لي وتربيتهما لي. وما كنت أطيق صبراً
للخروج من ذلك الحجم إلى أن ذهبت إلى الجامعة. وقد توقّفاً كلاهما في
حادث تحطم طائرة عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمري. لم ألبس
آنذاك مطلقاً. شعرتُ، عندما اتصلت بي شركة الطيران، وكان الشخصين
الذين ماتا غريبان عني. لم أنر ما أقول. لا أعرف من كانا حقاً، مجرد
شخصين في غاية النكاه ريثاني معهما ثماني عشرة سنة، وكانا برهانيين
عندما انتقلت مبتدأً عنهما. لا أدرى ما كانا ليعلمانه لو أنني عاقلتهما أو قبلتهما
أو قلت لهما أنني أحببتهما. لا أنكر أن ولدتني لاحتضنتني يوماً أو قبلتني منذ أن
كنت طفلاً. لقد كانت دائماً تتحدث إلي من الطرف الآخر للفرقة، والوالدي لم
يحدثني على الإطلاق، وسيندي هكذا، إنها تتكلم إلي من على بعد عشرة أقدام
بل وأبعد من ذلك إن أمكنها.

- من العجب أنك لم تتقد عطفك بعد. قالت لسه إيزابيل بتعاطف. بالكاد
أمكنها أن تتخيل طفولته، ومن عدة نواح، فهي نفسها ما كانت قد عاشت طفولة
مختلفة عنه. لقد حظيت بالعناق والقبلات من والديها، ولكن كان هذا بالشكل
فقط، وخلف ذلك كان هناك بعض الحب فقط. لقد كانت لسي إنكليزية جداً.

أعتقد أنها كانت تريد أن تحبني، وعلى الأرجح أنها كانت تفعل ذلك، ولكنها لم
تصرف كيف. لقد كانت متحفظة جداً وباردة جداً، فقد توفيت والدتها وهي لا
تزال بعد طفلاً رضيعاً، وكان والدها بارد العواطف تجاهها. وقد أرسلها إلى
مدرسة داخلية⁽¹⁾ عندما كانت في التاسعة من العمر، وتركها هناك إلى أن
تزوجت من والدي. لقد التقت به وهي تقدم ملاحظتها في المحكمة، وأعتقد أن
جدي كان قد رتب لهذا الزواج لكي يخرجها من المنزل. وبعد أن ذهبت، عاد
فستزوج من جديد، من امرأة كان على علاقة معها منذ سنوات، حتى قبل وفاة
زوجته. لقد كان لوالدي البريطاني من العائلة يحفل بالهياكل العظمية والأسرار
والناس الذين ما كان يُسمح لنا بأن نذكرهم أو نتحدث عنهم. كل ما كان لنا أن
نفعله هو أن نلبس على نحو لائق، وأن نكون مهذبين، وأن نذهي أن كل شيء
على ما يرام، لم تكن لدي أية فكرة عن حقيقة شعور والدي تجاه أي شيء.
ولقد كان والدي منغمساً في الحياة السياسية، وما كان لنا وجود يُذكر في
حياته. لقد ماتت أمي وأنا في سن المراهقة، وما كان لدي أبي وقت ليحدث
إلي أو ليكون معي، رغم أنني أعتقد أنه كان رجلاً ظريفاً رائعاً. لقد كان
زوجهما يشبه إلى حد كبير زواجي من غوردون، وهذا ما جعلني لا أستغرب
أن أعيش حياةً مع زوج وضع حاجزاً بيني وبينه. لم أفكر كثيراً في هذا
الموضوع، ولكن كان هذا هو نموذج الزواج الوحيد الذي أعرفه.

- الأمر سيان بالنسبة لي أيضاً. قال لها معتزلاً عن فلسفته. لم يكن من
شيء يخفيه عن إيزابيل. أعتقد أنه لو كانت سيندي أكثر محبة وعطفة من
والدي، لما كنت سأعرف كيف أتعامل مع الأمر في تلك الأيام. لقد كنت في
الثانية والعشرين من العمر عندما تزوجنا، وأعتقد أن جزءاً مني كان مجدداً
لسنوات. عندما بدأ يتحدث إلي إيزابيل قبل أربعة سنين، عندها فقط اتضح
الأمر لسه وتخبرت وجهات نظره كثيراً. لقد كان منجذباً إلى نفسه إيزابيل

(1) مدرسة داخلية: (boarding school): مدرسة يتم فيها، ليس فقط تدريس الطلاب، بل
ليشاً تنظيم السكن والمنامة والمالك لهم.

الخيارات. ولكن أنا وأنت لدينا الكثير لنخسره. فهنتي مستمدع إذا ما انفصلنا عن سيدي الآن. وأنت لديك طفل مريض للغاية. أنا أفهم السبب الذي يجعلنا نساك كلانا على هذا النحو. يمكنني أن أفسر ذلك. ولكن على الرغم من ذلك أفكر أحياناً بأننا كلانا لحق. لو كانت لدينا الشجاعة حقاً، وأما بمُتَّكِنَا لِعَمَلِنَا المستحيل. ولكن لا أعتقد أن أياً منا سوف يفعل ذلك. ما كان حديثه إدانة لها لو لنفسه، بل كان مجرد تعبير عن الحقيقة كما كان يراها.

قالت بحزن: "أعتقد أنك على صواب".

- "أمل ألا نأسف على ذلك يوماً ما. فالحياة قصيرة. لقد مات والداي وهما في الستينات من العمر، ولا أعتقد أنهما قد استمتعا بحياتهما. لقد فعلا ما كنا بشعران أنه يجب عليهما فعله. أما أنا فلا أكتفي بذلك. ولكني لم أعرف كيف أحصل على ذلك".

قالت إيزابيل بصدق: "أنا لا أدع نفسي أفكر بالأمر. لقد قمت بالاختيار منذ عشرين سنة وحافظت على هذا الاختيار".

- "هذا نبل منك". قال لها ذلك وهو يضع يدها في يده وهما يركبان السيارة، "ولكنهم لا يقتمون لنا مكلفات لقاء ذلك. وفي النهاية، ليس هناك من يهتم أو يلاحظ ذلك. ولن يعلق أحد أي وسام أو ميدالية على صدورنا لأننا كنا شجعاناً".

- "ماذا تقصد بقولك؟".

- "لست متأكدًا. ولكني أضحج أحياناً من كل الأسباب التي أكتفها لنفسي تبريراً لطريقة الحياة التي أعيشها. بل أنني لست متأكدًا من أنني لا تزال أومن بهذا الهراء شخصياً بعد. وحتى أصديك القول، يا إيزابيل، فالواقع أنني عندما أراك أو أتحدث إليك، تسألني ماذا فعل بحق الجحيم".

- "تقصد ماذا يفعل كل منا للآخر؟" وبدت خائفة وهي تتسائل إذا ما كان يخبرها بأنه سوف لن يراها بعد. ونظرت إليه بعينين متسعيتين.

- "لا، بل أقصد ما يفعله كل منا مع الآخرين. فأنا وأنت الوحيدين

ونورها كمثل الفراشة إلى اللهب، وبشكل أو آخر، لبقته على قيد الحياة منقطعاً. ولكن التضاد بينها وبين زوجته جعله يشعر بالبعد أكثر عن سيدي بعد كل تلك السنين. لقد صار يرى كم كانا متباعدين ومنذ زمن طويل.

- "تسألني كم كان الأمر ليختلف لو أننا كنا نعرف، عندما تزوجنا، كل ما تعرفه الآن".

- "ما كنت لأتزوج سيدي لو أنني التقيت بها اليوم". قال بيل دون تردد: "فأنا لا أستطيع التواصل معها، ولم أستطع يوماً. إنها تكره الحديث عن المشاعر، ولا تحتاج إلى الحوار الحقيقي، بل بالحري إنها تمقتة. كل ما يهمها هو زواج يبدو جيداً، وأما ما وراء ذلك فلا يهمها على الإطلاق. أكره أن أجلسها تبدو سطحية هكذا، بينما لديها بعض الميزات الرائعة، ولكني تزوجت من امرأة ظلت غريبة بالنسبة لي طوال الثلاثين سنة التي عشنا فيها معاً. فسألته: "أفلا تزال تنوي الاستمرار على هذا المنوال ثلاثين سنة أخرى؟".

- "يبدو الأمر هكذا، أليس كذلك؟" أجابها بصراحة، ولكنه مؤخراً راح يتسائل بنفسه عن سبب ذلك. ولكن الطلاق سيشكل أمامه عقبة خطيرة. فإن يحافظ على صفحته بيضاء، خلوة من المشاكل، كان أمراً أسلياً في نظره. إذ ما من رئيس أو مرشح للرئاسة سوف يقبل بالتعاون معه إذا ما جعلت سيدي الأمور شاقة عليه، وكان قد مضى وقت طويل منذ شك بأنها قد تفعل ذلك. ما كانت لتريد أن تخسر الأمور طالما هي لصالحها. فأخر ما تريده سيدي هو الطلاق. لقد كانت مرتاحة إلى الوضع الراهن.

"لست مستعدة للقيام بنفس الشيء؟ أي أن تحافظي على زواج خالٍ من الحسب بقية حياتك؟" سألتها بيل وهو يعرف جوابها. فقد كانا قد ناقشا هذا الموضوع من قبل.

- "ليس لدي خيارات".

- "كلنا لدينا خيارات، إذا كنا من الشجاعة بمكان بحيث نأخذ هذه

هلوال السنين التي كنا يتحدثان فيها معاً كان دائماً يقول لها بأنه لن يفهم
عزى زواجه بها وهي نفسها لن تفعل ذلك.

"ما أقول، أو على الأقل ما أفكر به، هو أنني أتمنى لو كنت لسي
للشجاعة كسي أهجرتها". قال ذلك وعزم أن يخطو خطوة كبيرة. وحتى لو
عضبت منه وسارت مبتعدة عنه، فقد شعر أنه كان يجب أن يقول لها ذلك،
لأن هذا هو ما كان يشعر به. وما كان يستطيع تجاهل الأمر. فقال: "أتمنى من
أجلك أن تكون عندك الشجاعة لتركيبه. إنه ليقتني أن أصغي إليك عندما
تتصل بك، فأنت مثل سجين في ذلك المنزل، تعانين الحرمان والإهمال
والهانة، وذلك لسنين كثيرة. فعندما أود لو أتني إليك فأخاطبك أنت وتبدي أو
لن أفعل أي شيء ليخلصك منه ومن ذلك المنزل. إن غوردون لا يستحقك يا
إيزابيل تماماً كما أن سيدي لا تستحقني. وما كنا أبداً يستحقنا. كلاهما كان
مجنوناً في حقنا ولسنين. أتمنى لو أن الحياة كانت أبسط مما هي عليه. ولكنها
ليست كذلك. إنها معقدة بالنسبة لكايينا. أيتها لم تكن كذلك، لبيتنا نبداً حياتنا من
جديد".

- "هذا ما أعتاده أنا أيضاً". قالت في هدوء: "ولكن ليس في وسعنا ذلك.
وأنت تعلم ذلك مثلي تماماً". لقد رافت لإيزابيل فكرة تخلصه من علاقته
الزوجية. ولكن في الحقيقة كانت تعرف أن هذا الأمر سيكون مدمراً له. وهو
أيضاً كان يعرف ذلك. "لقد أحدثت لك سيدي فضيحة فسوف تنهار كل حالتيك
السياسية فوق رأسك. لقد أمضيت ثلاثين سنة تبني ذلك. فهل أنت راغبة في
أن تتخلي عن كل ذلك؟ ومن أجل الحرية؟ هل أنت متأكد إلى هذا الحد؟ ومن
أجل المسئلت التي تزامن بها؟ وماذا ستفعل بعد؟ وماذا عني؟ لقد أخبرني
غوردون منذ زمن بعيد بأنني إذا ما تركته فهو يرى أنني سأموت جوعاً في
الشوارع بنتيجة ذلك. فإنا لم أرث شيئاً. لقد ذهب الإرث كله إلى أخي. وعندما
مست في حادثة ورثه أولاده من بعده. أنا معتمدة على غوردون كلياً. ولا
أستطيع أن أحمل تبعات تركي له. وإن أستطيع أن أصرف على ابني. وإن

العاقلة، فلم أكن بقادر على الحديث إلى أحد كما تحدث إليك. أليست تلك هي
الطريقة التي يفترض أن تستخدمها مع الجميع؟".

لأولت برأسها وهي تفكر بكل ما قاله. "هكذا الأمر الآن، ولكني ما كنت
بقادرة على فهم ذلك وأنا في الحادية والعشرين من العمر عندما تزوجت. جل
ما كنت أعرفه آنذاك هو أن أفعل ما كانوا يطلبونه مني. فقد كان لغوردون
نفس سلوك والدي. فقد كان يحدد لي متى أنهض، ومتى أوي إلى السرير، وما
أقول، وما أفعل، وبماذا أفكر. أعتقد أنني كنت أجد الأمر مريحاً آنذاك. فأنا لم
أدرك أنه كان لي خيار، وأن هناك طرفاً أخرى للحياة".
- "والآن؟".

"لا زلت لا أملك خيارات يا بيل. وأنت تعلم ذلك. ما الخيارات التي
أملكها؟".

- كل ما تريد. هنا بيت القصيد. كلانا نتحدث عن الثمن الباهظ الذي
يجب أن ندفعه لتغيير حياتنا. فماذا عن الثمن الباهظ الذي ندفعه إن بقينا في
ظروف حياتنا على حالها؟ هل فكرت أبداً في ذلك؟".

- "أحاول ألا أفعل ذلك". قالت بصراحة. "فأنا هناك من أجل تبدي، ومن
أجل صوفي، سواء أدركا ذلك أم لا".

- "هل أنت على يقين بأن هذا هو سبب وجودك هناك؟ هل أنت متأكد
من ذلك؟" سألتها وهو ينظر إليها بلهجان. لم يكن جندياً هكذا في حديثه معها من
قبل، وكانت إيزابيل مستغربة. وتساملت عما تغير. لقد بدا وكأنه لم يعد راضياً
عن حياته، أو عن حياتها. وسأل من جديد: "هل أنت واثقة أن سبب وجودك
هناك هو أنك تخافين للقيام بأي أمر آخر؟ لأنني أنا أخشى ذلك. إذ أنني أخاف
أن أرمي كسل لورالسي عبثاً وأن أخرج من حياتي التي أعيشها متحملاً
مضاعفات ذلك. فلا بد لأحد أن يفكر بأنني إنسان وأنا إنسان أقل من كامل، أو
حتى إن لدي حاجات حقيقية. تخيلي ذلك".

- "هل تقول لي بأنك تتوي هجرها؟" قالت إيزابيل منذلة مصعوفة.

الحال الآن.

قال بيل ببساطة: "ليس في مقدورك القيام بذلك، وأنا لا أومك أو لو تخك. أعتقد أن الطمع أصابني بعد أن قضيت بعض الوقت معك. إنني أرى الآن أية حياة كان يمكن أن تكون لنا، وهي ليست متوفرة لأي منا".

ربما الأمر كذلك بالنسبة لنا لأن كل ما بيننا هو اتصالات هاتفية وبضع ساعات نمضيها معاً كل عدة أشهر. وربما لو كنا قد تزوجنا معاً لاختلف الحال عما نتصوره.

"هل تعتقدون أنك فعلاً؟" سألتها ذلك وهو ينظر إلى عينيها مباشرة. ترددت طويلاً ثم هزت رأسها بصمت، وقالت: "لا، لا أعتقد. ولكن إنني لنا أن نعرف، فليس لنا حتى أن نفكر في ذلك". قالت ذلك وهي تطرد فكرة خطورت في ذهنها.

"هل الحلم بذلك هو ترف آخر لا نستطيع أن نعيشه مثل الحب؟" سألتها ذلك وهو يبتسم حزناً.

"أعتقد ذلك. قيذا ما طلبنا أكثر مما لدينا الآن أو حاولنا أن نحصل عليه فإنتنا إما سنؤدي بعضنا وحسب في نهاية الأمر. أعتقد أن علينا فقط أن نكون ممتنين لما لدينا وألا نطلب المزيد. أنت الصديق الصنوق العزيز الذي لي في العالم، ولحكيت لأجل ذلك. أنت تعرف ذلك يا بيل. فدعنا لا نفقد الأمر بالرغبة في المزيد". لقد كانت تشعر نحوه بنفس الانجذاب الذي كان يشعر به منذ الليلة الفاتنة. لقد كان رائعاً أن يكون معاً، وأن يسيرا، ويتحدثا، ويضحكا، ويرقصا، ويتشاركا في أكل الوافل والكرواسانت. ولكن ماذا بعد؟ ماذا سحدث عندما يعودون إلى وطنهما؟ سوف لن تسمح لبيل بأن يتحاقق، حتى لو أراد ذلك، فلقد كانت تعلم أن هناك حدوداً بينهما لا يمكن تجاوزها. لقد كانت ترغب مثله بأمور أخرى ولكنها كانت تترك أن هذا لن يكون لهما وتقبل بذلك. ولكن بيل بدا عنيداً وهو ينظر إليها قبل أن يفتح السائق باب السيارة.

فقال ببلاهة: "أنا أطمح المزيد". فاطلقت ضحكة رنانة.

لستطيع أن أضمن له العناية الطبية التي يحتاج إليها. فهذه تكلف ثروة، ورغم أن غوردون لا يحفل بي أو بتيدي إلا أنا يؤمن له كل احتياجاته بكل سهولة ودون أن ترمش له عين. فماذا تقترح يا بيل؟ أن أعرض تيدي للمفتر المتكسب، بدافع نزوة، أم أن أتخلى عنه وأتركه ورثتي؟ لا. هذا مستحيل وأنت تعلم ذلك تمام العلم. علاوة على ذلك، فإن تيدي سوف لن ينجو بعد الانقلاب والستور والتغيير الذي سيحصل له. إنها ليست بفكرة سيئة أن أتخلى عن غوردون إذ يبدو أنه لا يحبني. ولكن الحب هو رفاهية وشيء ثانوي في حياتي". لقد كان هذا أمراً يصعب قوله أو التعايش معه ولكنه حقيقي في حياة إيزابيل. لقد كانت تتكلم على غوردون لتأمين أفضل ما ترغب به من أجل لبسها. ولقد حطم قلب بيل أن يرى مدى استعدادهما للعيش هكذا، رغم أنه هو يعيش نفس الحالة فعلياً. لقد كان كلامها قائماً بما لديهما، ويدفعان بالتالي ثمناً باهظاً من ذاتهما.

"أعتقد أنه علينا أن نبتل قصارى جهننا في ذلك". قال بيل بهدوء وهما يسترجلان من السيارة أمام المطعم الذي اختاره ليتناولوا فيه طعام الغداء. لقد كان المطعم إيطالياً، وشعبياً بشكل هائل، وفي غاية الترتيب والأناقة.

"ربما تكونين على حق. ربما ليس لدينا خيارات، رغم أنني أكره أن أفكر بهذا". ولكن في حالتهما، ما لم يكن له أن يرى أي مقلد غير أنه كان يصعب عليه أن يصدق أن المحاكم الفرنسية سوف تسمح لغوردون بأن يترك زوجته وابنتهما المريض يتضوران جوعاً. ولكن ربما كانت هي على حق، ولربما سيتضوران جوعاً بالفعل.

قالت إيزابيل والحزن على محياها: "إذا ما هجرته سيكون هذا العمل الأكثر أناسية الذي قد أقوم به على الإطلاق. فلن يعطيني غوردون أي فلس أكثر مما يتوجب عليه، وسوف لن أستطيع أن أضع تيدي في نفس الحالة من الارتياح التي يعيش فيها. قد أقوم بذلك من أجل نفسي ولكن لني أن أرضى بذلك من أجل الطفل؟ إن التوازن سوف لن يكون كافياً ومضموناً كما هو عليه

- ليس لنا ذلك. وأنت طفل مثل!

- لنسعر أني على قيد الحياة لأول مرة منذ سنين". وبدأ فعلاً على هذا السحور. وهي أيضاً كذلك. لقد شعرت وكأنها قد عانت عشر سنين إلى الوراء منذ ليلة أمس.

- اعتقد أن التفلق على الإفطار قد أخذ مأربه منك فسعد إلى رأسك". لقد فكرت أن الطريقة الوحيدة لتعالج الأمر هي ألا تأخذه على حمل اليد، ولكنها فوجئت بكل ما قاله. "ربما نستطيع أن نتفق على اللقاء هنا مرة كل سنة لبضعة أيام مثل هذه. وربما يكون هذا كافياً". لقد كان هذا كل ما استطاعت أن تفكر به كبديل عن الحياة معه.

قال لها بإصرار وعناد: "أنت تعلمين مثلي أن هذا غير كافٍ".

- ماذا تقترح إذاً؟ أن نهرب معاً إلى البرازيل؟ كن جدياً يا بيل. فكر بما تقول. لا تكن مجنوناً. ولا تتوقعن مني أن أكون أنا أيضاً مجنوناً. لا أستطيع ذلك". لقد كان يعرف جيداً أنها ما كانت لتتخلى عن ابنها أبداً، وكانت هذه نقطة أساسية بالنسبة لها. ولكنه ما كان متأكداً من أنها قد تتخلى عن غوردون بأي شكل من الأشكال. لقد كانت أكثر رزانة من أن تقوم بعمل شائن كهذا. وحتى لو كان بغضاً جاداً بالنسبة لها، فإنها ستبقى مخلصاً له للغاية.

- لا تستطيعين أن تقبلي سوء معاملته لك.

- لا، لا أستطيع. ومعاملته لي ليست سيئة. كل ما هنالك هو أنه جعل حاجزاً بيني وبينه.

- لقد أمهك عاطفياً منذ سنوات عديدة. فإذا بقي إذاً سوى أنه يدفع فواتير تيدي؟

- هذا يكفي. فهذا كل ما أحتاج إليه.

- هذا غير معقول. أنت في الحادية والأربعين من العمر، وفي حاجة إلى أكثر من ذلك.

- ما عدتُ أفكر أبداً بهذا الأمر". قالت له ذلك بحزم محاولة أن تقاوم كل الرغبات والمشاعر التي أصحت بها نحوه.

- إذاً يجب أن تقبلي.

- أعتقد أنك تحتاج إلى كأس من المشروب المفضل، وأن تأخذ قبولتة، وربما مسكناً للألم". لم تكن قد رآته أو سمعته يتحدث هكذا من قبل. لقد أثر بها، ولكن لم تكن لتستطيع أن تفعل أي شيء حيال ذلك. وكانت تعرف ذلك. فسبعد يوم آخر أو اثنين على الأكثر سوف تعود لأراجها إلى منزلها. جئ ما لمكنها أن تفعله هو أن تستمتع بالوقت الذي في متناولهما وألا يفسدها بطلب المزيد. ولكن فجأة بدأ رافضاً لهذا، وكأنه يسعى لإفساد الأمر برغبته في المزيد. فقالت له: كن عاقلاً الآن".

- لماذا؟ سألها وهما يخرجان من السيارة.

- أنت تعرف لماذا، فسواء شئنا أم أبينا، ليس لنا خيار آخر. إنك تعذب نفسك وحسب، أو تعذبني على الأكل. لك الحق في أن تحرر نفسك من زوجتك، ولربما ينبغي عليك ذلك. أما أنا فلا، فحائتي أكثر تعقيداً من ذلك. إذ أن حياة تيدي تعتمد على ما يقدمه غوردون له. وما كانت لتستطيع الاعتماد على شخص آخر حتى ولو كان بيل. فغوردون كان والد الطفل وكان يدين له بذلك على الأكل.

- لا بد أن يكون متوحشاً إذا ما توقف عن تقديم العون لكما". لم تعلق على ما قاله لوهلة، ثم نظرت مباشرة في عيني بيل، وقالت له بوضوح وحزم يفهم معناها: "سوف لن أضعه على المحك. لا أفكر على ذلك".

قال بهدوء: "لقد فهمت". وتبعها دخليلاً إلى المطعم. ولفظ عن الحديث إلى أن جلسا. فقال: "أسف لإثارة هذا الموضوع. لم أقصد أن أزعجك. كل ما هنالك أن الأمر كله لا يعقل. فكلانا نعيش مع أناس يجعلوننا نساء. وعندما نكون معاً نشعر أننا على ما يرام وأن هذا هو الوضع السليم لنا". لقد كان بجازف وهو يقول ذلك.

العنان لمشاعرها ونزواتها. أما إيزابيل فقد كانت على استعداد لأن تكون المتعقلة.

قال بيل في هدوء: "ربما أرمي بكل هذا في مهب الريح يوماً ما".

- "عليك أن تمنع التفكير في الموضوع". قالت في رزاقته وأوماً برأسه مؤيداً أفكارها، ووضع يده في يدها، لقد كانت لديها أصابع طويلة رقيقة نحيفة ويدان رشيقتان جميلتان.

- "أنت امرأة متميزة مرموقة وأكثر تعقلاً مني". قال لها بهدوء وعيناه تعكسان مشاعره العميقة نحوها.

- "هذا أمر جيد ربما". ورفعت يده إلى شفتيها وقبّلتها. "أنت أعز صديقة لي". وتوقف عن الحديث، وأومأت هي برأسها. لقد كان لديه الكثير ليقوله لها، ولكنّه كان يعرف من خلال كل ما قالته له ذلك الصباح أنه لم يكن الوقت المناسب لذلك...

- "ماذا تحبّين للغداء؟" قال ذلك في محاولة منه لتهدئة العواطف والمشاعر التي تملكته وكادت تستولي عليه. ما كان لي تصور كيف سيكون عليه الأمر بعد أن تغادره إلى باريس من جديد. ولكن ليس هناك مجال للتفكير في ذلك الآن.

لقد حزمنا الرأي على تناول الباستا⁽¹⁾ والسلطة، وشرعاً يتحدثان في مواضيع آمنة كالكتب والفن. وقد فكرت أنه سيؤلف كتاباً عن معتك الحياة السياسية. لقد قالت له أشياء كثيرة من قبل. ولكن ما سيجعل الكتاب متعاً هو الأسرار التي ما كان يستطيع أن يفشيها.

- "ربما عندما أتناقذ". قال لها وهما يتأخران على اللوسير.

في ذلك الوقت كان كلاهما قد هدأ. لم يعرف سبب خروج الأمور عن السيطرة ذلك الصباح، اللهم ما عدا سعائته البالغة في وجوده معها، وصعوبة

(1) الباستا (Pasta): نوع من المعكرونة.

- "ربما نشعر أن هذا هو الأصح لأننا في الواقع لسنا معاً. ولو كنا معاً، لربما جعل كل منا الآخر أكثر تعلقاً مما هما بفعلان. لا نعلم". كل الأثياء التي ما كانا قد تحدثنا عنها مسبقاً صارت الآن وبشكل مفاجئ على بساط الصراحة، وكان هذا مريحاً بشكل أو بآخر. لقد كانا يختبئان خلف صدقتهما، وفجأة أظهر ويوضح أنه يريد أكثر من ذلك، ولكنها أوضحت له بالمقابل أن هذا من المستحيل بالنسبة لها مهما كان شعورها نحوه. فتمتة أمور أكثر من ذلك على المحك. وما كانت لتتخلى عن حياة تيدي أو صحته سعياً وراء حلم رومانسي. لقد كانت أكثر وعياً من ذلك بكثير، فهمها بلغت درجة اهتمامها ببيل وإعجابها به، إلا أن ابنها له الأولوية. ولقد احترما بيل لأجل ذلك، كما كان دائماً، وكما سيبقى أبداً.

- "لوفتك على ما تقولينه يا إيزابيل". قال لها ويوضح وهما يجلسان إلى طاولة تحت مظلة تحميها من شمس حزيران. "سوف أن أعرض للخطر صحة تيدي. ولكنني أريدك أن تعلمي إلى أي مدى يهمني أمرك. ولمسوف أن أجعلك تجازفين بنفسك أو بابنك. في الواقع أود لو أساعدك بخصوصه ما لمكنتني ذلك. ولكن لا أخفي عنك حقيقة مشاعري نحوك. وأريدك أن تعلمي ذلك".

قالت له برقة ولطف: "أعلم ذلك يا بيل. فأنت طيب معي منذ وقت طويل". ففي السنوات الأربع الأخيرة لقد كان كل ما لديها، إضافة إلى أولادها. - لم أكن جيداً معك بما فيه الكفاية. ليس إلى الحد الذي أتمنى. لقد تعبت من النفاق والإدعاء في حياتنا. أنت تدعون أنك زوجة له. وأنا لأدعي بأنني غير ملائم عندما أذهب مع سيندي إلى حفلات وسهرات لباس نصف رسمي للرجال. لا أعتقد أن في مقدوري أن أستمّر بالتظاهر أكثر. وأست واثقاً من أنني أربح بذلك. فإني لا أعتقد أن المكافأة تستحق للشئ".

- "ربما ستضطر لدفع ثمن أطى بكثير إذا ما تابعت اللعب على هذا النحو". قالت متسائلة، وأدرك هو الفكرة، ولكنه أراد أن يحثها على إطلاق

كفافتها بما لديها كانت تشعر بنفس الاجذاب الذي يشعر به نحوها. فعندما كنا معاً، أو حتى يتحدثان على الهاتف، كان كل شيء يسير على ما يرام بينهما. ولكنها كانت السثمرة المحرمة. ومجرد وجودها معه كان هبة عظيمة من السماء.

- "أين تريدان أن نتناول طعام العشاء الليلة؟" سألتها بينما كانت تجول بطرفها وتضحك من كلامه.

- "أليس لك أن تفكر حتى بالأكل من جديد بعد كل هذا الذي تناولناه؟ سوف لن أستطيع أن أكل قبل أسبوع". ولكن كان معلوماً لتكليهما أن تلك الليلة كانت الأخيرة لهما. فقد كانت توي الرحيل في اليوم التالي، وفي وقت متأخر من بعد الظهر. ما كانت تفكر حقاً بالمكوث ليلة أخرى، رغم أنها كانت ترغب بذلك، وهو لم يزد أن يضغط عليها كثيراً هذه المرة، فربما ترحب أكثر بالقيام بذلك مرة أخرى. لقد كان هذا اللقاء مناسباً تماماً لتكليهما.

- "ما رأيك بنادي مارك؟" سألتها وهو يتجاهل احتجاجاتها عن تناول طعام العشاء بعد. "يمكننا أن نذهب في وقت متأخر إذا أحببت".
- "سيكون هذا مدعاة لسروري. فلنا لم أذهب إلى هناك منذ سنوات في الواقع". وضحكت ثم قالت "بل إنني لم أذهب إلى أي مكان".

- "سأحجز طاولة على الساعة التاسعة". وغادر الطاولة لبرهة فبسر الردهة وتحدث إلى البواب وهي تتابعه بنظرها. لقد كان يتمتع برشاقة رجولية تكاد لا تقارم وهو يمشي الهوينى متنداً ويعبر الردهة ويتحدث إلى الموظف عند مكتب البواب. واستمرت تتابعه بنظرها وهو يعود أذراجه إليها. فسألتها: "لماذا كنت تتظنون إلي؟" وبدأ مرتبكاً قليلاً. لقد كانت في غاية الجمال وهذا ما جعل قلبه يسرع في نبضه أحياناً عندما كان ينظر إليها. لقد كان يريد أن يسعدنا كثيراً، وأن يذهب معها إلى أماكن كثيرة، وأن يمضي الوقت معها، وأن يعرف أصدقائه عليها، وأن يأخذها إلى واشنطن ويتجول معها. ولكنه كان يعلم أنه لا أحد منهما كان ليتمنكه ذلك. لقد كان هذا أبعد بكثير مما يمكنها أن

يقول فكرة أن هذا قد لا يتاح لهما ثانية. لقد كان يعلم أنه طالما تدي على قيد الحياة فإنها سوف لن تفكر أبداً في أن تترك غوردون، ولقد كان يأمل، ومن أجلها، أن يعيش ابنها عسراً مديداً.

بعد أن تتاورا قليلاً بجنينة، ذهبا إلى المتحف البريطاني بعد ظهر ذلك اليوم، ولم يخرجوا ثانية حتى الساعة الرابعة. وذهبا للتنزه سيراً على الأقدام في شارع نيو بوند ورلحا بتفرجان على واجهات المحلات وشاهدان اللوحات الفنية والمجوهرات، ويميران متمهين ذراعاً بذراع. لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في مدى ارتياحه لأنه معها. كانت الساعة قد قاربت السادسة عندما عادا إلى فندق كلاريدج وقررا احتساء الشاي. فتناولوا سندويش خيبر وسندويشات أخرى من البننورة والبقلة وسلطة البيض وبعض البسكويت وهذا ما ذكرها بجدتها عندما كانت طفلة. لقد كانت دائماً تحب شاي العسرونية⁽¹⁾. لقد كانت ترى فيه شيئاً حضارياً، وراح يمازحها بخصوص ذلك. قال بيل أنه يفضل أكثر أن يأكل حلوى الأصابع⁽²⁾ والبيتيفور⁽³⁾ في كافيتريا أنجيلينا في باريس أو أن يتناول المتلجات في بيرثولون. وقالت أنها تحب ذلك أيضاً.

- "متى سنأتي إلى باريس مجدداً؟" سألته بشكل عرضي بعد أن كاد السندويش وصبت له كأساً أخرى من الشاي.

- "ما رأيك بالأسبوع القادم؟ سيكون من الصعب علي العودة إلى حياتي العادية بعد هذا الأسبوع".

واعترفت قائلة: "وأنا أيضاً". فرغم كل ما قالته له وبسببها عن

(1) شاي العسرونية: (high tea): وجبة تقدم في بريطانيا عند العصر وتتألف من طبق الطعام الساخن عادة مع خبز وزبدة وكوك وشاي.

(2) حلوى الأصابع: (eclairs): نوع من اللطائف أو الحلوى على شكل أصابع رفيعة وعليها عادة قشدة أو شوكولا متجمدة.

(3) البيتيفور: (petits-fours): (كلمة فرنسية الأصل): كيك محلى بحجم اللقمة تقدم عادة في نهاية الوليمة مع القهوة أو الشاي.

تصل إليه.

- لقد كنت أعجب بك". قالت له معترفة: "أنت وسيم جميل المحيا يا سيد رومسون". لقد كانت تشعر على هذا النحو تجاه غوردون منذ زمن بعيد، بعيد جداً. ولكنها ما عادت تشعر بذلك. وصارت تعرفه أكثر بكثير الآن وتعرف البرودة الجلدية التي تملأ قلبه.

قال بيل: "إنك إما مخبولة أو عياء"، ثم ضحك وهو يبدو مرتبكاً قليلاً، ثم نهضاً واقفين وصعدا السلم. كانت الساعة السابعة والنصف آنذاك، وقال إنه سيأخذ تدلياً في غرفته بينما ترتدي هي ثيابها وتتصل بالمنزل. "سألتك الساعة التاسعة إلا ربعاً. هل يكفيك هذا الوقت؟".

- تماماً. كان كل ما تريد أن تقوم به هو أن تعلمن من جديد على تيدي، وأن تأخذ حماماً، وتسرح شعرها، وترتدي ثيابها، وما كان هذا ليستغرق وقتاً طويلاً.

- "أراك بعد قليل إن شاء الله". قال لها وهو يضع ذراعه حولها ويقبل وجنتها. وإذا فعل ذلك فانتابته رغبة أن يسألها فيما إذا كانت تريد المكوث ليلة أخرى إذا ما كان تيدي على خير ما يرام. ولكنه فكر أن من الأفضل الانتظار وأن يرى ما تقوله بعد أن تتصل بالمنزل وتحدث إلى الممرضات والطفل.

وإذا قامت بذلك شعرت بالارتياح والسرور لما سمعته. فقد أمضى تيدي يوماً سعيداً آخر، وكان يضحك وهو يتحدث إليها. لقد كان يقرأ مع الممرضة كتاباً يحوي طرائف كانت قد اشترته له قبل أن تغادر. فتلا عليها طرفتين، وضحكت معه، وكانت تبسم وهي تأخذ حماماً. لقد وعدته أن تكون في المنزل في الليلة التالية. وحجزت في رحلة طيران الساعة السادسة. وستكون الساعة التاسعة بتوقيت باريس عندما تصل إلى المنزل. لقد فكرت في البقاء ليلة أخرى، ولكنها شعرت أن هذا ليس فيه إنصاف له.

ارتسنت فستان سهرة كوكيتيل أبيض حريرياً بسيطاً تلك الليلة، مع دثار أبيض من كشير، ووضعت اللاقي من جديد، وتعلقت حذاءً حريرياً أبيض

على طراز الشانيل⁽¹⁾ ذي مقمّ أسود. وحملت حقيبة سهرة بيضاء اللون ليس فيها سوى أحمر شفاة ومفتاح غرفتها. لم تكن في حاجة إلى أي شيء آخر. وقررت هذه المرة أن تطلق شعرها على رسله. وبدأ بيل مفتوناً بها أكثر من الليلة السابقة وهي تفتح الباب. لقد كان من الواضح أنه كان مأخوذاً بها، وهذا كان يسعدنا للغاية.

لقد كانت تتمتع بركة بالغة، ولطف، وأثونة كبيرة. لقد كانت تجسد كل ما كان يريده في المرأة، وشعر بيل بالأسف الشديد لأنه لم يلتق بها قبل سنين.

- كيف كان تيدي عندما اتصلت به؟ سألها وهما ينزلان السلم سراً على الأقدام. فما كان أي منهما يطبق صبراً على انتظار المصعد، ففضلاً أن ينزلا سراً.

- لقد كان على أحسن حال. لقد قرأ لي نصف دزينة من الطرائف، وقالت لي الممرضة أنها لم تره في حال جيدة كهذه من قبل. ولا أدري إن كان ذلك يعود إلى الأدوية التي يأخذها، أو إلى الطقس، أو إلى حسن الحظ. ولكن مهما يكن من أمر فإني أرجو أن يبقى على حاله. لقد أخبرته أنني سأكون عنده ليلة غد.

- "أوه". قال بيل، ولاحظت النظرة المتبدية في عينيه وقد استدار نحوها عند آخر درجة من درجات السلم. وتابع يقول: "كنت أود لو أمكنك البقاء ليلة أخرى. يتوجب علي رؤية السفير غداً، ولا أعتقد أنني سأكون معك حتى الظهيرة. وهكذا لن يكون لدينا وقت طويل قبل رحلة طيرانك".

قالت له وهي تتأبط ذراعه: "أعلم. ولقد فكرت بذلك، ولكن لم أجروا على أن أقول له أنني أود البقاء هنا ليلة أخرى. أعتقد أنني سأصل به غداً". قال لها بلهجة تتم عن الصدق: "ليتك تعطين ذلك. فهلا تسأينه إذا كان

(1) شانيل (Chanel): نسبة إلى Coco Chanel، وهي مصممة أزياء فرنسية (1883-1971)، وقد صار اسمها مميّزاً لنمط معين من الأزياء النسائية الأنيقة. (المترجم)

لديه مانع في ذلك؟ ما كان يريد أن يخطفها من ابنها، ولكنه كان يرغب في أن تبقى. وهي أيضاً كانت ترغب في ذلك، وشعرت بأنها متنازعة بين ابنيها وبينه، وكان هذا الشعور غير مألوف بالنسبة لها.

- سوف نصل به صباحاً وأرى لحواله. ولكني لا أستطيع أن أعذك بشيء. فإن أمضى هذه الليلة بشكل سيء، سيتوجب علي الذهاب إلى المنزل". لقد كانت تتمتع بحس مسؤولية فوق كل شيء.

- "فهم ذلك". قال بيل بلهجة امتنان. لقد سره أنها على الأكل على استعداد لتفكر في المسألة. "إذا ما توجب عليك أن تذهبي فربما أسافر معك إلى باريس. فلن يضيرني أن أזור السفير هناك". حتى لو لم يتمكن من المكوث معها طويلاً إلا أنه كان يريد أن يبقى قريباً. ولكن سيصبح الأمر مختلفاً عندما يكون في ديارها. قد يتمكنان من تناول طعام الغداء معاً، ولكن ما كان يفتورها تناول طعام الغداء أو العشاء معه يمثل تلك السهولة هنا. فإن أدرك غوردون أنهما كانا يلتقيان، حتى ولو كانت لقاءتهما بسيطة بريئة، فهذا قد يسبب لها إحراجاً. ولكن بيل كان يعرف ويعي كل ذلك. فقد رآها في باريس قبلاً. "شكر لك استعدادك للاتصال به. وعلى كل حال سأضطر للعودة إلى نيويورك يوم السبت". لقد كان يعلم أن لبيتته ستكونان في المنزل آنذاك.

قالت إيزابيل بحزن: "سوف أتفقدك بعد أن تذهب". لقد مكثا يوماً واحداً فقط معاً، ولكن كان هذا اللقاء مريحاً جداً لكليهما، ولو ليوم وليلة، لدرجة أنه كان يصعب على كليهما أن يتخيلا الآن فراق أحدهما للآخر.

لقد كنت أفكر بنفس الأمر". قال لها وهما في طريقهما إلى نادي مارك. وتابع قوله: "لقد اعتدت عليك حتى غدا من الصعب أن أتخلى عن هذه العادة". أومات برأسها بالإيجاب، وأسكت بيدها برفق. لقد كانا يخترقان حواجز كانا قد احترماها من قبل، وينتقلان إلى مناطق كانت حتى الآن مجهولة بالنسبة لهما. وكان كل منهما يعرف أنهما إذا جازفا كثيراً فإن هذه المجازفة قد تعود عليهما بالخطر الكبير.

احتسباً للشراب فسي جو نادي مارك المريح، والظليل والمبني على الطراز العتيق. لقد كان ذلك الطراز متممداً مقصوداً. راحا يتحدثان وهما جالسان معاً على كرسي من الجلد البالية الأكبر من المعتاد، ثم سارا معاً نحو طاولتهما في حجرة الطعام. كانت إيزابيل تفضل بلر هاري لعدة أسباب، ولكن الجو هنا كان حميماً دافئاً ورومانسياً. أمضيا ساعات يتحدثان، وكانت تتناب إيزابيل رغبة في أن توقف الزمن وأن تعيد عقرب الساعة إلى الوراء. لقد كانت الدقائق تمضي متسارعة جداً، وما كانت تريد لتلك الأمسية أن تنتهي. وكان بيل على نفس الحال.

"ما رأيك بمطعم أنابيل من جديد؟" سألتها وهما يفاندران المكان في نهاية المطاف، والتقت عيونهما وتعلقتا طويلاً. ما كانت تعرف إذا ما كانا سيفترقان في مساء عتيقة إذا ما ذهباً للرقص من جديد، ولكن لم يستطع أي منهما أن يقر. لقد كانت تلك الليلة آخر ليلة لهما على الأرجح، وربما آخر فرصة قد ينسنان بها قبل مضي وقت طويل جداً، قد يكون سنين. لقد كانا يعلمان أن عليهما أن يغتتما هذه اللحظة السانحة الآن.

قالت له بهدوء: "إني لأود الذهاب إلى هناك للغاية". لقد بدت كلمات غير منطوق بها معلقة في الفضاء بينهما وهما جالسان في السيارة وقد أسكت كل منهما بيد الآخر. وكانا صامتين وهما يسيران داخلين إلى نادي أنابيل ويتجهان نحو البار ليجلسا إليه.

طلب بيل المشرب المفضل، وشرب نخبها، وبعد أول رشفة لها من الكأس، وضع كأسه، ومد يده إليها ودعاها للرقص. لقد كانت في غاية السرور وهي تتبعه سيراً نحو ساحة الرقص، تحت أضواء السقف الصغيرة التي كانت تومض كالنجوم. لقد كان ذلك هو المكان الأكثر رومانسية الذي ذهبت إليه على الإطلاق، وهذه المرة، وبذ كانت ترقص معه، شعرا وكأن جسديهما جسداً واحداً. لقد كانا يتحركان بهوادة على أنغام الموسيقى، وكانت الأغاني مألوفاً لهما. لم يقل أي منهما لية كلمة، بل كانا يرقصان متلاصقين، وقد أغلقت

يزايل عينها.

مضى وقت طويل إلى أن غادرا ساحة الرقص، وقد بدأ حزينين. ما كان أي منهما يرغب بأن يفكر بأنهما سيفترقان في اليوم التالي، ولكن لم يكن من مناص من ذلك. لقد كانا يعلمان أن تلك اللحظة آتية لا محالة.

ورقسا ثانية قبل أن يغادرا المكان، وعندما تركا ساحة الرقص كانت الدموع تترقرق في عيني إيزابيل. وإذا سارا في الخارج كان بيل يحيطها بنراعه. لقد كانت ليلة جميلة دافئة لامعة كالنجوم وكان بيل ينظر إلى إيزابيل بالأسامة دافئة، حين لتنع ضوء ساطع أمام وجهيها كأنه انفجار. لم تترك إيزابيل ماحة الأمر في البداية فقد أعاصها لمعان الضوء، و فقط عندما اتضح لها الرؤية أدركت أن ذلك الضوء انبعث من مصور فوتوغراف كان يلتقط صورة لهما، ولكنها لم تعرف سبب ذلك.

- "أهذا الضوء نابع عن فلاش الكاميرا؟" فقد شعرت بالخوف لوهلة وقفزت بين ذراعي بيل. وكان لا يزال يحيطها بنراعه وقد وقفت قربه، فأسك بها بقوة.

"إنهم يفعلون ذلك أحياناً. فمصورو الفضائح⁽¹⁾ هؤلاء يتسكعون في الخارج. فيلتقطون الصور أولاً ثم يحدنون هوية ضحاياهم بعد ذلك. إنهم يصطادون الكثير من نجوم السينما والسياسيين على هذا النحو. وإذا أخذوا صورة لشخص لا يهتم أحد لشأنه فإنهم يرمون بصوره".

"أعتقد أن هذا ما سيكون في أمري. ولكن ماذا عنك؟ هل يمكن أن يسبب لك ذلك مشكلة؟".

"لا ليس كذلك بالفعل. لا أعتقد أن مجالات القيل والقال تعرف من أكون. أعتقد أن تلك الصورة ذهبت سدى".

(1) مصورو الفضائح: (paparazzo): مصور يعمل لحسابه الخاص يقوم بملاحقة مشاهير المجتمع ليحصل على قصة جيدة (سبق صحفي) وخاصة بما يتعلق بالفضائح أو الأخبار المثيرة أو الصادمة للمجتمع.

ثم أدرك ما كان ذلك في بادئ الأمر. فكل ما رأيت هو لمعان ضوء". لقد كانوا يستخمون ضوء الفلاش، وكانوا يضعون الكاميرا على بعد بضعة سنتيمترات فقط من وجهها.

علق بيل قائلًا: "يا لبؤس حياتهم على هذا الشكل". وكان يفكر في الصورة التي التقطت لهما ويتساءل إذا ما كان أحدهم سيتعرف عليه. ولكنه لم يقل شيئاً عن ذلك لإيزابيل. فما كان بيدهم حيلة الآن. الشخص الوحيد الذي قد يهسه الأمر هو زوجته. ولما إيزابيل فاتها مجهولة تماماً للجمهور. ولا يعتقد أن غوردون فوريستر قد يرى هذه الصورة أبداً. وإذا دخلا إلى السيارة طرد بيل هذه الأفكار من ذهنه.

جلست إيزابيل على مقربة منه في السيارة، وإذا اعتادا على ذلك، فقد أسك بيدها. كان كلاهما يفكر في أمر رحيلهما في اليوم التالي، وكان ثمة جو من الجدية الملموسة في السيارة حين أصلى أمره للسائق ليقود السيارة عائداً بهما إلى الفندق. ما كانا متلهفين على الوصول، وكانت الليلة جميلة رائعة.

إيزابيل تحدثت أولاً وبصوت أبح ورفيق: "لا أدري كيف سأعادر غداً. لقد كان تبدي هو الشيء الوحيد الذي يشدها للعودة إلى ديارها.

قد لا تغادرين غداً. تحققي من حالته الصحية عندما تتصلين به". جل ما كان يستطيع بيل فعله هو أن يصلي لكي يمضي تبدي ليلة هانئة. فما كان يستطيع أن يتخيلها راحة بعيداً عنه.

لوملت إيزابيل برأسها وابتسمت له، ثم أقت برأسها على كتفه. وقالت له: "لقد أمضيت وقتاً رائعاً معك هذه الليلة يا بيل".

- "وأنا أيضاً". قال لها ذلك ثم استدار لينظر إليها من جديد. فأجفلت إذ سمعت كلماته التالية: "ماذا سنفعل الآن يا إيزابيل؟" سألتها هكذا بصوت كانت تعرفه حق المعرفة. لقد كان الصوت الذي كان يحدث ارتعاشة تسري في عرقها عندما كانت ترد على الهاتف.

"بخصوص ماذا؟".

لقد كان ينظر إليها بعينين تحملان جدية أكثر من المعتاد، ولم تعرف إذا كانت تريد أن تجيبه أم لا.

«عنا. أنا أحبك. لقد قسمتُ لنفسي ألا أتلقَ بهذه الكلمات لك. أعرف أن ليس في الأمر إصماف، ولكني أريدك أن تعرفي، أريدك أن تأخذي هذه الكلمات معك عندما تعودين إلى منزلكِ غدًا أو أي وقت. أحبك يا إيزابيل. أحبك منذ وقت طويل». وإذا قال لها ذلك شعر أنه لم يكن رقيقاً ومكتشفاً أبداً في حياته كما كان آنذاك.

نظرت إليه وهمست قائلته: «أعرف. ولقد أحببتك منذ ريتك لأول مرة. ولكن ليس في يدنا حيلة إزاء هذا». لقد كانا كلاهما يعرف ذلك. ولم تكن لتود أن تقول تلك الكلمات، إذ كانت تعلم أن ذلك سيعدُّ كل شيء، ولكن لم يستطع أي منهما أن يمنع نفسه من ذلك. وفي حين لمس خذها برفق لتعطف السائق ببضع نحو نقطة تقاطع، ولوهلة فكر بيل بأن يطلب منه الوقوف. لقد أراد أن يكونا معاً وحدهما. لقد كانت لحظة أراد ألا يتساهما أي منهما.

«لا يمكننا أن نفعل شيئاً حيال ذلك الآن يا إيزابيل. بل ربما يوماً ما. لا تعرفين أبداً. ولكن مهما يحدث، أريدك أن تعرفي... بأنني سأحبك ما حبيت». لقد كان متأكداً مما يقول ومنذ زمن بعيد. لقد كانت تجسد كل ما كان دائماً يريد، وكان يعلم الآن أنه ما كان بإمكانه أن يحصل عليه.

وهمست لسه وهو يضمها إليه «أنا أحبك يا بيل... جداً...». وإذا قالت هذه الكلمات وضع شفتيه على شفتيها وهو يشعر بالأسف أنه لم يفعل ذلك من قبل. لقد كانت لحظة تنتظرها طوال حياتهما، وقربتهما من بعض أكثر من أي وقت مضى. لقد أحاطت عنقه بنزاعها، وغرقا في قبلة، وبدا الزمان وكأنه ذاب في الفضاء. كل ما كانت تعرفه هو أنها لم تكن أبداً سعيدة في حياتها هكذا، وأنها لم تكن تريد لتلك اللحظة أن تنتهي. لقد كانت مغمضة العينين وهو يضمها إليه، ولأول مرة في حياتها كلها شعرت بأنها في أمان كامل. لقد كان يسبقها والسيارة تدخل بهما إلى نقطة التقاطع، وكان السائق ينظر إليهما في

مرآة السيارة الخلفية، مذهولاً مسرماً بما يراه، وكان مسحوراً للغاية بحيث إنه لم يَرَ الباص الأحمر ذا الطبقتين منطلقاً نحوهما بكامل سرعته. كان الباص على بعد بضعة أمتار فقط من جهة إيزابيل من السيارة عندما دخل السائق إلى نقطة التقاطع، وما كان بالإمكان أبداً إيقاف السيارة. كان بيل لا يزال يقبلها عندما قصن الباص كامل مقدمة السيارة وتلاشى السائق كالهواء. لم يلتصقا أنفسهما، لم ينظرا للأعلى، لم يعلما ما حدث لهما، كانا لا يزالان غارقين في قبيلتهما عندما بنت الحافلة وكأنها تنتم سيارة لليموزين بجملتها، وخلال ثوانٍ كان الباص والسيارة قد تحولوا إلى خليط من الفولاذ المسحوق، وتناثر الزجاج في كل مكان. وجرت الباص السيارة إلى منتصف الشارع، وعند نهايته تحطمت تحت وطأة الباص، وانقلبت على جانبها وإطاراتها تدور بسرعة هائلة. كانت إيزابيل لا تزال بين ذراعي بيل، لقد كانت فوقه. وغاص سقف السيارة إلى الداخل، وقعد كلاهما الوعي، وما عاد هسائها أبيض بل صار أحمر اللون مخضباً بالدم. كان هناك جرحان عميقان طويلان على جانب وجه بيل، وبنت إيزابيل وكأنها نائمة في سلام. لم يُسَّ وجعها بأذى، ولكن بدا وكأن جسدها مهشَّم برمته.

عندئذ علت الأصوات على مبعده، وارتفع صوت نغير أبواق السيارات، وعلق نغير بوق الباص. وكان السائق قد طار من خلال الواجهة الزجاجية الأمامية للسيارة، وكان يردد على أرض الشارع حيث سقط وفارق الحياة. وهرع شخصان يحملان مشعلاً كهربائياً ومضياً وسلطوا الضوء على السيارة المهشمة. كل ما استطاعا رؤيته هو الدم على وجه بيل والفتتان الأحمر الناصع. كانت عيناها مفتوحتين وبدا ميتاً، ونظراً إلى كمية دمها الذي لطمَّ كل ما حولها كان من المستبعد أن يفكر أحدٌ بأن إيزابيل قد تتجو. كان الرجلان اللذان يحملان المشعل قد وقفا لتوهما ونظرا إليهما، وهمس أحدهما قائلًا: «يا إلهي».

سأله الآخر: «هل تعتقد أنهما على قيد الحياة؟».

"مستحيل يا صاحبي". وإذا نظرا شاهداً سيلاً صغيراً من الدم يتدفق من جانب فمها.

- كيف سيخرجانها من هناك؟ لم يستطع الرجل الذي يحمل المشعل الكهربائي حتى أن يتخيل كيف يمكن تحريرهما من داخل السيارة. فقد كان سقف السيارة مطبقاً على ظهر إيزابيل.

- "لا أعتقد أن الأمر بهم الآن. ولكن ذلك سيستغرق منهما الليل كله".
عادا على أعقابهما ليتحققا من حالة الناس الرافدين على أرضية الباص عندئذ، وكان بضعة من الناس الأوفر حظاً يناضلون للخروج من الباص، بقمصان ملطخة بالدم وجروح عميقة في رؤوسهم. كان البعض يهرج والأخرون يندون في حالة دوخان. وقال شخص ما أنه كان هناك نصف دزينة من جثث الموتى داخل الباص. لقد كان ذلك أحد أسوأ الحوادث التي شهدتها الشرطة بباص بمثل ذلك الحجم، وبينما هما يتحدثان إلى الشهود الذين كانوا متواجدين لحظة حصول الحادث وارتطام الباص بالليموزين، علا صوت صفارة الإنذار مقترباً منهما، وخلال دقائق انتشرت سيارات الإسعاف والإطفاء والمُسجِنين في كل مكان. فبدلوا بسيارة الليموزين، وأخبرهما الرجلان اللذان كانا يحدثان في السيارة أن الراكبين الوحيدين اللذين كانا في السيارة كانا يندون ميئون.

ومع ذلك فقد ذهبوا إلى السيارة للتحقق من الأمر، ومن أول وهلة أدركوا أن الرجلين كانا مُحجِنين، ولكن مع وصول أحد المُسجِنين إلى هناك، أخذ هذا نبضهما ليتأكد من الأمر فقط، فأدرك أن إيزابيل وبيل كانا لا يزالان على قيد الحياة.

فنادى المسعف الذي وصل إلى السيارة على رجل الإطفاء الذي كان يقف إلى جواره وقال له: "مهلاً. لدينا شخصان أحياء هنا. فتريث". ولجلب الشاحنة إلى هنا. علينا إخراجهما من السيارة. لقد انتابه إحساس بأن الأوان قد فات وأنه لن يكون هناك طائل من محاولتهما لإخراجهما من السيارة. ولكن كان عليهما على الأقل أن يبذلا محاولة. في تلك اللحظة كانا قد وجدا سائق

الليموزين وعرفا أنه مات متأثراً بإصابة بالغة في رأسه. وما كان أحد يعرف بعد إذا ما كان أي من الراكبين في السيارة سوف ينجو. لقد بدت إيزابيل وكئيباً تفقد كميات كبيرة من الدم من جروحها البالغة، وإذا جسَّ المُسجِن نبض بيل من جديد وجده ضعيفاً جداً حتى إنه بالكاد استطاع أن يشعر به. لقد كان يفقدانها بسرعة. ومع اقتراب كمائنات الحياة⁽¹⁾ وربطها بما تبقى من السيارة، كان هناك رجال يمتلئون السيارة ويطلقون خطافات ومخالب بها ويصرخون طالبين من سائقي الشاحنات أن يقوموا بعملية المُشد أو السحب لفتح السيارة. كان الضجيج يصم الأذان ولكن لم يسمع أيٌّ من إيزابيل أو بيل أي صوت.

(1) كمائنات الحياة: (Laws of life): ماركة لأدوات معلنة تعمل على الضغط تشبه الكمائن فُحَم داخل العربات المتضررة بشدة ثم تُفَعَّح لتحرير الناس المحتجزين داخلها.

الفصل الرابع

استغرق الأمر قرابة الساعتين لكي يفلح الرجال سيطرة الليموزين. لقد كان يتوجب عليهم أن يعملوا بحرص شديد لتلا سببوا لبيل وإيزابيل المزيد من التهشم. وفي تلك الأثناء كانوا قد أعطوها حقناً ورديدة⁽¹⁾، وتذبذروا أمرهم لوضع مرقاة⁽²⁾ على جرح يبلغ على شريان إيزابيل في ذراعها اليسرى. كان الرجال الذين يسعون جهدهم لإثقالهما قد تلطخوا بالدماء، وما كان أحد ليصدق بأنهما كانا لا يزالان على قيد الحياة. وما كان أحد ليتمكن بدأ أن يقول إن فستان إيزابيل كان أبيض اللون. فقد كان الفستان برمته مشبعاً بدمها. وما كان أحد قد عرف من يكونا، وفي الوقت الذي أمكنهم نقلهما إلى سيارة إسعاف، كان الرجال قد استطاعوا نقل كل ضحايا الحادث. وقعت حافلة بيل في يد أحد المسعفين عندئذ، واستطاعوا تحديد هويتها، ولكن كانوا لا يزالون يجهلون من تكون إيزابيل.

قال أحد المسعفين: "إنها تضع حاتم زواج". قال ذلك في حين كانت سيارة الإسعاف تتعطف نحو مشفى القديس توماس. وتابع قوله: "لا بد أنها زوجته". واتصل لاسلكياً بضابط الشرطة في موقع الحادث يطلب منهم أن يبحثوا عن حقيبة يد في السيارة عليهم يجدون فيها ما يدلهم على هويتها.

لم يستعد أي منهما وعيه طوال العملية: فقد أخرجوا من السيارة، وكانا في غيبوبة عندما حُملا إلى وحدة معالجة الإصابات، وأتى فريقان منفصلان للعناية بهما. لقد تقرر فوراً إجراء عملية جراحية لكليهما: فله من أجل إصابة

(1) حقن ورديدة: (IVs): حقن من السوائل أو الأدوية تُعطى في الوريد.

(2) مرقاة: (tourniquet): ملوى أو ضاغط يُوضع على جرح لوقف النزيف من الأوعية الدموية.

الحبل الشوكي وكسر عقه، ولها من أجل إصابة الرأس التي تعرضت لها، ومن أجل الإصابات للدخلية العديدة، والشریان الذي تأذى بشدة والذي وضعوا عليه مرقاة لقطع النزيف. لقد كان يجب القيام بعملية فورية لئلا تتعرض لخطر فقدان ذراعها.

- يا الله، إنه لحادث بشع، أليس كذلك؟ قالت إحدى المرصفت هامة عن الحادث في حين كانوا يضعون المصابين على عربات ويدفعونها إلى غرفتي عمليات منفصلتين. وتابعت قولها: لم أرَ مثل هكذا إصابات وجروح منذ زمن طويل.

وعُلفت الأخرى وهي تقوم بعملية تنظيف الجروح: لا أصدق أنها لا يزالان على قيد الحياة. لقد عوّنت للإهتمام بإيزابيل التي فُقدَ لها الأكل حظاً في النجاة. لقد كانوا قلقين على الإصابة التي في رأسها، ولكن الإصابة الأكبر التي تعرضت لها كانت في الكبد، والرئتين، والقلب، وكلها تضررت عملياً بشكل كبير.

خلال دقائق كان كلاهما مستلقياً على طاولة العمليات في غرفتي عمليات منفصلتين مع أطباء التخدير الذين يعملون على تخديرهما تحت أضواء ساطعة لامعة فوق رؤوسهما بينما أصغى أعضاء الفريق الجراحي إلى تقييم حالة المريضين التي عرضها فريق معالجة الإصابات. كان يصعب عليهم تحديد أي من الركاب في سيارة الليموزين هو في حالٍ أسوأ. لقد اعتبرت حالتها خطيرة للغاية، وبدأت العمليات الجراحية، وعلامة الحياة تتراجع عند المريضين بنفس المعدل تقريباً.

عندما بدأوا إجراء العمليات الجراحية على بيل لمعالجة الفترات العديدة التي انكسرت في عموده الفقري، شعر بيل وكأنه ينهض جالساً، وخلال ثوانٍ، وجد نفسه يسير في طريق منوّرة بشكل كبير. كان يدرک أصوات الذين حوله، وهناك على مبدعة أمامه، كان هناك ضوء ساطع لامع. ولقد دُهِشَ عندما نظر حوله ووجد إيزابيل تجلس على صخرة أمامه تماماً في الطريق.

سألها: 'هل أنت على ما يرام؟' لقد بدت غريبة عنه عندما نظر إليها وكأنها كانت قد غفت لبرهة. ولكنها هبت واقفة وراحت تنتظره كي يضم إليها في الطريق.

قالت: 'أنا بخير'. ولكنها لم تنظر إليه. وإذا كان أمامها، فقد كانت مأخوذة بالنور الباهر. فسألت: 'ما هذا؟'

قال لها: 'لا أعلم'. لقد كان يشعر بالتشوش، وكان مدركاً أنه كان يبحث عنها ولم يكن بإمكانه أن يجدها لفترة قصيرة. 'لن كنت؟'

قالت: 'لقد كنتُ هنا أنتظرك. لقد طال غيابك'. كان صوتها ناعماً رقيقاً، وقد بدت شاحبة، ولكن هانئة بشكل غريب.

فأوضح لها قليلاً: 'لقد كنتُ هنا تملأ، ولم أذهب إلى أي مكان'. ولكن بدت وكأنها لم تكن تصغي إليه، وبدت أيضاً في توق لأن تتجه نحو الضوء.

استدارت تنظر إليه وسألته 'هل أنت أت؟' وشعر أنه يهرع للحاق بها. ولكنها كانت تسرع أكثر منه، وكان يريد أن يطلب منها أن تبطئ في سيرها.

'ماذا تركزين هكذا؟' سألها هكذا، وهزت رأسها، وتابعت سيرها بشكل ثابت نحو الضوء الساطع.

قالت له: 'ريدك أن تأتي معي'. ثم مدت يدها إلى الخلف نحوه. فأسك يدها، وشعر بها قد أصبحت إلى جانبه، ولكنه لم يستطع أن يشعر بيدها. لقد أمكنه أن يرى أنها كانت تمسك يده، ولكنه لم يستطع أن يتلمس يدها. كل ما كان يشعر به هو أنه كان في غاية التعب والإرهاق. لقد كان يريد لو يستلقي وينام في مكان ما، ولكنه لم يُرَد أن يفتقدًا من جديد. لقد كان يعرف ذلك على الرغم مما قالته. وبعد ذلك استدارت ونظرت إليه وتحدثت إليه بصوت يمكن سماعه بوضوح. وقالت له: 'أحبك يا بيل'. وأراد أن يطلب منها أن تتهمل.

- 'وأنا أيضاً أحبك يا إيزابيل. هلا نرتاح قليلاً فأنا متعب جداً.'
- 'يمكننا أن نستريح عندما نصل هناك. إنهم في انتظارنا الآن'. لقد

كانت متأكدة من ذلك، وكان لديها إحساس يتفهمها للعجلة. وكان هو يبطنها.

- "إلى أين نحن ذاهبون؟" أراد أن يعرف.

- "إلى هناك". وأشارت نحو الضوء، وتبعها لفترة. لقد بدا له أن الوصول إلى تلك النقطة سوف يستغرق وقتاً طويلاً، وعندما صار هناك تقريباً، استطاع أن يميز أصواتاً خلفهما تنادي باسمها. وعندما استدار لينظر، رأى أن صاحب الصوت طفل صغير. لم يستطع أن يرى بالتأكيد، ولكنه ظن أن ذلك كان طفلاً صغيراً. لقد كان يلوح لهما وراح يصرخ: "ماما". إلى أن استدارت إيزابيل نحوه أخيراً، ونظرت إليه طويلاً. وعلى بعد، وخلفه، كانت هناك هيئة شخص ظليل لفاتة صغيرة.

- "من هؤلاء؟" سألت بيل، ولكنه عرف الجواب قبل أن تقول له.

- "إنهما تيدي، وصوفي. لا يمكنني أن أذهب إليهما الآن. لقد فات الأول". وبدأت تستدير مبتعدة، وفجأة انضمت فتاتان إلى الصبي والفتاة اللذين كانا يلوحان لها. لقد بدا لها كأطفال، ولكن عندما استدار خلفاً لينظر إليهما، تبين له أنهما ابنتاه أوليفيا وجين، وكانتا تتدابهانه كما كان تيدي ينادي إيزابيل تماماً.

- "انتظري...". قال لها وهو يجاهد ليحافظ على البقاء إلى جوارها وللحصول على انتباهها الآن، ولكنها كانت تتقدمه وبسرعة، وما كان متأكداً مما يفعل: هل يتبعها أو يعود لأرجله ليرى أوليفيا وجين. يجب أن تعود إليهما. قال لها ولكن إيزابيل هزت رأسها فقط.

- "أنا ان أعود يا بيل. فهل ستأتي معي؟" بنت مصممة وموطدة العزم للغاية، وكان مع كل خطوة يشعر أكثر بالتعب والإرهاق. لقد بدا وكأن الطريق لا نهاية لها.

- قال متدماً: "لا يمكنني أن أتماشى معك. لماذا لا نعود إليهم؟ إنهم في حاجة إلينا الآن....".

- "لا، لا يحتاجون إلينا". قالت إيزابيل واستدارت من جديد. "لا أستطيع أن أعود ثانية. لقد فات الأوان على ذلك. قل لتيدي وصوفي أنني أحبهما". قالت ذلك وهي تستعد لمتابعة الطريق وحدها.

قال بيل وهو يقبض على ذراعها: "عليك أن تأتي معي. أصغي إلي...". وبدأ غاضباً منها. أما هي فما كانت تصغي إليه، وكانت قد شارفت على الوصول إلى النور. وتابع قوله: يجب أن تصغي إلي... تيدي وصوفي في حاجة إليك لكي تعود... يجب علي أن أرجع من أجل البنات. هيا نرجع سوية يا إيزابيل... يمكننا أن نعود إلى هنا مرة أخرى.

ترددت، ولكن لوهلة فقط، حين لمس يدها، قالت له: "وماذا إذا لم تتمكن لنا فرصة أخرى؟".

قال: "سوف نفعل ذلك يوماً... ولكن ليس الوقت مناسباً الآن".

- "أو كان الأمر يعود لي فإني لا أريد أن أرجع...". نظرت إليه مناشدة إياه ليتبعها، ولكنه أن يشعر بها تتسل مبتعدة. وقالت: "أرجوك يا بيل... تعال معي. لا أريد أن أذهب وحدي".

- "أريدك أن تبقي معي. أنا أحبك يا إيزابيل، لا تتركيني الآن". كان ييكي وهو ينطق بهذه الكلمات، ونكس رأسه لكي لا تراه، ولكنها رقت هناك تنظر إليه. ثم رفع نظره ومد لها يده وقال: "خذني يدي... أسمع لي إن أدعك تذهيبين. عليك أن تعودي معي". وإذا قال ذلك، بنت فجأة متعبة جداً، ونظرت إلى الخلف نحو تيدي والبنات، ترددت طويلاً، وبعدها، وببطء شديد، بدأت تتحرك راجعة إلى الخلف نحوه. لقد بدا أن رجوعها أصعب بكثير جداً من استمرار تقدمها إلى الأمام. ولكنه أن يرى الضوء خلفها الآن وقد بدأت تخطو نحوه من جديد، وبعد دقيقة كان يضمها بين ذراعيه. وراح يقبلها ويضمها وهي تبسّم له. لم يكن أحد منهما يعرف أين هما بشكل مؤكد، ولكن كل ما كان يعرفه هو أنه كان ينبغي عليهما العودة إلى أطفلهما الآن. ولكنه أن يشعر بيدها تمسك بيده بإحكام.

- "هل أنت متأكد أنك تريد أن تفعل ذلك؟" سألته وهما يسيران جنباً إلى جنب. لم يستطيعا أن يسمعا أصوات الأطفال، ولكنهما كانا يعرفان أنهم ينتظرونهما. كانت العتمة قد بدأت تنتشر، والضوء الذي خلفهما بدأ باهتاً أكثر الآن.

قال: 'بكل تأكيد'. وأبقى يده ممسكة بيدهما بلحكام.

- "الوقت بدأ يتأخر... والظلمة صارت حالكة... كيف ستجد طريق العودة؟" سألته وقد انتابها إحساس بأنهما قد ضللا طريقهما من قبل، ولا تريد أن تضل ثانية.

قال بـإيل: 'تسبني بي وحسب'. وصار يستطيع أن يتنفس الآن بسهولة أكبر من جديد. لم يَبْدُ الهواء الذي يحيط بهما رقيقاً كالعادة. "أعرف طريق العودة". وأحاطها بنراعه، وتابعا سيرهما لوقت طويل. والآن إيزابيل هي التي كانت متعبه، وبيل هو من كان يزداد قوة.

قالت: 'أحتاج إلى التوقف لبرهة'. وأمكن لكليهما رؤية الصخرة حيث كانت تجلس قبلاً بينما كانت تنتظره، ولكنه ما كان سيسمح لها بالتوقف هذه المرة. إذ يتوجب عليهما الذهاب إلى المنزل.

'ليس لدينا وقت. سوف تكونين على ما يرام. يمكنك أن تستريحين عندما نعود.'

وتبعته دونما لية كلمة أخرى. كانت الظلمة حالكة حولهما في ذلك الوقت، ولكن كان لديها إحساس بأنه يعرف إلى أين هو ماضٍ - كل ما كانت تريده هو أن تغفو وتنتفي إلى جانب الطريق. ولكن بيل ما كان ليتركها تسحب يدها من يده، وما كان ليدها تشم في سيرها، ولم تعرف متى أو كيف وصلنا هناك، ولكنها أدركت بعد هنيهة أنها قد صارا في المنزل.

كانا في غرفة لم نستطع أن نعرف أين هي، وكانت تشعر بالأمان إلى جوارها. كان هناك أطفال في كل مكان، وأمكنها أن ترى يدي وصوفي يتصاحكان مع بعض الأصدقاء، وابتنا بيل كاننا نتحدثان إليه. واستلقت إيزابيل

بينما كان يعانقهما. لقد كانت تدرك أنها ستتم بالأمان آنذاك، وكل ما كانت تريده هو أن تغفو بجوارها. رفعت نظرها إليه وابتسمت، ورد لها الابتسامة. وإذا انتحنت جانباً كي تنام كانت على يقين بأنه سيكون هناك دائماً معها.

قالت الممرضة الجراحة: 'يا إلهي، ما كنت أتصور أننا سننجح في ذلك.' وكانت تخاطب الطبيب المخدر وهما يغادران غرفة العمليات. لقد أمضوا أربع ساعات يصارعون للحفاظ على ضغط دم إيزابيل مرتفعاً بما يكفي لإبقائها على قيد الحياة أثناء إجراء الجراحة لها. لقد أمكن معالجة أعضائها المصابة، وذراعها، وكان الجميع في غرفة العمليات والتقين خلال نصف الساعة الأولى من أنها الكفة في الموت لا محالة. إذ كانت قد خسرت كمية كبيرة من الدم. ولم يعرفوا سبب خروجها من خطر الموت في النهاية: هل بتأثير الأوية التي أعطاها لها، أم عمليات نقل الدم، أم الجراحة، أم فقط حسن الطالع. ولكن أياً يكن من أمر، كانوا يجمعون على أن بقاءها على قيد الحياة كان أعجوبة.

- "لم أن لبداً عملية جراحية كهذه. إن نجاحها من الموت هو من حسن حظها". هذا ما قاله أحد الجراحين الموجودين خلال إجراء العملية. "هي لم تتجاوز مرحلة الخطر بعد، ولكن أعتقد أنها ستجو. إن حالات كهذه تعيد لي إيماني بالله". وابتسم وهو يغادر غرفة العمليات ويتصحب عرقاً. لقد كانت ليلة طويلة شاقة ومنهكة.

في هذه الأثناء خرجت ممرضتان من غرفة الجراحة المجاورة لتلك الأولى حيث كانت العملية تجرى لبيل، وقد بدتا متعبتين كمثل بقية الطاقم الطبي.

سألت إحداهما الأخرى: 'كيف كانت عملية مريضك؟'

- "كنا نفقده أربع أو خمس مرات. ولكنه نجا، مع وجود الكثير من الضرر في أعلى العمود الفقري. توجب علينا استعادته إلى الحياة مراراً. وكنا نقدد الأمل في المرة الأخيرة".

- "يبدو أن مريضك كمثل مريضتنا. إن نجاحها أمر مذهل".

- كيف حالها؟

- "لا تزال في حالة خطرة حرجة. ولقد ظننت أنها قد تفقد ذراعها، ولكننا أبقيناها من أجلها. وكانت لدينا مشاكل مع كبدها وقلبها. لم أن إصابة بالغة كهذه يخرج منها المريض على قيد الحياة".

- "هذا يظهر أن المرء لا يمكنه أن يحكم على الأشياء بشكل صحيح، ليس كذلك؟" كانت الساعة آنذاك قد بلغت الثامنة صباحاً، وذهب كلا التريين الطبيين إلى الكافتريا لاحتساء القهوة وتناول كيك السكرز، في حين نُقل بيل وإيزابيل على العربة إلى غرفتين منفصلتين. وكان كلاهما غارقاً في سبات صديق بعد العملية الجراحية، وإيان ذلك أمكن إيجاد حقيبة يد إيزابيل. وكان فيها مفتاح غرفتها في فندق كلاريدج، واتصل رجال الشرطة بالفندق، وعلّموا أن اسمها إيزابيل فوريستر، وأنها فرنسية ولديها عنوان في باريس. ووجدت المديرة المساعدة بأن تذهب إلى غرفتها في الحال لترى إذا ما كان جواز سفرها موجوداً هناك لكي تحصل على معلومات تفيدها لمعرفة الشخص الواجب الاتصال به في حالة الطوارئ. ولكن حتى الآن لم يكن أحد قد اتصل.

لقد حصل رجال الشرطة على كل المعلومات التي يحتاجون إليها عن بيل، فرقم هاتف منزله كان في حافظته، وكان قد وضع اسم زوجته على أنها أول قريب له لكي يُنصّر إلى الاتصال بها في هكذا حوادث. واعتزمت موظفة الاستقبال في المشفى أن تتصل بسنثيا وأن تخبرها عن الحادث وأن بيل قد نجا.

لقد صُنِّفت حالة بيل وإيزابيل كلاهما على أنهما حالتان خطرتان. وإصابة رأس إيزابيل كانت أيضاً في حالة خطرة ولكنها لم تكن بمثل شدة إصاباتنا الداخلية. وكل خوفهم على بيل كان بسبب إصابة حبله الشوكي الذي قد يهدد قدرته على السير، إذا ما نجا. فلولا رحمة الله ما أمكنه تجنب الشلل الكامل. والسؤال الأكبر كان فيما إذا كان سيستطيع استخدام ساقيه. فبيد أن طريقيهما للشفاء الأكيد طويل. لقد كانت هذه أحد أسوأ الحوادث التي شهدتها

الشرطة في السنوات الأخيرة، ونتج عنها سقوط إحدى عشرة ضحية: سائقين العربتين وتسعة ركاب من الباص. وخلال فترة عملهم معظم الليل على علاج إيزابيل وبيل غدت الغرف الجراحية على شبه نومة من أن معدل الوفيات سوف يصل إلى الثلاث عشرة. ومن هنا كان بقاء إيزابيل وبيل على قيد الحياة نوعاً من المعجزة الاستثنائية.

وحسبت عاملة الاستقبال بعض المستندات على مكتبها قبل أن تجلس وهي تتنفس الصعداء. لقد ذهبت المديرة المساعدة في فندق كلاريدج إلى غرفة إيزابيل ووجدت جواز سفرها، الذي أفاد بأن زوجها هو أول شخص يجب الاتصال به في حالة الطوارئ. وحصلت على رقم الهاتف في باريس، ورقم هاتف بيل في كونيكتكوت. لقد كانت تكرة أن تجري اتصالات هاتفية على هذا الشكل. أخذت رشفة من القهوة لكي تتشدد عزيمتها وتتمالك نفسها ثم اتصلت بباريس أولاً. رن جرس الهاتف عدة مرات قبل أن يجيب صوت رجل، وأخذت موظفة الاستقبال نفساً.

- "السيد فوريستر من فضلك". قالت ذلك بلغة فرنسية ذات لهجة بريطانية.

- "أنا هو". قال بلهجة مقتضية مختصرة. وميزت في لهجته لكنه رجل أمريكي، فسألته بالإنكليزية بسرعة إذا ما كانت إيزابيل زوجته.

- "نعم هي زوجتي". قال ذلك باهتمام. فأخبرته الموظفة بسرعة أنها كانت تتصل به من مشفى القديس توماس وأن إيزابيل تعرضت لحادث سيارة في الليلة الفائتة. وأوضحت له أن سيارتها الليوموزين قد ارتطمت بباص.

- لقد سُجِّلت كحالة خطر، وقد خرجت لتوها من العماية الجراحية، يا سيد فوريستر، وأخشى أن أقول لك أنه ليس من تحسن ظاهر حتى الآن. فليدها إصابات داخلية شديدة، وإصابة في الرأس معتدلة. لا نعرف ما قد يحصل خلال الساعات القليلة القادمة. ولكن مما يشجع أنها نجت بعد العملية الجراحية. ويؤسفي أنسي أخذك ذلك". قالت ذلك وهي تشعر بالحرع

والارتباك، وساد الصمت كلامها عند النهاية إذ راح يفكر بما قالته.

رد قائلاً: "وأنا أيضاً". لقد بدا مصدوماً. "سوف أجيء إليكم اليوم". ضغف بذلك بشكل مبهم وهو يتسائل إذا ما كان ينبغي عليه أن يتحدث إلى طبيبتها أولاً، ولكن المرأة على الهاتف أعطته ما يكفي من التفاصيل حتى لم يعد بحاجة لأن يسأل عن المزيد حتى الآن. فسألها: "هل هي في وعيها؟".

- "لا يا سيدي، ليست كذلك. لم تستدّ وجعها بعد منذ الحادث، وقد سكنت ألامها الآن. لقد خسرت الكثير من النوم". تكسّر رأسه، وبدأ متفكراً، ولا يعرف ما يجب أن يقول. لقد شعر بأنه من غير المعقول أن تكون إيزابيل هي من يستحقون عنها. فرغم أن المشاركة بينهما كانت قليلة، وأنهما كانا متباعدين في الفترة الأخيرة، إلا أنها لا تزال زوجته. وتتساءل ماذا سيقول لتيدي، أو فيما إذا كان ينبغي عليه أن يتصل بصوفي في البرتغال، وإذا فكر في الموضوع قرر ألا يخبر لياً منهما بشيء. فهذا لن يؤدي إلا إلى إخافتهما. وليس من داع ليتصل بصوفي ويقفها إلى أن يعرف المزيد من التفاصيل. فكر غوردون أنه من الأفضل ألا يقول شيئاً لأحد إلى أن يرى الحالة بنفسه، ما لم تمت قبل ذلك. لقد أوضحت له عملة الاستقبال جيداً أن احتمال الوفاة قائم فعلاً، وإذا وضع سماعة الهاتف، جلس إلى مكتبه معملاً للفكر، وهو يحنق في للفضاء. ما عاد يكن لها أية مشاعر منذ وقت طويل، ولكنها كانت أم أولاده، وصار لهما عشرون سنة متزوجين. لقد كان يأمل ألا تكون قد عانت عند اصطدام السيارة، ولوهلة شعر بالامتنان للسماء لأنها لم تمت. ولكن لأهله مدى ضائقة المشاعر التي يكنها لها. فالعواطف التي كان يشعر بها الآن كانت مجرد تعاطف وأسى.

اتصل بشركة الطيران وسأل عن مواعيد الرحلات ثم اتخذ قراره. ما من أحد عرف بالحادث، وهي فائدة الوعي، وهو في حاجة إلى بعض الوقت ليستوعب بنفسه ما حدث. كانت لديه مواعيد هامة في المكتب بعد ظهر ذلك اليوم. فلم يردّ أن يتسرع بدفع الذعر. فلا فائدة من وجوده هناك الآن، ثم أنه

كان يكره المستشفيات. بعد لحظة تردد قام بالحجز على رحلة طيران الساعة الخامسة. وهذه سوف تصل إلى مطار هيثرو عند الساعة الخامسة والنصف بالتوقيت المحلي، وسيتمكن الوصول إلى المستشفى عند الساعة السابعة ليلاً. فإذ توفيت قبل أن يصل إلى هناك فسيفكر هذا أمراً مقدراً. هذا ما قاله لنفسه. وإذا كانت لا تزال على قيد الحياة آنذاك فسفكون هذه بارقة أمل. ولكن شعر أن رقادها في حالة غيبوبة سوف لن يؤثر عليه وجوده هناك أو عنده. فالأفضل له أن يمضي الوقت في مكان آخر، على حد تعكيره. أو على الأقل هذا ما قاله لنفسه.

وغادر المنزل متجهاً إلى مكتبه بعد قليل، ولم يقل شيئاً لسكرتيرته إلا أنه كان سيفكر المكتب الساعة الثالثة. لم يردّ أن يتحدث جلبة حول الموضوع. ليس من داع لذلك، إلا في حالة وفاتها.

بعد أن اتصلت موظفة الاستقبال في قسم الرعاية المشددة بغوردون من المستشفى في لندن، أخذت نصفاً عميقاً من جنيد كي تستجمع رباطة جأشها لتجري الاتصال الهاتفي التالي. فالاتصال بغوردون وتر أعصابها إلى حد ما. لقد سألها بضعة أسئلة فقط وبدأ هادئاً بشكل غير معقول. وليس من العادة أن يكون رد فعل أي شخص على هكذا مكالمة على النحو الذي كان عليه هو.

وضعت موظفة الاستقبال رقم هاتف عائلة روبنسون أمامها على المكتب، وفي هذه الأثناء سارت ممرضتان أمام طاوله مكتبها في اللحظة التي رن فيها جرس الهاتف على الطرف الآخر. لقد كانتا يتحدثان عن إيزابيل وتصلان سجل البيانات عن حالتها المرضية. ولم تعرف الموظفة مما قاله غوردون على الهاتف شيئاً عن موعد قدومه. لقد اكتفى بشكرها وأغلق السماعة.

رنت أوليفيا، ابنة بيل البالغة الحادية والعشرين من العمر، على الهاتف في منزل عائلة روبنسون. كانت الساعة السادسة صباحاً آنذاك، ولم يكن أحد مستيقظاً، ولكن أوليفيا سمعت صوت الهاتف. وسأل صوت بلهجة إنكليزية إذا

ما كانت السيدة روبنسون هناك.

قالت أوليفيا وهي تنقلب في سريرها: "إنها نائمة، هل يمكنك معلومة الاتصال بعد ساعتين؟" سألت هكذا وهي تتأعب وعلى وشك أن تغلق السماعه.

- "أخشى أنني لا أستطيع الانتظار حتى أعيد الاتصال، فهلاً طلبت منها أن تأتي لتردّ على الهاتف؟"

- "هل ثمة من خطّب؟" بدأت أوليفيا تصحو، واستقامت في السرير. لم يكن لديها فكرة عن سبب الاتصال الهاتفي هذا ولكن الصوت بدا متواتراً.

- "لريد الحديث إلى السيدة روبنسون شخصياً." بدت أوليفيا قلقة، ووضعت المتصل في حالة انتظار، ونهضت من فراشها. وهرعت إلى الردهة حيث غرفة نوم والنتها، وعند سماع صوت الخطوات في الردهة وفتح الباب، استيقظت سنياً.

وهستت في عمّة غرفتها: "مرحباً، أأنت علي ما يرأم؟" لقد كانت نائمة بعمق، ولكن ورغم كل هذه السنين، لا تزال لديها الحاسة السادسة تجاه أولادها: "أأنت مريضة؟"

- "لا، بل إن هناك امرأة إنكليزية على الهاتف تقول بأن عليها أن تتحدث إليك." تبادلت الأم وابنتها النظرات لوهلة، وكان لدى سيدي شعور غريب خفي. لقد أدركت بالغريزة أن الأمر يتعلق ببيل. وهكذا أمور لم تكن قد واجهتها من قبل، ولكن الآن تتساءل هل ثمة امرأة أخرى في حياته.

- "سوف أخذ المكالمه." قالت بهود ثم نهضت: "لا بأس يا أوللي، عودي إلى النوم." ولكن أوليفيا لم تحرك ساكناً. لقد ابتليها نفس ذلك الشعور الغامض الخفي. قالت سنياً للمتحدث على الهاتف: "هذه السيدة روبنسون." وأصغت إلى المتصل وهي صامته لفترة طويلة، ولكن أوليفيا رأتها تطلق عينيهما. وقالت سنياً: "إلى أية درجة من الخطورة هي حالته؟" هذا ما أمكن لأوليفيا سماعه في نهاية الحديث. "متى؟ هل هو واعي؟" وهنا تسعت حفتنا

عيني ابنتها.

- "أمر بابا؟" قالت بصوت مليء بالذعر، فتحت أمها عينيهما، ولومات ليليهما أن تبقى صامته. لقد كانت تريد أن تسمع كل ما كانت موظفة الاستقبال في وحدة العناية المشددة تقوله. ولكنها لومات برأسها ليجاباً إلى ابنتها جواباً على سؤالها، وجلست هذه إلى سريرها. وسألت أوليفيا أمها: "أمر بخير؟" ولم تجب والدتها عليها، بل كانت تتابع الإصغاء إلى صوت المتحدث على الطرف الأخر.

- "ما اسم طبيبه؟" سألت سيدي ودوتت الاسم على عجل على ورقة صغيرة إلى جانب سريرها، واستفسرت عن بعض الأمور الأخرى، ثم طلبت منهم أن يتصلوا بها في حالة حدوث أية تطورات. "مأكون هناك بأسرع ما أستطيع. أرجو أن تتصلوا بي إذا ما استجدّ أي شيء، ولريد أن تخبروني حالما يستعيد وعيه. سوف أعاد الاتصال بكم بعد نصف ساعة، وأخبركم متى أكون عندكم." لقد بدت صامته ولكن عينيهما لوحتا بالكثير. لقد بدت مذهولة وهي تغلق السماعه وتركض للارتقاء بحضنها.

- "ماذا حدث؟" وكان هناك بكاء في صوت لبتنها، وشعرت سنياً بفصّة في حلقها. فما أخبروها به كان رهيباً، وكانت تأمل ألا يكون الأمر بالسوء الذي بدا عليه. علق مكسور، إصابة في الحبل الشوكي، وجراحة في العمود الفقري، واحتمال شلل دائم، وإصابات داخلية، وعظام مكسورة. بل وحتى ما كانوا واتقين من نجاته. وإذا نجا فلا يعرفون إن كان سيقدّر على المشي من جديد. لقد كان يصعب عليها تصور فكرة جلوس بيل على عربة ذات عجلات. وفكرت للحظات أنه ربما كان من الأفضل له من عدة نواح لو أنه قد مات. ففسوف يكره أن يكون على عربة معاقاً بقية حياته. وما كانت لتستطيع أن تتخيل نفسها ممرضة له. ماذا لو كان قد أصيب بشلل نصفي أو بأسوأ من ذلك؟ ماذا إذا قصد طريح الفراش وعاجزاً عن الحركة؟ كان عقلها يراجع ويسرعه كل احتمال ممكن قالت لها المرأة عنه، وأخذت مخلوقها تزداد

اضطراباً.

- بابا تعرض لحادث. وهو في لندن. لقد نسيت أنه قال لي أنه سيكون هناك لبضعة أيام. لقد تحدثت إليه قبل يومين في نيويورك. إذا فقد كان يركب سيارة لسطحمت بباص، ويبدو أن حالته سيئة للغاية". فقالت سنثيا بصراحة: لقد انكسرت عفته، وتآذى حبله الشوكي. لقد خرج توأ من عملية جراحية، وهو في حال خطرة".

استمعت عينا أوليفيا وسألت والدتها: "هل سموت؟"

ترددت سنثيا في الإجابة مطولاً إذ لاحظت النموع تنهمر من عيني ابنتها. "هكذا ممكن". قالت لها ذلك بلطف واستأنفت: "ولكن بابا صلب جداً. وأعتقد أنه سيكون على ما يرام، ولكننا لسنا متأكدين من ذلك بعد. سوف أذهب اليوم إلى هناك".

قالت أوليفيا: "سأتي معك". كانت أوليفيا فتاة طويلة شقراء مشوقة لقامة جميلة الشكل وجميلة الوجه. وفي فصل الخريف ستكون طالبة في الصف قبل الأخير في جامعة جورج تاون إذ أنها تدرس السياسة الخارجية. لقد كانت تلميذة مجتهدة بارعة. وطفلة رائعة، وكان والدها كلاهما فخورين بها حقاً. ورغم قلة الوقت الذي كانت تمضيها مع أليبا إلا أنها كانت مجنونة به. لقد كانت تحب عبيه حسب عادة منذ أن كانت طفلة، وفي آخر سنوات غدت مسحورة بكل ما كان يفعله.

- أعتقد أنه ينبغي عليكن يا بنات أن تتكأن هذا. قالت سنثيا ذلك وهي تلقى عنها الأعطية وتتعض من سريرها. كان يجب عليها الاتصال بشركات الطيران وأن تحزم أمتعتها. لقد كان يحذوها الأمل بأن تتمكن من الحجز على رحلة طيران في وقت الظهيرة، والأمور مستعد إذ ما أخذت أوليفيا معها. وهي لم تكن تريد لهن أن ينزعجن. فالأمور كانت تبدو سيئة للغاية بحسب كل ما قالته لها المرأة من المشفى.

- أنا أتسبه معك يا ماما". رفعت أوليفيا نبرة صوتها وهي تقول ذلك

وكانت قلما تفعل ذلك. وحتى لو اضطرتت فسوف أشترى بطاقة ركوب طائرة وأسافر وحدي".

- "ما الذي يجري هنا؟" سألت جين في نعاس وهي دخلت إلى الغرفة. لقد كانت هذه ضئيلة الجسم شقراء ذات شكل جذاب، وكانت تبدو تقريباً كمثل والدتها عندما كانت في سنها. لقد كانت قد أنهت لتوها السنة الجامعية الأولى في جامعة نيويورك، وكانت قد دخلت للتاسعة عشرة من عمرها. لقد سمعت أصواتهما، ورأت أوليفيا حافقة على والدتها، من العلامك البانية على وجهها.

- "ما سبب شجاركما هذا في مثل هذه الساعة؟"

لقد كانت سنثيا وابنتها الكبرى على خلاف دائم حول كل شيء. وكانت جين هي من يقوم بنور الوسيط أو صانع السلام بينهما كونها هائلة لطيفة المعشر. تظاهرت وجلست على سرير والدتها.

- لقد تعرض بابا لحادث". قالت أوليفيا لأختها الصغرى، فاستمعت عينا جين دماً، وهرعت أمها إلى الهاتف لتتصل بشركة الطيران.

- "أهو بخير؟" لقد كان يصعب عليها أن تتخيل ألا يكون هكذا. لقد كانت أوليفيا تبدو أكثر أماً وجدية مما هي في العادة، وكان رد فعلها فائق العادة. ولكن جين لم تكن أكيدة من جدية أو خطورة الحال.

- "لا يبدو أنه على ما يرام". قالت أوليفيا وهي تكبت تشجيعها، ثم جلست على سرير والدتها وأحاطت جين بزاعبها التي بدأت تكبي. وتابعت قولها: لقد انكسرت عفته، وتآذى عموه الفقري وتقول ماما أنهم ليسوا متأكدين من أنه قد يمشي من جديد. لقد خضع لعملية جراحية لتوه. ولقد ارتطمت سيارته بباص".

قالت جين: "تعنة لعناء"، وتشبقت بأختها الكبرى التي كانت هي دائماً تزيها، وليس العكس. فجين كانت دائماً الهاندة، المقتررة المتمالكة لنفسها حتى منذ أن كانت طفلة صغيرة. لقد استطاعت أن تعتني بنفسها أينما ذهبت، وكانت تستطيع الاعتناء بكل من كان في حاجة إلى عونها. لقد كانت تملك الجانب

غير العاطفي من سيدي، لما الآن فهي تبدو مذعورة حتى إنها بدأت تبكي.

- 'ألمى ستسافر إلى لندن وأنا أيضاً'. قالت أوليفيا وهي تبكي.

- 'وأنا أيضاً سأأتي معكم'. قالت جين، ووثبت من على السرير، لتخبر

والدتها بمخططاتها. فوفقت قبالتها، وكانت سيدي قد أعدت ترتيبات سفرها على الهاتف. 'سأذهب كلثانا معك'. قالت جين لوالدتها وهي تنف أمامها تملأ، فلوحث لها سيدي بيدها لكي تتصرف. فقد كانت بذلك تستطيع أن تسمع، إذ كلثانا يتحدثان بصوت مرتفع. ثم وضعت يدها على سماعة الهاتف وتحدثت إلى جين:

- 'أعتقد أن عليكما كلثانكما البقاء هنا. سأتصل بكما إذا ما شعرت أن حضوركما ضروري.'

- 'إما أن نذهب معك، أو سنذهب وحدنا'. قالت جين بعزم وحزم، وأدركت والدتها من خبرتها بابتها أن الجدل معها سيكون عقيماً لا طائل تحته. كانت تعرف أنه بإمكانها أن تجعل أوليفيا تغير رأيها، ولكن جين حازمة وعازمة كصخرة لا تهتز ولا تتحرك.

- 'متى سنغادر؟'

- 'هناك رحلة طيران الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة'. أجابت سيدي، ثم غيرت حجزها على الهاتف. فقالت لوكيل شركة الطيران أنها تريد حجز ثلاثة مقاعد في درجة رجال الأعمال. وبعد دقيقة وضعت السماعة، وقالت لإبنتها أن طيحين مغادرة المنزل الساعة التاسعة. فكان لديهن ساعتان لبوضنن أمتعتين، وبيركين ملابسهن، ويحزمُن حقيبتهن. إن الوقت المتوفر لديهن لا يكفي حتى لعودة طائرة بيل إلى نيويورك كي تغلهم.

- 'سأعدّ للظهور'. تطوعت جين للقيام بذلك، بينما جلست أوليفيا إلى السرير وراحت تبكي. فقالت جين: 'هيا نحزم أعراسنا، مخاطبة أختها الكبرى، ثم نظرت إلى والدتها، حين فتحت سيدي خزانها وانزلت حقيبة سفر من على الرف. وسألت جين بهنوء: 'هل سينجو بابا يا ماما؟' كانت الفتاة

الرصينة المتعقلة تحاول أن تجاهد لتبقى هادئة، في حين استدارت أمها نحوها تنظر إليها بعينين مضطربتين.

- 'لست أدري يا حبيبتي. يبدو أن الوقت بالكرّ جداً حتى تعرف ذلك الآن. فهو لا يزال يصارع، وقد خرج لتوه من عناية جراحية'. لم تقل لها أن موظفة الاستقبال في وحدة غرفة الإيماش قد أخبرتها أنه كاد يتوفى مرتين تقريباً، وأنهم استغرقوا ساعتين لإخراجها من السيارة. 'إنه قوي، وفي صحة جيدة، ومتمين البنية. وبالتالي سيتحمل الإصابة.'

- 'كيف حدث ذلك؟' سألت جين، وهي تسمح الدموع من عينيها.

- 'لا أعلم. كل ما أعرفه هو أن سيارته الليموزين قد اصطدمت بباص. لا بد أن الحادثة كانت مريعة، فقد مات أحد عشر شخصاً. ونحمد الله أن والدك لم يكن واحداً منهم'. قالت ذلك، وبخداها غادرت جين الغرفة، وبقيت الأم وهي تحاول أن تفكر فيما تريد أن تحزمه.

وبينما كانت تضع بنظراً فضفاضاً وقصيصاً قسبر الكمين وكزة داخل الحقيبة، كان كل تفكيرها منحصراً في المضاعفات التي ستطأ على بيل. لقد كانت متأكدة بما لا يرقى إليه الشك بأنه إذا كان سيتأذى بشدة فإنه، بالتأكيد، سيفضل ألا يعيش. لم تكن تعرف بشكل أكيد ما كانت تمنى له الآن، فقد كان كل شيء يعتمد على درجة سوء الإصابة التي تعرض لها. ولكنها لم تشأ أن تقول شيئاً من هذا للبينتين. وإذا كانت تحزم ثياباً داخلياً وحذاء في الحقيبة لم تكن تحسرك تماماً ما تشعر به هي نفسها. فقد أمضت أكثر من نصف حياتها وهي زوجة له، وما عادت تحبه الآن، ولكن مهما يكن من أمر فقد كانا صديقين. وكان والد أطفالها، وزوجاً لها لثلاثين سنة. لقد كان هناك رجال آخرون في حياتها، وزواجهما كان قد فرغ من معناه وجوهره منذ زمن بعيد، بل حتى إنها فكرت بطلاقه مرة أو اثنتين، عندما كانت على علاقة مع رجل آخريين. ولكن لم يخطر لها أبداً كل تلك السنين أنه قد يموت. ومجرد التفكير في ذلك الآن غير كل شيء.

ما كانت تفكر به شيئاً فجأة الآن هو كيف كان بيل عندما كان صغيرين، وكم كانت تحبه، وكما كان سعيدين في بداية زواجهما. لقد بدا وكأنها تری استعراضاً لأحداث ثلاثين سنة تتسارع أمام عينيها، وهي تنخل إلى الحمام وتكسر مرش الماء عليها. وإذا وقتت تحت رذاذ الماء الساخن، وفكرت في أنه قد لا يستطیع السير من جديد، لم تستطع مع ذلك إلا أن تكي.

غادرن المنزل متجهين إلى المطار بعيد الساعة التاسعة، وكانت شيئاً تعود السيارة، بينما جلست الفتاتان هادئتين في المقعد الخلفي. لم تنبس ببنت شفة، وراحت الفتاتان تنظران عبر النافذة وهما غارتان في التفكير. كن جميعاً يرتديان الجينز ولقمصان القصيرة الكمين (تي شيرت) وينتظرن حذاء من ماركة نايكي، وقد أحضرن معهن بضعة أشياء فقط. لقد توقعت شيئاً لكن قد لا يتمكن من مغادرة المشفى كثيراً، وما كانت أي واحدة منهن تهتم لمظهرها. بالكاد سرحت الفتاتان شعروهما خلال وقت التحضير للسفر. وعندما أعدت لهن جينز القطن قبل أن يغادرن المنزل، لم تأكل أي واحدة منهن. كل ما كن يفكرن به هو بيل في المشفى في لندن يصارع للبقاء على قيد الحياة. وبينما كانت طائراتهن تطلع، كان غورنون فورستر في طريقه إلى لندن جواً في طائرة غادرت مطار شارل دي غول لتوها، وكان من المفروض أن تحط طائرته في مطار هيثرو خلال أقل من ساعة.

وفسي المشفى في لندن، لم يكن شيء جديد قد حدث أو تبدل. فقد وُضع بيل وإيزابيل في غرفتين خاصتين منفصلتين في جناح العناية المشددة. وكلاهما كانت تعطوه شاشات أجهزة المراقبة الطبية، ولكل منهما فريق طبي خاص، ولقد كانا في حال مزرية للغاية حتى إيهما وُضعا في معزل عن باقي المرضى في الجناح. كانت إيزابيل قد تعرضت لحمى شديدة منذ الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم. وكان قلبها ينبض بشكل غير منتظم، وكبدها قد تآذى بشدة، وكثيراً ما عسى وشك الانهيار، وقد عرفوا من الإصابات والجروح والعمليات الجراحية، أن هناك انتقالاً خفيفاً في دماغها. ولكن مخطط كهربائية

الدماغ أظهر أن دماغها كان لا يزال يعمل. وكان الأطباء متأكدين بوضوح أنه لن يكون هناك تلف دماغي دائم إذا ما نجت. لقد كان صعباً عليهم أن يحدوا شيئاً من الإصابات الكثيرة التي تعرضت لها هي المسؤولة عن ارتفاع درجة حرارتها، وكانت لا تزال في حالة سبات عميق، من الجروح بقدر ما كان من المخدر والأدوية التي أعطيت لها. من الناحية السريرية، كان من الصعب أن يصدق المرء أنها قد تعيش.

وكان بيل يحقق تحسناً أفضل منها بقليل فقط. لقد نُبتت حنْقه في جهاز يشبه أدوات التعذيب ذي مسامير وصمولات فولانية، ووضِعَ إلى ظهره سداد معدني، وقد استلقى على لوح لمكنهم أن ينقلوه عليه، رغم أنه كان غير واع لما يحدث حوله. فقد كان هو أيضاً في حالة غيبوبة.

- عائلته متصل من الولايات المتحدة في حوالي منتصف الليل. قالت إحدى الممرضات وكانت الساعة آنذاك الساعة السادسة مساءً عندما تبالوا المناوبة. لقد اتصلت زوجها من الطائرة. إيهم في طريقهم إلى هنا. أومأت الممرضة الأخرى وقامت بضبط صوت ترميز في أحد أجهزة المراقبة. على الأكل كانت علامت الحياة⁽¹⁾ متبدية بشكل جيد عليه أكثر مما هي عند إيزابيل التي بدت وكأنها تتناوب بين الحياة والموت بشكل مستمر. بل حتى إن بقاها بدا أقل احتمالاً من بقائه هو. وسألت إحدى الممرضات إذا ما كان أحد سيأتي ليزور إيزابيل أيضاً.

- 'لا أعرف. أعتقد أنهم اتصلوا بباريس هذا الصباح، وتحدثوا إلى زوجها، ولكنه لم يحدد موعد حضوره، وقالت كاترين أنه كان بينو رابط الجأش. وأعتقد أنه كان مصدوماً.'

- 'يا للمسكين. إن هذه هي إحدى المكالمات التي تشكل كابوساً للمرأة.' قالت هذا إحدى ممرضات بيل بلهجة تعاطف. 'ألسألك إذا ما كان لديها أولاد.'

(1) علامات الحياة (vital signs) : (العلامات الحيوية) هي المؤشرات التي تدل على الحياة، وهي تحديداً النبض، ودرجة حرارة الجسم، والتنفس، وضغط الدم.

لقد كانوا بالكاد يعرفون شيئاً عن أي منهما، فما من تاريخ طبي، ولا معلومات شخصية، بل فقط جسيتهما واسم أقرب الناس إليهما، وما جرى في الحادث. ولم يعرف أحد حتى طبيعة العلاقة بينهما، وإذا ما كانت تربطهما علاقة عمل، أو قرابة بشكل ما، أم مجرد صداقة. وما كان بالإمكان التخصيم بأي من هذه. حتى الآن إنهما مجرد مريضين في جناح العناية المشددة بصارعان من أجل البقاء. كانوا يتحدثون عن عمل جراحي جديد سيجروه على إيزابيل وذلك لتخفيف الضغط عن دماغها. وسيعود الجراح في أية لحظة ليتخذ قراراً بشأن ذلك. وعندما عاد بعد الساعة السادسة لقليل تحقق من شاشات أجهزة المراقبة، والكهر وجهاً، وقرر أن ينتظر. ما كان يعتقد أنها قد تتحمل عملية جراحية أخرى، ولا أحد يعلم إذا كانت تتحملها فعلاً. لقد بدا أنه من غير المنطقي أو المعقول أن يعرضها لخطر عملية أخرى في هذه المرحلة الحرجة.

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة، وكان الطبيب قد غادر للتو، عندما وصل غوردون. دخل إلى جناح العناية للمشددة بهدوء، وتحدث إلى موظف استقبال يجلس إلى مكتبه، وأخبره عن مكانه. رفع الموظف نظره إليه، ولوماً برأسه، وطلب من ممرضة عابرة أن تقوده إلى غرفة إيزابيل. وتبعها غوردون دون أن ينطق بكلمة وعليه علائم الكآبة. لقد استعد لهذه اللحظة طوال النهار، وإذا خطأ داخل غرفتها، كان يتوقع أن يراها مريضة جداً. ولكن ما رآه كان مختلفاً عن توقعاته. لقد بدت له تقريباً وكأنها لفاقدة من اللحم غير واضحة المعالم، حيث كانت هناك ضمادات وأسلاك وأقبيب وشاشات مراقبة في كل مكان، وحتى رأسها كان ملفوفاً بالمشاش، وذراعها ذو الشريان المصاب بدرجة خطيرة كان مضمداً بكثافة أيضاً. الشيء الوحيد المألوف له كان وجهها الشاحب كالأموات والمحاط بالمشاش. لقد بدا أنه الجزء الوحيد من جسدها الذي لم يمس.

عندما دخل إلى الغرفة كان هناك ثلاثة أشخاص إلى جوارها. أحدهم كان يبذل الحقنة الوريدية، وآخر يتحقق من شاشات المراقبة، والثالث كان

يتفحص بؤبؤ عينيها كما يفعلون بشكل متواصل. ولكن مجرد النظر إليها جعل غوردون يشعر بالمرض. لم تنتبه أية عواطف آنذاك إلا للشعور بالرعب مما رآه. لقد بدا الأمر وكأنها لم تعد هناك، ولم تكن له قوقعة روحها المتبقية شيئاً. لقد كانت جسداً منكسراً ليس إلا. لم يقل شيئاً، ولم يقترب منها، بينما راحت إحدى الممرضات تتحدث إليه بهدوء ولطف.

- "السيد فوريستر؟" لوماً برأسه وتتنحج، ولكن لم يعرف ما يقول. وقد شعر بالارتباك إذ اضطر لزيارتها بحضور عدد من الناس يركزون أبصارهم عليه. لم يعرف ما كانوا يتوقعونه منه. ربما كانوا يتوقعون أن يرتمي عند سريرها، أو أن يقبل أناملها، أو يلمس شفيتها. ولكنه لم يستطع أن يحمل نفسه على الاقتراب منها، لقد كان ينظر إليها وكأنه يحق في ملاك الموت وهذا ما زرع فيه الشعور بالخوف.

- "كيف حالها؟" سألهم بصوت أنجس ومتحرج.

- "إنها تعاني من حمى. لقد غادرها الطبيب لتوه. لقد كانوا يدرسون احتمال إجراء عملية جراحية أخرى لها لتخفيف الضغط عن دماغها، ولكنه يرى أن هناك مجازفة كبيرة في احتمالها لتلك. لذا فهو يؤثر أن يتريث. قال إنه سيعود الساعة العاشرة."

- "وماذا سيحدث إذا لم يُجر لها الجراحة؟ هل تصاب بثلث دماغي؟" لم يكن ليتصور شيئاً أسوأ من أن تبقى على قيد الحياة بدون دماغ يعمل، أو حتى أن يكون دماغها متضرراً بشدة، ولرأه أن يخير الجراح بذلك. لقد فكر بأن جهودهم لإقناذها ستكون لا طائل منها إذا ما آلت إيزابيل إلى وضع أقل مما كانت عليه. لقد كانت جميلة ونكية وموهوبة، ورغم الفروقات والخلافات بينهما، إلا أنها كانت زوجة صالحة بالنسبة له، وأم صالحة لولديه. فإن بقدها لكسي ترفد في سريرها كجثة حية كان أمراً مفضلاً بالنسبة له، وكان على استعداد لأن يصارع لثلا بصبيها هذا. فما كان يريد لولديهما أن يتذكراهما على تلك الحال. أو أن يعيش هو نفسه في هكذا وضع.

- "لا يمكننا التكهّن الآن بما سيحدث يا سيد فوربيستر. ولكن فحوصات الدماغ كانت مشجعة. فمن السابق لأوانه أن نعرف الآن ما ستؤول إليه حالتها". كان يستحيل الاعتقاد بأنها قد تتجو لساعات، أو أشهر في حالتها هذه.

- "هل ثمة طبيب هنا أستطيع التحدث إليه؟" سأل غوردون إحدى المرصّات، دون أن تبدو عليه أية علائم عاطفية. لقد شعرت الممرضة وكأنه صديق بعيد لها، أو أحد أقاربها البعيدين وقد جاء إلى المشفى بدافع الواجب. فقد كان غوردون يحتفظ بعواطفه لنفسه.

- "سأعلم الجراح المسؤول بوجودك". قالت الممرضة ذلك وهي تمر بجانبه خارجة إلى الزدفة، تاركة الممرضتين الأخريتين مع إيزابيل. في الواقع، لم تشعر الممرضة بالراحة بسبب موقف غوردون فوربيستر. إذ كانت رؤيتها لإيزابيل تمزق فؤادها. لقد كانت إيزابيل جميلة جداً وشابة جداً. ولكن هذا الرجل الذي طار من باريس لرؤية زوجته بدا فاقد الإحساس تملأاً. ولم يحصل أبداً أن التقت بشخص على مثل درجة البرودة التي عليها غوردون.

خطأ غوردون خارجاً من الغرفة، وسار عبر الزدفة، منتظراً من يأتي ويستحدث إليه. ومرت عشر دقائق قبل أن جاء جراح شاب إليه. لقد أكد لغوردون ما كان قد عرفه لتوه، واعترف له بوجود خطر الموت المحقق بها. وقال له إنهم كانوا يناقشون مسألة إجراء عملية جراحية أخرى لها، ولكن كانوا يأملون بتفادي العملية ما أمكنهم ذلك. كل ما كان في وسعهم أن يفعلوه هو أن ينتظروا ويروا كيف سيمتجيب جسدها للإصابة التي تعرضت لها. وفي تفكيره، إنهم سينتظرون طويلاً حتى يحصلوا على نيا طبيب. ولكن شعر أن المرحلة التي وصلوا إليها معها حتى الآن تدل على بارقة أمل وحيدة ولا تزال ضئيلة.

- "يوسفني قول ذلك يا سيد فوربيستر، فإذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الحادثة، لرايينا أن نجاتها أمر معجزى". وأوماً غوردون برأسه، ثم تركز تفكيره حول نقطة كان قد ذكرها الطبيب الشاب لم تكن في باله قبلاً.

- "ظننت أن السابق قد قتل".

- "نعم لقد مات في الحلال، وكذلك الأمر سابق للباس، وتسعة ركاب".

- "أظن أنني فهمت منك أنك قلت نجاتهما؟"

- "نعم قلت ذلك. لقد كان معها راكب آخر. وقد نجا هو أيضاً، رغم أنه ليس بحال أفضل بكثير من زوجتك، إن إصابته مختلفة عنها، ولكنهما كلاهما في خطر. فحالتهم تصنّف بأنها خطيرة وحرجة جداً. وإذا كان غوردون يستمع إليه لثابته شعور غريب خفي، ولم يستطع أن يتخيل ماذا كانت إيزابيل تفعل في سيارة ليموزين مع رجل آخر، وبخاصة في تلك الساعة من الليل. لقد كان يعلم أنها جاءت إلى لندن لتشاهد معرضاً في التيت ولتزوّر معارض وصالات أخرى، ولم يَرِ ضيراً في ذلك، أما الآن فالأمر يبدو غريباً.

- "هل تعرف من كان معها؟" سأل غوردون وهو يبدو غير مبالي. فلم يظهر على وجهه أية تعبير غير عادية.

- "تعرف اسمه فقط لا أكثر. اسمه وليم روبنسون وهو أمريكي. وأعتقد أن عائلته قائمة الآن بالطائرة. إذ من المتوقع وصولها هنا هذه الليلة". وأوماً غوردون برأسه، وكأنه كان يتوقع أن تكون مع أحد أصدقائه القدماء، وكرر الاسم في فكره لوهلة، ورن الاسم في أذنه، وتساءل إذا ما كان صاحب الاسم هو نفس الشخص الذي في باله. فهو يعرف شخصاً اسمه وليم روبنسون التقى به عدة مرات قبل سنوات، وهو شخصية مرموقة في العالم السياسي. وكان يعلم أن روبنسون وسفير فرنسا كانا صديقين قديمين. ولكنه لم يستطع أن يتصور ما كان يفعل مع إيزابيل. فهو لم يكن حتى متأكداً إذا ما كانا قد التقيا قبلاً. ولم يستطع أن يتذكر إذا ما كانت إيزابيل معه عندما تعرف عليه في السفارة. فلقد كانت قلما تخرج. لقد كان ما تفعله إيزابيل معه سراً شامضاً تملأ بالنسبة له.

- "هل سيكون على ما يرام؟" سأل غوردون بنظرة اهتمام، غطيت على الأسئلة التي تدور في فكره.

- لسنا نعلم. لقد انكسرت عنقه، وتأذى الرجل الشوكي العلوي. ولديه إصابات داخلية أيضاً، ولكنها ليست على نفس الدرجة من الخطورة مثل إصابات زوجته.

- يبدو أنها تعرضت لإصابات بالغة جداً. قال غوردون، ولكن هل يصاب هو بالشلل من إصابة نخاعه الشوكي؟

- "لا يمكننا الآن الجزم بذلك، فهو لا يزال غائباً عن الوعي، فلم يسترجع وعيه بعد العملية حتى الآن. قد يكون مجرد رد فعل على الإصابة التي تعرض لها في الحادث، أو شيئاً أكثر تعقيداً من ذلك كنتيجة للإصابة التي في عنقه. إن حالته خطيرة أيضاً". لقد خطر لغوردون، وهو يصغي إلى الطبيب، احتمال أن يموتاً كلاهما دون أن يجد أحد تفسيراً لما كانا يفعلانه معاً تلك الليلة. وراح غوردون يتساءل هل كان الأمر مجرد صدفة. فربما كان لديها أصدقاء قدامى في لندن من فترة صباها لم يعرفهم غوردون قد ذهبت لرؤيتهم، ولربما ركبت مع روبنسون سيارة الليموزين لكي يغادرا الفندق. ولكن لماذا كانت خارجاً في تلك الساعة؟ من أين كانا قادمين؟ وإلى أين كانا ذاهبين؟ وكيف كانا؟ ولماذا كانا معاً؟ هل كانا يعرفان بعضهما بعضاً؟ أم أنهما التقيا لتوهما؟ كان هناك ألف احتمال وسؤال يدور في رأسه. وما كان بإمكانه معرفة أي جواب على أي منها وخاصة إذا لم ينجوا من الحادثة. لقد كان يعتقد أنه يعرف إيزابيل جيداً، بل كان متأكداً من ذلك. فلم تكن من زوج أولئك النساء اللواتي يمتن علاقات عاطفية، أو حتى أن تكون لهن لقاءات بمراسية سرية مع الرجال. ولكن مع ذلك فقد كانا معاً في سيارة ليموزين الساعة الثامنة بعد منتصف الليل، ومهما كان السبب، فليس بالإمكان معرفته الآن.

- "هل تسود أن تمضي هذه الليلة هنا في المشفى إلى جوار زوجته؟" سأله الطبيب الشاب، ولكن غوردون سارع لهُز رأسه تقياً. لقد كان لديه خوف من غرف المرضى والمشافى والمرضى. لقد كان ذلك يذكره بأمه على نحو مشؤم.

- "بما أنها غائبة عن الوعي، فلا نجد من داعٍ لبقائي هنا. بل إن وجودي هنا سيرقل عمل فريقك. سوف أمكث في الفندق. سأكون في فندق كلاريدج، ويمكنك أن تتصل بي إذا ما استجد أي طارئ. هذا يبدو معقولاً أكثر. أفتر لك الوقت الذي أمضيته معي، وجهودك التي تبذلها من أجل زوجتي". قال غوردون ذلك بلهجة رسمية وقد بدا غير مرتاح، فنهض من جديد. لقد كان واضحاً أنه كان مستاءً للغاية بسبب الازعاج الذي شعر به في المشفى، وما كان لديه رغبة للعودة إلى غرفة زوجته. "سوف أعرج عليها وأراها للحظة قبل أن أعزجها". وشكر الطبيب من جديد وعاد أنراه إلى الردهة، وعندما وصل إلى باب غرفتها، كان هناك خمسة من الفريق الطبي يعنون بها، وما كانت تبكي عليها عاكلم الحياة. فلم يحاول دخول الغرفة، ولكني بمراقبتهم من الخارج أولاً، ثم استدار وغادر المشفى دون أن يقول كلمة أخرى. لم يلمس إيزابيل، ولم يقبلها، ولم يقرب من سريرها. وما أن وصل إلى الشارع حتى أخذ نفساً عميقاً.

لقد كان غوردون يمقت المشافي والمرضى والأمراض. لذلك كان يتدي بشكل له إزعاجاً وصعوبة. فهو ما كان يستطيع تحمل هذا. استوقف سيارة وهو يحمل بيده حقيبة سفره التي تحوي أغراضه التي يحتاج إليها لقضاء ليلة واحدة خارجاً، وأعطى السائق عنوان فندق كلاريدج، وشعر بالتوقع قليلاً. لقد كان مرتاحاً للغاية لخروجه من جناح العناية المشددة، ورغم أنه شعر بالأسف من أجلها، إلا أنه لم يستطع أن يحمل نفسه على دخول الغرفة وحتى أن يلمس يدها، ومن حسن حظها أنها لم تكن واعية، هذا ما فكر به، وستكون رحمة من الله إذا ما نجت بدون تلف دماغي. فما كان يريد لها هذا المصير. ولكن بالرغم من مدى الأسى الذي شعر به من أجلها، إلا أنه لم يكن لديه أي إحساس بالخسران، أو باليأس، أو بالخوف من فقدانها. لقد بدت له الآن وكأنها غريبة عنه ترقد إلى سريرها في المشفى وهي مهتمة الجسم. لقد بدت له وكأنها دمية فاقدة الحياة، وما كان يستطيع أن يصنق أن المرأة التي رآها لتوه هي

الفتاة الشابة التي تزوجها يوماً، بغض النظر عن أنها كانت زوجته لعشرين سنة. لقد بدا له وكأن روحها قد فارقتها، وبذ توفقت السيارة أمام فندق كلاريديج كان كل ما يدور في ذهنه هو السؤال عما كانت تفعله مع بيل روبنسون في سيارة الليموزين. ولكن لم يكن أحد إلا إيزابيل تعرف الجواب على هذا اللغز الغامض، وببيل أيضاً، ولكنه هو أيضاً عاجز مثل زوجته عن إجابته على هذا السؤال.

أخذ البواب حقيبة غوردون منه. لقد كان غوردون قد حضر معه بضعة قصصاً وبعض الثياب الداخلية، فما كان ينوي المكوث طويلاً. لقد جاء ليحدد أو يقمّم الوضع، وكان يعتزم العودة إلى باريس خلال يوم أو اثنين. وأن يعود إلى لندن من جديد عند الحاجة، وقد تكون أنذاك قد توفيت، وربما تكون بقيت على حالتها. لقد أخبره الجراح الشاب تلك الليلة أنها قد تبقى في حالة سبات أو إغماء دون أن يطراً عليها أي تغيير لمدة أسبوع بل وربما أشهر. وليس هناك مجال لبقائه في لندن معها، إذ ينبغي عليه العودة للاهتمام بشؤونه الخاصة، وللإشراف على تيدي الآن، وأن يتابع مجريات الأمور في المصرف. وإذا اضطر لذلك فإنه سيذهب جينة وذهوباً بين لندن وباريس كل بضعة أيام. ولكنه كان يدرك أنه إذا استمر هذا الوضع هكذا طويلاً فمن الأفضل أن يتصل بصوفي في البريتغال وأن يطلب منها أن تعود إلى المنزل. فعلى الأقل يمكنها أن تتسلى بتيدي خلال غيابها. لقد كان يخاف أن يتصل بها، ولكن بعد الذي رآه الليلة، بدأ يفكر أن عليه القيام بذلك. لقد كان في حاجة لأن يضعها في صورة كل شيء إذا ما توفيت إيزابيل.

عزج غوردون على مكتب الاستقبال وطلب مفتاح غرفة إيزابيل، فخرج المدير المساعد من مكتبه في الحال وعز عن أسفه الشديد لمصاب غوردون.

- يا له من حادثة مروعة. إننا أسفون جميعاً وللغاية... يا لهذا الأمر الممهور... تلك المرأة اللطيفة... لم نعرف بوقوع الحادث إلى أن اتصلت الشرطية... وتابع حديثه لعدة دقائق كان غوردون يومي له برأسه ويوافقه

على كل ما يقوله. كيف حالها الآن يا سيدي؟ سألته المدير المساعد جزعاً.

- ليست على ما يرام. ثم فكر بمحاولة معرفة الأشياء الأخرى التي يعرفها المدير المساعد. فقال: "من الواضح أن السيد روبنسون قد تأذى بشدة أيضاً". ونظر في عيني الشاب عله يكتشف شيئاً، ولكن دون فائدة. وألوى الشاب يديه المتشابكتين بما يوحى بتعاطفه.

- هذا ما عرفناه أيضاً. كان هذا كل ما قاله الشاب. وكان من المرجح أن يسأله لماذا كانا معاً في سيارة الليموزين، فكان غوردون يبحث عن سؤال مناسب يوجهه للشباب بحيث يحقق الغرض الذي يريده منه. ولكن لم يكن الأمر بهذه السهولة.

قال غوردون على نحو غير محدد: "يا لسوء الحظ الذي أصاب كليهما، إنه صديق قديم لي، ولقد التقيا هنا من دون ريب".

- نعم على ما أعتقد. قال المدير المساعد وهو يومي برأسه. "أظن أنني رأيتهما يشربان الشاي معاً في البهو بعد ظهر أمس".

- هل تعرف إلى أين ذهبا ليلة أمس؟ سألته غوردون وكأنه يستقصى عن الحادث، ولكن المدير الشاب هز رأسه دلالة عدم معرفته.

- يمكنني أن أسأل بواب القاعة عما إذا كان قد أجرى لهما حجوزات في مكان ما، فربما عمل ذلك. وخطا مبتعداً للحظة واستعلم من بواب القاعة الذي قال أن السيد روبنسون كان دائماً يقوم بالحجز بنفسه عندما يكون في اليلة، وكان قلما يطلب منهم القيام بذلك، اللهم ما عدا استئجار سيارة، كما فعل هذه المرة. ولكنه يعتقد أن بواب القاعة الأخر قد حجز مكاناً لهما في نادي مارك. ولكنه في إجازة اليوم، يمكنني أن أسأله عندما يعود. ويمكن أن اتصل بنادي مارك إذا أحببت. لسوء الحظ أن السائق قد مات، وأظنك تعلم بذلك. إنه أحد أفضل أصحابنا، وهو إيرلندي، ولديه زوجة وأربعة أولاد. يا لها من مأساة مروعة". قال ذلك وهو يشعر بالحزن والأسى على ما حدث، وشكره غوردون، وأخذ منه مفتاح الغرفة، وسار نحو المصعد وركب المصعد. وكان

لا يزال يفكر بما قاله المدير عن شربهما الشاي في البهو بعد ظهر يوم أمس. وتساءل إذا ما كان قد التقيا في بعض مناسقات الفن والآثار، أو إذا ما كان قد ألقها بسيلرته فقط. لقد كانت بريئة جداً، وبدافع مذاحتها قد تصادق شخصاً هكذا، وشرب الشاي في بهو الفندق لا يوحي بعلاقة رديئة، ولكن في ذهن غوردون أن تكون الساعة الثانية بعد منتصف الليل في سيارة ليموزين مع رجل ليس بالأمر البريء. وظل عاجزاً عن تصور ما كان يدور بينها وبين سيل روبنسون. لم يرق له الأمر، ولو حصل هذا مع امرأة أخرى غير إيزابيل لامتضحت الأمور أكثر، ولكن في حالة إيزابيل، لا بد أن هناك سبباً لعمق أو سبباً معقولاً غير خطير قد جعلها تكون معه في السيارة. كان غوردون لا يزال مختاراً حول هذا الموضوع عندما دخل إلى غرفتها.

وسرعان ما انتبه شعور خفي غامض فجائي، كما لو أنها قد توفيت، فنظر حوله، وكان يشعر وكأنها قد ماتت لتوها. كان مكياجها معتراً على الطاولة بجانب المضلة. ورداء نومها كان معلقاً إلى كلاب خلف باب غرفة الحمام. وكانت ثيابها معلقة بشكل مرتب في الخزانة، وكان هناك مجموعة من الكيسبات والكراسات من المتاحف وصالات العرض الفنية موضوعة على الطاولة، ورأى إلى جانبها دفتر نقاب⁽¹⁾ من بار هاري، وبما أن إيزابيل ما كانت مدخنة، فقد استغرب وجوده هناك. ثم ماذا كانت تفعل في مكان كبار هاري؟ أو نادي مارك؟ ثم لاحظ إلى جانب أعواد النقيب التي من مطعم هاري دفتر نقاب آخر من نادي أنابيل. وعندما رأى ذلك شعر بالسخط يجري في عروقه. فربما لم تكن لمسيئتها مع بيل روبنسون بريئة كما كان يرجو. وتساءل فيما إذا كانت قد ذهبت معه إلى تلك الأماكن. جال بنظره في الغرفة بحثاً عن أدلة أخرى، ولكن لم يجد أي آثار لثياب رجل، أو رسائل، أو قصاصات، أو أزهار مع بطاقة مرسلة إليها منه. كل ما هناك كان مجرد

(1) دفتر النقيب: (book of matches): علبه كبريت رقيقة مطوية وهي عبارة عن سفين من الميدان الورقية.

دفترى نقاب في محفظة متمرجة أليفة كان يعرف أنها كانت تحتفظ بها للذكرى. لربما يكون روبنسون قد ألقها فقط، وهذا ما كان لا يجب أن تغبل به. من جميع التواحي كان يشعر أن الأمر بريء، وإذا كان قد حدث شيء ما بينهما تلك الليلة، أو قبلها، فبالإكدي قد دفعا شمه باهظاً. ولكن مع ذلك لم يستطع أن يعرف نوع الرابط الذي يجمع بينهما، أو إذا ما كان هناك أي رابط على الإطلاق. سن عثبي النقيب في جيبه، وجلس، وراح ينظر حوله في الغرفة، ثم قرع الجرس بنادي التبادل ويطلب منه أن يتكئ بالمشرب المفضل.

عندما ترجلت سنثيا روبنسون والفتتان من الطائرة، كانت الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً في لندن. كانت كلتا الفتاتين قد نامت في الطائرة، لفترة قصيرة على الأكل. أما سنثيا فقد أمضت معظم وقت الرحلة شاردة في أفكارها، وتنتظر خارج النافذة. وبدأ تأثير ما حدث لييل يصيبها. وكانت تتوق لرؤيته، فربما يكون لهما حظ برويته قد استعاد وعيه عند وصولهما إلى المشفى، وربما لا يكون للإصابة التي تعرض لها في عتقه وعموده الفقري تأثيرات طويلة الأجل. هذا ما كانت ترجوه، ومن أجله.

استغرق نصف ساعة للخروج من الجمارك في المطار، وكانت سيارة من فندق كلاريدج في انتظاره. فذهبن مباشرة إلى المشفى، ووصلن هناك الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. كان جناح العناية المشددة لا يزال في حالة هياج ونشاط صلبخ في تلك الساعة، وكان أربعة مصابين قد أدخلوا حديثاً إلى الجناح قبيل وصول سنثيا وابنتيها. ولكن سنثيا لم تجد صعوبة في تعريف نفسها إلى الممرضات أو إيجاد طبيب تتحدث معه عن بيل. لقد كانت سنثيا ماهرة في هكذا أمور. فاستوقفت طبيباً كان في طريقه إلى غرفة بيل.

نفس الجراح الشاب الذي كان قد تحدث إلى غوردون قبل وقت جلس معها في القاعة وشرح لها الوضع، بينما راحت جين وأوليفيا تصغيان. كان بيل لا يزال في حالة غيبوبة، وما كانت تبدو عليه أية بوادر تحسن حتى الآن. لقد بدأ يظهر عليه انتفاخ كبير في منطقة العمود الفقري التي كانت تضغط

على الأعصاب المصلبة، وكان التمزق في عنقه شديداً للغاية. عندما وصل الطبيب إلى نهاية حديثه وهو يشرح لمن حالة بيل، بدا مظهر بيل مروعا جداً، وعندما رآته سنبها كانت إلى حد ما على استعداد لتعمل هذا المنظر. لقد كان مهيئاً إلى أداة تشبه لوات للتعذيب موضوعة إلى عنقه، وقد أُسند إلى جهاز لتثبيت جسمه كله، وكانت تغطيه الأربطة والجروح والتمزقات والكدمات والخدوش. كانت الممرضات تراقبه، وأجهزة المراقبة تزم بدون توقف، وكان شاحباً كالأموات حتى إن البنثون شرعنا بالكاء عندما شاهدنا وجهه. كل ما أمكن سيدي أن عمله هو أن نحقق إليه، وفجأة انفجرت في داخلها كل المشاعر التي قاومتها منذ سمعت النبا، فأخذت هذه العواطف منها كل ما أخذ. وتفرغت الدموع من عينيها، فما عاد كتلة من الأمراض والأعضاء المهشمة بل كان الفتي التي أحبته عندما كانا في اللجعة، وأمكنتها أن تلاحظ مدى الإصابات القاتلة التي تعرض لها. وبذلت كل قوتها لتمالك نفسها من جديد، وأن تكون مشجعة لابنتيها.

لقد وقفت جين وأوليفيا في ركن الغرفة، وتعانقتا وهما تبكيان بصمت، في حين عثلت إحدى الممرضات جهاز التنفس الاصطناعي، وندت سيدي ببطء من سريره. لمست يده وشعرت بأنه ليس هو نفسه، وكانت تبكي بشدة حتى لم تستطع أن تتحني وتقبله. لقد كانت تفرح من الغرفة راحة المواد المطهرة. كان بيل عاري الصدر وكانت هناك أجهزة مراقبة مثبتة إلى كل أنحاء جسده.

- "ليه يا حبيبي. أنا سيدي". قالت له هامة وقد وقفت إلى جواره. وشعرت بنفسها فتاة من جديد، وراحت تنظر إليه، ومثلت الصور تتسابق في رأسها، بدءاً من اليوم الذي التقت به فيه، ويوم زواجهما، ويوم أخبرته أنها حامل. مرت في ذهنها تكريات ولحظات كثيرة عشتها معه، والآن هو يردد هنا، وقد تبدلت حياتهما إلى الأبد. وكانت عاجزة عن أن تتصور كيف يمكن لحسبتهما أن تعود إلى حالتها السوية الطبيعية من جديد، وشعرت أن ما يهمها

هو أن يبقى على قيد الحياة مهما كان الضرر الذي أصاب جسده، فجأة صار يهمها أن يبقى على قيد الحياة، وما عانت تريد أن تقده. ولأول مرة منذ سنوات اكتشف أنها كلت لا تزال تحبه. "حك". قالت له مراراً وتكراراً. "أريدك أن تفتح عينيك الآن. ها إن البنات هنا. إنهما تريدان أن نتحدثا إليك يا حبيبي".

قالت لها إحدى الممرضات بلطف: "إنه لا يستطيع سماعك يا سيده رويسون".

- "أنت لا تعلمين ذلك". قالت لها سيدي ذلك بحزم. وما كانت من نوع النساء اللذي قد يربد المرء أن يجادلها، في أي وقت، وخاصةً في مثل هذا حالة، فما كانت تريد أن تسمع ما يقوله الممرضة لها. إضافة إلى ذلك فقد سمعت، ومنذ سنين عديدة، قصصاً عن أناس كانوا في حالة إضواء أو غيبوبة ولكن كان يمكنهم سماع كل ما كان يقوله الناس حولهم. وتابعت سنبها تخاطبه، ومكثت هي والبنثان مدة ساعتين إلى أن جاء طبيب يتحقق من حالة بيل واقترح عليهم أن يأخذن بعض الراحة، وأن يقدن في الصباح. فليس هناك أي طارئ على حالة بيل حتى ذلك الوقت.

- "هل من مانع في أن أمكث هنا معك؟" سألت سيدي الطبيب. فهي لم تقطع كل تلك المسافة من كونتكتيكوت لكي تجلس في فندق كلاريدج بدلاً من ملازمة بيل. ثم أنها لم تكن متأكدة بالكيفية أو وثقة منهم إلى جواره. لقد كانت تريد أن تراقب ما كانوا يفعلونه له. ولكن تكثرت بالعناية التي كانوا يقدمونها له.

- "أعتقد أنك يجب أن تذهبي إلى الفندق. وسوف نتصل بك عند حدوث أي تطور في حالته". قال الطبيب بحزم. لقد أمكنته أن يدرك أنها من نوع النساء اللواتي يجب مخاطبتهن بشكل مباشر وصريح. لم يكن هناك أي تشويش حول المريض، ولم يخفوا عنها أية حقائق. لقد كانت تريد أن تعرف كل شيء، وإن تستقر إلا بعد أن تحصل على ذلك. قال لها الطبيب: "أعدك أننا

سنتصل بك". واستغرقه من الوقت نصف ساعة كي يقنعه بالرحيل. وكان السائق ينتظره في الأسفل، وكانت الساعة عندئذ قد قرابت الرابعة صباحاً. وعندما غادرت سنثيا والفتاتان للمشفى كن مرهقات للغاية.

لقد كانت قد حجزت غرفة في فندق كلاريدج لأوليفيا وجين، وكانت تعتزم المكوث في غرفة بيل. وإذا فتحت الباب بالمفتاح الذي كانوا قد أعطوه لها، انتابها نفس الشعور الغامض اللغفي الذي أصاب غورنون عندما دخل غرفة إيزابيل. لقد شعرت وكأنها كانت تنظف. لقد كانت تحببته هناك، وكانت هناك أوراق على عدة طاولات في أرجاء الغرفة، وحزمة من البرشورات من صالات العرض الفنية والمتاحف بدت غريبة بالنسبة لها، فمتى تسنى له الوقت لزيارة المتاحف؟ ورأت نصف دزينة من الفواتير والوصولات باسم بيل ولحدها كان من مطعم بلر هاري، وآخر من نادي أنابيل، ولكنها كانت تعرف أنه كان يذهب إلى هناك مع أصدقائه أو مع رفقاءه رجال الأعمال كلما كان في لندن. لم تجد أن في الأمر ما يريب، وصارت تبكي بعد أن رأت بيجامته. لقد شعرت فجأة بالخوف من أن تفقده، وعندما اتصلت بالبلدات لتطمئن عليها كنا كنا كليهما تكيان. لقد كان يوماً حافلاً بالعواطف بالنسبة لهن، وروية والدهما قد أخافتهما أكثر مما أخافت والدهما. وكان يصعب عليهما التحلي بالأمل بعد رؤيتهما له على تلك الحال. لقد بدا مكثهما منكسراً بشدة، بل شبه ميت.

لم تستطع سنثيا أن تطرد صوت بنيتها وهما تكيان من رأسها، فارتدت برنس حمام فوق بيجامة بيل ومضت سيرا إلى غرفتهما كي تراهما. لقد كانت تؤد لو تحتضنها فقط وأن ترفع معنوياتهما. وبعد ذلك جلست وأمضت نصف ساعة معهما. وكانت الساعة قد قرابت الخامسة فجراً عندما غادرت غرفتهما وعادت إلى غرفة بيل. واستلقت هناك تبكي فوق الوسادة التي كانت تعبق برائحة، ولم تفت حتى الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة.

عندما استيقظت سنثيا في ذلك الصباح اتصلت بالمشفى لتطمئن على بيل، فأخبروها أن ما من جديد طرأ على حالته خلال الليل، وصارت علاماته

الحيوية أكثر استقراراً بقليل مما كانت، ولكنه كان لا يزال فاقد الوعي. كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً آنذاك، وكانت سيندي تشعر بجسها منهمكاً وكأنها كانت تتعرض للضرب بأنابيب من الرصاص طوال الليل. فاطمأنت على البنات، بأن دخلت بهدوء إلى غرفتهما، ووجدتهما لا تزالان لتسنتين. وعادت إلى غرفتها، واستحمت ولرعدت ثيابها، ثم بعيد الظهيرة كانت على أتم الاستعداد للعودة إلى المشفى. ما كانت تحب أن توظف البنتين، فتركت لهما قمصاة ورق. تركت الورقة في غرفتهما، وقالت لهما فيها أنها ستتصل بهما من المشفى لتعلمهما بحالة والدهما. نزلت السلام وركبت السيارة التي كانت في انتظارها، وأعطت العنوان إلى السائق. وخلال الطريق تحدثت السائق عن الحادث، فالسائق الذي قتل في الحادث كان أحد أصدقائه المقربين. وغير سنثيا عن أسفه عما حدث لزوجها، وشكرته.

وجدت الأمور على حالها عندما وصلت إلى المشفى، ولازمت غرفة الاستظار بعد أن تحدثت إلى بيل قليلاً. وراحت تنتظر وصول أي من أطباء بيل. وبينما هي جالسة هناك رت رجلاً يمر بها. كان طويلًا وذو مظهر متميز يرتدي بذلة جيدة التفصيل ويحيط به جو من الاستقرارية والسعادة استرعت انتباهها في الحال. توقف كي يتحدث إلى الممرضات إلى المكتب، ورائتهن يهزرن رؤوسهن وينظرن إليه نظرة غير مشجعة. كان فمه مطبقاً في نهج، ثم اختفى في الردهة باتجاه غرفة بيل.

لم تستطع سنثيا إلا أن تتسائل عن السبب الذي حدا به على المجيء إلى هنا. وبعد ذلك رأته يخرج من غرفة مقابل غرفة بيل من الردهة، ويعود للحديث إلى إحدى الأطباء في الردهة. ثم غادرت ثانية، وشعرت سنثيا أنه مثلها يبرح تحت عبء لعبة الانتظار المريع، مترقباً ما قد يحدث لشخص مريض بشدة. وشعرت ومن دون أن تدرك السبب، أن أمراً غريباً وغامضاً يحيط بهذا الرجل. لقد بدا في غاية الاضطراب والانعاج في جناح العيادة المشددة ولمست في داخله رفضاً وغبضاً بأن معاً، وكأنه كان مستاءة للغاية لاضطراره

للوجود هناك. لقد بدا قلقاً، ومنزعجاً ومُخزباً ومريضاً في هيئته. وعلقت
سنيها على مظهره إلى إحدى الممرضات عندما عادت إلى الغرفة لرؤية بيل.

ما كانت سنيها تجعله أذكاراً هو أن إيزابيل كانت قد دخلت في نوبة أكثر
سوءاً وأنهم أخبروا غوردون لتوهم أن حالة زوجته قد أصبحت أقل تحالفاً
بشكل ملحوظ. فإصابتها بالعديد كانت تزيد حالتها سوءاً، وتفرق أكثر في
الغيبوبة. لقد قرروا عدم إجراء عملية أخرى، فقد كانوا متأكدين بأنها لن تقوم
أو تصمد أمام أية جروح أخرى تصيب جسمها. وعاد إلى الفندق ليُتصل
وينتظر أية أنباء جديدة. أخبر سكرتيرته أنه سيبقى في لندن في عطلة نهاية
الأسبوع دون أن يبرر لها السبب ثم اتصل بمرضات تيدي ليطمئن عليه.
وفجأة شعر بأنه ينوء تحت عبء ثقل مسؤولية ابنه. فهو لم يكن قد اضطر
للتعامل مع أي من هذه الأمور من قبل. لم يقل شيئاً لتيدي أو لمرضته بشأن
حالة والدته. ولكن غوردون لم يكن مسروراً لوقوع هذه المسؤوليات فجأة
عليه.

لقد أخبر الصبي أنه سيقبض عنه في عطلة نهاية الأسبوع، وأنه سيكون
في لندن مع أمه.

- قالت ماما أنها ستأتي للباحة إلى المنزل". قال ذلك وهو يشعر
بالخيبة، "فلماذا ستبقى؟".

- "لأن عليها أشياء تعملها هذا. هذا هو السبب". تحدث إليه غوردون
بحدة ونزق، ولكن فظافته لم تدهش تيدي. فلم يكن لدى والده أي اهتمام أو
صبر ليقدمه له.

- ثم اتصل بي.. هلأ طلبت منها أن تتصل؟".

بدا تيدي حزيباً مكتئباً إلى حد ما، فاستشاط غوردون غضباً. وفجأة
توترت أعصابه للغاية، ولم يكن عنده أي تبرير مقنع يقدمه لتيدي عن سبب
عدم اتصال أمه به.

- سوف تتصل بك في نهاية الأمر. أما الآن فلديها أشياء تعملها معي".

لقد كذب على الصبي، ولكن شعر أنه لم يكن لديه خيار آخر. وفي الوقت
لحاضر كان الكذب عليه أطف بكثير من أن يخبره الحقيقة. لقد كان تيدي
أضعف بكثير من أن يسمع حقيقة ما جرى، خاصة وهو بعيد الآن. فإن كان
غوردون سيضطر لإخباره بالحقيقة في نهاية الأمر، فإنه ينوي أن يخبره بذلك
شخصياً وبحضور طبيب اللقي. ولم يتصل غوردون بصوفي أيضاً. لقد أراد
أن يري كيف ستسير عليه الأمور. فما من داع لإخافتها الآن، وإذا كانت
إيزابيل ستتموت قبل أن تستعيد وعيها فسوف لن تتمكن صوفي، بحال من
الأحوال، أن تراه. اتخذ قراره هذا في صباح ذلك اليوم.

قال تيدي لوالده: "أخبر ماما أنني أحبها"، إذ كان والده يحفل في إنهاء
الكلمة الهاتفية. فلم يكن هذا الحديث يروق له. لقد كان يبغض أن يكذب على
الصبي، وفي الوقت نفسه لم يكن يريد أن يطلعه على حقيقة ما جرى لإيزابيل.
بعد ذلك بهليل عاد غوردون إلى المشفى ليراها. عندما وصل، وقف في
أقصى ركن من الغرفة وتبدو عليه علامات الكرب والمحنة، وراح ينظر إلى ما
كلوا يخبرونه لها. وخلافاً لسنيها روبنسون مع بيل، فهو لم يقترب من إيزابيل،
ولم يتحدث إليها، بل حتى لم يلمسها. لقد كان اشمزازه عظيماً، إذ ما كان
يستطيع تحمل هذا الوضع.

- هل تريد أن نتركك على أفراد لبعض الوقت مع زوجتك؟" سألته
إحدى الممرضات بلطف. لقد كان في حالة غير مريحة جعلتها تشعر بالإشفاق
عليه.

ولكن غوردون أجاب بدون تردد: "لا، شكراً لك. هي لا تستطيع أن
تسمعني بأي حال. سأكون في حجرة الانتظار، فلو سمحت أخبروني إذا ما
طراً أي تغيير". قال هذا ولاذ بالفرار من الغرفة، ومضى ليجلس في غرفة
الانتظار حيث أوليفيا وجين. جاءت سنيها بعد قليل لتطمئن عليهما، ولم تكن
لدى غوردون أدنى فكرة عمَّن يُكُنُّ، ولم يهتم لشأنهن البتة. واستغرب عندما
ابتسمت له سنيها. لقد كانت تبدو متعبة وشاحبة. لقد كانت قد أرقت شيئاً

على كثرتها القصيرة للكمين، ولكن النظرة التي في عينيها بدت ودية له.

قالت: "أسفة لما لَمْ بزواجك". لقد كانت قد سمعت الممرضات يتحدثون عنها، وكل ما عرفته هو أنها كانت في حالة أشد خطورة من حالة بيل، ولكنهم لم ينكرون لها الكثير عنها.

- "شكراً لك". قال لها غوردون بلهجة مهذبة ومقضية. فلم تكن لديه رغبة في إنشاء صداقات في غرفة انتظار في جناح رعاية مشددة، ولكنه في الوقت نفسه ما كان يطيق رعب المكوث في غرفة إيزابيل. ولم يكن لديه مكان آخر يذهب إليه عدا فندق كلاريدج الذي كان يفكر به عندما يادرته سيدي الحديث، ثم، ولشدة ذهوله، مدت يدها تعرفه عن نفسها. فلقد سمعت أنه أمريكي، ولذلك شعرت برابط غريب يشدها إليه. لقد كانا جعدين عن الوطن الأمام محتجزين في أوضاع ميؤوس منها.

- "سنثيا روبنسون". قالت ببساطة في حين غلب التعلل إحدى ابنتيهما، وأما الأخرى فكانت مستغرقة في مطالعة مجلة كانت قد اشترتها من ردة للمشفي. ولم تُسبِرْ أي منهما لنتابها إلى سنثيا أو غوردون. أما غوردون فقد اتسعت عيناه اندمناً واهتماماً بشكل واضح عندما سمع بالاسم، ولاحظت سنثيا ذلك، وقالت: "أنا هنا مع زوجي. لقد تعرض لحادث سيارة قبل يومين. ولقد طرنا إلى هنا ليلة أمس". وتساءل وهو بصغي إليها إذا ما كانت تعي الموقف تماماً. فإن كانت ذلك، فهذا ما كان ليسيئها على ما يبدو. فقلتها كان منصعباً على حالة زوجها، ووجد غوردون في ذلك لباقة منها. لقد كان فكره مشغولاً في التفكير بالسبب الذي جمع زوجته وزوجها معاً أكثر منها. فاعتزم غوردون أن يكون صريحاً معها.

- "أعتقد أنك تعرفين أن زوجتي كانت مع زوجك في السيارة عندما اصطدم بهما الباص". إذ قال ذلك، صُعقت سيدي وكان الباص قد اصطدم بها هي. وأدرك فجأة من ردة فعلها التي تبنت على وجهها بأن ما من أحد أخبرها عن إيزابيل. وراحت سيدي ترد في ذهنها ما قاله غوردون.

- "ماذا تقصد؟" وبنت أكثر شحوباً من قبل.

- "كما سمعت تماماً. لقد كانا معاً في سيارة الليموزين. ولا أدري لماذا أو كيف تعرفنا إلى بعضهما. لقد التقيت بزواجك عدة مرات قبل سنين، في باريس، ولكنني لا أنكر ما إذا كانت زوجتي معي آنذاك. من الواضح أنهما شربا الشاي معاً يوم الأربعاء، وأنها كانت معه في الليموزين. هي الآن في حالة خطرة حرجة، في غيبوبة تامة، وقد لا يتسنى لنا أبداً أن نعرف ما كانا يفعلان معاً، ولا أعتقد أن زوجك في حالة تمكنه أن يفسر لنا ذلك أيضاً".

جلست سنثيا قبالتها، في كرسي، وهي تبدو وكأنها قد صُعقت. لقد كان وقع كلامه قاسياً عليها، وقالت وهي حائرة ذاهلة: "لم يقل لي أحد شيئاً. لقد كنت أظن أنه كان وحده، مع السائق".

- "من الواضح أنه لم يكن وحده. كانت قد جاءت من باريس لتشاهد بعض المعارض الفنية. إذ إن لها شغفاً كبيراً في الفن. ولا أدري ما فعلت أيضاً خلال فترة مكوثها هنا في لندن". حدثت إليه سنثيا إذ تكلمت برشورات الفن التي رأتها في غرفة بيل من معرض الفنون التشكيلية والمتاحف. وسألها: "لم ينكر زوجك اسمها أمامك؟ اسمها إيزابيل فوريستر". لقد كان مرجحاً له أن يناقش المسألة معها، وكان الموضوع مريباً بالفعل، ولكن كانت لديه أسئلة يريد أجوبة عليها، وكانت هذه المرأة، في هذه اللحظة على الأقل، هي وسيلته الوحيدة للحصول عليها. ولكنها هزت رأسها نفيًا. فما كانت تعرفه كان أقل بكثير مما يعرفه هو.

- "لم يسبق لي أبداً أن سمعت باسمها. بل حتى لم أعرف أنه كان في لندن. فأخبر مرة تحدثت إليه كان في نيويورك. ولكننا لا نبقى على اتصال مباشر دائماً". قالت له في هدوء.

- "هل أنتما مطلقان؟" سألتها غوردون بدافع الفضول، وصُعقت لسؤاله. - "لا، بل هو يسافر كثيراً، وهو مستقل في حياته". لم تُرد أن تخبره أن زواجهما كان ينهار منذ سنوات كثيرة.

- أما زوجتي فليس الحال هكذا. لدينا ابن عاجز تُعنى به، ومنذ أربعمائة سنة، وهي قلما تغادر المنزل. وهذه الرحلة هي الأولى التي تقوم بها منذ سنين، وأعتقد أنها كانت رحلة بريئة تماماً. كنت أفكر أنها ربما التفت بزوجك في فندق كلاريدج، ربما في الردهة. لا أعتقد أنه يجب أن نتفكر بالفكرنا إلى استنتاج بعيدة. ولكن يبدو الأمر غريباً أنهما كانا معاً في سيارة عند الساعة الثانية صباحاً. قال ذلك ويبدو وكأنه يخاطب نفسه.

- نعم إن الأمر يبدو غريباً فعلاً. قالت ذلك وهي مستغرقة في تفكير عميق. كان هناك أكثر من سبب كافٍ يجعلها تفكر بأن بيل ربما كانت لديه علاقة عاطفية غرامية، فهي نفسها كان لها عدة علاقات في السنوات الأخيرة ولم يكن هناك أي اتصال جنسي بينها وبين بيل خلال هذه السنين. ولكن المرأة التي يصفها غوردون فوربستر لا تبدو مرشحة لأن تكون عشيقته له يمضي معها عطلة نهاية أسبوع رومانسية في مدينة أخرى. ولم تستطع سنيثا حتى أن تتصور كيف أمكنه أن يلتقي بها. ولم ترق لها فكرة وجودهما معاً خلال حديثها مع غوردون أدركت أن ابنتها كانتا تصغيان إلى حوارهما باهتمام. قالت سنيثا: "من المؤسف أننا لا نستطيع أن نسألها عن ذلك". ولكنها لم تستطع أن تطرد من فكرها صورة البرشورات الفنية التي شاهدتها، ثم تذكرت الفواتير من نادي أنجيل وبار هاري. فلربما كانت هذه المرأة أقل براءة مما يعتقد زوجها، رغم أن لهما ولد معاق عاجز ورغم أنها كانت متزوجة.

- إذا ماتا، سوف لن نعرف أبداً الجواب. قال غوردون بكلل وإحياء.
- لو لم يحصل الحادث لما أمكننا ربما حتى أن نعرف. أعتقد أنه ينبغي علينا تجنب هذا الأمر. قالت سنيثا في هدوء. لم تكن متأكدة أنها تريد أن تعرف، فتمتة أسئلة ما كانت تزيد أن يسألها إياها، وكانت هناك أسئلة تود لو تسألها له. وبخاصة الآن وهو يصارع من أجل البقاء بعد الحادث، هنالك زوايا مظلمة في حياتها ما كانت تريد أن تنظر إليها. ولكن غوردون كان يتحرق عن الموضوع باهتمام محولاً أن يستجلي طبيعة العلاقة بينهما. لقد كان

واضحاً أن هذا اللغز كان يزعجه ويقض مضجعه.
قال غوردون متفكراً: "لا أعتقد أن أحداً غيرهما يمكنه أن يخبرنا حقيقة الأمر".

فردت عليه سنيثا وهي تتحدث بطريقة عملية: "إذا كنا نكبين، وكانت بينهما علاقة ماء، فلا أعتقد أن أحداً آخر سيمكنه أن يعرف ما كان بينهما".

- "أمل ألا يكون الحال هكذا، فالسائق كان يمكنه أن يخبرنا".
- "أعتقد أننا نحتاج إلى التفاوضي عن هذا الأمر، وألا نبحث عن أجوبة، فكلاهما يصارع للنجاة، وإذا ما بقيا على قيد الحياة، فقد يكون هذا هو كل ما نحتاج إلى أن نعرفه. فما حدث قد لا يكون من شأننا".

- "هذه سماحة وكرم أخلاق منك". قال غوردون ذلك وهو يبدو غير راضٍ تماماً مثلها على الاقتراح الذي قمتُ به. فقد كان يريد أن يعرف إذا ما كانت إيريزيل تخونه. وصار في هذه اللحظة أقل اقتناعاً ببرائتها من ذي قبل.

- "زوجي رجل متحفظ وحنون جداً. ومهما فعل فلن يظهر ذلك للنور. فما كان له أن يتصرف بشكل غير لائق أو أن يسبب فضيحة لك أو لنفسه".

- "ما كان لزوجتي أبداً أن تقوم علاقة مع رجل آخر". قال غوردون ذلك بلهجة عنيفة قاسية تظهر دفاعه عن كبريائه أكثر من دفاعه عن سمعتها، ولمست سنيثا تلك من موقفه. واستأنفت: "ولا أعتقد أنها كانت على علاقة معه. لنا على يقين بأنه لا بد من وجود تفسير بريء ومقول لذلك".

- "أمل ذلك". قالت في هدوء، ثم نظرت في عيني غوردون. لقد أرادته أن يعرف موقفها من الموضوع. "أعتقد أنك تعرف نبي لا أنوي السؤال عن هذا الأمر".

- "أنا أسأل زوجتي عن ذلك إذا خرجت من حالة الغيبوبة التي تعيشها. أعتقد أنهما يدينان لنا بتفسير على الأقل".

- "ماذا؟ ما الفرق الذي سيشكله ذلك؟" سألتها هكذا ولدهشة ابنتها، واستأنفت. "ماذا سيغير هذا من الأمر؟ ثم أنهما إذا ما توليا فلن نحتاج إلى

فقط الأرجح أنه كان يخونها دائماً، وكانت تبدو على استعداد لتقبل ذلك. وكان لديه ثقة أكيدة بأنها كانت تخونه هي أيضاً من دون ريب، ولكن في الواقع، وإذا وقفت سنثيا إلى جانب سرير بيل، وراحت تنظر إليه، وقد علمت ما علمته الآن من غوردون فورستر، راحت تشعر بقلبيها يتقيض وهي تنظر إلى بيل. ربما كان في مقدور غوردون أن يقول لنفسه أنهما كلتا معاً في تلك الساعة في حالة براءة، ولكن سنثيا، ومن كل أعماق قلبها وروحها، لم تكن لتعتقد ذلك. وإذا وقفت تنظر إلى بيل والدموع تنهمر من عينيها، راحت تتساءل إذا ما كانت قد فقدته بعد كل تلك السنين. لقد كانت غير ميالية به ولمزم طول، وأحياناً كانت فظة معه، لقد كانت تعرف كم كانت بعيدة عنه وباردة العواطف تجاهه، وكم كانت تمتع الحياة التي كان يعيشها. لقد أبت أن تكون جزءاً من حياته ولسنين، وأما الآن وقد بدت وكأنها ستفقدته إلى الأبد، فكل ما كانت تريد أن تقول له هو أنها لا تزال تحبه. ما كانت تعرف إذا كانت ستسبح لها الفرصة لأن تخسره ولو للمرة الأخيرة بأنها كانت تحبه للغاية. وما كانت تعلم ذلك حتى ليلة أمس، ولكنها الآن فقط أدركت ذلك، وأرادت بيل أن يعرف ذلك. لم تستطع إلا أن تتساءل عما كانت تعنيه إيزابيل فورستر له، وما إذا كان يحبها. وكانت سنثيا تعرف بأنها إذا ما فقدته في نهاية المطاف، وبسبب غيبتها وحماتها، فإنها كانت تستحق ذلك. لم يكن لديها أدنى شك في ذلك. لقد أدركت فجأة، وإذا هي على وشك أن تفقده، كم كانت طائشة حمقاء ولسنين عديدة.

- بل أنا في حاجة لأن أعرف. فعلى الأقل أريد أن أعرف إذا ما كانت تخونني بشكل أو بآخر، فمن حقي أن أعرف ذلك، وأنت أيضاً كذلك. وإذا فصدنا أن نغفر لهما".

- ليس من شأنني أن أصفح لزوجي عن هذا الأمر. فهو رجل ناضج. ما كنت لأحب هذا لو كان هناك علاقة مع زوجتك، ولكن ثمة أشياء في الحياة من الأفضل للمرء ألا يعرفها".

- "لا أشاطرك الرأي يا سيدة روبنسون". قال باقتضاب وهو يستغرب أي نوع من الزواج هذا الذي يربطها بزوجها. صحيح أنه لا يختلف كثيراً عن زواجه هو، ولكنه ما كان أبداً يُعترف أمام أي أحد أن زواجه من إيزابيل كان مخزياً، ولسنوات. وفي الواقع ما كان الأمر سيبدو غريباً جداً إذا ما أقامت إيزابيل علاقة غرامية ما، فقد كانت فتية، وحبوبة وملبنة بالعواطف الإنسانية. لقد كان غوردون يعرف أكثر من أي شخص آخر درجة الوحدة التي كانت تعيش فيها، وذلك بفضل هو. ويبدو أن هذا هو السبب الذي كان يدفعه لأن يعرف ما كان بينهما، وفيما إذا كانت تخونه، أم أنها كانت مجرد حميقة أو تكسبتها بتناول طعام العشاء مع رجل غريب. ولكن مهما كانت الظروف فقد كان وقت وجودها معه متأخراً. وحتى لم يكن ليستطيع أن يتصور أين كانا في تلك الساعة، وماذا كانا يفعلان. لو أن ذلك كان خلال أي ساعة من ساعات النهار لكان على استعداد للاعتقاد بأنهما كانا في معرض للفنون، ولكن هذا لا يُعقل أن يكون في الساعة الثانية فجراً.

عادت عندئذ سنثيا لتلقي نظرة على بيل، ونظرت الفتاتان إلى غوردون في صمت بعد أن غادرت لهما الغرفة. وما هي إلا بضع دقائق حتى عاد إلى المكتب ليخبرهم أنه عائد إلى فندق كلاريدج، وأن بإمكانهم الاتصال به إذا ما طرأ أي تغيير على حالة زوجته. لقد عانى بما فيه الكفاية في غرفة الانتظار في المشفى، ولم ترق له سنثيا وروبسون، أو موقفها المتحرر تجاه زوجها.

الفصل الخامس

أمضى غوردون ليلة الجمعة في فندق كلاريدج يقرأ كتاباً كان قد اشتراه في طريقه إلى الفندق عائداً من المشفى. لم يكن لديه أي شيء آخر يفعله. كان بإمكانه أن يتصل بأصدقائه في لندن، ولكنه لم يكن على استعداد لأن يُخبر الناس عما كان قد حدث. أراد أن يعرف ما حدث مع إيزابيل أولاً. وكان ذاهلاً وهو يقرأ للكتاب. واتصل بالمشفى في وقت متأخر من ذلك المساء، قبل أن يأوي إلى فراشه، ولكن لم يكن ثمة تغيير قد طرأ على حالتها. وكان قد مضى على الحادثة آنذاك أربع وعشرين ساعة، وكانت حالتها الصحية ما تزال معلقة. لم يطرأ أي تحسن على وضعها بعد، ولكن لم تكن حالتها قد ساءت أكثر. لقد خطر في ذهنه أن يعود إلى المشفى، ولكنه ما كان يطيق فكرة رؤيتها من جديد على تلك الحالة. ما كان ليعترف بذلك لأحد ولكن منظرها أفسزعه. لقد كان يعقت المثالي، والمرضى، والأطباء، والمرضات، والأصوات، والروائح.

عندما اتصل غوردون، كانت سنثيا لا تزال جالسة إلى جوار بيل. كانت الفناتان قد عادتا إلى فندق كلاريدج عند العشاء، ولكن سنثيا قررت أن تبقى. فكانت تذهب إلى جناح المرضات تُعد لنفسها كوباً من الشاي بين الفينة والأخرى، وكانت المرضات لطيفات معها. ولكن سنثيا كان لديها أمور كثيرة تفكر بها، وكانت سعيدة لأنها هناك بعفدها في عزلة عن الناس. وكانت تتسائل، وهي ترقب زوجها يصارع من أجل البقاء، إذا ما كانت ستسنى لها الفرصة لبدأ الآن لتخبره عن الأشياء التي أرادت أن تقولها له. كان لديها الكثير من التعليل والاعتذارات تقدمها له عن سنوات كثيرة. لقد أدركت، ورغم أنه لم يقل لها الشيء الكثير، أنه كان يعرف بعلاقتها الغرامية على

الأرجح. فبعض منها كان واضحاً، رغم أن البعض الآخر كان أكثر تحفظاً
وكتماًناً.

بعد فترة من الزمن، بعد أن يشت من زواجها، ما عادت تهتم لكتمان
علاقتها. ولا تعرف الآن السبب الأكيد الذي دفعها لتحويلته من حياتها بمل
ذلك التصميم. وفكرت أن السبب قد يكون الغيرة من الحياة الممتعة التي كان
يعيشها، ومن الناس الذين كان يلتقي بهم. لم تكن لتطيق حقيقة أنها معتمدة
عليه، وتسامل الآن إذا ما كانت تريد أن تثبت له أنها ما كانت في حاجة
إليه. لقد كان يضيقها على الدوام، كزوجة في مشهد الحياة السياسية، أنها
كانت مضطرة لأن تسلك كذبل له، ولذلك فقد تحدثت عنه، على الأقل من
الناحية العاطفية. ولقد كان في غاية الانشغال والسفر حتى إنها كانت تشر
بنفسها منبذة منه في معظم الأحيان. لقد كانت تمقت فكرة أن تكون أما من
سكان الضواحي مع ولدتين، فقد أرادت أن تكون أكثر فتاة وإثارة من ذلك.
وأدرست الآن أنها حاولت الحصول على الإثارة في حياتها بالطريقة الخطأ.
أدرست الآن ذلك، ولكن خوفها الكبير كان من أنها قد قامت بحساباتها بعد أن
فلت الألوان كثيراً.

كانت لا تزال تفكر بذلك عند منتصف الليل، وهي جالسة في كرسيها في
ركن من غرفة بيل، ولجزء من الثانية شعرت بأنها تسمعه يتحرك. "بيل؟"
نادته وقد هبت واقفة تنظر إليه عن كثب أكثر، إذ إن الممرضات كن قد
غادرن الغرفة لتوهن للحصول على حقن ورديئة جديدة له، وظفت أنها رأت
جفنيه يتحركان كما لو أنه كان يرى حلماً. وكانت واقفة إلى جانبه عندما
عادت الممرضات فنظرن في الحال إلى أجهزة المراقبة، ولكن كان كل شيء
يسير بشكل طبيعي.

'هل كل شيء على ما يرام يا سيدة روبنسون؟' سألت إحدى الممرضات
وهي تفتح أكيس الحقن الوردية، وترتب الأغصية فوق رجليه.
'أعتقد ذلك... لسنت متأكدة... ولكن لوهله، اعتقدت... يبدو الأمر

مخيفاً... ولكنني شعرت أن شيئاً تحرك'. نظرت إليه الممرضات عن كثب
أكثر، ولكن لم تكن تتبدى عليه أية دلائل للحياة، وأخذن العلامات الحيوية من
جديد. لقد كانت حالته قد استقرت في ذلك اليوم إلى حد ما. لقد مضى على
الحادث حوالي ثمان وأربعين ساعة، وسنثيا هناك منذ أربع وعشرين ساعة.
لقد بدت هذه الساعات وكأنها دهر لها.

كانت الممرضة المسؤولة تلاثم وضع شاشة مراقبة قلبه، وهذه المرة
شعرت بحركة خفيفة في إحدى يديه، فراحت ترقبه بعناية، ثم تحققت من
عينيه. فسألت حزمة من الضوء في عينيه، تحت نظر سيندي، وهذه المرة
كانت الحركة واضحة لا يمكن أن يخطئوا فيها، فقد أصدر صوتاً صغيراً
مكتوماً، كمثل صوت آنين خفيف. لقد كان هذا أول صوت يصدر عنه،
واغرورقت عينا سنثيا بالدموع إذ نظرت إليه.

'يا الهي'. همست إذ أصدر الصوت نفسه من جديد. لقد كان صوتاً
مبهماً، ولا تعش جفناه عندما لمبت أصابعه. وضغطت الممرضة على زر
جهاز تنبيه يستدعي الطبيب المسؤول عن حالة المريض فالتصع ضوء في
المكتب، وخلال ثوان كان الطبيب المناوب هناك.

- 'ما الأمر؟' سأل الممرضة وهو يخطو دخالاً إلى الغرفة. لقد كان يقوم
على الخدمة منذ ساعات، وبدأ متعباً كما شعرت سنثيا. وسأل: 'هل من
تغيير؟'

قلت الممرضة: 'لقد أتوه مرتين.'

وقالت سنثيا: 'وأعتقد أنني رأيتُه يحرك يده قبل دقيقة، بينما سلف الطبيب
حزمة الضوء إلى عيني بيل من جديد. وهذه المرة أصدر بيل الصوت كرد
فعل على الضوء. كانت سنثيا متأكدة من ذلك، ورفع الطبيب نظره إلى
الممرضة. كان هناك سؤال في عينيه، فأولمات الممرضة برأسها إيجاباً. ما
كانا يريدان أن يقولوا لزوجته شيئاً قبل أوانه، ولكنه كان يستعيد وعيه. لقد
كانت هذه دلالة واضحة على ذلك، وأول بارقة أمل يحصلان عليها خلال

"بلى، هل تستطيع أن تسمعي؟ إنها أنا، أنا هنا... أنا أحبك يا حبيبي. هل تستطيع أن تفتح عينيك؟ أريد أن أتحدث إليك. لقد كنت أنتظر كي نستيقظ. عندئذ حاول أن يغير وضع كتفيه، ولكنه في هذه المرة تلو بصوت أعلى بدافع الألم من دون ريب.

"سيد روبنسون، سوف ألمس يديك. فإن كنت تستطيع سماعي، أريدك أن تقبض على إصبعي بأشد ما تستطيع." تحدث الطبيب مباشرة في أنفه، وهو ينحني فوق وجهه، ثم وضع إصبعاً في يد بيل، وانتظر أن يرى استجابته. لم يكن هناك أية استجابة في يدي الأمر، وبعد ذلك، وبيطه متناه، التفت أصابع يد بيل حول إصبع الطبيب الذي كان قد لاس به راحة يده. ولم يكن هناك أية علامة مرئية أخرى تدل على إدراكه لما يجري حوله، ولكن من الواضح أنه كان قد سمع صوت الطبيب وفهم كلماته.

"يا إلهي، لقد سمع." قالت سنثيا ذلك والدموع تسيل على خدها. "هل تستطيع أن تسمعي يا حبيبي؟ أنا هنا... افتح عينيك، أرجوك...". ولكن لم تتحرك عضلة واحدة في وجه بيل، ومن ثم، وبيطه شديد قطب حاجبيه في حين بقيت عيناه مغلقتين، ولفرجت شفاهه إذ بدأ لمسفه بيلاً به شفبه النظامتين. لقد بدا وكأنهم يشاهدون معجزة تحصل إذ بدأ يستعيد وعيه.

"هذا جيد جداً، سيد روبنسون." قال الدكتور ذلك وقد دنا من وجه بيل. "أريدك أن تضغط على إصبعي من جديد." أن بيل لحتاجاً هذه المرة وكأنهم كانوا يضابقونه، ولكنه فعل ذلك ثانية، وهذه المرة باليد الأخرى. ونظرت كلتا الممرضتين والطبيب إلى بعضهم البعض بانتصار. لقد كان يستعيد وعيه. لقد كان من الصعب أن يحدوا إلى أي درجة كان يستطيع أن يسمعهم أو يفهمهم، ولكنه كان يستجيب لهم وهذا ما لا يرقى إليه الشك. وشعرت سنثيا وكأنها تود أن تخرج من جلدها وأن تطرح هؤلاء الأشخاص جانباً وترمي نفسها فوق بيل تعانقه بذراعها. ولكنها لم تتحرك قيد أنملة من مكان وقرفها. فما كانت تجرؤ

"هل تعتقد أنك تستطيع فتح عينيك، إذا ما بذلت جهدك، يا سيد روبنسون؟ أتمنى عليك أن تفعل ذلك إذا استطعت." حثه الطبيب على ذلك، ولم تكن هناك أية بادرة من بيل لوقت طويل، وخافت سنثيا أن يكون قد غاب عن وعيه من جديد. لقد بدا كالنائم. ولمس الطبيب كلا جفني بيل عندئذ وكأنه يتكبره بالأمر الذي طلبه منه، وأن يجعله يركز فكره إلى حيث يقع جفناه. فاسألق بيل زفرة صغيرة، ومن ثم وبدون صوت، فتح عينيه كلتاهما ونظر إليه.

"يا مرحباً." قال له الطبيب الشاب مبسماً. "هذا رائع جداً. يسرنا رؤيتك يا سيدي."

أصدر بيل هممة خفيفة ثم أغلق عينيه من جديد، ولكنه كان قد نظر إلى الطبيب بشكل مباشر ثانية أو أكثر. لقد كان هذا أفضل ما أمكنه القيام به حتى الآن. وعاد بيل أدراجه إلى حيث كان. فقد كان يحلم بليزابيل.

"هل تود أن تتحول ذلك ثانية؟" هذه المرة كان هناك صوت أنين حاد كان يعنى "لا". ولكن ما هي إلا دقيقة حتى قام بذلك. لقد كنا متشوقين للغاية لرؤيتك." قال له الطبيب وقد ارتسمت ابتسامة على شفاهه. وإذ قال ذلك بدت عيناه تتجولان في أرجاء الغرفة، ورأى سنثيا تحف عند حذاء السرير، وبدأ مشوشاً مضطرباً.

"مرحى يا حبيبي، أنا هنا. أحبك. كل شيء سيكون على ما يرام." وهنا أغلق عينيه ثانية، وكان هذا يشكل عيناً كبيراً عليه، وكأنه لم يرد أن يرى أباً منهم. وبعد وهلة، عاد إلى النوم. ولكن كان هذا حدثاً هاماً، ولترقت الإبتسامة على وجوههم وتبعته سنثيا الطبيب إلى خارج الغرفة.

"يا إلهي. ماذا يعني هذا؟" سألت الطبيب وهي ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها. لم يحدث لها أبداً في حياتها أن تعرضت لمثل هذه الهزة، وكان الطبيب مسروراً لأجلها.

هذا يعني أنه خرج من حالة الغيبوبة، ولكن لا يعني أن الخطر زال عنه تماماً. ولكن هذه بادرة أمل كبيرة.

هل يستطيع أن يتكلم؟

سوف يفعل ذلك في نهاية المطاف، أنا متأكد من ذلك. فالإصابة التي تعرض لها في رأسه لا تؤثر على النطق. كل ما هنالك هو أنه أصيب إصابة بالغة. لقد كانت الإصابة في عرق بيل وعموده الفقري هي أسوأ الإصابات التي تعرض لها من جراء الحادث. رغم أن الارتجاج للدماغ الخفيف الذي تكبده أفعده في حالة غيبوبة ليومين. وأرشد الطبيب: "إن دماغه بحاجة إلى أن يستأنف مع ما حدث له. وإني على يقين من أنه سيتكلم عندما يستيقظ ثانية. لقد اختبر جسده صدمة هائلة. إنها كمثل أن تلمك الرياح وهي ذات قوة مضاعفة عشرة آلاف مرة. فليس لدي قلق بخصوص نطقه. لقد كان قلقاً حول كل شيء آخر. المشكلة الحقيقية التي سيعاني منها على المدى البعيد هي في عموده الفقري واستخدامه لساقيه. ولكن كان من الحسن أنه كان قادراً على تحريك واستخدام يديه. لقد كان من الواضح أنه كان ضعيفاً جداً، ولكن هذا على أنه سيستطيع تحريك يديه وذراعيه، خاصة بعد أن يشفي عقه. أعتقد أنه بإمكاننا أن نستوقع أنه سينام لعدة ساعات، وسوف نرى غداً المزيد من التحسن في الحركة. يمكنك الآن العودة إلى الفندق لتأخذني قسطاً من النوم يا سيده رويسون. فغداً سيكون يوماً طويلاً آخر. ولكننا كانت متوترة ومنفصلة لدرجة أنها ما كانت لتطيق أن تغادر.

أفلا تعتقد أنه سيستيقظ من جديد؟ إن كان سيفعل ذلك، فإني أود أن أكون هنا عنده.

أعتقد على الأرجح أنه منهك جداً الآن من المجهود الذي بذله للتو. لقد كان بالنسبة له بمثابة تسلق جبال الألب. لقد قام بلول خطوة، وسيوجب عليه حمل أعباء جديدة في الأسابيع القليلة القادمة. بل وربما في السنوات القليلة القادمة، ولكن الطبيب لم يرد أن يقول ذلك لها. لقد كانت هذه البداية وحسب،

ولديهم طريق طويل يقطعونها، ولكن الطاقم الطبي كله كانوا متشجعين جداً من جراء ما قد رأوه الآن.

قالت سونيا موافقة: "حسناً. قد أعود إلى الفندق". لم تكن قد رأيت بناتها منذ ساعات، وقد كانتا تخططان لطلب خدمة الغرف وتتفرجان على التفتاح إلى أن تعود والذهما. وكانت قد وعدتهما بأن تتصل بهما حالما تصل إلى غرفتهما. وبالكاد استطاعت أن تنتظر لتخبرهما عما كان قد حدث للتو. وإذ أخبرتهما بذلك عندما عادت إلى فندق كلاريدج، أطلقت أوليفيا صيحة من الفرح، وراحت جين ترقص قليلاً.

يا الله يا ماما، هذا عظيم جداً. هل قال شيئاً؟

لا، بل فقط فتح عينيه مرتين وتأوه متألماً. وشد على إصبع الطبيب مرتين، ورأني واقفة هناك. ولكنه عاد للنوم بعدها. يعتقد الطبيب أنه قد يتكلم غداً. وقالت الممرضة أنه ما أن يستعيد وعيه حتى يستعيد أيضاً لفتباهه وتشاطبه سريعاً بعدئذ. وكانت سونيا تأمل أن يتحدث إليها في اليوم التالي.

في صباح اليوم التالي، عندما عادت إلى المشفى، كان لا يزال في سريره وعيانه مقروحتان وهو ينظر حوله في أرجاء الغرفة مستلقياً، وكأنه لم يكن متأكداً من مكان وجوده. لقد بدا نصف نائم، وكأنه قد استيقظ لتوّه. وكان هكذا فعلاً.

"مرحباً أيها النوم". قالت له سونيا ملاحظة وهي تقترب من سريره. لقد كنا ننتظرك طويلاً لتستيقظ. فرمش بعينه نحوها وكأنه يقول لها "نعم"، ولكنه كان يبدو حزيباً، وكأنه كان خائب الأمل لرويتها، وكأنه كان يتوقع أن يرى شخصاً آخر. لقد كان لديها إحساس بأنه كان ليومي إليها برأسه لو أمكنه ذلك، ولكن ما كان يستطيع أن يحرك رأسه وقد ثبتَّ عقه إلى سناد. هل تشعر بتحسن اليوم؟ فرمش بعينه ثانية. ولفتربت منه عندها ولمست وجهه بلطف متناه لم يسبق له مثيل وقالت له: "أحبك يا بيل، ويوسفي أن هذا حدث لك. ولكنك ستكون على خير ما يرام". لم يرفع نظره عن نظرها، ثم رآته يبل

قد قاله لها للتو.

كيف حاله يا ماما؟ هل قال شيئاً؟

أعتقد أنه في حال أفضل الآن. إنه يحاول أن يتكلم قليلاً. وقلت له إنكما كلتاكما هنا. لقد صنعتُ سيندي مما قاله. فكلماته الأولى كانت عن إيزابيل، ولم تنفك تتعجب من كثرة ما كانت إيزابيل تعني له. لقد كان الأمر يتعدى مجرد التهمة التي تجعله يسأل عن إيزابيل ما أن استيقظ.

ماذا قال؟ سألتها وهما تتطيران من الإثارة وترتضان سروراً من نجاته والدمما.

لقد رمش مرتين بعينيه. قالت وهي تصطنع لبسامة تخفي بها إحساسها بالألم.

هل يستطيع الكلام؟ سألت جين وهي تبدو وكأنها انعكاس صورة والدتها في مرآة. لقد كانت أوليفيا هي من يشبه بيل. لقد كلنا كلتاها نسختين طبق الأصل عن بيل وسيندي.

نطق بضع كلمات، ولكن لا يزال الطريق شاقاً أمامه. أعتقد أنه يستريح الآن. لقد بدت كإبنة نفسها بشكل غريب بينما وعدت اللقائين أن تعود إليهما بعد دقيقة، ومن ثم مارلت نحو المكتب. وتحدثت إلى الممرضة. وسألتها بهوء: كيف حال السيدة فوريستر؟ على الأقل كان بمقدورها أن تحبب بيل على ما كان يريد معرفته. فله الحق في ذلك، إذا كان يهتم لأمرها، وحتى ولو كلنا مجرد صديقين. لقد ذهبنا إلى مارية للجحيم وعادنا منها معاً. فأقل ما يمكننا أن نفعل له هو أن نخبره عن إيزابيل، إذ إنه تكبد عذاباً كبيراً للسؤال عنها.

أخشى أنها ليست على ما يرام كثيراً. إنها في نفس الوضع تقريباً. لقد تعرضت للحمي ليلة أمس. وزوجها معها الآن.

هل استعادت وعيها؟ سألت سنثيا بدافع الواجب.

لا، ولكن هذا لا يدهشنا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الإصابات التي تعرضت لها والعملية الجراحية التي أجريت لها الليلة قبل الماضية. فأومات

شغفياً بلسانه كما فعل في الليلة السابقة، ويطلق عينيه من جديد. لقد كانت تود أن تقدم له شيئاً يشربه، ولكنها لم تجرؤ على ذلك. وكانت الممرضات قد تركنها في خلوة معه لبضع دقائق. وكانت أجهزة المراقبة ستبهيبن إذا ما حدثت أي خلل. هل أتيتك بأي شيء يحتاج إليه؟ همست في أذنه عندما فتح عينيه ونظر إلى وجهها. لقد بدا وكأنه كان قلقاً بخصوص أمر ما، فوقفت قربه تماماً بحيث تستطيع أن تصغي إليه إذا ما قال لها أي شيء. ففتح فاه عندئذ ولكن لم يخرج أي صوت من فمه. ماذا تريد يا حبيبي؟ ألا تستطيع أن تنطق بالكلمات؟ راحت تحدته وكأنها تحدث طفلاً. وبدا مضطرباً بسبب الصعوبة التي كان يجدها في التعبير عما يريد. لقد استلقيت هناك صامتاً لوقت طويل، ثم حاولت من جديد، وكأنه كان يستجمع قواه. فقالت له سنثيا: البينات هنا. وتابعت حديثها تقول: لقد جاءتنا ممي إلى لندن. وهذا طرف بعينيه وكأنه يجز عن لسانها لها، ثم عثس من جديد، وحاول جهده أن يحلّ لجام فكّيه. وتساوتت إذا ما كان السناد على عنقه كان يؤلمه. فلم يكن يبدو مريحاً، ولكن لم يبتذ على بيل أي ألم مبرح.

اليس...؟ همس لها أخيراً، بينما لمطّنت هي بجسدها جاهدة كي تسمع ما يقول وراحت تنتظره بفارغ الصبر. ولكنه نطق بالكلمة التالية بجهد كبير: إي... زارا... بيل؟ لقد بذل جهداً كبيراً لينطق بالكلمة، وهو ينظر إلى زوجته. ولم تكن هي متأكدة بأن بيل قد عرفها. لقد كان تركيزه كله منصّباً على المرأة التي كانت معه في السيارة. وشعرت أنه يريد أن يعرف إذا ما كانت إيزابيل على قيد الحياة. وقد نطق كلمته بشق الأفض، وهذا الجهد الذي بذله صعق سنثيا كللطمّة. لقد كانت أول كلمات ينطق بها أمام زوجته هي لكي يسأل عن إيزابيل، وكان هذا كافياً لتعرف ما كانت في حاجة لأن تعرفه.

فقالت له في هدوء: إنها حيّة. وسوف أسأل الممرضة عنها. وهذا رمش لها مرتين، وكأنه يشكرها، ثم أغلق عينيه. بعد دقيقة، سارت سنثيا خارجة من الغرفة، فهرعت ابتهاها نحوها سريعاً. ولكنها لم تقل لهما ما كان

مستنيا برأسها، وشكرتها، ثم سارت عائدة إلى غرفة بيل لتري إذا ما كان قد استيقظ. ولكنه كان يغط في نومه بشكل خفيف بينما وقفت إلى جواره. ومن ثم، وكما لو أنه شعر بها، تحرك وفتح عينيه. لقد كان يحلم بإيزابيل من جديد. وكان هكذا منذ يومين.

لقد سألت عن إيزابيل من أهلك. إنها في نفس حالتك تقريباً. إنها في غيبوبة، ولم تستد وعيها بعد، ولكني أمل ذلك. فرمش بعينيه كما لو أنه أراد أن يومي لها. ويعد وقت طويل، بدأ يجهد نفسه حتى أطلق مجموعة كلمات أخرى.

تسلس... كراً... لك... سين. لقد شعرت... أنك... كنت هنا. قال ذلك، وأغمض عينيه من جديد، وعاد إلى أحلامه بإيزابيل ثانية. لم تكن لديه رغبة في أن يرى زوجته أو أن يتحدث إليها.

'هل تريد أن ترى البنات؟' قاطعت سيندي حلمه من جديد، وفي هذه المرة، رمش بعينيه ثلاث مرات، فابتسمت. 'سوف أذهب لأحضرهما، إنهما في الردهة هنا.' وما هي إلا وهلة حتى كلنا في الغرفة تثرثران معه، ورأته سنثيا فعلاً يبتسم. وعندما تحدث إليهما، استهلك هذا منه جهداً أقل من قبل. فقدرتة على الكلام كانت تعود إليه، لقد كان يتكلم ببطء، ولكن كان فكره صافياً بشكل واضح.

'أنا... أحبكم... يا... بنات.'

نحن أيضاً نحبك يا بابا. قالت له أوليفيا، بينما اجتمعت جين للأسفل وقبلت يده. لقد كان عليها حقنة وريدية متصلة بها، وولحة أخرى في للذراع الأخرى. وكانت لا تزال أجهزة المراقبة والأنابيب والحقن تحيط به من كل صوب. ولكن الفتاتين كانتا مسرورتين لأنه على الأكل بقي على قيد الحياة.

'يا لهن... من... فتيات... عظيمات.' قال سنثيا بعد أن غادرا الغرفة. 'أنت نفسك عظيم.' هذا كل ما قالته له، وبدأ منهشاً. 'لقد أخفقتا لوهلة،'

وأضافت تقول ذلك. 'هل تعلم ما حدث لك؟' سألته. فقد خطر لها أنه ربما لم يدرك ما حصل له.

'لا.' لم يتذكر شيئاً على الإطلاق، باستثناء الأسمية الوحيدة التي أمضاها مع إيزابيل قبل الحادث.

لقد اصطدمت سيارتك لليموزين بحافلة، وعلى ما أذكر، فقد استغرقت ساعتين عليةً لتنتقلكما من السيارة.

لقد... كنت... أخشى... أن... تموت. جاهد كثيراً حتى نطق بهذه الكلمات، ولم تستطع سنثيا أن تمنع نفسها من التفكير في مدى غرابة أن يتحدث عن إيزابيل مع زوجته، ولكن بدأ أنه لم يكن لديه مانع في ذلك. وكانت عيناه ممثلتين بالموج عندما نظر إليهما.

'أعتقد أنها فازبت على الموت.' لم تخبره سنثيا بأنها لا تزال غرصة للموت. إن زوجها معها هنا الآن. إذ قالت له سنثيا ذلك، فقد كان هذا بمثابة تحفيز لبيل لكي يعطف هو أيضاً إلى الحياة الواقعية. لقد كان لإيزابيل زوج. وهو لديه زوجة وابتنتين. لقد كان دورهن الآن لكي يفكر بهن. ولقد كان يعرف ذلك، فرغم كل حبه لإيزابيل، كانت لديه مسؤولية نحوهن. ولكنه كان ما برح يحلم بإيزابيل منذ أيام.

في تلك اللحظة عادت الممرضات إلى الغرفة، إذ كانت لديهن بعض المهمات الوجب عليهن القيام بها، وخرجت سنثيا لتتطمع إلى الفتاتين. لقد كان يتوجب عليهما أن تستوعب ما حدث لبيل للتو. لم يكن أي سؤال في ذهنها. لقد كانت إيزابيل فوريستر تعني له الكثير، فهي لم تكن غريبة بالنسبة له، كما كان يأمل زوجها، ولم تكن مجرد صديقة غرضية. فالسؤال عنها كان غاية بيل من أول كلمات نطق بها. وكانت عيناه ممثلتين بالقلق والاهتمام بها. حتى إنه كان يظن أنه يرى إيزابيل عندما استيقظ، وليس زوجته.

وإذ جلست في غرفة الانتظار، كنتظر انتهاء الممرضات من ولجباتهن،

التقطت سنثيا نسخة من جريدة (هيرالد تريبيون)⁽¹⁾، ورأت فيها مقالة عن حادث الحافلة، وأجفلت لما رأت صورة لبيبل مع امرأة، وإلى جانبيها صورة للباص الذي تحطم بشدة. وقالت المقالة إن أحد عشر شخصاً قد ماتوا في الحادث، وأن سياسياً مرموقاً ذا نفوذ سلسي وهو وليم روبنسون كان في سيارة الليموزين التي اصطدمت بالباص. وكان التعليق تحت الصورة يقول إن الصورة أعلاه قد التقطت قبيل الحادث بلحظات. ويقول أيضاً إن هذا السلسي كان مع امرأة مجهولة الهوية في نادي لئابول، واصطدمت سيارتهما بالحافلة على بعد حوالي بضعة شوارع من المكان، وإن السائق قد لاقى حتفه. ولكن لم تذكر اسم إيزابيل، وفيما إذا كانت قد تأثرت من جراء الحادث. ولكن سنثيا من خلال النظر إلى وجهها أدركت أنها هي من دون ريب. لقد بنت جذابة وفتية، بشعر طويل أسود، وبدا واضحاً أنها أجفلت من العصور لحظة التقط الصورة إذ كانت تنظر إليه بعينين متسعيتين. وفي الصورة، كان بيبل يبتسم وقد أحاطت كتفها بذارعه. رؤية بيبل وإيزابيل معاً في الصورة على ذلك النحو جعلت سنثيا تتلقت أنفاسها. لقد بدأ سعيدين وعلى سجيتهما، وبدا بيبل وكأنه كان على وشك أن يضحك. وهنا شعرت من جديد بالخطورة الممكنة من احتمال وجود علاقة بينهما. وتساءلت فيما إذا كان غوردون فوربيستر قد رأى هذه الصورة أيضاً. فهما كان الرابط بين زوجته وزوجها، فمن غير المحتمل، من حيث مقدار ما يعنيه الأمر، أن يكون له أهمية بالنسبة لأي منهما، وخاصة الآن.

تبادلتي الغستان النظر عندما رأتا والديتهما تقرأ المقالة. لم نقولا شيئاً البتة، ولكنهما كانتا قد رأتا الصورة أيضاً. ولكن ما كان ليمكنهما أبداً أن تكونا غاضبتين الآن من والدهما رغم ما فعله بها. فما كان قد حدث كان شديد الخطورة حتى إنهما غفرا له كل شيء تقريباً. وكان ينتاب سنثيا الشعور نفسه. فما كان يلقها ليس ما كان قد فعله بل إمكانية الاهتمام بإيزابيل في

(1) هيرالد تريبيون (Herald Tribune): صحيفة يومية صحافية تصدر في أمريكا في مدينة (Sarasota) في ولاية فلوريدا.

الواقع إلى ذلك الحد. فالنظرة التي كانت في عينيه عندما استفسر عنها دلت سنثيا أن العلاقة بينهما لم تكن علاقة غرامية عرضية. لقد وجدت أنه من الصعب أن تعتقد أنهما كانا مجرد صديقين حميمين. وسوف تتصقق هي وغوردون لمعرفة ما كانا صديقين حميمين وأكثر من أربع سنوات.

عادت إحدى الممرضات لتحضرهن آنذاك، ولحقت سنثيا بابنتها داخلة إلى غرفة بيبل. ولاحظت قبيل إغلاق الباب غوردون مغادراً غرفة إيزابيل. لم تكن لديها الجرأة، ولكنها رغبت لو أمكنها أن تسأله إذا ما كان قد رأى جريدة هيرالد تريبيون. ولكن بدا وكأن شئ أشياء أكبر من ذلك تكور في ذهنه.

لم تكن إيزابيل تبدي أية علامات للشفاء، ورغم أن الطبيب قال إنها قد تبقى في حالة غيبوبة ولفترة طويلة، إلا أن غوردون كان يخشى أن يصيبها تلف في الدماغ إذا ما نجت. علاوة على ذلك، لقد أخبروه لئلا أن قلبها كان يبيض بشكل غير منتظم، وأن مادة سائلة تتجمع في رئتيها. وكان هناك احتمال متزايد بلصابتها بذات الرئة، وكان غوردون يدرك أنه إذا ما حدث هذا فإن إيزابيل ستموت. لقد بدت الحالة تزداد سوءاً. كانت قد مضت ساعة على وجوده هناك، يتحدث إلى الأطباء عن عملية جراحية بزمعون القيام بها، وكان في طريق العودة إلى الفندق عندما رأته سنثيا يغادر غرفة إيزابيل.

بعد مغادرة سنثيا والبنات في وقت متأخرة بعد ظهر ذلك اليوم، عندها فقط سأل بيبل ثانية عن إيزابيل. فقد عاد إليه للطلق خلال النهار. ولم تتوقف البنات عن التحدث إليه، وكان يضطر للإجابة عليهما. وفي هذه المرة سأل بيبل ممرضته عن حالة إيزابيل، وكانت هذه محترسة فيما تقوله له.

"إنها بنفس الحالة تقريباً، لا تزال في غيبوبة، والأضراس التي تعرضت لها هي داخلية أكثر منك". فقد كانت قد تكسرت عظام أكثر عنده، أما أعضاؤها الداخلية جميعها فقد تعرضت للخطر. وكان من الصعب أن يحدد المرء أياً منهما إصابته أشد. ولكنه نجا، وبدا هذا مؤكداً الآن، أما حياة إيزابيل فلا تزال معلقة على كف عفريت، إذ ليس شفاؤها أمراً يقيناً. كل ما كان يفكر

به هو أنه ما كان ليوردها أن تموت، وكان ليضحى بحياته لأجلها.

'هل لي أن أراها؟' سأل في هدوء. لقد كان جل تفكيره يحرص على هذه النقطة طوال اليوم، رغم صرف سنثيا والبنات لفتباه عنها.

'لا اعتد أن هذا ممكناً'. قالت الممرضة. لقد كذبت على ثقة بأن الجراح المشرف عليه سوف يعارض في ذلك. فقد كان يتوجب عليه أن يبقى مستيقظاً وساكناً ما أمكنه ذلك. فكان يستحيل مع حالته تلك إنزاله عن سريره بينما الإصابات في ظهره وعنقه، كما وأن إيزابيل سوف لن تكون واعية لزيارته.

ولكن بيل طلب نفس الطلب من طبيبه تلك الليلة فقط لدقيقة. لا بد أن أراها، ولطمئن على أحوالها.

'أخشى أن أقول لك أنها ليست على ما يرام تماماً'. قال له الطبيب بصدق. 'فجسدها كله قد تآذى. لقد كنت أحاول أن أوضح ذلك لزوجها اليوم. فهو يريد نقلها إلى فرنسا. فقلت له أن هذا من المستحيل. ففي وضعها الحساس سيؤدي نقلها الآن إلى موتها'. شعر بيل بكلمات الطبيب كسكين تغرس في صدره. فما كان يريد أن يأخذوا إيزابيل بعيداً عنه، على الأكل ليس قبل أن يراها من جديد. وبالتأكيد لن يرضى بأن يعرضها ذلك للخطر. لقد كان فوريستر مخبولاً ليفكر حتى بنقلها بهذه الحجة. لقد أخبره الطبيب أشياء كثيرة. وأدرك بيل أن حالته لا تطمئن. 'لا اعتد أن من الحكمة أن تراها يا بيل'. قال له الطبيب ذلك بتعاطف. لقد كانا يتعاملان مع بعض باستخدام الاسم الأول فقط، وقد اندهش إذ رأى مدى لطف بيل ومعتشه للحلو بعد أن أمكن لبيل الآن أن يتكلم. لقد رأى فيه رجلاً طريفاً رائعاً، خلافاً لغوردون فوريستر الذي كان متكلفاً، متعرجاً، ويجرح مشاعر كل من حوله. لقد بدأ منذ مطلع النهار يطالب بنقلها، ولما لم يوفق أحد، اضطر للتراجع عن موقفه، وخاصة عندما أخبره رئيس قسم جناح العناية المشددة بأنه، من دون ريب، قد فقد عقله لاقتراحه هكذا أمر. ثم أوضح له وبهجة حادة جداً أن هذا سيؤدي إلى مقتل زوجته،

فأسقط في يد غوردون ووافق على أن يتركها هناك. ولكن الطاقم كله كانوا متأكدين أنه سيحاول الكرة ثانية. فقد كان أكثر عناداً بكثير من أن يستسلم.

'ألا يمكنكم دفع سريري ذي العجلات إلى غرفتها عندما لا يكون ثمة أحد هناك؟' سأله بيل بكآبة، وهو بكامل ملكاته العقلية من جديد، وباستياء واضح. 'أريد أن أراها كي أطمئن عليها'. استغرق الطبيب في التفكير في الأمر لبعض الوقت، فاهتاج بيل. لم يكن الطبيب يعرف بعلاقتهما، ولم يُرَد أن يسأل عنها، ولكن كان جلياً أن رؤية إيزابيل كانت تعني الشيء الكثير لبيل، وما كان ليضير ذلك أيأ منهما. كل ما هناك هو أنه لم يُرَد أن يثير غضب غوردون فوريستر إذا ما اكتشف ذلك.

'يا يمكنهم أن يأخذوني الليلة إليها، أليس كذلك؟' سوف ان أبقى طويلاً هناك.

لماذا لا تنتظر لدرى كيف تكون حالتك عدأ؟ ونرى كيف تكون حالتها هي أيضاً. أنتما باقيان هنا ولن تقادرا المكان فليس من داع للاستعجال'. لقد كان بيل يشعر بالجنون لمجرد للتفكير بأنها على مقربة منه، في الغرفة المقابلة لغرفته بالنسبة إلى الردهة. لو كان بإمكانه، لذهب بسريره إلى غرفتها، ولكنه كان كلياً تحت رحمتهم لينفذوا له مطالبه. لقد كان مقعداً في سريره مثبتاً إلى سناد للعنق وسناد لكامل الجسم، وكان غير قادر على الحركة. بل حتى كان عاجزاً عن أن يرفع رأسه، وكانت ذراعاه واهتتين للغاية. ولم تكن لديه القدرة على الإحساس أو على تحريك نصفه الأسفل. ولم يكن أحد يعرف حتى الآن بشكل أكيد إذا ما كان سيستعيد هذه القدرات أم لا. لقد كان عاجزاً لا حول له ولا قوة كمثل طفل رضيع مضطجع في سريره، وكان لديه أسنوب هادئ ولكن مؤثر في إقناع الطبيب بأن تلك الفكرة ليست سيئة. 'أرى أنني لن أستطيع أن لنزع الفكرة من رأسك'. قال له الطبيب في النهاية مبسماً. كان الوقت آنذاك قد تجاوز منتصف الليل، ولم يكن ثمة زوار هناك في الردهات. فغادر الطبيب الغرفة بحثاً عن ممرضة بيل وأرسلها مع بعض الأكيوة، وعندما عادت تدخل

غرفة بيل، كان رجلان يتبعانها. بدأ بيل قلماً لوهلة، وتساءل عما سيفعلته له، ولكنهما، وبدون أن ينطقا بكلمة واحدة، أخذتا أمكنتهما عند رأس وحذاء السرير، وتكثرت الممرضة عندما بدأ بدرجة عجالات السرير ببطء باتجاه الباب.

فَسأل: 'إلى أين نحن ذاهبون؟'، وبدأ قلماً، وعندئذ ابسمت الممرضة، فقهم. لقد لبى الطبيب له رغبته، وكان ينتظرهم في اللدعة، وتحدث إلى بيل وهو يمر بجانبه.

'إذا نطقت بكلمة عن ذلك، فأني سأعديك إلى حالة الغيبوبة بنفسى'، قال ذلك بلطف، فضحك بيل. واستأنف الطبيب كلامه قائلاً: 'هذا مخالف جداً للأظمة هنا'. ولكنه كان يعتقد أن هذا سيكون له تأثير طيب على بيل، وسوف أن يسبب لإيزابيل أي ضرر أو أذى. بل حتى قد لا تعرف أبداً بأنه كان هناك.

تطلب الأمر منهم بعض المتلورة، ولكنهما استطاعا أن يضعنا سريريه بجانب سريرها. فحرك عينيّه نحوها كي يراها، وما أمكنه أن يرى سوى رأسها ملفوفاً بالضمعاد من خلال زاوية عينه. وإذا مد ذراعه اليسرى إلى أقصى حد أمكنه أن يلمس أصابعها بيده. كانت الممرضتان المعينتان لملاتمام بهما تراقبان هذا المشهد، وطلب إليهما الطبيب أن تغض الطرف عنهما. لقد كان للجسم يدرك سبب وجود بيل هناك. أمسك بيل أصابعها بيده ليضع دقائق، ثم تحدث إليها، متجاهلاً تماماً للناس الذين يحيطون بهما في الغرفة. واغرورقت عيناه بالدموع إذ لمس يدها.

'مرحباً يا إيزابيل... إنه لنا... بيل... يجب أن تستيقظي الآن. ما برحت نائمة منذ وقت طويل... عليك أن تعودى إلينا...'. ثم قال لها بصوت ناعم: 'أحبك... ها إن كل شيء سيسير على ما يرام'. سمحوا له بالبقاء بضع دقائق أخرى، ثم دفعا سريريه عائدين به إلى غرفته. وإذا استلقى منهكاً وشاحباً عندما قفل راجعاً إلى غرفته راح يفكر فيها. وبعد ذلك، تذكر فجأة حلاماً كان

قد رآه، وتساءل متى كان ذلك. لقد كانا يسيران معاً نحو ضوء ساطع، وقيل أن يصلا إليه تماماً، أجبرها على أن تعود، فوقفت هناك وهي في غاية الانزعاج. لقد كان أو لادهما هناك. وأراد أن يعود إليهم، ولكن إيزابيل كانت تريد أن تواصل سيرها. وأراد الآن أن يخبرها نفس الأشياء التي قالها لها. لقد كان يتوجب عليها أن ترجع. لقد أرادها أن تستيقظ. وجل ما كان يفكر فيه هو أن يراها من جديد. لقد هاله أن يفكر بغورنون وهو يحاول أن يعيدها إلى فرنسا. لقد كان واضحاً، حتى لبيل، أنها لم تكن في حالة تسمح لها بالانتقال إلى هناك. ولكن الطبيب على الأكل طمأنه من جديد أنهم سوف لن يسمحوا بحدوث هذا. وقد شعر بيل بالارتياح من أجلها، وراق له كثيراً أن يعرف أنها كانت قريبة منه.

لوى إلى سريريه لينام تلك الليلة وهو يفكر بإيزابيل، وكان ثمة ابتسامة على شفتيه. وإذا كانت سنيتها ترفد في سريريه في فندق كلاريدج، فقد كانت هي أيضاً تفكر بها. وفي الغرفة التي كانت إيزابيل قد شغلتها قبل أيام فقط، كان غوردون فوربستر يستلقي في سريريه يقظاً يفكر ببيل. لقد كان لديهم جميعاً أشياء كثيرة يفكرون فيها ملياً تلك الليلة، والوحيدان اللذان كانا يعرفان الإجابة على أسئلتهم كانا بيل وإيزابيل.

الفصل السادس

كانت الممرضة تطعم بيل عندما وصلت سنثيا في اليوم التالي. كان يوم أحد، بعد أربعة أيام من الحادث، وكان لا يزال يبدو ممزقاً منهكاً كلياً، ولكنهما كانا كلاهما معتنين أنه لا يزال مستيقظاً وعلى قيد الحياة.

كيف تجري الأمور يا حبيبي؟ سألته سنثيا وقد بدت مبهتة ونشيطة. لقد كان الجو دافئاً في الخارج، وكانت ترتدي كنزة تي شيرت وبطالاً قصيراً، وتكتفل خفيين كانت قد استعارتهما من إحدى بناتها. كانت أوليفيا وجين ستمضيان بعض الوقت تتجولان في لندن، وذهبتا إلى سوق السلع المستعملة. لقد كانت الساعات التي أمضتها سنثيا في المشفى طويلة بالنسبة لهما، وكانتا تخططان للمرور عليها بعد ظهر ذلك اليوم.

كيف تشعر؟ سألته سنثيا وهي تكلو من سريره. بسبب زاوية السناد المثبت إلى عنقه كان يصعب عليه أن يرى عن بعد. وبذ دخلت مجال الرؤية لديه ابتسم لها.

كنت أعتقد أننا سنلعب مجموعتين من التنس اليوم. قال لها. لقد بدا أجش الصوت، ولكنه كان يستطيع الآن أن يتكلم بشكل واضح.

كفوا قد حلقوا له نكهة لتوهم ولأول مرة، وشعر الآن من جديد بأنه أكثر إنسانية، ولكن ما زال الطريق طويلاً أمامه للشفاء الكامل ومغادرة المشفى. كان قد أخبر الطبيب بأن الرؤية لديه كانت ضبابية، ولكن هذا لم يكن مستغرباً. فقد كانت الصدمة التي تلقاها في رأسه كبيرة، وبالتأكيد سيعاني من آثار الغيبوبة لسببها من الوقت. وكان من المفترض أن يأتي اختصاصي ليفحص ساقيه وعموده الفقري من جديد، وقال له الطبيب المشرف إنهم قد يحتاجون إلى إجراء عملية جراحية له، وهذا يعود إلى رأي الاختصاصي في

الموضوع. ولقد غدا واضحا في ذلك الوقت أن شفاء بيل سيستغرق وقتاً طويلاً، ولا يمكن تحديد مدى شفاؤه بعد. وفيما إذا كان سيسير من جديد كان لا يزال سؤالاً قائماً في ذهن الجميع. كان بيل يدرك ذلك، ولكنه كان يتحاشى أن يناقشه مع سنثيا حتى الآن، رغم أنها كانا يدركان، ونظراً إلى الإصابة في حبله الشوكي، أن هناك احتمال كبير أن يستعمل كرسيًا متولياً ببقية حياته.

ما كانت سنثيا على عجلة لمناقشة المسألة معه، فقد كان لديه ما يكفي من أمور تشغل فكره. ولكنها في الأيام الأربعة السابقة، كانت تفكر مراراً وتكراراً في طبيعة الحياة الزوجية التي سيتشارك بها الآن. لم تكن لديها فكرة عما إذا كان سيعود إلى العمل من جديد، أو عما ستكون عليه حياته إذا ما اضطر للتقاعد. لم تكن حتى تستطيع أن تتخيل ذلك، وحتى بيل نفسه كان عاجزاً عن تصور ذلك عندما حاول. ولكن كان يمكن للأمر أن يكون أسوأ من ذلك بكثير، وكانا كلاهما يدركان ذلك. فقد كان من المحتمل أن يصاب بشلل كامل. وقد شعر كلاهما بالارتياح لأنه سيستطيع أخيراً أن يستخدم القسم الأعلى من جسمه وذرأعيه بشكل كامل. وفيما إذا كان سيستطيع أن يستخدم القسم الأسفل من جسده كان سؤالاً مفتوحاً ويخيفه جداً.

كسوف البنات؟ سأل سنثيا بينما كانت تمسح كرسيًا وتجلس عليه. وأمكنتها أن ترى أنه كان قلقاً ومتوترًا.

هما في خير، وستذهبان إلى سوق السلع المستعملة اليوم، وقلتا إلهما ستأنيان لروبيتك بعد ذلك. لقد كانت الفتاتان قد ارتاحتا للغاية لإدراكهما أن والدهما قد نجا. وشجعتهما سنثيا على الخروج لكي يروحا عن نفسيهما.

ينبغي أن يعودا إلى المنزل هذا الأسبوع يا سن. ليس لهما ما يفعلانه هنا.

لقد كنا بطبيعة الحال ننوي المجيء إلى أوربة خلال أسبوعين. ولا أعتقد أنهما يودان تركك الآن. وإبسمت زوجته له، ولكنه تحاشى النظر إلى عينيها لدقيقة. وتابعت تقول: ربما سأخذهما إلى باريس لبضعة أيام، إذا ما

كنت ستشعر بتحسن خلال أسبوعين. وعلى كل حال فإنك أت إلى المنزل عما قريب. ولكنها لم تكن متأكدة من ذلك بقدر ما كانت تريد أن يفكر بهذا الأمر. لقد حذرنا الطبيب بأن بيل سيحتاج في العشفى لمدة أشهر، وسألت إذا ما كان باستطاعتهم أن يأخذوه إلى الولايات المتحدة في طائرة إسعاف، ولكن الأطباء كانوا يجمعون الرأي على أن الوقت بالكر جداً لنقله.

لا أعرف متى سأستطيع الذهاب إلى المنزل يا سن. ولا يمكنهما البقاء هنا طوال الصيف في انتظارى. ولا تستطيعين أنت ذلك أيضاً.

ليس لدي شيء آخر أفضل أصعله. قالت له بارتياح فابتسم لها.

لا بد أن الأمور تغيرت كثيراً خلال الأسابيع القليلة الماضية. فأنت لا تتوقفين يا سن. ليس لديك دورة كرة تنس، أو لديك مشور إلى مكان ما، أو مستقيمين حفلة لشخص ما؟ سوف تصابين بالجنون إذا ما اكتفيت بالمكوث هنا ترلفيلني.

سوف لن أتركك هنا يا بيل. قالت له في هدوء. سوف أرسل البنات إلى المنزل في نهاية الأمر، إلا إذا أرادا الذهاب إلى مكان ما وحدهما. (في السراء والضراء)⁽¹⁾ هل تتكر هذا الجزء؟ أنا أنكر ذلك، وسوف لن أذهب إلى المنزل وأتركك وحك.

أنا غلام كبير، قال لها وقد بدا جدياً أكثر من العادة، ولاحظت في عينيها ما ينذر بالسوء. ففقت، إذ كانت تحاول أن تبقى الأمور هادئة بينهما، ولكنها لم تستطع أن تمنعه من قول ما كان يريد قوله. لقد كنت على وشك أن أحذرك عن هذا الأمر. أقصد موضوع (في السراء والضراء). لقد مر علينا في حياتنا أمور كثيرة سيئة خلال السنوات الأخيرة. وقد كان هذا خطأي، فقد كنت غائبا طوال الوقت، وكنت منهكاً في معترك السياسة طويلاً، ولم أكن متواجداً

(1) (في السراء والضراء): جزء من التعمد الذي يأخذه العروسان على نفسيهما خلال طقس الزفاف. حيث أن كلاً منهما بعد الآخر أمام الجميع بأنهما سيبقيان معاً في كل الظروف وأنه لن يفركهما سوى الموت.

كثيراً من أملك ومن أجل اللذات". لقد كان يشعر بالذنب إزاء ذلك، ومنذ زمن طويل، ولكنهما رستا نوعاً من التباعد بينهما، وصار من المستحيل إعادة المياه إلى مجاريها في النهاية.

"لقد اعتدنا على ذلك. ولا أحد يلومك على ذلك. أنا أيضاً عشت حياتي الخاصة وكان لدي ما أقوم به. ولست أنتمر حول زولجنا يا بيل". لقد بدت جدية وهي تتحدث إليه. وكانت المرضة قد تركتهما على أفراد عندما شرعا في الحديث.

لك الحق أن تتنمري يا سن. وكان يجب أن تستنكي منذ وقت طويل وأنا أيضاً كذلك. ما عدنا نعيش حياة زوجية. وانعدمت هذه منذ سنين. ليس من أشياء مشتركة نعملها معاً، وليس لنا نفس الأصدقاء. حتى أنني لا أعلم ما تقطيعه معظم الوقت، وقد صرت أنسى مؤخراً أن أخبرك أين أكون. ولكي أكون صريحاً، إنني لست متأكداً بأنك تهتمين لهذا. حتى إنني منذهش من مجيئك إلى هنا. وأحسب أنك كنت لتسرين لو أنني فويت يوماً ما.

لم يكن يشعر بالأسى تجاه نفسه، وكان كل ما يقوله يعبر عن حقيقة مشاعره، ولم ينكر لها بأنه كان يعرف عن علاقاتها الغرامية العديدة خلال السنوات الأخيرة، رغم أنهما تحدثا عن العلاقة التي كان قد أقامها قبل سنوات. لقد كانت سنثيا حائفة بسبب هذه العلاقة، وقالت أنها كانت إهانة لها. ولكنه كان جتلمناً (رجلاً فاضلاً) ليقاً ولم يُسر إلى تلك العلاقات الغرامية السريعة العابرة التي كانت لها مع مدربي التنس ولاعبي الغولف وأزواج صديقاتها التي كانت مهيبة له وللسنوات. ما عاد الإخلاص موجوداً في علاقتها الزوجية معه. في البداية كان الأمر نوعاً ما من الانتقام بدافع إحساسها بأنه كان يبتذها عندما كان مهووساً بالسياسة، وكان يفكر أحياناً بأنها كانت نوعاً من استرعاء الانتباه منه، ولكنها اتبعت الطريق الخطأ، وفي نهاية المطاف، اتخذ قراره وحصل نفسه على ألا يهتم بعد. لم يقل لها شيئاً عندئذ، لأنه كان من الأسهل له أن بغض الطرف عما كان يجري، ولكنه كان متأكداً من الأمر، وأدى هذا

في النهاية إلى إهانة الحب الذي كان يكتنه لها. فما كان قد شعر به نحوها قبل ثلاثين سنة قد مات ومنذ وقت طويل. وكل ما تبقى هو صداقة، وكان مستأً بوجودها هناك معه، ولكنه ما كان يحبها، وما عدت هذه المشاعر كافية للإبقاء على علاقته معها. كان قد أدرك ذلك خلال الساعات التي أمضاها مع إيزابيل قبل أيام.

"هذا أمر مزعج تقوله لي". وأضافت سنثيا قلقة وقد بدت متألمة: كيف لممكنك أن تتصور أنني سوف لن أتى إلى هنا بعد أن تعرضت للحادث؟ لا بد أنك تظن أنه ليس لدي قلب على الإطلاق".

"لا يا حبيبتي. أعلم أن لك قلباً". وابتسم لها بحزن. "ولكنه ليس مكرساً لي ومنذ زمن بعيد، أود لو كان كذلك، وأحياناً أتمنى لو يكون كذلك الآن، ولكنه لم يكن هكذا، وأعتقد أن علينا أن نواجه الأمر الآن. كنت سأحدث إليك في الموضوع عندما تعود إلى المنزل".

نظرت إليه سنثيا في حزن صامت مطبق طويلاً، والدموع في عينيها. لم تكن لتستطيع أن تصدق ما كان يقول لها. لقد كان الأمر يدعو للسخرية، فبينما أدركت هي نوتها أنها كانت لا تزال مغرمة به، أو أنها أحبته من جديد، تجده يخسرها أنه ما عاد يحبها، وأن كل شيء قد انتهى. لم تكن متيقنة مما يقوله لها. ولكن حتى الآن، لم يبدُ التصيد للموضوع مشجعاً.

"هل السبب في ذلك يعود إلى إيزابيل فوربيستر؟" سألته وهي تحاول أن تسبدو هادئة. "أنت تحبها أليس كذلك؟" ما عاد ممكناً الاختباء خلف الكلمات، وكانت تتساءل إذا ما كان بنوي الزواج منها. فلم يكن بيل من النوع الذي ليتركها لكسي يقيم علاقات غرامية عابرة، لقد فعل ذلك مرة واحدة فقط ولم يكررها، على حد علمها. وقد عدت علاقته تلك مع زوجة عضو الكونغرس جدية جداً وفي غاية الخطورة قبل أن ينهيها. لقد وضع حداً لتلك العلاقة لأنه عرف أنه إذا استمر في علاقته مع تلك المرأة فإنه سيضطر لترك سنثيا والبنات.

ليس لإيزابيل علاقة بالموضوع، قال لها صادقاً. وقد كان يجب عليه أن يكون كذلك من أجلهم جميعاً. أن السبب يعود إلي. لا أنري لماذا بقينا متزوجين كل هذا الوقت. بدافع العادة، على ما أعتقد. أو ربما الكسل، أو اللوم بشأن الأمور ستتحسن، أو الرغبة في الاستقرار، أو لأن الأولاد كانوا صغاراً. ولكن هل هذه الطريقة التي تريدين أن نعيشي فيها؟ متزوجة إلى رجل لا تربته البينة؟ ما عدنا نتحدث معاً، لم تعد بيننا أية قواسم مشتركة على الإطلاق ما خلا البنات. أنت لك حياتك الخاصة، وأنا لي حياتي. وأنت تستحقين أفضل من ذلك، وكذلك أنا. لقد كان ما يقوله صحيحاً، وكنت سئياً تعرف ذلك، ولكنها ما كنت ترغب في سماع ذلك.

لا يزال بإمكاننا أن نسمى لإنجاح الأمر إذا ما رغبنا في ذلك. هذا ما أكرهت، عندما علمت بما حدث لك، بلني لا زال أحبك. فأننا من كنت حقا طوال تلك السنين، وكان كلاهما يعرف لماذا وكيف، فلم تكن في حاجة لأن تتكسر ذلك بالحرف. أعتقد أنني كنت في بادئ الأمر غاضبة لأن حياتك مليئة باللهو والتسلية، ولم يكن لي دور كبير في حياتك... ولذلك قررت أن أستمع أنا أيضاً بالحياة وللهو والعبث. ولكني سلكت طريق الضلالة، وشعرت بأنني نالفة جذيرة بالازدراء من نفسي ومنك. ولكن كان يمكن أن يتغير هذا. فأننا الآن أرى مدى ما يجمع بيننا، ومدى حب كل منا للآخر. المومع التي كانت ستترقق في عينيها انهمرت سريعاً على وجهتيها، وانحدت إلى الأمام ولمست يده. لقد كنت أموت من الرعب عندما شعرت بأنني قد أفقدك. أنا أحبك يا بيل. فلا تتخلّ عنا الآن. لا يزال لدينا متسع من الوقت.

كان ليهز رأسه رفضاً الفكرة لو استطاع، ولكن عيناه عيرتا عن الفكرة التي تدور في رأسه. لقد فلت الألوان كثيراً يا سن. لم يتبق لدينا شيء، كل ما بيننا الآن هو هاتان الفتاتان وحقيقة أننا صديقان حقيقيان. ولهذا أنت هنا. كنت سأفعل نفس الشيء نوحك. سوف لن تخسريني يا سن. ولا يمكنك ذلك. ولهذا السبب أريد أن أضع حداً لزواجنا الآن، حتى تبقى علاقتنا كما هي عليه الآن.

إذا ما تريثنا أكثر، أو استمرينا في القيام بما فعله، سوف ننهي إلى أن نكره بعضنا البعض، ولا أريد لهذا أن يحدث لنا أو للبنات. إذا ما أنهينا الأمر الآن فإننا سنبقى صديقين على الدوام.

أنا زوجتك. قالت وهي تصارع للحفاظ على حياتها الآن، ولكنها ما كانت تحوز انتصاراً معه، وأمكنها أن تترك ذلك. ولا أريد أن أكون مجرد صديقة لك.

هذا أفضل من النقيض. ففي يوم ما سوف تتورطين في علاقة مع الشخص الخطأ، وقد يكون أحد أصدقائي، أو شخصاً بهمني أمره، وعندئذ سوف أتأل منك ومنه. وسوف لن تكون العلاقة بيننا طيبة بعدئذ. لقد كان بيل مستغرباً أيضاً من أنها لم تتسبب بفضائح حقيقية بعد، فعلى الأكل كانت حريصة تجاه هذه الأمور.

سوف لن أفعل ذلك بعد الآن. قالت وهي تبكي وتتمخط. لقد كان من المهيمن لها أن يتحدث إليها صراحة عن حماقاتها وطيشها. ولقد كان محرراً لها أن تسمع منه بأنه كان يعرف عن كل علاقاتها. فقد كانت تقول في قرارة نفسها أنه لم يعرف البتة. وكانت لترغب أن تقع نفسها أنه على الأرجح يقوم بنفس الممارسات. ولكنه كان جيداً أكثر إزاء هذه الأمور، ومخلصاً جداً، وعسيفاً جداً، وعرفت الآن أنه كان ينبغي عليها أن تترك ذلك آنذاك. وربما كان هذا هو السبب في أنه كان مغرماً بإيزابيل. فقد كان رجلاً مهذباً ولطيفاً للغاية، وما كان يشعر به نحو إيزابيل كان جيداً أكثر بكثير. فعندما كان يحب شخصاً ما، كان هذا الحب حقيقياً. سوف لن أقيم أية مغامرات غرامية. سوف أقتنع عن ذلك. أقسم لك. ولست الآن على علاقة مع أي أحد. لقد قطعت علاقتها الغرامية العابرة السابقة قبل أربعة أسابيع بعد فترة دامت ثلاثة أشهر مع رجل التقت به في ناديهم الريفي. وهذا كان متزوجاً وله ثلاثة أولاد، وكان يحسني المشرب المفضل كثيراً. رغم ذلك كان عظيمياً في السرير، ولكنها كانت تخشى أن يبوخ بعلاقتها عندما يكون مندهلاً. ولم تكن تريد أن تجازف

وتتعرض للإجراج الذي قد يسببه هكذا رجل.

وتمضين معه وقتاً طويلاً. ولست بحاجة إلى مهوس بعمله ومنهمك به طوال الوقت، ويطلق بخصوص من سيكون الرئيس التالي أكثر مما يلق بـ"مختاراً" أو "مختاراً". لقد عرف أنه سيشعر بالذنب وإلى الأبد بسبب الوقت الذي قضاه بعيداً عن بناته، مهما تكن العلاقة الوطيدة التي تربطه بهما الآن.

"لست أب عظيم يا بيل. لقد كنت رائعاً جداً مع البنات. وما كنا ليحبناك أكثر من ذلك." لقد كانت تعني ما تقول، فقد كانت كلتا ابنتيه تعبدانه، رغم اعتيادهما على عدم تواجه في المنزل. لقد كانا يحترمان بعمق كل ما كان يفعله وكانتا فخورتين به.

"لكن متواجداً بما فيه الكفاية." قال لها بما يوحي بشعوره بالذنب. "أراك هناك الآن. سوف لن أتخلي عنكما. ولكن سأحاول يوماً ما. ربما يجب أن أترتب لولادة. ولكن كان الأوان قد فات تقريباً. لقد كانت كلتاها في الجامعة، وكانت لهما حياتهما الخاصة، وكان يعرف ذلك أيضاً. لقد فلت الأوان على أشياء كثيرة، وتلك الفرص التي ضاعت يوماً سوف لن تعود ثانية. وكل ما كان ليحتمه القيام به هو أن يتواجد من أجلهم إلى جوارهم إلى الدرجة التي تسمحان له بها كراشدين.

"ماذا تريد أن تقول لي؟" سألته وهي تتسخط ثانية. لقد بدت مذعورة وشديدة الاضطراب.

"أعتقد أنه يجب أن أطلق. فهذا هي الوسيلة الوحيدة التي نحافظ فيها على ما تبقى. أريد أن أكون صديقاً لك يا سيندي."

تبأ لك". قالت له ساخطة ثم لبست وسط الدعوى. "ما كنت أظن أنك قد تتخلي عنا". ما كانت تستطيع أن تصدق ما كان يجري لهما، وخاصة الآن. كل ما كانت تبغيه قبل ثلاثة أيام هو أن يحيا، ومن ثم وفي مضى من الزمن تكسرت ما فكرت به صباح ذلك اليوم في كونك تكسرت عندما اتصلوا بها لأول مرة يخبرونها عن الحادث، بأنه إذا ما كان سيقتل له أن يبقى مشلولاً ببقية حياته فإن الأفضل له لو يموت. لم تكن تريد لذلك أن يحدث له أو لها.

"سوف تعالدين الكرة. كلانا نعرف أنك ستعلمين ذلك. وربما تكونين على صواب. فنحن نعيش عزلة شديدة. ويفصل بيننا مليون ميل، حتى عندما نكون معاً. وليس هذا مبتغى أي منا، أو ما يستحقه أي منا. وبينما كان يحدث إليها راح يفكر بإيزابيل ثانية.. لقد كان يتملكه القلق عليها خلال النهار، وفي الأحلام، حيث كان يتجول دون هودة باحثاً عنها طوال الليل.

"هل ستتزوجها؟" وأهتت سؤالها وهي تتشجج بالبكاء، وشعر بالاستياء مما كان يريد أن يقوله لها، ولكن أن الأوان لذلك. لقد أدرك ذلك عندما كان مع إيزابيل، ورغم الحداث، فقد أراد أن ينهي الأمر مع سنثيا الآن. فالأمور ستزداد سوءاً، ولم يكن من الإنصاف أن يكون عالة عليها. فسوف تكرهه في نهاية المطاف. فهي لم تكن من ذلك النوع من النساء اللواتي يمكنهن أن يمضين سنين، إن لم يكن بقية حياتهن، في العناية برجل مريض. وإذا فكر له أن يكون قعيد الكرسي المدوب بقية حياته، فإن هذا سيكون آخر ما يمكن أن يتقبل أن يبذلها به. لقد كان لديه خيار وحيد، وكان يعرف ذلك، وهذا الخيار هو أن ينأى بنفسه ويهتم بنفسه.

"لا. سوف لن أتزوجها، وهي لن تترك فريستر، إذا ما بقيت على قيد الحياة. إنه ابن حرام ذلك، وهو رديء المعاملة معها. ولكن لديها طفل مريض جداً. لقد قلت لك أن الأمر لا يتعلق بها. إنه يتعلق بنا. وسوف تشكريني على هذا يوماً ما، وذلك عندما تجدني للشخص المناسب، فانا لم أكن هذا الشخص. لقد أمضينا وقتاً جميلاً في بداية حياتنا، ولكن لم تكن لدينا اهتمامات مشتركة. وأنا ما عدت لثق بالهراء القائل بـ "تجاذب الأضداد"، على الأقل ليس في عشريناً. ففي هذه المرحلة من العمر كلانا بحاجة إلى أناس يهتمون بنفس الأسياء التي نهم بها. ولكنا كنا دائماً نريدان حياة تختلف تماماً عن تلك التي أردناها أنا. عندما كنا تفتين ما كنت لأهتم لذلك ولكني كنت مخبطاً. أنت بحاجة إلى شخص يحب اللهو، والخروج من المنزل، وحضور للحفلات

لقد فات الأوان بالنسبة لكل منا. أنت لا تدرين ذلك بعداً.

ماذا سأقول للناس؟ لقد جاء كلامه إليها وكأنه صفة، ففكرة طلاقه منها كانت بالإجمال إهانة كبيرة لها حتى إنها تمت لو تهرب بعيداً وتتولّى عن الأفظار.

قولي لهم بأنك أخيراً تعلّقت ورميت بي خارجاً. ربما كان يجب عليك أن تفعل ذلك عندما تصامقت وبدأت أعمل مئة وأربعين ساعة في الأسبوع⁽¹⁾. لقد قمنا كلانا بأشياء طائشة كثيرة، وهذا ليس خطأك وحدك. وكما هو على الدوام فقد كان ليقاً، لطيفاً، ومنصافاً وهذا ما جعل الأمور مؤلمة أكثر. لقد كانت تعرف مدى الخسارة التي ستنتهي بها الآن، وأنها سوف لن تجد مثيلاً أبداً. فاعرجال الذين مثل بيل نادرون جداً.

ماذا سأقول للبنات؟

هذا موضوع آخر. وسيكون صعباً. وأظن أن علينا كلانا أن نفكر به. فهما ناضجتان راشدتان بما فيه الكفاية حتى يتقهما، ولكنهما على الأرجح سوف لن يتقبلا الأمر فما من أحد يحب التغيير.

ولا أنا أيضاً. قالت بصوت متهدج. فهي لم تفكر بالأمر، ولكنه سيكون أصعب بالنسبة لـ. إن أملهما طويلاً شاقلة، وقد اختار أن يشقها وحده. لم يكن واحماً بخصوص شفائه، فقد كان يعرف أن هناك احتمالاً كبيراً ألا يستطيع أن يسير على قدميه من جديد. وإعادة التأهيل، وحتى إلى الدرجة التي يستطيعها، سوف تكون عملية مؤلمة وشاقلة بالنسبة لـ. وخاصة وأنه وحده، ولكنه كان يعرف أيضاً أن سلتيا سوف لن تستطيع تحمل الأمر. ورغم كل مقدراته في الرعاية التي كانت تتمتع بها منذ زمن بعيد في فترة طفولة البنات، إلا أنها سوف تفقد صوابها إذا ما عاشت معه وهو معطوب الجسد بأي حال من الأحوال. فسنتيا لم تكن ليزابيل. وما كان ليملكها أن تكون مثل ليزابيل لو

(1) متوسط عدد ساعات العمل في الولايات المتحدة يبلغ أربعين ساعة في الأسبوع.

ولكنه حدث الآن، وها هو ميترتها. وكانت لا تفكك تتساءل هل كان مكافئاً فقط لم أنه يتفاعل مع الحادث بطريقة هستيرية ما. هل أنت متأكد بأن هذا ما تريد؟ لقد تعرضت لصدمة شديدة. ومن الطبيعي أن...".

قاطعها قبل أن تكمل بقية حديثها، وبدأ هائلاً وهو يتحدث إليها: يجب أن نعمل ذلك قبل سنوات يا سن. ولكن لم يكن الأمر بيدي.

يومئذ أن تريد ذلك الآن. لقد كنت قد بدأت أحبك من جديد طوال الأسبوع. والآن تريد أن تخرج من حياتنا، سأقول لك شيئاً يا بيل روبنسون إن توقيتك للأسوء ليس في محله. وهنا بدأت تبكي بصوت مرتفع أكثر ونظرت إليه بعينين تدلان على قلب منكسر: لماذا لم تردعني بما أنك كنت تعلم بما كنت أفعله كل تلك السنين؟ ولماذا لم تقل أي شيء؟ لقد راعها أن تدرك أنه كان يعرف بعلاقتها الغرامية. ولكنهما كانا يعرفان كلاهما أنها لن تكن مسؤوليته أن يوقها بل كانت مسؤوليتهما هي.

ما كنت أعرف ما أقول. أنا نفسي ما كنت أود مواجهة الأمر. لقد كنت أضحك على نفسي في البداية موهماً نفسي بأن ذلك ما كان يحدث، ثم اعتدلت على الأمر. لا أدري يا سن... ربما لم أكن أريد أن أكون صادقاً مع نفسي إلى هذا الحد. أما الآن فليس لدي خيارات. لقد فات الأوان كثيراً وما عاد يتفق الندم. وما عدت أستطيع أن أكتب على نفسي أكثر. وربما لن تكون هناك أية امرأة في حياتي بعد كل هذا الذي حصل، ولكن على الأكل سوف لن يعيش أي منا كذوبة. وهذا أفضل. ألا تزيدينني لل رأي؟.

قالت بصدق: لا. بل إنني أفضل أن أعيش كذوبة على أن أخسرلك. ولسنا مضطرين لأن نعيش كأنايب. يمكننا أن نعيش حياتنا بشكل صحيح هذه المرة، إذا ما أعطيتني فرصة أخرى. وإذا قالت ذلك بدت على نفس شكل الفتاة التي كان قد تزوجها، ورويته لها على هذا النحو حطم قلبه. ولقد تمنى لو أنه واجه هذه المسألة قبل سنين، ولكنه ما كان مستعداً لذلك آنذاك، وانتهى الأمر بالنسبة لـه الآن.

تعيش مثلها أو أن تعتي بلينها مثلها، وكان بيل على استعداد لمواجهة أعيال
الجديدة وحده.

هبت سنثيا واثقةً وسارت نحو النافذة عندئذ، ورحلت تحديق في الفضاء
وتبدو مكسورة الفؤاد، عندما دخل السفير الأمريكي إلى الغرفة. كان قد سمع
عن الحادث، وقرأ عنه في صحيفة تريبيون. لقد كان جزعاً، وبدا مكتئباً وقلقاً
عندما دخل. وعندما استدارت سنثيا نحوه بعينين حمراوين منتكنتين، أمكنه أن
يرى أنها هي أيضاً مضطربة من الجزع عليه. لم تكن لديه أدنى فكرة عن
الحديث الذي كان يدور بينهما، ولم يخطر في باله البتة أنه دخل إلى خضم
دراسة عائلية، إذ هرع إلى السرير وأمسك بيد بيل وفي عينيه نظرة اهتمام
عميق.

'يا إلهي يا روبنسون، ماذا حدث لك؟ لقد كان من المفترض أن أراك
الأسبوع المنصرم.' لم يكن قائراً على تصديق الأخبار التي سمعها، ولاحظ
سنثيا وبيل يتبادلان نظرة غريبة.

لقد دخلت في عراك مع بلص بتحريك بأقصى سرعته. وقد تغلب الباص
علي. لقد كانت حماقة مني أن أدخل في هكذا عراك. قال بيل وهو يبتسم،
ولكنه بدا متعباً. فالحديث الذي تبادل مع سنثيا قد أنهكه، وقال لها عندئذ: 'سن.
ثم لا تمشين مع البنات قليلاً؟ سيكون حسناً لك أن تغيري الجو قليلاً.' أومأت
برأسها وهي غير قادرة على أن تقول أي شيء. لم تكن تريد أن تبكي في
حضور السفير، وكانت تعرف أنها ستضطر لذلك إذا ما بقيت. وبالمقابل ما
كانت تريد رؤية بناتها، فارتأت أن تعود إلى الفندق وأن تبكي هناك لبرهة
وحدماً.

'سأعود الليلة.' قالت والنموح تلهمر بغزارة من عينها من جديد بينما
قيلت وجنته. وهمسرت له: 'أحبك،' ثم هرعت خارجة من الغرفة بينما كان
السفير يرقبها خارجةً.

'مسكينة سنثيا، لا بد أنها مصدومة جداً.' قال السفير بتعاطف. لقد كان

يعرفهم منذ سنين. فقد كان من نيويورك، وكان قد فكر بأن يسعى إلى الرئاسة
يوماً، ولكن بيل لم يشجعه. فما كان ليفوز بذلك، بينما كان يبلى بلاء حسناً في
عمله كسفير، وكان يحب هذا العمل. لقد كان هناك منذ ثلاث سنوات، وكان
بيل يعرف أن الرئيس سيطلب منه البقاء لدورة أخرى.

'هل تسيّر أمورك على ما يرام؟' سأله السفير وقد ارتسم عيوس على
وجهه بدافع القلق.

'هي أفضل الآن.' على الرغم من هذا الصباح الذي علاني فيه، لم يكن
متشوقاً لمفاتها بالموضوع، ولكنه يعرف الآن أنه قام بالعمل الصائب. لقد
كان ينوي أن يفعل ذلك عندما يعودون إلى المنزل، وكان يعرف أنه لن يسمح
للحادث بأن يغير قراره. وما حدث أكد له صحة عزمه وزاد من إصراره.
ولم يكن يريد أن يترك لها أي مجال للأوهام في علاقتها معه ولو كان الأمر
مؤلماً.

'هل تحتاج إلى شيء؟' سأل السفير وهو يجلس. كانت زوجته قد طلبت
منه ألا يمكث طويلاً.

ليس كثيراً. فقط رقية جديدة، عمود فقري جديد، سابقين قويتين جدينتين،
والأشياء العادية الأخرى. حاول بيل أن يمزج مع السفير، ولكن عينيه بدتا
حزينتين، بينما أبتسم السفير. لقد كان بيل روبنسون رجلاً طيباً وبارعاً ويمتتع
بروح رياضية.
'ماذا يقولون عن حالتك؟'

'لا يقولون الكثير. فالوقت مبكر على معرفة ذلك. وأعتقد أنه بما أن
فرانكلين ديلاانو روزفلت⁽¹⁾ استطاع إدارة البلاد وهو جالس في مكتبه، فإن
إصباتي هذه سوف لن تشكل فارقاً كبيراً بالنسبة لي.' ولكنهما كلاهما كانا

(1) فرانكلين ديلاانو روزفلت (Franklin Delano Roosevelt): رجل دولة أمريكي وفرنسي
الثلاثي والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. وقد كان حاكماً للبلاد لفترة أطول من كل
الروساء (1933-1945) بناء على انتخاب لا مثيل له لأربع دورات رئاسية متتالية.

يعرفان حقيقة الأمر الواقع. فحياته كلها قد تبدلت برمشة عين، وليس قط حيوته السياسية وحسب، بل على الأرجح أيضاً كل حياته كرجل. لقد كان مرد الصعب في هذا الوقت تحديد كل مضاعفات الحادث، فإلى جانب أنه لن يكون قادراً على المشي من بعد، فإنه لم تكن لديه أدنى فكرة عما إذا كان سيستطيع أن يمارس الحب مع امرأة من جديد. لقد كان عالماً بذلك أيضاً عندما أخبر سنيا أنه يريد الطلاق. فلماذا لم تستطع أبداً أن تتفاهم مع هذا الوضع. ولكن كانت هناك حتى أسباب قاهرة أكثر تدفعهم للطلاق، وهذه هي التي حفزته للمشي وراء الطلاق. وما كان عجزه إلا السبب الطاعني أو الظاهر.

"هل تعرف كم ستبقى هنا؟"

"وقت طويل على الأرجح". قال بيل وقد بدا مكتئباً. لقد كان متعباً جداً. ولم يكن ذلك الصباح سهلاً عليه، وقد حزن كثيراً لاضطراره لوضع حد لزوجيهما، فهو لم يفقد زوجته فحسب، وباختياره، بل بدا له أنه، ويفعل الحادث، قد خسر إيزابيل، صديقته المقربة، أيضاً. عندما كان يفكر بذلك، كان يشعر بالأفق يبدو كثيباً للغاية. فلم يعد لديه ما يصير إليه، ما عدا عام صعب قاسٍ للغاية أمامه، ميمضيه في محاولة استعادة صحته من جديد. ولكن على الأكل كان قد نجا من الموت.

"حسناً. يمكنك أن تتكلم علينا". قال له السفير ستيفنز بمرح: "لقد كانت غريس تروي المحيية لزيارتك أيضاً، ولكن قالت أنها ستأتي في يوم آخر. فهي لم ترد أن تنقل عليك، وكانت تخشى أن أفعل أنا ذلك. إذا احتجت إلى شيء، أي شيء، أريدك أن تتصل بالسفارة. لتتصل سنيا بغريس. اعتقد أنها ستتمكث معك". لقد بنت المرأة البائسة شديدة الاضطراب عندما غلذرت الغرفة. وفكر جيم ستيفنز أن مولجتها حقيقة كونه قد يبقى عاجزاً للأبد سيكون أمراً صعباً عليها. "سأجعل غريس تتصل بها خلال أيام قليلة". لم يخبره بيل بأنه كان سيطلب من سنيا أن تعود مع البنات إلى كوكوكوت. لكنني بأن أبتسم له وتركه يقول ما يشاء. لقد كنا صديقين حميمين. ومنذ زمن بعيد، ولكنه لم يرد

أن يخبره بنبا الطلاق الآن. لقد كان الأول باكراً جداً. وما كان يريد أن يخبر أحداً قبل أن يخبر البنات، وذلك بدافع الاحترام لها.

نظر السفير إلى ساعته عندئذ، ثم إلى بيل، وقرر أن ينصرف لأنه لمضى وقتاً طويلاً كافية. لقد كانت غريس على حق. لقد بدا مضطرباً، وتركه يسيل في غضون خمس دقائق. وفجأة رأى بيل أن ذلك المعجوز الذي كان يبدو مثل والده قبل أيام فقط، قد بدا له الآن مفعماً بالنشاط والحياء والفكرة، وذلك لأنه استطاع أن يسير خارجاً من الغرفة اعتماداً على قوته الشخصية.

بذت الساعات تمر بتناقل بعد ذلك. نام بيل نومة، وجاء الطبيب المختص في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. لم يسمع بيل من سنيا، ولكنه كان يتوقع أن تكون في فندق كلاريدج تعلق جرحها. لقد كان لا يزال على ثقة بأنه مهما كان الأمر مؤلماً فمن الأفضل أن يفصلا في نهاية المطاف.

لم يجد المختص في حالة بيل ما يشجع ليقوله له. ففكر لبيل الاحتمالات الممكنة من أسوأ الأحوال إلى أفضلها. فمن خلال صور الأشعة السينية لتي رآها، والوشايق المتعلقة بالعمليات الجراحية، رأى أنه من غير المحتمل أن يستعيد بيل القدرة على السير. قد يستعيد بعض الإحساس في للنهاية، ولكن الضرر الذي أصاب عموده الفقري جعل من المرجح أكثر أنه سوف لن يستعيد القدرة الكاملة على تحريك رجله. وحتى لو أمكنه أن يشعر بهما في النهاية فإنه سوف لن يستطيع الوقوف على رجله. وقد يحتاج إلى تثبيت سفادات إلى جسده، ومع التدريب، قد يتمكن من استخدام عكازات ولن يجر ساقيه جراً، ولكنه كان يعتقد أن بيل سوف يتمكن من الحركة أكثر وبسهولة ويسر أكبر إذا ما استخدم عربة ممتوتبة. كان هذا الخبر السار. أما الخبر السيئ فهو أن الأعصاب إذا ما تحللت أكثر، إضافة إلى الضرر الذي أصاب عقده، فإنه قد لا يستعيد أي قدرة على الإحساس أبداً بنصفه السفلي. وقد ينشأ لديه التهاب مفاصل، وقد يسبب ذلك فساداً في العظام، وإضافة إلى ما لديه الآن،

فإنه قد يعاني الألم طوال حياته أيضاً. ولكن، وإذا أن بيل في الثانية والخمسين من العمر، فإنه كان يعتقد أن بيل لديه فرصة طيبة في أن يسترد على الأقل بعض القدرة على استخدام سابقه، حتى ولو لم يستطع أبداً السير بشكل كامل من جديد. فقرر الطبيب أن عنق بيل سوف يستغرق ستة أشهر لكي يُشفى، وأن عملية إعادة التأهيل لسابقه سوف تستغرق سنة أو أكثر. وكان هناك احتمال إجراء عملية جراحية أو اثنتين له، ولكنه كان يشعر أن فوائد هذه العمليات ستكون في الحد الأدنى، وأن المجازفة والمخاطرة سوف تكون كبيرة جداً. فإن حاولوا أن يحسبوا ما بقي لديه الآن، فإن الأمر قد ينتهي به إلى شلل كامل من عنقه إلى أسفل قدميه، وحث بيل بقوة على ألا يقوم بهذه المجازفة. وحرصاً من أن بعض الجراحين قد يرغبون في إجراء تجارب عليه، وبعونه بتصميمات لا يضمونها، ولكنه كان صريحاً في قوله له إن أي جراح سوف يعده بذلك سيكون أحمق حتى يأخذ هذه المجازفة، وإذا أصغى بيل إليه، ولفقه الرأي. لقد كانت الصورة التي رسمها له حيوية ولكن ليست سهلة، وكانت تحتاج إلى شجاعة هائلة لمواجهتها. لقد قال لبيل صراحةً أن عليه أن يعمل خلال العام القادم بكل جهده لكي يحقق بعض النجاح في استخدام سابقه، وأن عليه أن يقوي القسم العلوي من جسده لكي يعوض به عن السفلي، ولم ينكر شيئاً عن الجهد الذي سيندله من أجل ترميم عنقه. ولكن بمرور الوقت، وبالعامل الجاد، شعر الطبيب بكل تأكيد أن بيل سيحيا حياة جيدة، إذا ما كان مستعداً للتلازم نفسياً مع القصور الذي حدث له من جراء الحادث. قال بوضوح أنه كان لمرأ سناً ولكنه ليس نهاية العالم.

وعندها، وإذا كان يفراً بسهولة ما يجول في ذهن بيل، أجليه على السؤال الذي كان بيل لا يزال خائفاً أن يطرحه. لقد كان واضحاً أنه لن يسير مجدداً، وأنه سيبقى مقيداً إلى كرسي متوالب. ولكن لم تكن لديه أدنى فكرة عما يتعلق بحياته الجنسية، وما إذا كان سيستطيع أن يعيش هكذا حياة. ولقد كان قلقاً جداً في سره بخصوص هذا الموضوع. لقد أوضح الطبيب عملياً وصرحةً أن

هناك احتمال كبير في أن يستعيد بيل قدراته الجنسية وأن يكون قادراً على أن يحيا حياة طبيعية نسبياً، رغم أن الوقت كان سابقاً لأوانه حتى يستطيع أن يحدد ذلك. لقد قال لبيل أنه من الصعب التكهن بهذا الأمر. ولكنه كان متفائلاً ومشجعاً له، ومهتماً بطمأنة بيل وإراحة باله قدر استطاعته. وفي نهاية المطاف، سيتوجب على بيل أن يجرب ذلك، ولكنه لم يتقدم في رحلة شفائه بما فيه الكفاية لذلك. كفيته سوءاً أنه قد لن يستطيع السير من جديد، ولكن الطبيب لم يكن يريد لبيل أن يفقد الأمل كلياً فيما يتعلق بيبالي الأمور.

قال الطبيب وهو يتبسم له: "إذا تحلت زوجتك بالصبر لبعض الوقت فإن الأمور يمكن أن تتحسن بشكل كبير". لم يقل له بيل أنه وخلال فترة وجيزة سوف لن يكون له زوجة، وما كان ليتصور أن يجرب حظه مع النساء اللواتي سيحاول أن يخرج معهن. ولكنه، على الأقل، كان يريد أن يعرف هل سينجح يوماً ما حول أن يقوم بتجربة جنسية. ولكن ما من أحد كان يستطيع أن يعد بذلك. لقد كان ينبغي عليه أن ينتظر ويرى النتائج، وهذا كان يعذبه كثيراً. لقد كان يخطط أنه بعد شفائه، وكتمل العادة، فإنه سوف ينغمس في عمله بشكل كامل. بل وأكثر من ذي قبل، فهذا كل ما كان قد تبقى له.

بعد أن غادر الطبيب، استلقى بيل في سريريه وراح يفكر لوهلة. لقد كان مكتئباً بشدة. فقد مرت به أحداث كثيرة خلال بضع الساعات القليلة الماضية، وكان يصعب عليه استيعاب كل شيء. لقد كان من الصعب عليه أن يحصر تفكيره في احتمال أنه قد لن يستطيع أن يشي من جديد أبداً... ألا يسير من جديد أبداً... ظلت هذه الكلمات تتردد في ذهنه. ولكنه كان يعرف أن الأمر كان من الممكن أن يكون أسوأ من ذلك. فلقد كان من المحتمل أن يكون مصاباً بشكل كامل، أو ميتاً، أو أن تسبب له الإصابة في رأسه تلفاً دماغياً دائماً. ولكن ورغم إحسانه برحمة الله التي عليه أن يكون منتبهاً لها، فإن فقدان رجولته بدأ يفوقها جميعاً، وإذا استلقى في سريريه، فقد كان قلقاً ومكتئباً. وإذا راح يفكر بهذا الخصوص، جال فكره نحو إيزابيل من جديد. فاستلقى هناك

وأعض عضينه مفكراً في الوقت الذي أمضاه مع إيزابيل ذلك الأسبوع قبل الحادث. لقد كان يصعب عليه أن يتخيل أن ذلك كان قبل أربعة أيام فقط. قبل أربعة أيام كان يرقص معها في نادي أنابيل، ويشعر بها قريبة منه، ولما الآن فسوف لن يرقص على الإطلاق من جديد، وها إن الموت يرفرف بجناحيه حولها. لقد كان من غير الممكن له أن يصدق أنه قد لا يستطيع أن يتحدث إليها ثانية، أو ألا يسمع صوتها البتة، أو يرى وجهها الحبيب. وإذا راح يفكر بهذا وبكامل ما جرى له انهيمرت الدموع من عينيه. لقد كان يفكر بفكر بهاء والدموع تسيل على وجنتيه، عندما خطت الممرضة داخلة غرفته. لقد كانت تعلم أن الطبيب الاختصاصي كان معه ووقت طويل، وأن الأتباء لم تكن سارة، وفكرت أنه قد يفقد شجاعته وعزمته من جراء ذلك، فحاولت بلفظ أن تسري عنه. لقد كان رجلاً وسيماً مليئاً بالحياة، وكانت تستطيع أن تترك ماذا يعني بالنسبة له أن يصبح عاجزاً عن المشي. لقد كانت الممرضات تشعرن بأن الأمر سيأخذ هذا النحى منذ اليوم الأول تقريباً. فقد كانت إصاباته بالغة جداً.

هل تريد بعض مسكنات للألم يا سيد روبنسون؟ سأأته، فيما نظر إليها. لا. أنا بخير. كيف حال السيدة فوربستر؟ هل من تغيير طرأ على حالتها؟ لقد كان يسأل هذا السؤال كلما رأى إحداهن، وما كانت أي منهن تصرف هل الدافع وراء اهتمامه هو إحساسه بالمسؤولية تجاه الحادث نوعاً ما لأنها كانت معه، أم هو حبه لها. لقد كان من الصعب معرفة ذلك. الوحيد الذي كان يعرف هو الممرضة التي كانت هناك عندما زار إيزابيل الليلة الفائتة، وكانت قد أفسمت للطبيب أنها سوف لن تتقوه بكلمة مما سمعت.

إنها على نفس الحال تقريباً. لقد كان زوجها هنا قبل هنيهة، وقد غادر لستوه. أعتقد أنه سيفادر إلى باريس لبضعة أيام. فليس لديه ما يمكنه أن يفعله هنا. اللهم ما عدا أن يكون معها، ويتحدث إليها، ويلتصم منها أن تعود. كره بيل غوردون عندما فكر به. فقد كان بارد المشاعر، وبتناً معها. وهنا خطرت

في ذهنه فكرة. فإن غادر غوردون المشفى سيكون بمقتوره عندئذ أن يزورها من جديد، وذكر ذلك للممرضة. لقد كانت تعرف أنه ذهب إلى غرفتها ليلة أمس كي يراها، وأن طبيبهما المشترك سمح له بذلك، ولكنها ما كانت تعرف ما سيكون رأيه إذا ما طلب بيل ذلك من جديد. ولكن عندما رأت النظرة التي تسببت في عينيه، أمكنها أن ترى أي يوم فانس قد مرَّ به، وكم أثر ذلك عليه، فتعاطفت معه.

سأرى ما يمكنني فعله. قالت له، وتوارت عن ناظريه. وعادت بعد خمس دقائق مع حلجيين حرراً فرامل سريره، ودعا به ببطء نحو الباب. لقد توجسب عليها أن تملك بعض أجهزة التراقية، ولكنه كان على حال جيدة الآن يمكنه معها أن يستغني عنها نوهلة، وكانت تعرف كم كان مصعباً على أن يعبر تلك الردهة ليرى إيزابيل.

أمسكت ممرضتها بالجاب وألقته مفتوحاً من أجل أن يدخلوا، ودفع الحاجبان عجلات سريره بلفظ عبر الردهة إلى داخل الغرفة، ووضعه إلى جوار سريره، كانت الستائر في غرفتها مسدولة، وكان جهاز التنفس الاصطناعي يصدر صوته المألوف الذي يشبه إلى حد بعيد صوت هبوب الرياح، في حين تراجعت الممرضات إلى ركن الغرفة ليسنحوا لهما بالبقاء على انفراد. استدار بيل نحوها بأكثر ما استطاع، وكان هذا محدوداً جداً، وأمسك أصابعها بيده من جديد، كما سبق وقعل الليلة السابقة.

هذا أنا يا إيزابيل... يجب أن تستقيطي يا حبيبتي. يجب أن تعودي. تسدي يحتاج إليك، وأنا أيضاً. أحتاج لأن أحدث إليك، لقد اشتقت لك كثيراً. وسألت الدموع على وجنتيه بغزارة وهو يتحدث إليها، وبعد قليل، اعتراه الصمت وقد استلقى مسكاً بيدها. وكانت للممرضات على وشك أن تقترحا بإعادته إلى غرفته، وقد استلقى بهنوء في سريره إلى جوارها، وبدأ في سلام بشكل غريب. لقد بدا وكأنه على وشك أن يفنو، عندما فُتح الباب، ووقف فيه غوردون فوربستر وهو ينظر حوله في أرجاء الغرفة. أنجلت الممرضتان،

وخرج الحاجبان، بينما راح غوردون يتكلم إلى ممرضة زوجته بجدة.

لَو سمحت أعديدي السيد روبنسون إلى غرفته في الحال! كان هذا كل ما قاله، وأما بيل فلم يقل شيئاً بينما دفع الحاجبان عجلات سريره خارجين به من الغرفة. لم يكن أحد عاجزاً عن فهم ما كان يجري هناك، أو السبب الذي دفعه ليأتى إليها، وفي حين مرَّ بيل بسريره بمحاذاة غوردون، شعر بيل برعشة خوف، فلقد كان متأكداً أن غوردون سوف يصر على ألا يسمح لبيل بزيارتها ثانية. ولكن بما أنه سيغادر عاجلاً إلى باريس، فإن بيل سوف يجد طريقة ليأتى لزيارتها مرة أخرى. وإذا استلقى في غرفته يفكر في الأمر وكيف بدت إيزابيل وكأن لا حياة فيها، دخل غوردون فورستر إلى غرفته.

"إذا وجدتك في غرفتها مرة أخرى يا روبنسون، أو سمعتُ أنك كنت هناك، فإنني سأسعى لنفلك من هذا المشفى. هل هذا واضح؟" كان يهتز من الحنق، وكان وجهه شاحباً. فقد كان بيل ينتهك حرمة منتهكته، وهو لن يتساهل معه في ذلك. فينظره كانت إيزابيل ملكاً له، وسوف لن يسمح لبيل بأي شكل أن يقترب منها أبداً كانت العلاقة بينهما. فهي كانت تخصه.

"كلامك هذا لا يؤثر البتة يا سيد فورستر". قال بيل في هدوء، وهو ينظر في عينه مباشرة وينبأ. "وأعتقد أن السفير ستيفنز سيكون له رأي في نقلني من هنا. ولكنني لا أريد أن أدخله في مشاكلي. أنا وإيزابيل أصدقاء، ومنذ زمن بعيد. وهي لم تفعل ما يستوجب استيائك، وإنني أؤكد لك ذلك". اللهم ما عدا قبلة واحدة تلك الليلة في السيارة، ولكن غوردون لم يعرف بذلك، فقد كانت بينهما فقط. "إنني مهتم لأمرها. أنت رجل محظوظ فهي امرأة رائعة. وإنني لأريدها أن تتجو بمقدار ما تريد أنت ذلك، بل ربما أكثر. تبدي يحتاج إليها، حتى أكثر مني. فإذا كان الحديث إليها، أو أن تكون معها، أو على الأقل أن أرعب لها في الحياة بدافع اهتمامي بها، إذا كان هذا سيساعدها الآن، فهذا سائقه لها على الأقل".

"لبقى بعيداً عنها. لقد فعلت ما فيه الكفاية. لقد كنت تتسبب في موتها

معه. ماذا كنا نتعدان أنكما تفعلان خارجاً في تلك الساعة من الليل؟ ألم تكن لديك فكرة عن كيف سيبدو الأمر عليه؟ ثم سمحاً لمصور فضائح أن يلتقط لكما صورة، جاعلين من أنفسكما ومنى أضحوكه. هل اعتدتما أنكما ستجوان بفعلكما. يبدو أنكما لم تتحجا في ذلك. والآن إن أفضل ما يمكنك أن تفعله هو أن تبقى بعيداً عن غرفتها، وعن حياتنا. لسنا في حاجة إلى فضيحة بسببك".

"لست أسبب لك أية فضائح". قال بيل منفصلاً.

"لست واثقاً من ذلك. وعلى جميع الأحوال، فإنني أمنعك من دخول غرفتها. هل هذا واضح؟"

"لماذا تكرهها إلى كل هذا الحد؟" سأل بيل غوردون الذي كاد يصل إلى الباب، فاستدار غوردون ببرودة وبطء لدى سماعه هذه للكلمات.

"أنت مخبول؟ أنا لا أكرهها. فهي زوجتي. ولماذا تعتقد إذاً أنني هنا؟"

"هل لديك خيار آخر؟ هل كنت تستطيع ألا تأتي وأن تستمر في الإدعاء بأنك تهتم لأمرها؟ بالكاد. كلانا نعرف لماذا أنت هنا. أنت هنا بدافع المظاهر، ولأنه ليس لديك حل آخر يتبدل. أنت مسؤول عنها. ولكنك لا تهتم بها يا فورستر ولم تهتم بها أبداً".

"أنت نذل حقير". صرخ غوردون في وجهه، ثم سار خارجاً من الغرفة. ولكنه ما انفك يتسامل إذا ما كانت إيزابيل قد قالت له بأن زوجها يكرهها، ويتساءل كم كان بيل يعرف من شؤونها العائلية. لقد بدا لغوردون أن بيل كان يعرف الشيء الكثير.

كان بيل لا يزال يفكر بالحديث الذي تبادلاه عندما عانت سونيا والبنات لرؤيته بعد ظهر ذلك اليوم. لقد كانت الغفانان قد ذهبتا إلى سوق السلع المستعملة واشترتا كومة من الأغراض السخيفة التي كانتا تحبانها، وأما سونيا فقد ذهبت في نزهة طويلة وهي تفكر في الأمور. لقد فكرت في كل ما كان قد قاله. ولكن لم يذكر أي منهما شيئاً عن ذلك، أو عن إجراءات قانونية، أمام

تذهب مباشرة إلى هامبتون، ساكون في الولايات المتحدة في القريب للعلاج.
لقد كان لديه الكثير ليقوله. وإذا ما عاد فإنه سيتوجب عليه أن يجد مركز إعادة
التأهيل حيث يمكث فيه لفترة، ثم سيحتاج لأن يجد له شقة وينقل من
منزله. ولكن كان الأولون باكراً على كل ذلك الآن. وأول شيء، سيتوجب
عليهما أن يخبرا البنات عن قرارهما. لم يكن يتشوق لذلك، وكان يريد أن
يخبرهما عن ذلك في حضورهما، وهكذا تفهم الفتاتان أنه وستنثيا سيبقيان
صديقتين. لقد كان الأمر بهمه كثيراً، وسوف يمهمن هن أيضاً في نهاية
المطاف. لقد كان متيقناً من ذلك.

صاغت سنثيا والفتاتان إلى الفندق ليتناولن طعام العشاء. واستلقى في
غرفته بهوء طوال الليل. كان ليود لو يرى إيزابيل مرة أخرى، ولكنه لم يُرِدْ
أن يحدث ما لا تصد عفاه في حال أن يكون غوردون لا يزال في البلدة، ومن
ناحية أخرى فإنه كان متعباً. لقد كان يوماً صعباً عليه. قيل له أنه على
الأرجح أن يمسي ثاتية، وأنه قد يمارس الجنس ثاتية أخيراً رغم أن هذا غير
موكد، وكان قد رأى إيزابيل، وشن معركة مع زوجها، وأخبر سنثيا عن رغبته
في الطلاق. لقد كان كل ذلك شديد الوطأة عليه إضافة إلى الحادثة التي أنت
إلى إدخال تحديلات هائلة على حياتهم لا يمكن تغييرها أبداً.

البنيتين. لقد كان كل ذلك سابقاً لأوانه. مكثت الفتاتان هناك حتى موعد العشاء،
ولطعمسته أوليفيا بالمعلقة. لقد حاول أن يأكل بنفسه، ولكن مع للسناد المزيج
المتبث إلى عنقه بعثر طعامه في كل مكان وخاصةً للحساء.
"ماذا قال الطبيب؟" سألته سنثيا بهوء قبل أن يغادرن.

قال لي أنه من الأفضل لك أن تخرجي من حياتي. همس لها، وبدت
من جديد على وشك البكاء. "أنا أمزح فقط. قال إنه يمكثني أن أستعيد بعض
القدرة على تحريك ساقي مع بذل الجهد الكبير. إنه تحدٌ شيق. فمن يعلم؟ قد
يستطيعون اجترار معجزة ويحملاني على السور". كان لا يزال يريد أن يعتقد
هكذا، رغم أن هذا الأمر كان غير موكد، بحسب قول الطبيب. سوف أبداً
العلاج وإعادة التأهيل بشكل جدي خلال ثلاثة أسابيع. إنهم يريدون أن يعطوا
كل شيء مهلة أكثر للعشاء قبل أن يبدلوا إعادة التأهيل.

"يمكنك أن تكون في المنزل لأجل ذلك." قالت في هوء. لقد كانت لا
تزال تشعر بوطأة للقرار الذي اتخذته، وكانت ترجو أن يلين مرور الوقت.
"ربما. سنرى." قال لها جازماً. لم يُرِدْ أن يقول الكثير أمام البنات.

"وماذا عنك؟ متى تتوين الذهاب إلى المنزل؟ هل فكرت في ذلك؟" سألها
بيل وهو يبدو لطيفاً لبقاً. لقد كانت فترة بعد ظهر قاسية بالنسبة له.
تريد البنات أن تبقيا لهذا الأسبوع. وفكرت أني قد أذهب معهما إلى
باريس خلال بضعة أيام، إذا كنت على ما يرام، ثم أعود لرونيك. كانت لا
تزال تأمل بأن يغير رايه بعد كل ما قاله، ولكنه كان حازماً جازماً في لهجة
صوته. لم يشعر بالأسف على ما قاله. لقد كان يعرف أنه يعمل الصواب
لكليهما.

"لا. لا ترجعي." قال لها بلطف، ساكون بخير. عليك أن تعودي أدرجك
مع البنات. أعرف أن لديك مخططات لتذهبي لزيارة ولديك في مين". لقد
كانت قد اتخذت قرارها ألا تعود إلى أوروبا من جديد، وبعد مين، سوف

الفصل السابع

غادر غوردون فوريستر لندن متوجهاً إلى باريس باكراً صباح يوم الإثنين. كان قد اتصل بالمشفى قبل رحيله، وقيل له أن ما من تغير يُذكر قد طرأ، فغادر منطلقاً إلى المطار. لقد كان يحمل معه أغراض إيزابيل التي كانت قد تركتها في غرفة الفندق. لم يكن ثمة داع لأن يترك لها أي شيء في المشفى، في نظره. ففي الحالة التي كانت عليها، لم تكن في حاجة إلى شيء. وإذا كان يطير فوق القنال الإنكليزي، أدرك أنه لم يعرف شيئاً جديداً أكثر مما كان يعرفه عندما جاء. فليس لدى الأطباء بعد فكرة عما إذا كانت ستعيش أو تشفى. لقد بدت أعضاؤها الداخلية تتمايل للشفاء ببطء، ولكن كان هناك قلق كبير بخصوص قلبها ورنينها، وسوف يستغرق كبدها وقتاً طويلاً كي يشفى. والضربة التي تلقتها على رأسها، رغم أنها أقل خطراً من باقي الإصابات، إلا أنها كانت تبقىها في حالة غيبوبة عميقة. لقد كانوا يسكنون أممها لكي يعطوا لإصاباتها فرصة للشفاء. ولكن ما كان يمكن الجزم بعد فيما إذا كانت ستستيقظ أم لا، أو فيما إذا كانت ستموت، أو أن تبقى في غيبوبة إلى الأبد. كان لا يزال ثمة أسئلة كثيرة بعد، ولم يكن لدى أي أحد الإجابة عليها. لقد كانت بارقة أمل أنها لا تزال على قيد الحياة بعد انقضاء خمسة أيام على الحادث، وبالتأكيد كان لكل يوم أهميته. ولكنها كانت لا تزال في حالة خطيرة حرجة للغاية. وأدرك غوردون، عندما حطت الطائرة في مطار شارل دي غول في رواسي، أنه ما عاد بمقدوره أن يوجّه إعلام الأولاد بالأمر. لقد كان ينتظر من يوم إلى آخر أملاً بعض التحسن، ولكن لم يكن هناك أي شيء من هذا القبيل. وبدا من الخطر أن يترتّب أكثر من ذلك. فصوفي كانت كبيرة بما يكفي لتعرف الحقيقة، بأنها قد تفقد والدتها، وسواء كان مريضاً أم لا، فإنّ على تيدي أن يواجه الأمر

أيضاً، وكان غوردون واقفاً من أن صوفي سوف تكون تعزية له إلى حد ما. لقد كان يظن أن ينتظر إلى أن تعود صوفي من البرتغال لكي يخبر تيدي، وهكذا يمكنها أن تتبرر أمر شقيقها. ما كان غوردون يحب هكذا مشهد، أو يُلقح في هكذا وضع، وبخاصة أنه ليست لديه علاقة تُذكر بابنه.

وضع غوردون حقيقته وحقيقة إيزابيل في سياره أجرة في روساي، وراح يفكر من جديد ببيل روبنسون والموجهة المزعجة التي كانت بينهما. كان لا يزال متضليلاً من جراءة وعجرفة سؤال بيل له عن سبب كراهه لإيزابيل.

لقد طرأ في ذهنه احتمالٌ أثار حنقه، ولكنه لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من التساؤل فيما إذا كانت إيزابيل قد قالت له ذلك. لم يكن يكره زوجته. كل ما هنالك هو أنه فقداه في فوضى ولخبطة السنين بعد ولادة تيدي. لم يعد يستطيع أن يفصلها في ذهنه عن مشاعر الرعب التي أصابته من غرفة المرضى، وكل ما كانت تجسده بالنسبة له. ففي نظره، هي لم تعد زوجته بل ممرضة تيدي وحسب.

وتساؤل صمًا إذا كان تفكيرها في أنه يكرهها كان مبرراً لها لإقامة تلك العلاقة الغرامية التي كان يقترض وجودها بينها وبين بيل، أو على الأقل تلك القفز السذي كان بينهما. إذا كانا قد ذهبا معاً إلى نادي أنابيل كما قالت للصحف، وكما أوضحت الصورة، فمن المؤكد أن علاقتهما لم تكن بتلك السبراء التي أوحى بها بيل روبنسون. كان لا يزال ثمة ألف سؤال في ذهن غوردون حول هذه العلاقة، ولكن ما لم تشف إيزابيل، كان يدرك أنه لن يعرف أبداً الإجابات عليها. فبالإمكان أن يخبره بيل روبنسون أي شيء. هذا ما أزعج غوردون بشكل أساسي، ولكنه في الواقع لم يفكر بها منذ سنين من الناحية الرومانسية العاطفية أو الجنسية.

كان قد ترك غوردون تعليمات في مكتب الاستقبال في المشفى عند مغادرته له، وهذه تتضمن عدم السماح لبيل بأن يزورها في غرفتها مرة

أخرى، وكتبت الممرضة هذه التعليمات جميعها بشكل رسمي، ولكن كان ينتاب غوردون شعوراً مزعجاً بأن ما من رغبة من رغبته سوف تنفذ. لقد بدا وكأن لديهم تعاضلاً شديداً نحو بيل، وليس لديهم أدنى مقدار منه نحو غوردون، ناهيك عن الاحترام والإعجاب الكبيرين نحو بيل روبنسون الذي كان شخصاً مهماً جداً.

عندما غادر غوردون المطار، اتجه مباشرة إلى المكتب وأجرى عدة اتصالات هاتفية. وشرح الوضع لسكرتيرته، وهذا ما لم يفعله قبلاً، ولم تقل له إنها رأت صورة إيزابيل في الإنترنتشوبال هيرالد تريبيون. لقد كانت تعرف أكثر منه عن الحادث، ونزولاً عند رغبته، فبعد ظهر ذلك اليوم، أعطته رقم هاتف صوفي في البرتغال. فقد كانت إيزابيل قد تركته معها عندما غادرت إلى لندن، وذلك للعودة إليه إذا لزم الأمر.

كانت صوفي تقيم في منزل تستأجره مع أصدقائها في سينترا، وكانت خارج المنزل آنذاك، ولم يستطع غوردون والحالة هذه إلا أن يترك لها رسالة. فعاودت الاتصال به الساعة السابعة وكان على وشك أن يُخادر المكتب. فأخذ نفساً عميقاً وهو يلتقط سعاة الهاتف، واستجمع أفكاره استعداداً لإخبارها بالحادثة.

مائلته ميتجة: كيف الأحوال في لندن؟ هل قضيتما وقتاً ممتعاً أنت وماما؟

أنتى لك أن تعرفي أنني ذهبت إلى لندن؟ فهو لم يخبر أحداً ما عدا تيدي وممرضته.

لقد اتصلت بالمنزل في نهاية الأسبوع، وتحدثت إلى تيدي. ألم يخبرك؟

ثم أراه بعد، لقد جئت من المطار إلى المكتب مباشرة هذا الصباح. قال غوردون برباطة جأش. لقد كان يُهدد الحديث ويبحث عن الكلمات المناسبة.

سأُتصل بالمنزل إذاً، فأريد أن أسأل مني عن شيء.

فقال باقتضاب: "هي لا تستطيع أن تتحدث إليك". لقد كانت هذه اللحظة التي يخافها. لقد كان الحادث كابوساً بالنسبة إليه لم يستطع أن يستيقظ منه بل حتى كان مضطراً لإدخال أولاده معه إليه.

"لم؟ لا؟ هل هي في الخارج؟"

"لا، إن أمك في لندن."

"هذا طريف. هل بقيت هناك؟" لقد كان من غير المحتمل أن تترك والدتها تبدي، على الأقل وحده ولسته أيام. لقد كانت صوفي تعلم أن والدتها ذهبت إلى لندن يوم الثلاثاء. "متى ستعود؟" سألته وهي تبدو في حالة من الاضطراب والحيرة.

"لا نعلم بعد". وأخذ نفساً عميقاً ثم دخل في الموضوع مباشرة، "يا صوفي. إن أمك تعرضت لحادث". ساد صمت مطبق على الطرف الآخر من الهاتف، بينما راحت تنتظر، وكان قلبها يخفق بشدة. لقد كان هناك ما يخيف نظراً إلى الطريقة التي نقل بها النبأ. واستأنف كلامه فقال: "إنه حادثٌ مرعب للغاية. وأعتقد أن عليك المجيء إلى المنزل".

"ماذا حدث؟ هل هي على ما يُرام؟" لقد كانت مقطوعة الأنفاس، وبالكد استطاعت أن تتطرق للكلمات.

"لقد كانت تركب سيارة اصطدمت بحافلة". لم يكن باستطاعته الآن إلا تذكر التفاصيل. "إنها في حالة غيبوبة ولا يعرفون ما سحدث لها. لقد تعرضت لإصابات داخلية خطيرة جداً. وقد لا تتجو. يوسفني أن أخبرك بذلك على الهاتف، ولكنني أريدك أن تقومي بالترتيبات لتعودي إلى باريس بأسرع ما في وسعك". على الرغم من مشاعره نحو صوفي وما يدعيه نحو إيزابيل، فقد بدا في حديثه وكأنه يريد لقاء عمل. لقد كان غورنون يفعل كل ما أمكنه لتلاّ يشعر بسالم إبنته. فما كان يسمح لنفسه بالانغماس في المشاعر والعواطف خاصة المولمة.

"يا إلهي... يا إلهي...". بدت صوفي على وشك السقوط في حالة هستيريا، وهذا كان بخلاف طبيعتها. فقد كانت في العادة باردة المشاعر وهادئة وعقلانية وغير عاطفية نسبياً، مثل والدها. ولكن ما قاله لها لتؤه فائق أسوأ كربايسها، فطوال حياتها كانت على استعداد لتقبل فكرة فقدان شقيقها، ولكن ليس والدتها التي كانت تحبها بمقدار أكبر مما تسمح لنفسها بالاعتراف به. كان هذا ليعد ما يكون عن فكرها عندما تتصل بها والدها. يا إلهي، يا أباه، هل تعتقد أنها ستموت؟ وأمكنته أن يسمع صوفي تبكي، ولوهلة لم يدرك ما يقول.

"هذا ممكن". قال ذلك وقد بدا غير مرتاح بينما كان يجلس إلى مكتبه يحدق في الفضاء. لقد كان يستعيد في ذهنه تكري موت والدته، ويحاول جهده إبعاد شبح هذه التكريات عنه. "إنها إبارقة أمل أن تكون لا تزال على قيد الحياة، ولكنها في حالة حرجة خطيرة جداً، وليس ثمة تحسن في حالتها". قال لها صادقاً في حين راحت صوفي تبكي بحدة أكثر، ولم تستطع أن تتوقف عن الشجيج بينما كان ينتظر، ولم يستطع أن يفكر بما يمكن أن يقوله ليطمئنها. فلم يزد أن يكتب أو أن يزرع آمالاً وهمية في نفسها، والحقيقة هي أن إيزابيل كان من الممكن أن تموت في أي لحظة. يتوجب على صوفي أن تواجه ذلك، وكذلك الأمر بالنسبة إلى تبدي.

وهنا سألتها معززة عن مخاوفها: "هل يعرف تبدي؟" لقد كان يبدو على ما يرام في نهاية الأسبوع، ولم يسبق له أن كتب عليها من قبل. ما كانت صوفي لتتخيل أن يخفي تبدي عنها هذا الأمر سراً، لو أن يدعي الإبتهاج والسرور عندما كانت تتحدث إليه على الهاتف.

"لا، لا أعلم. أريد أن أنتظر حتى تأتي إلى المنزل كي أخبره. أعتقد أن عليك أن تغلقي الخط الآن وأن تسارعي بترتيب أمر عودتك إلى هنا. هل ثمة أحد هناك يمكنه أن يساعدك في ذلك؟"

"لا أعرف". قالت ذلك وهي مرتبكة مضطربة. "أريد أن أذهب إلى لندن

لأرى ماما". لقد بدت وكأنها طفلة في الخامسة من العمر، وفجأة شعرت وكأنها يتيمة.

"أريدك أن تأتي إلى هنا لولاً". قال لها بحزم. لقد كان يريد ما أن تكون معه عندما سيخبر تبدي بالأمر. ما كان يريد تحمل ذلك العبء وحده.

"حسناً". قالت له وهي لا تزال تبكي دون أن تستطيع تمالك نفسها.

"أتصلي بي عندما تعرفين بموعد وصولك إلى هنا، سوف أبحث عن إرساله إليك ليقبلك". لم يكن ليكلف نفسه هذا العناء حتى في ظل ظروف كهذه. أن يكون بارد العواطف ومتحفظاً كان من طبيعته. حتى إنه ليس بمعتاد أي كان، حتى ابنته، أن يخترق الجدران التي يخلق بها عواطفه، ولكنها كانت تعرف طبيعته هذا دائماً. كانوا جميعاً يدركون ذلك، حتى هي التي كانت الأقرب إليه.

"سأحاول أن أتى إلى المنزل هذه الليلة". قالت له وهي تبدو ذاهلة. لقد كانت على بعد ساعتين من لشبونة⁽¹⁾، ولكن ربما تستطيع أن تحجز على طائرة تغادر على متنها إذا ما سرعت. وإلا، سيتوجب عليها الانتظار حتى الصباح التالي.

أغلقا السماعية بعد دقيقة، وأرسل السائق غوردون إلى منزله. وكانت هذه أول مرة يرى فيها تبدي بعد أربعة أيام، وبدا الغلام في معنويات عالية، ولكنه سأل عن أمه في اللحظة التي رأى فيها غوردون في شكل عرفته.

"أين ماما؟ هل هي في الطابق الأسفل؟" وتلاوات عيناه وهو ينظر لاسمها.

"لا، ليست هنا". قال غوردون بشكل مبهم غامض، وهو يحاول أن يصرف انتباهه عن السؤال عنها بأن يبدو صارماً متجهماً. "أعتقد أن صوفي ستعود الليلة من البرتغال".

(1) لشبونة: (Lisbon): عاصمة البرتغال وكبرى مدنها فيها.

"أحقاً؟" وبدا الطفل مندحشاً، ولكن نجح غوردون في أن يجعله يخبر الموضوع على ما يبدو، لوهلة على الأقل.

"لقد قالت ماما أن صوفي سوف تغيب أسبوعين. فلماذا ستعود مبكرة هكذا؟" سألته لأنها لم تذكر له ذلك على الهاتف يوم السبت، وشعر بالفريضة أن ثمة خطب ما. وبعد ذلك وكمثل كلب يعود إلى العظمة، عاد تبدي إلى السؤال نفسه من جديد "أين أمي؟" ولم يجرؤ غوردون على إخباره بأنها لا تزال في لندن، فسوف يعرف أن في الأمر خطباً ما. فقد كان تبدي بارع للذكاء وحساساً على تنوّه الحقيقة مطوّلاً. كل ما كان يرجوه غوردون هو أن تأتي صوفي إلى المنزل عاجلاً كي تساعده في نقل الخبر إلى صوبي.

"شارك بعد هنيهة". قال غوردون دون أن يجيبه على سؤاله. "طبي أن أكون ببعض الاتصالات الهاتفية". وبهذا غادر غرفة تبدي وأختفى. ولكن كان من الواضح أن ابنته كان قلقاً. لقد بدا غوردون متجهماً عابساً وهو يخطو عبر الردهة إلى غرفته.

"أين أمي؟" سمعه غوردون يسأل الممرضة بينما كان يخلق الباب. سوف تكون ليلة طويلة حتى تصل صوفي إلى المنزل. لقد قرر أن يحل المشكلة بأن يسبق في الطابق السفلي، في المكتبة، وصنع بعد ساعة إذ رفع نظره ورأى تبدي يدخل في هودة إلى الغرفة. لقد أصدر على النزول إلى الطابق السفلي بنفسه، ولم تستطع الممرضة أن تردعه عن ذلك. لقد بدا قلقاً وشاحياً للغاية.

"لا بد أن أمراً قد حدث". قال تبدي بهدوء وهو يستند إلى كرسيه مقطوع الأنفاس وينظر إلى عيني ولده بشكل مباشر. كان غوردون طوال حياته رافضاً له منصرفاً عنه، ولكن هذه المرة لن يستطيع أبداً أن يتخلص منه. لقد كانت في عينيّه نظرة تصميم تكررت غوردون بيزابيل. لم يسبق له أبداً أن رأى نظرة تبدي هذه. ولأول مرة لاحظ أن تبدي ما عاد يبدو مثل طفل. "أريد أن أعرف أين أمي". قال وهو يجلس. لقد كان مستعداً للانتظار الجواب طوال الليل إذا لزم الأمر. وليس في إمكانهم خلافاً لذلك إلا أن يجروه أو يحملوه

خارجاً من الغرفة.

لقد بدا غوردون سخطاً وهو يحاول أن يغطّي الخوف الذي يشعر به. لقد كان الغلام يفقد دائماً الشعور بالراحة. فقد كان ضعيفاً طويلاً العود سهل المكسر، أما الآن فكان يبدو أفضل حالاً مما كان منذ مدة طويلة. فقبل ستة أشهر ما كان ليستطيع النزول إلى الطابق الأسفل. ولكن لم يكن بإمكان غوردون أن يتحاشاه الآن.

تهدّد غوردون وقال: "إن أمك في لندن". قال له بلهجة تتمّ عن الصنق، وكان يرجو ألا يضطرّ لقول المزيد. ولكن ما كان بإمكانه التهرب وقد التفت عيناه بعيني ابنه.

لماذا؟

لقد ذهبت إلى هناك كي ترى معرضاً فنياً. قال غوردون وهو يشيح بنظره جانباً، محاولاً أن يدفعه لأن يلوذ بالصمت.

أعرف ذلك. وكان ذلك منذ ستة أيام. فلماذا لم ترجع معك؟ وهنا رفع غوردون عينيه وشعر وكفه برى ابنه لأول مرة في حياته. لقد أمضى السنين محاولاً إقصاءه عنه ومقارنته، وأما الآن فكان عاجزاً عن تقادي نظرة تيدي الثاقبة.

لقد كان طفلاً جميلاً، ولكن كانت تسير الأمور معه على غير ما يرام دائماً. وكانت عاهاته وعجزه تخيف والده، وأما الآن، ورغم نفسه، فإن رؤية نظرة العذاب في عيني تيدي قد سمّت غوردون. وما عاد قادراً على تحمل إبائه بالحقيقة، ولكنه ما كان يريد أن يتصلّ بمسؤولية تدهور صحته من جراء سماعه هذا الخبر. فوجود تيدي بدا على الدوام معلقاً على طرف خيط. وما كان غوردون يريد أن يكون هو الشخص الذي يقطع خيط حياته بنقل هذا الخبر الكارثي عن أمه التي كان يعيها.

لقد تعرّضت لحادث. قال غوردون بصوت خفيض، وأمكنه أن يسمع تيدي يلتقط أنفاسه، دون أن ينظر إليه. لم يكن ليتمكّن رؤية النظرة التي

سيلاحظها في عيني ابنه.

"هل هي بخير؟" قال تيدي بصوت يشبه الهمس. لقد عرف لتوه أن أمراً ما قد حدث، ولكن كان يتربّع بخوف ما سيقله والده.

"سوف تكون على ما يرام، على ما أرجو. لا نعلم بعد. إنها مريضة جداً. ويؤسفني أن أخبرك بذلك". قال غوردون بلهجة جافة، ولكن على الأكل لم يبيك تيدي. لقد جلس هناك يتنقّس بحذر ويترقب والده منتظراً المزيد ليخبره به.

"سوف لن تتركها تموت". قال هامساً، وكان غوردون يتمنّع بقدرات تجعله يحول دون ذلك.

ليس الأمر ببدي. أنت تعلم أي لا أريد لها سوء". ولكن النظرة في عيني تيدي كانت تقول الكثير. لقد كان يعلم تمام العلم بالنعاسة التي تعيشها والنته رغم أنها لم توضح له ذلك أبداً. وكانت هذه هي المرة الثانية خلال يومين التي يتهم أحدهم فيها غوردون بأنه لم يكن لطيفاً في معاملة لإيزابيل، وما كان غوردون ليطبق هذا الاتهام.

"أهذا هو السبب الذي يجعل صوفي تعود الآن إلى المنزل؟" سأله تيدي، وأرماً غوردون برأسه. لقد كان يجلس في الطرف الآخر من الغرفة قبالة الصبي. ولم يخطر له أبداً أن يجتاز بضع خطوات سيراً نحوه وأن يعانقه بذراعيه. لقد كان من غير المألوف بالنسبة له أن يفعل ذلك، خلافاً لإيزابيل، التي كانت لتضمّ تيدي إلى صدرها بقوة لو كان غوردون هو الذي تعرّض للحادثة بدلاً منها. وحتى غوردون كان يعرف ذلك. "أريد أن أذهب إلى لندن مع صوفي أو معك". قال تيدي بنظرة كلها عزيمة وتصميم. فمتى ستعود زيارتها؟" لقد كان متأكداً أنه سيفعل ذلك. فما كان يطيق فكرة أن تكون والنته هناك وحدها.

"لا أعلم". قال غوردون صادقاً. لقد ارتأيت أن أتي إلى المنزل من أجلك. لم يؤيده تيدي على ما قاله. كان لا يزال يحاول أن يستوعب ويفهم ما

أخبره به والده للتو. كان غوردون مندهلاً ومتأثراً أن الصبي لم يكن بيكي. لقد كان تيدي أكثر شجاعة مما كان قد اعتقد.

"لريد أن أتحدث إليهما. ألا نستطيع أن نتصل بها الآن؟" سأله تيدي، وهز والده رأسه دلالة النفي.

"لا. لا نستطيع. فهي غائبة عن الوعي منذ الحادث. إنها في حالة غيبوبة من أثر ضربة تلقها على رأسها."

"آه. لا." قال تيدي فجأة وهو يتخيلها مصابة بشكل كبير على ذلك النحو، وبدأ بالبكاء في نهاية الأمر. فقد كان ليذه الصدمة وقع كبير في نفسه. "لريد أن أذهب الآن." قال وهو في حالة احتياج شديدة.

"سوف إن تعرف أنك هناك." قال له غوردون بطريقة صليبة. "وسوف لن يكون هذا في صالحك. فست قوياً بما فيه الكفاية لتحمل عبء هذه الرحلة." لقد كان هذا واقع حياة تيدي ولا يمكن التفاوضي عنه رغم مدى مرض والدته أو سوء حالتها. فلم يكن السفر إلى لندن خياراً متاحاً أمام تيدي.

"بل أنا قوي كفاية." قال تيدي بحقن وهو يمسح عينيه بشجاعة. "إنها تحتاج إيبسا في المشفى لتكون إلى جانبها. فهي على الدوام إلى جانبي. فلا يمكننا أن نتركها وحدها يا بابا. لا يمكن أن نعاملها هكذا. ومن جديد بدا كالم طفل وقد عاد للبكاء وهو يشعر باليأس والمعجز.

"دعنا نترتب إلى أن نتصل صوفي إلى المنزل." قال غوردون وقد بدا متعباً. "ماذا لا نصعد إلى الطابق الأعلى ونستريح؟ فليس هذا جيد من أجلك."

قال له ذلك وكأنه بالغ راشد ولكن تيدي لم يهتم. كل ما كان يريد الآن هو أن يكون بجانب والدته. وما من شيء كان ليتمكن أن يمنعه من ذلك. لقد كان لا يزال يتحدث في هذا الموضوع وهو يسير إلى المصعد الصغير الذي كانوا قد أعتوه له إلى جانب السلام. لقد كان هناك منذ سنين. وإذا استلقى تيدي على سريره يتحدث إلى الممرضة عندما عاد إلى غرفته، كانت عيناه ممتسنتين. لم يستطع أن يتوقف عن الحديث، وبعد العشاء أخذت الممرضة

درجة حرارته وكان لديه حمى. لقد هيّج كثيراً وكان هذا خطراً عليه. لقد كان هذا بالضبط رد الفعل الذي كان غوردون يتوقعه منه عندما يسمع النبا.

كان سيدي لا يزال مستيقظاً متسع الحقدتين عندما وصلت صوفي في وقت متأخر الليلة. لقد تدبرت أمرها لتلحق برحلة طيران الساعة الثامنة، ووصلت إلى باريس في منتصف الليل.

كان غوردون في انتظارها، والتقت به في البهو الأمامي عندما سمع صوت السيارة في الخارج. تلذعت بسرعة لترتمي على ذراعيه ما أن لمحته وبدأت بالبكاء.

"آه يا بابا... أرجوك لا تدعها تموت...". لم يسبق له أبداً أن رآها مستاءة هكذا، وكان يفهم السبب، وحالما هدأت قليلاً صعدت إلى الطابق الأعلى لتسرى تيدي. لقد كان ينتظرها في سريريه. وتعلقا كلاهما وكانهما لم يريا بعضهما منذ سنين. فما حدث لم يكن أبداً ليخطر على بالهما وهو أمر مريع. ما كان لأحدهما أن يتصور هكذا أمر، لقد كان فوق التصور. فوق الخيال. ويكفا طويلاً وهما متعاقبان. إلى أن خطأ والدهما أخيراً داخل إلى الغرفة وقد بدا عليه الإثبات. لقد كانت العواطف التي تأنجت في ذلك اليوم لها تأثير عليه وعلى الأولاد أيضاً.

"سوف أذهب معك إلى لندن لرؤية ماما." قال تيدي لصوفي في هدوء، بينما وقف والدهما ينظر إليهما وقد بدا متجمهاً. لقد كان رد فعلهما أسوأ بكثير مما كان يخشاه.

"لا أعتقد أن هذا ممكن بالنسبة له." قال غوردون باقتضاب. "لقد جعله هذا الأمر أشد مرضاً مما كان." لقد تحدث عن تيدي وكأنه لا يستطيع سماعه.

"سوف لن تكون أمي راضية عن ذلك." قالت صوفي وهي تلمس شعر شقيقها الأشعث، وبمجرد لمسها له كانت تشعر بأنه مرتفع الحرارة. "سوف تستاء جداً إذا ما مرضت، وهذا سيكون له تأثير سيء عليها عندما تستيقظ." قالت صوفي برقة وهي تشدد على كلمة "عندما" بدلاً من أن تستخدم كلمة "إذا".

ونظر إليها تبدي بعينين متسعيتين.

'أريد أن أراها بأي حال من الأحوال، حتى ولو كانت في غيبوبة. سوف أعترف لتي هناك.' لقد كان هذا رأي بيل أيضاً، ولكن والدهما لم يوافق. لقد كان يعتقد أن رؤية تبدي لها ليس له أهمية.

'هي لا تعرف أحداً هنا.' قال غوردون بهدوء. وكان متأكداً من ذلك، إذ لم يكن ليصدق أن الناس في حالة الغيبوبة يمكنهم أن يسمعوا الأصوات أو يدركوا ما يدور حولهم من أمور. فبعد رؤيته لها في تلك الحالة كان مقتنعاً أن ذهاب تبدي ليس له معنى، وسوف لن يسمح للصبي بأن يذهب. بهذا غير معقول، وستكون مجازفة كبيرة على أي أحد يأخذه هناك، فقد كان أضعف وأعجز من أن يسافر، أو حتى من أن يغادر المنزل.

'إذاً لماذا ستذهبين إذا كانت لن تتركك هناك؟' سألت تبدي صوفي بشكل مباشر.

'إيها ليست مريضة.' وأردف غوردون. 'وأعتقد أن عليها أن تذهب. وسوف أبقى هنا معك.'

'لأن تعود الآن إليها يا بابا؟' قالت صوفي وقد بدت مصدومة، ولكنها لم تقل شيئاً عندما هز رأسه.

'ليس الآن. سوف أنتظر حتى تعودين إلى المنزل. يمكنك أن ذهبي غداً فتمضي النهار هناك، أو تمضي الليل، كما تشائين.'

لقد كنت أفكر بأن أبقى قليلاً هناك، ربما لبضعة أيام.'

سوف نرى كيف هي حالتها، ولكن لا تمكثي طويلاً. قال غوردون ثم غادر المنزل. لم يكن ينوي أن يبقى في المنزل وحده مع ابنه لفترة طويلة. وكان يريد أن تتولى صوفي العناية به، وما كانت لتستطيع أن تفعل ذلك لو بقيت في لندن عند والدتها.

نامت صوفي في سرير تبدي تلك الليلة، وذراعاها تحيطان به،

واستيقظت في اليوم التالي بينما كان هو لا يزال نائماً. فاستحمت وارتدت ثيابها، وكانت جاهزة للانطلاق إلى المطار في الوقت الذي لستيقظ فيه.

'هل أنت ذاهبة الآن؟' سألتها وهو يشعر بالنعاس. 'أريد أن أتي معك.' ولكنه كان أكثر تعباً وضعفاً من أن يتحرك. في الليلة السابقة كان قد أرقق عافياً، وبدأ الآن في حال أدنى مما كان منذ وقت طويل.

'أسعد في أقرب وقت.' همست له صوفي، ثم غادرت غرفته. لقد مضت لتودع والدها، ولكنه كان قد ذهب لتوه إلى المصرف. وكان قد رتب شراء بطاقة طائرة لها في الليلة السابقة، كما وأنها كانت قد حجزت في فندق كلاريدج. لقد كانت تعرف أن والدتها في مشفى القديس توماس. وكان لا يزال لديها بعض النقود المتبقية من رحلتها. كان سائق والدها ينتظرها أمام المنزل، وما هي إلا نصف ساعة حتى وصلت إلى رواسي. لم يكن هناك أي ازدحام للسير على الإطلاق. وبدت أهدأ بكثير وأكثر نضجاً مما كانت تشعر.

كانت رحلة طيرانها في وقت الظهيرة بالتوقيت المحلي، وأخذتها سيارة من فندق كلايدج مباشرة إلى المشفى. لقد شعرت بأنها رائدة جداً وهي ذاهبة إلى هناك وهي ترتدي فستاناً بسيطاً أزرق اللون وتقلع حذاءً وكانت والدتها قد اشترته لها. كان شعرها ملقى إلى الخلف، وكانت حصة الهندام، ولكن كان كل من ينظر إليها، ورغم أنها في الثامنة عشرة من العمر، يرى فيها ملامح طفلة بعينين واسعتين خافتين مائتتين بالأسى.

لبست الممرضات لها عندما تحدثت إليها في المكتب. فقدّمت نفسها لها، وأخذتها إحداهن مباشرة إلى غرفة والدتها. كان الباب المقابل للردهة مفتوحاً، ورأت رجلاً يراقبها. لم يكن لديه خيار آخر، لقد أسندوه إلى جنبه، وكان ينظر باتجاه الباب، وهو غير قادر على الحركة.

خبطت بحدن داخلية إلى غرفة والدتها وسرعان ما صعقت بما رآته هناك. لقد كانت والدتها شاحبة كالأموات، بضمادة كبيرة على رأسها. وكان جهاز تنفس اصطناعي موصولاً إليها ليساعدها على التنفس، وكانت تحيط بها أجهزة

مراقبة وأغليب من كل الجهات. دنت صوفي من السرير والدموع تملأ عينيها، ووقفت هناك طويلاً مكتفية بالنظر إليها ملامسة يدها، ثم سحبت ممرضة كرسيها ووضعته إلى جوار السرير كي تجلس صوفي عليه، فجلست وراحت صوفي، غريزياً، تتحدث إلى إيزابيل وهي ترجو لو أنها تسمعها بشكل أو بآخر. لقد أخبرتها عن مدى محبتها لها، وتوسلت إليها أن تبقى على قيد الحياة. لم تبدُ على إيزابيل أية علامات للحياة. الشيء الوحيد الذي كان يتحرك هو جهاز التنفس الاصطناعي وبعض الخطوط الضوئية للضئيلة التي تظهر على أجهزة المراقبة. لم يكن ثمة حركة أخرى أو أي صوت آخر في الغرفة. لقد بدت والدتها في حالة مريضة أكثر مما كانت قد توقعت. ولقد كان من الصعب أن تصدق أنها تتجو من الحادثة.

جلست صوفي لفترة طويلة، وأخيراً قامت حوالى الساعة الرابعة وسارت خارجة من الغرفة. الرجل نفسه الذي كان يراقبها تدخل راح ينظر إليها الآن من جيبه. لقد أخبرته الممرضات عن تكون، ولكن بالتأكيد سيعرف وحده على أي حال. لقد بدت مثل إيزابيل وهي شابة.

"صوفي؟" ناداها، وأجفلت إذ سمعت صوته يناديها باسمها، وقد اندلعت من فمها يعرفها، واقتربت منه ببطء ووقفت في مدخل غرفته.

نعم. قالت بصوت متردد، ولكنها كانت مستاءة مما كانت قد آتته للتو وكان يتمنى لو يحيطها بذراعيه كرمي لإيزابيل ولأنه حينها شخصياً. وما كان لديه الكثير ليعمله من أجلها.

"اسمي سيزل روبنسون. وإن صداقة تجمعي بولذلك. ولقد كنت في السيارة معها عندما وقع الحادث." قال لها ذلك وكأنه يود أن يعترف لأنه كان السبب في وجودها هناك. "يوسفني ما حدث جداً. وأولمات برأسها وهي تنظر إليه. لم تذكر أن أمها ذكرت اسمه يوماً، ولكنه بدا رجلاً ظريفاً، وكان من الواضح أنه تأذى كثيراً من الحادث وخلفاً لوالدتها، فقد كان واعياً وعلى قيد الحياة.

"ماذا جرى لك في الحادث؟" سألتها صوفي بحذر وهي تخشى أن تدخل الغرقة. ولم تتركه بعد من يكون أو ما سبب وجوده مع والدتها أثناء الحادث. لقد انكسرت عيني، وأصبحت في راسي. ولكن والدتك أسوأ حالاً من الإصابات الشكالية مني". قال ذلك وهو حزين. "ليني أستطيع أن أكون مكالها يا صوفي، وأتمنى أن تعرفي ذلك. وإني لأضحي بحياتي من أجلها لو أمكنتي ذلك". تأثرت صوفي بما قاله، لقد بدا رجلاً ظريفاً لطيفاً. وكانت تتساءل كيف صار هو ووالدته أصدقاء. فوالدتها ما كانت تخرج البتة بسبب تبدي.

كيف تبقى تبدي النبا. هل يعرف؟" سألتها.

لقد أخبره والذي بذلك ليلة أمس". قالت له وهي تشعر باستغراب. لقد التقيت من فمها يراهم جميعاً دون أن يعرفوه. إنه مزعج للغاية. لقد كان يشعر بحمي ليلة أمس. ولكنه أراد أن يأتي. وعلي أن أعود غداً إلى المنزل لكي أعطي به. كنت لأفضل أن أبقى هنا، ولكنني أعتقد أنه يحتاج إلي هناك. كانت تتعلم حذاء إيزابيل وكان يبل يرغب لو يستطيع أن يمد يده ويلمسها فقد بدت تشبه والدتها كثيراً جداً.

"هل أستطيع أن أخدمك في شيء؟" سألتها بيل وهو يشعر بالعجز. متاعها تماماً. ما كان هناك ثمة ما يمكن عمله الآن. ما حدث لهما قد حدث وما كان أحد يعلم إلا الله فيما إذا كانت إيزابيل ستستيقظ من غيبوبتها أم لا. "لا. أنا على ما يرام". قالت له، وقد بدت حزينة في صمت. "أين تمكثين؟"

في فندق كلاريدج."

"إن زوجتي ولهنتي هناك. إذا احتجت إلى شيء الليلة اتصلي بهن". وإذا قال ذلك دخلت سنيا والبتان إلى الردهة، ورأين صوفي تتحدث إليه من مدخل باب غرفته. فعرقيهن على بعضهن بعضاً، ثم قالت صوفي بأن عليها أن تتصرف. فما كانت تريد أن تكون متطفلة عليهم. وشعرت أن ابنتها كلتا

لطيفتين، وأصابت في تخمينها أن جين هي في نفس عمرها تقريباً. ودعتهم صوفي بلطف وكياسة ثم سارت خارجة عبر الردهة. كانت تنوي العودة لاحقاً تلك الليلة لتزى والدتها ثانية. لقد كان هذا كل ما تريد أن تفعله.

هل هي ابنتها؟ سألت سنثيا في هدوء.

تعم. ولديها ابن أيضاً، ولكنه مريض جداً. لم تُبْذِ سنثيا أي تعليق، وسدّت بفرط كسب غرفته، لأنه لم يكن لديها شيء آخر تفعله. وراحت للتفان كتردشان معه.

لقد كانتا قد وعدتا العزم على الرحيل في اليوم التالي. فكانتا تعترضان للذهاب إلى باريس لأسبوع، ثم تعودان إلى الفندق لرويته في طريقهما إلى المنزل. وفكر أن هذه فكرة رائعة، وأراد لهما أن تتلا قسماً من التسلية واللبه. واتفق هو وسنثيا على أن يخرجهما عن موضوع الطلاق في طريق العودة، وهكذا تستطيعان التآكل مع الفكرة بعد أن تذهبا إلى المنزل. فلم يُرِدْ أن يفسد عليهما رحلتها إلى باريس. وكانت سنثيا ستخرج معها إلى العشاء تلك الليلة. وسوف يستقن من عضويته في نادي هاري. ومجرد سماعه لذلك جعله يفكر بإيزابيل وذهابه إلى هناك معها.

كان بيل مستلقياً على ظهره، يفكر بها تلك الليلة، عندما عادت صوفي لتزى والدتها. وفي هذه المرة عرجت عليه ودخلت غرفته لتسأل عن أحواله. كيف حالك يا سيد روبنسون؟ سألته في تهذيب ولباقة في حين ابتسم لها.

على نفس الحال تقريباً. كيف حالك أنت؟ فهزّت كتفها بما يوحي بأنها لا تكترث لنفسها، واعرورقت عيناها بالدموع. لقد كان منظر والدتها على ذلك الحال يحطم فؤادها، ولم تكن هناك أية علامة تدل على أنها تبرز أي تقدم على الإطلاق نحو استعادة وعبها. لقد كانت معلقة في مكان بعيد ناهٍ لم يعرف أحد على الإطلاق إذا ما كانت ستعود منه. كانت المرمرضات قد أخبرنه أنها قد تسبق هكذا لسنوات وأنها قد لا تعود من غيبوبتها حتى تموت في النهاية. لقد

كانت هذه فكرة مخيفة مؤلمة وخسارة هذه المرأة غير العادية مصيبة كبيرة، وليس ذلك من الإنصاف في شيء. ومنذ بداية الحادثة كان بيل قد تمنى لو أنه مات وبقيت هي على قيد الحياة.

كيف التقيت بماما؟ سألته صوفي وهي تقف إلى جانب سريريه. ما برحت تتسائل عن ذلك منذ التقت به بعد ظهر ذلك اليوم. فلم يقل والدها أنها كانت في سيارة مع أحد، وانذهلت صوفي عندما خاطبها بيل.

لقد التقينا منذ زمن بعيد، في السفارة الأمريكية في باريس. لقد شعر فجأة بالحاجة لأن يتحدث عنها، ولقد سُرّ من سؤال صوفي. وتناولنا الغداء مرتين كل سنة، وكنا نتحدث على الهاتف في بعض الأحيان. وكانت تخبرني عن كل شيء عنك وعن تيدي. لقد أرادت صوفي أن تسأله إذا كان يحبها، أو إذا كانت أمها تحبه، ولكن بما أن كلاهما كان متزوجاً، فإن هكذا سؤال سيكون فيه وقاحة. ولكنها كانت تستغرب أنها لم تسمع عنه. فولدتها لم تتكر أبداً اسمه.

هل تعرف أبي أيضاً؟ سألته، وابتسم، ودعاها للطوس، فجلست.

تعم أعرفه. وأعتقد أنه حائق علي جداً منذ الحادث. وأعتقد أنه يظن أن الحادث ما كان ليقع لو لم تخرج للعشاء تلك اليوم. ولو كنت مكافه لاتانيس نفس الإحسان.

إنها ليست غلطتك. قالت المرمرضة أن السائق قد لاقى حقه. إن الأمر مربع. لا يستعي أن أفهم كيف يمكن أن يحدث شيء كهذا. وامتلأت عيناها بالدموع من جديد. إن أمي طيبة جداً ولا تستحق هذا.

تعم إنها طيبة جداً. وانهمرت الدموع من عينيه أيضاً، ومدّ يده وأمسك بيدها. بالنسبة له كان يشعر بطريقة غامضة وكأنه يلمس يد إيزابيل، وبالنسبة لها كان تواصلها مع صديق والدتها كأنه تواصل معها هي بالذات. لقد كان يجمعهما رابط غير اعتيادي من خلال إيزابيل.

ثم أكن دائماً لطيفة معها. أقرت صوفي بعد هنيهة. لقد اعتدت أن

أن أرحل".

تلك من دواعي سروري. شكراً لحديثك إلي يا صوفي". لقد كانت هذه لحظة شعر فيها بالارتياح خلال فترة عصيبة من العزلة كانت أكبر مما تستطيع أن تتخيلها أو تتفهمها. فالحياة، التي عرفها، كانت توشك على أن تتغير وللأبد. سوف أن يسير على قدميه ثالثة، أو يقفز، أو يرقص، أو يتسكع في الشوارع. فحركته، مثل حياته، ستعتمد معقدة من الآن فصاعداً. لقد قرر هجر حياته الزوجية. وقد المرأة التي أحب. فلم يعد له ما يتعلق به في الوقت الحالي، وكان ضالاً في بحر مترامي الأطراف وليس من علامة تدل على وجود اليبسة في أي مكان حوله. لقد كان يريجه أن يمضي بضع دقائق مع ابنة إيزابيل بينما يحاولان أن يخمنا أين ستقودهما خطى الحياة الآن، التي كان ممتلاً لها إذ منحتهما فرصة اللقاء.

جاءت سنتيا والفتتان ليودعه صبيحة اليوم التالي، في طريقهن إلى المطار. ووصلت صوفي بعيد أن غادرن. فجلست مع والنتها لأكثر من ساعة، ثم جاءت تستودعه الله. وإذ لاحظت أنه مكتئب، افترضت أن ذلك لأن عائلته قد رحلوا الآن وسيبقى وحيداً من جديد. لم تكن لتعلم أن سبب كتتابه إنما هو أكثر بسبب والنتها. لم تكن تستطيع أن تعرف أنه يحبها، رغم أنها كانت تشك في ذلك.

"إلى اللقاء يا سيد روبنسون". قالت صوفي بلطف وهي تستعد للرحيل. أمل أن تكون على ما يرام في القريب العاجل". لم يسألها إذا ما كانت ستعود من جديد، فما كان السؤال مناسباً الآن إذ لم يكن أحدهما يعرف بعد إذا ما كانت إيزابيل ستجو.

"لنتهي جيداً إلى نفسك... كرمي لأمك يا صوفي. أعلم أنها كانت لتشعر بالقلق عليك الآن. اهتمي بنفسك واعتني بيدي". قال لها والتموع في عينيه. لقد بدا تماماً وكأنه والنتها تودعها وهي توي القيام برحلة. "ستتقين في بالي". سوف أصلي من أجلك عندما أذهب إلى الكنيسة". قالت له في رقة.

أغضب منها. لقد كانت تمضي وقتاً طويلاً مع بيدي، وعندما كنت أصغر سناً، كنت أفكر أنها لا تملك وقتاً كافياً من أجلي". لقد كان إقرارها هذا بمثابة اعتراف عن خطاياها وعن الأخطاء التي فعلتها والتي تشعر بالندم عليها الآن، وفهم هو كل ذلك.

"إنها تحبك كثيراً يا صوفي. لم تقل شيئاً عنك إلا أنك فتاة رائعة". ما كان يريد الأنا هو أن يعزز ثقته بنفسها ومحبة والنتها لها. كان هذا كل ما يستطيع أن يفعله من أجلها.

"هل كانت مسرورة تلك الليلة؟" سألتها صوفي بحزن. "هل أمضت وقتاً سعيداً؟" لقد كان سؤالاً غريباً نسألها له، وجل ما أمكنه أن يفكر به عند سؤالها هذا هو قبلتهما الأولى والأخيرة.

تعم كانت سعيدة. لقد ذهبت لرؤية معرض فني ظريف بعد ظهر ذلك اليوم، وكانت تشعر بالإثارة حيال ذلك. ثم خرجنا لتناول العشاء. لقد كانت هنا بهدف رؤية السفير الأمريكي". لقد حوّر قليلاً من الحقيقة لكي تناسب كليهما. لقد التقينا بالصحفة في فندق كلاريدج وقررنا أن نتناول طعام العشاء معاً. لم يكن من دأع ليخبر هذه الطفلة بأنها للتقيا في لندن عن عمد وأنه كان يحبها. فما كانت إيزابيل لتريدها أن تعرف وهو أيضاً كذلك. "إننا لم نرَ بعضنا منذ وقت طويل".

"إن والنتسي لا يتمنى لها الكثير من وقت التسالية والمرح. فهي دائمة العناية بيدي وتبقي لأجله في المنزل".

"أعلم. هذا ما تحب أن تعلمه. إنها تحبكم كثيراً". ولومات صوفي برأسها، وجلسا هناك صامتين إلى جوار بعضهما لوهلة، ثم وقفت صوفي في نهائية الأمر. ما زالت تشعر أنها لا تعرفه حقاً، ولكن شعرت أنها وجدت صديقاً جديداً. وقفت تتبسم له للحظة ثم غادرت، وإذ راح ينظر إليها كان يرى فيها إيزابيل، والمرأة صوفي التي ستكون عليها يوماً ما.

"سأني لزيارتك جداً". وعدته صوفي بذلك. "سأكون هنا في الصباح قبل

وشعرت بالحزن وهي تراقبه وكأنها كانت تقارق جزءاً من أمها. لقد كان لطيفاً للغاية، وكانت مسرورة من أنهما تصادقا، ومن أنها أمضت وقتاً جميلاً في صحبته.

سوف أصلي لأجلك أيضاً. ومد يده وأخذ بيدها ولثمها في لطف إذ لم يكن يستطيع أن يصل إلى وجنتها كي يفتئها، وذلك من وطأة الحالة التي كان عليها. وبعدها غادرت بلبتسامة خجول على محياها، واستلقى هو هناك في سريره، وعيناه مفلقتان مفكراً بها.

وما هي إلا برهة بعد ذلك حتى كانوا يدفعون عجلات سريره ذهباً نحو غرفة إيزابيل. لقد كانت صامتة هادئة الحركة وعلى حالها المعبود، ولكنه استلقى في سريره الذي وضعوه إلى جوارها، وتحدث إليها عن زيارة صوفي له.

"لها فتاة رائعة. وأعرف الآن لماذا تقفزين بها". قال لها وكأنها كانت تستطيع سماعه ولكنه كان لا يزال يرجو ذلك. ومكث هناك لوقت طويل يفكر بإيزابيل وهو يمتنى لها أن تستيقظ من غيبوبتها وأن تعود إلى الحياة من جديد. وكان في غاية التعب عندما أعادوه إلى غرفته. وما عدت زيارته المتكررة لها تقابل بتعليقات بين طاقم التمريض. لقد صاروا يتقبلونها كإيماءة حب تندر منه نحو إيزابيل. لم يسأل أحد عن سبب ذلك، أو تسأل عما كان يدور بينهما، وكان هناك عدد من الممرضات يعتقدن أنه إن كان أحد أو شيء يمكنه أن يعيد إيزابيل إلى الحياة فهو بيل.

الفصل الثامن

فكرت صوفي كثيراً ببيل في طريق عودتها إلى باريس، وأمكنها أن تفهم ما جعل والدتها تحبه. لقد بدا رجلاً متحفظاً مهذباً، وشعرت بالأسف الشديد لأجله. قالت لها إحدى الممرضات أنه لن يسير أبداً على قدميه. وبدا وقد تغيل هذه الحقيقة بطريقة فلسفية، وكان يشعر بنفسه محطماً لأن إيزابيل تعرضت للإصابة بينما كانت خارجة معه.

وإذ حطت الطائرة بهم في باريس، كانت أفكار صوفي قد تحولت نحو أمها وأخيها من جديد. لقد شعرت بنفسها متنازعة لا تدري أين يجب أن تكون. لقد قررت أن تعود إلى المنزل لبضعة أيام، وكانت تريد بعدها أن ترجع إلى لندن من جديد كي ترى والدتها.

استقلت سيارة أجرة من المطار، وعندما وصلت كان المنزل غارقاً في الصمت بشكل غريب. لم يكن شيء أصوات في البيت، وسارت مساعدة إلى الطابق الأعلى، ورائت اللنور مطلقاً في غرفة والدها. وعندما نزلت غرفة سيدي، انصعقت من الحالة التي كان فيها. فقد كان يعاني من حمى شديدة، كانت فيما يبدو توصله إلى درجة الهذيان، وكان الطبيب قد وصل هناك لتوّه، وشرحت لها ممرضة تيدي الموقف. قالت لها أن الحمى إذا لم تنخفض خلال الليل، فإن الطبيب سيضطر لوضع تيدي في المشفى في اليوم التالي. ومجرد التفكير بذلك، وخاصة بعد رؤيتها لأمها، كان أكثر مما تستطيع صوفي تحمله.

"ماذا حدث؟" سألت صوفي وهي تجلس في كرسي، وقد بدا عليها العياء، فقد شعرت وكأنها قد كبرت بين ليلة وضحاها، ولم يدرك تيدي حتى أنها كانت هناك. لقد أعطى مسكناً للألم، وكان يغط في نوم عميق.

"أعتقد أنه متضيق لما حل بوالدتك"، قالت لها الممرضة هانسة. فهو لم

يسم جيداً منذ أيام. وهو يرفض أن يأكل ويشرب. وقد ناقضت هي والطبيب إعطاء حقنة ورديدية له ولكنه رفض وراح يبكي بشدة عندما سمعها، فاضطر للاقتناع على أن يوجلا إعطائها له إلى يوم آخر، إذا ما وعد على الأقل بأن يحاول أن يأكل ويشرب. لقد بدا لصوفي وكأنه قد خسر وزناً.

"أين أمي؟" سألت صوفي، وهي تشبك يدها في شعرها، فتبدو مثل إيزابيل أكثر من ذي قبل. لقد عدت تشبهها أكثر فأكثر خلال الأيام القليلة الماضية.

"سيكون خارج المنزل هذا المساء". قالت المرخصة دون أن تعلق. لم تره منذ يوم أمس ولكنها لم تقل ذلك لصوفي. كيف كانت أمك؟" سألتها المرخصة وهي تشعر بالقلق.

"لا تزال على حالها". قالت صوفي، وراحت تفكر في بيل. "ما من أحد يستطيع أن يتوقع بما يمكن أن يحدث. قالوا أنها قد تبقى في حالة غيبوبة لسبب ليس ببسير، وقد تشفى". بدت صوفي متفائلة وهي تقول ذلك، ولكنها أخبروها أيضاً أن إيزابيل قد تموت في أي وقت. كل ما كان بإمكانهم أن يفعلوه هو الانتظار والصلاة لأجلها. "سوف أعود خلال بضعة أيام". أوامرت المرخصة برأسها، ثم حبست نبض يدي من جديد. لقد كان سريعاً وضيقاً، فقطبت حاجبها وقد أبدت ملاحظة للطبيب بهذا الخصوص. لقد بدت متأكدة من أنهم سيضطرون لإخاله إلى المشفى من أجل العلاج. وقد أهدبهم صوفي في الفكرة. فقد كان هذا أكثر أمناً له.

سهرت صوفي في انتظار والدها تلك الليلة، تلك التي تناقش معها حالة تيدي. وقد اندهشت أنه حل منتصف الليل ولم يحضر والدها بعد إلى المنزل. وسألت المرخصة إذا ما كان والدها يعرف أن تيدي كان مريضاً.

لقد تحدثت إليه بعد ظهر هذا اليوم في مكتبه. قالت دون أن توحى سيمالها بآلية تعابير. "وأنا متأكدة أنه سيكون عاجلاً في المنزل". ودقت الساعة ثمان الثالثة، وكانت صوفي لا تزال مستيقظة ولم يكن قد أتى إلى المنزل بعد. وكانت قد اتصلت بالمشفى في لندن قبل ذلك لتطمئن على والدتها ولم يكن

هناك أيضاً جديد يذكر. ولوهلة فكرت بأن تتحدث إلى بيل، كي تسلم عليه، ولكنها شعرت بالحرج أن تتصل به، فوضعت السماعة دون أن تسأل عنه.

استيقظت صوفي وهي لا تزال مرتدية ثيابها وجالسة في كرسي في غرفة تيدي في صباح اليوم التالي، تماماً كما كانت ترى والدتها تفعل معظم الأحيان عندما يكون تيدي مريضاً. هي لم تقصد ذلك، فقد كانت تنتظر والدها، وأغضت في نهاية الأمر. ولقد ظنت أنه حرص على ألا يوقظها، وأنه على الأرجح لم يعلم أنها كانت في غرفة تيدي.

كان الفلم مستيقظاً عندما غادرت غرفته لتجد والدها، وبدا تيدي في حال أفضل. قالت المرخصة أن الحمى قد زالت، ولكن صوفي كانت ترى أنه لا يزال على غير ما يرام. وإذا نزلت السلام إلى الردهة لتتحدث إلى والدها، فتمت لروية أبوابه مفتوحة، وعندما نظرت إلى الداخل لم يكن من أحد هناك.

تألمفت نحو الخادمة مندهشة وسألتها: "هل نام والذي هنا ليلة أمس يا جوزفين؟" فهزت المرأة رأسها نفيًا وتوارت تحت السلام. لم تكن صوفي لتتوقع هكذا جواب تعطيه لابنة في مثل عمرها. ولكن أمكن لصوفي أن تعرف أنه لم يكن هناك. لقد كانت الستائر مسددة، والأضواء مطفأة، والغرفة غير مبعثرة. فلم يكن أحد في السرير. ولوهلة شعرت بالذعر. ماذا لو أن مكروهاً قد أصاب والدها؟ سوف يكونان يتيمين، لتركت ذلك بشكل مفاجئ. لم تستطع أن تتصور أين يمكن أن يكون. وبعد ساعة اتصلت بمكتبه، فبدا في غابة الهدوء إذ أجاب على الهاتف. ما كان قد رآها منذ غادرت إلى لندن، ولقد اندهلت من عدم وجوده في المنزل مع تيدي. لقد بدا لها وكأن ليس لديه أي إحساس بالمسؤولية.

"لقد كان سيدي مريضاً". قالت وفي لهجتها لوم لوالدها وكأنها كانت غلته، ولكنه بدا غير مهم.

"أعلم. لقد أخبرتني مرارتي بعد ظهر يوم أمس، وقد جاء الطبيب لمعاينته، واليوم تحدثت إليه". ما كان أبداً ليقبل أن تتعلم أو تلومه ابنته التي تبلغ الثامنة

أنت لم تكت إلى المنزل ليلة أمس". قالت صوفي وهي تكظم غيظها، وكلا يضحك من لهجة صوتها، ولكنها لم تكن مسرورة.

"أعرف. لقد كنت مع أصدقائي خارج المدينة، وتأخر الوقت بنا، فكرت أن من الحكمة أن أمكث هناك بدلاً من أن أقود السيارة عائدًا إلى المنزل".

افترضت صوفي أنه كان متردحاً، وبالنظر إلى ما حدث لولدتها، فأبها فكرت أن معه الحق في ألا يقود سيارته رجوعاً إلى المنزل وهو متعب.

لقد اتصلت الآن بلندن، قال في هدوء 'وليس من تغيير'.

"أوه". انهارت معنويات صوفي لسماع هذا النبأ، ولكنها كانت لا تزال غاضبة من والدها لأنه لم يعد إلى المنزل الليل الفائت. فلو أن أمراً مروعاً كان قد حدث لتيدي لكانوا سيحتاجون إليه هناك. وما من أحد كان يعرف بمكان وجوده. ولكنه لم يبدو أي اعتذار أو تبرير، وهنا تساءلت صوفي لتعرف ذلك حقاً. ولم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل إذا ما كانت ثمة أشياء تخص والديها لا تعرفها هي، وقد بدأ هذا التساؤل لديها منذ قابلت بيل. لقد كانت لا تزال تستغرب أنها لم تسمع بصدقة والديها له، وتكررت أنها ما كانت تقدم على دخول جناح والدها في الليل أو في الصباح الباكر. ولربما كانت هناك أوقات أخرى لم يكن موجوداً فيها في المنزل. لقد كان يخرج كثيراً في الأمسيات بدافع العمل، وكانت والديها قلما ترافقه في الفترات الأخيرة. وفجأة انتكبت صوفي إحصاساً بأن حياتها كلها آيلة للانهايار، ليس بسبب ما حدث لإيزابيل وحسب، بل بسبب ما كان قد كشف عنه هذا الحادث. لقد كانت صوفي تعتقد دائماً أن والدها كان مثلاً أعلى، والأن تتساءل إذا ما كان لديه أسرار لم تكن هي تدري بها. ربما كانت أسباب أخرى عدا مرض تيدي جعلت والديها تلازم المنزل وجعلت والديها ينامان في جناحين منفصلين في المنزل.

"هل ستأتي إلى المنزل هذه الليلة؟" سألت والدها وقد بدت في حالة توتر، وتشرع وكانها زوجته أكثر منها ابنته، ولكنها كانت تشعر بتعادم الطمأنينة.

لقد كانت هناك أشياء كثيرة مخفية تدور حولها.

تعم سأفعل. سوف أكون خارجاً على الضاء. ولكن سأراك في المنزل قبل أن نخدي إلى النوم". قال لها مؤكداً.

"إذا احتاج تيدي إلى الذهاب إلى المستشفى فإني بحاجة إليك هناك". شرحت له صوفي.

"الطيب يبدو أقل قلقاً. أعتقد أن تيدي قد تعرض لصدمة قصب، وهو في حاجة لبعض الوقت ليخرج منها".

كلنا في حاجة لذلك". قالت صوفي حزينة. "متى ستعود إلى لندن؟".

"خلال بضعة أيام. ليس ثمة ما أستطيع أن أفعله هناك. سوف يتصلون بنا إذا طرأ أي تغيير". ولكن صوفي فكرت بأن والديها، إذا ما ملت، لن يكون أحد معها هناك، وإذا حدث شيء، وكانوا يريدون تحذيرهم منه، فإن الأمر سيستغرق ساعات للذهاب من باريس إلى لندن. كانت صوفي تمني لو تبقى هناك، ولكنها كانت تعلم بأن تيدي في حاجة إليها أيضاً. وأما الآن وقد أدركت أن والدها كان يمكث خارج المنزل طوال الليل أحياناً، فأبها تشعر بأنها لا تستطيع أن تترك تيدي هنا. لقد كان يصعب عليها أن تحدد ما هو الأمر الصائب الذي يجب أن تقوم به. وقد بدأ والدها أقل تأثراً بالأمر منها.

بعد ذلك غادر والدها من أجل اجتماع، وأمضت صوفي النهار مع أختها، قرأ له، وتردد عليه قصصاً، وتحدثت إليه عن أمهما. لقد كانت تغفل ما بوسعها، ولكن كلاهما كان يعرف أنها لا يمكن أن تكون بديلاً عن إيزابيل. لقد شعرت بأنها نسخة حية من إيزابيل ولكن منقصة قليلاً، وذلك في الوقت الذي جاء فيه والدها إلى المنزل بعد الضاء. لقد كان يبدو في حالة معنوية عالية، وجلس في المكتبة ليخند سيجارة. سمعته صوفي يدخل ووجدته هناك. وكانت مندهشة أنه لم يصعد ليتفقدوا فرق في الطابق الأعلى. لقد كان دائماً لطيفاً ومرحاً معها ومهتماً بها ولذلك اندهلت بمدى البعد عنها خلال هذه الأيام، وخاصةً وإن أمها مريضة للغاية. وفجأة خطر لها، وهي ترقبه، أن اهتمامه

السابق بها كان مجرد ادعاء وتظاهر وليس حقيقياً، وربما كانت غايته في ذلك أن يزرع إيزابيل ويشعرها بأنها أقل أهمية بالنسبة له. لقد كان يعامل صوفي دائماً على أنها طفلة المدللة المحبوبة، قد كان دائماً بارد العواطف وبعيداً عن زوجته تماماً كما هو الآن نحو صوفي.

كيف كان يومك يا بابا؟ سألته بجزر. وكانت عابسة بسبب قلقها على والدتها من جهة واعتنائها بالصبي المريض من جهة أخرى.

طويلاً. كيف كان يومك أنت؟

كنت مع تيدي طوال الوقت. لقد كانت تتوقع أن يسألها أكثر عن ذلك، ولكن عندما ذكرت له شقيقها، سرعان ما بدا ولدها ضجراً فيما راح يسكب نفسه كأساً من المشروب المفضل.

ماذا فعلت غير ذلك؟ سألتها وهو يركز انتباهه على سيجاره، واستغربت أن تجلس هناك تتحدث إليه وكأن شيئاً لم يحدث. فقد كانت والدتها في حالة غيبوبة في مستشفى في لندن، وأخوها تتدهور حالته الصحية منذ أن سمع بالنبأ. وبدا ولدها غير مبالي بشكل يثير الدهشة. وإذا راحت تنظر إليه لم تستطع أن تفكر إلا بعلامات الانهيار والاستساق التي كانت متبينة على وجه بيل روبنسون عندما كان يتحدث عن والدتها. لم تجد أبداً من ذك في عيني والدها. لقد بدا بعيداً ومتحجر العواطف كلما أشارت إلى والدتها.

هذا كل ما فعلته اليوم يا بابا. لقد مكثت مع تيدي. إنه مزعج جداً. أوما غوردون ولم يرد عليها. لقد بدا وكأله نسي وجودها هناك، ثم رن جرس الهاتف. وطلب إليهم أن يقولوا للمنصل أيًا كان بأنه سيعدود الاتصال به. كاد قلب صوفي ينخلع وهي تسمعه. وكل مرة رن فيها جرس الهاتف تحشى أن يكون هذا الاتصال من لندن لينقل لهم أسوأ الأخبار.

عليك أن تخلدي للنوم. قال غوردون وهو يرتشف كوب المشروب المفضل ويصرقها. لقد كان يومك طويلاً. لقد كان جلياً أنه ما كان يريد أن يتكلم، وتأكمت صوفي من موقفه. لم تتسر أبداً بالمرلة في حياتها كما الآن.

متى ستعود إلى لندن؟ سألته بهدوء قبل أن تغادر.

عندما أظن أن علي ذلك. قال بجفاء واقتضاب وهو مقطب الجبين. لقد كانت تزججه. لقد استخالت إلى والدتها في ليلة وضحاها.

أريد أن أعود إلى هناك معك. قالت له وهي تترك أنه لم يكن مسروراً منها، ولكن ما كان ذلك ليهما الآن.

إن أخيك بحاجة إليك هنا.

أريد أن أرى ماما من جديد. وبنت فتية وعفيدة، ولم يرق له ذلك. سوف لن تترك حتى إنك هناك. أنا أحتاج إليك هنا. فلا أستطيع أن أشغل تفكري بذلك الصبي وممرضاته طوال النهار. فإين لا يكف عن الاتصال بي إلى المكتب طوال النهار، وليس لدي وقت لذلك يا صوفي. عليك أن تهتمي به. لم يطلب منها ذلك، بل اكتفى بأن يقول لها بما عليها القيام به متوقفاً أن تنفذ ما يقول.

ذاك الصبي هو ابنك يا بابا. وهو يحتاج إليك أنت أيضاً وليس فقط لي أو لماما. وأنت لا تكلمه البتة. كانت متعبة جداً حتى تحتمل كل ذلك.

ليس لديه ما يقوله. قال غوردون بقسوة وهو يصب لنفسه كوباً آخر من المشروب المفضل. وليس لك أن تلمي علي ما أفعله. كان هكذا حول قد دار بين إيزابيل وبينه مرات عديدة عبر السنين وكانت إيزابيل قد استسلمت منذ زمن طويل. فأسباب تعود إليه، وتشتمل على عدة أمور من بينها أشياء في ماضي حياته، كان غوردون مصمماً على ألا تكون بينه وبين ابنه أية علاقة. ولم تستطع صوفي بسذاجتها أن تغير من هذا الواقع. ولو كان تيدي معافي وقويًا وقادراً على المشاركة في الأشياء التي يهتم بها ولده لكان الأمر مختلفاً. ولكن في الحالة التي كان عليها، وقياساً بمدى اهتمام غوردون، فإنه لم يكن للصبي أي وجود ولم يكن ليحظى بأي اهتمام منه. ليس هذا فصعب بل كان يثير حنقه. رغم أنه يشعر بالأسف من أجله الآن. لقد كان تيدي عبئاً ثقيلاً

الفصل التاسع

استمرت الأمور على مجراها في المشفى في لندن. وجاء أخصائيو
 للمعالجة الفيزيائية ليعاموا حالة بيل ويرتوا لبرنامج إعادة تأهيل بندي له. لقد
 كانوا يحاولون تثقيبه بشكل متكرر في سريريه ليحافظوا على جريان دورته
 الدموية ويقطروا أن يصاب بذات الرئة، ولكن الأيام مرت ثقيلة عليه مضجرة.
 وكان يذهب على سريريه مرة أو اثنتين يومياً إلى غرفة إيزابيل. لم تلتفت
 للمرضات التي تعلّمت غوردون، وكانت العديلات منهن يأمن أن تساعد
 زيارات بيل في شفايتها. فهذه الزيارات ما كانت لتسبب ضرراً، كما وأنها
 رفعت معذرات بيل بشكل ملحوظ. فقد كان يشعر دائماً بالتحسن عندما كان
 يزورها. لقد كان يشاقق كثيراً إلى مكالماتها التي كانا يجريانها في نصف
 الليل، وكان يستلقي لساعات في سريريه في المشفى يفكر بها وهي مقابل
 السردهة. لقد كان يتشوق طوال النهار إلى بضع الدقائق التي كان يمضيها إلى
 جوارها.

كانت إصاباته قد بدأت تشفى قليلاً. وكان عنقه وعموده الفقري لا يزالان
 مسببان له المزيد من الآلام، ولكن أمكنه الآن أن يتحرك أكثر من ذي قبل.
 وكان لديه بعض الإحساس الواهم الغامض بساقيه. ولكن على الرغم من ذلك
 بقي التكهن بحالته كما هو. لقد كان يحاول الحفاظ على معنوياته عالية، يفكر
 فيما سيفعله عندما يعود إلى الولايات المتحدة، ولكن التغييرات التي كان
 يولجها الآن كانت صعبة قاسية بما يفوق الوصف.

لقد صار طاقم التمريض يحبونه، وكانت هناك همسات تدور بين الناس
 تتساءل عن طبيعة علاقته مع إيزابيل، ولكن لم يكن هنالك تفسير سهل واضح
 لما كانوا يرونه. لقد حتم معظمهم أن ثمة علاقة غرامية تربطه بها، وتناهي

ومصدر إزعاج في نظر والده. وبحسب غوردون، فإن العناية بتيدي هي من
 واجب إيزابيل وليس من واجبه هو. وبما أنها غائبة فإن المسؤولية تقع الآن
 على عاتق صوفي.

وشعرت صوفي بالحزن بمجرد ملاحظتها للطريقة التي كان يتحدث فيها
 ولداها عنه فيما ذهبت إلى غرفتها. لقد كانت قد تحدثت مع تيدي عن ذلك عبر
 السنين، وكان يقول هكذا أشياء عن والدهما، وكانت هي تخالفه الرأي فيما
 يقول. ولكنها أدركت الآن أن ما كان تيدي يقوله إنما كان للحقيقة بعينها. لقد
 كان تيدي يقول إن والدها قاسٍ عديم الشفقة ولئالي وعديم الإحساس وأنه كان
 يكرهه. وأمكنها الآن أن تترك أن تيدي كان يعرف في والده الجانب الذي ما
 كانت لتريد أن تراه. وبالنسبة لغوردون، ما كان يُبدي أن من دواعي سروره
 أن يكون له ولد كمثل تيدي. لذلك فقد أثر أن يقصيه وينساه، تماماً كما فعل
 نحو زوجته.

ارتكبت صوفي ثوب نومها في غرفتها، ثم عادت إلى غرفة تيدي. قالت
 للممرضة أن لديه حمى من جديد، وصعدت صوفي إلى سريريه والتصفت به.
 لقد شعرت وكأنهما طفلان فقدا أمهما وشعرت بحزن وعزلة لم تشعر بهما يوماً
 في حياتها من قبل. وكل ما كانت ترجوه، وللدموع تنهمر من عينيها على
 وسادتها، هو أن تستيقظ أمهما من غيبوبتها عاجلاً. فما كانت لتتلقى أن تتحول
 كيف يمكن لحياتها أن تكون إذا ما توفيت والتهما.

إلى سمع إحدى المرصطات صدقة صورته يقول لزوجته بأنه يريد الطلاق منها، ولكن أياً كانت علاقته بإيزابيل أو الرابطة الذي يجمع بينهما، فإنهم جميعاً كانوا بحيوته ويرون فيه رجلاً رائعاً.

لأنا سأخذه. فهو شاب وسيم". قالت إحدى المرصطات وهي تتحدث إلى مجموعة من زملائها في الكافتريا. ولكنه لم يحاول أن يغازل أو يتودد إلى أي منهن، ولم يكن جلفاً أو فظاً أو قليل التهذيب، وكان كل من يتحدث إليه يشعر بصنفة ويعجب به. ولاحظوا أيضاً أن السفير الأمريكي كان قد جاء لزيارته مرات عديدة.

لماذا يصل؟ سألت ممرضة أخرى وقد بدت حائرة، ولم تتذكر ما سمعت، رغم أنهم كانوا يعلمون أنه رجل مهم.

شيء له علاقة بالسياسة". قالت إحدى ممرضات إيزابيل. "لا بد أنه كان مفتوناً بها حتى الجنون. ويا للأسف". وكان الجميع يوافقونها الرأي في ذلك.

ما كان غوردون قد عاد لرؤية زوجته، ولا صوفي في الوقت الذي رجعت فيه سنثيا وابنتها من رحلتها في باريس. لقد كن مبتهجات عندما وصلن، وبنون مترنات متمالكات لأتسهن عندما غادرن، بعد أن أخبر سنثيا وبيل للفتاتين بأنهما سيتطلقان. فقد صدمت أوليفيا وجين.

لماذا؟ سألت أوليفيا وقد جلست في غرفة والدها في المشفى وهي تكي. "إنكما تحبان بعضكما... أليس كذلك؟ ماذا يا ماما؟ ماذا يا بابا؟... لقد كانت الفتاتان تعتقدان ذلك يوماً، ولكن بيل حاول أن يوضح لهما أنه وسنثيا قد تباعدا عبر السنين وحل اللجوء بينهما، وأنه يعتقد أن من الأفضل لهما في هذه الحال أن ينفصلا عن بعضهما بعضاً، لم يشأ أن يخبرهما عن علاقات والديهما الغرامية، أو مدى تعاسة كل منهما في حياتهما الزوجية. فقد احتفظا بذلك لأنفسهما لسنوات. واضطر لأن يقر، بأنه لاحظ أن الأمور قد صارت أفضل بينهما منذ أن قال لها أن كل شيء قد انتهى بينهما. لقد شعر بأنه صادق

وصريح معها الآن أكثر. ولكن سنثيا قد أوضحت له قبل أن يغادرته بأنه إذا غيّر رايه فإنها تحصل أن تبقى زوجة له. أما بيل فقد كان لطيفاً ولكن بحزم. فما عاد يريد أن يبقى متزوجاً منها. لقد كانت أحلامه منصبة كلها الآن على إيزابيل.

وأصر على رايه: "هذا أفضل لكليتا". ولكن سنثيا استامت من رد فعل البنتين. لم يرد أن يقول أنه ما كان ليطلق أن تبقى متزوجة منه وهو معتل صحياً ومعاق إلى حد ما. بل على الأكثر، أنه لم يعد يحبها. فما كان يشعر به نحو إيزابيل قد دلّ على أشياء كثيرة تتعلق به وبما كان محروماً منه. ما عاد يريد أن يعيش أكتوية. لقد كان يعلم أنه لن تكون له حياة مع إيزابيل، سواء شغيت أم لا، ولكن حقيقة أنه كان يحبها ولا يزال كانت كافية لتجعله يدرك أنه قد آن الأوان له ليتخلص من زواج لا حب فيه كان يرغب أن يكون مستقراً فيه على مدى زمن طويل.

لقد كان هانداً ومكتئباً بعد أن غادرن. وكان قد وعد الفتاتين بأن يتصل بهما من وقت لآخر بعد أن يصل إلى المنزل. وقد سألتا والديهما في طريق العودة إلى الفندق إذا ما كان قد فقد والدهما عقله من جراء الحادث لو من أثر للصدمة على رأسه، وفيما إذا كانت تعتقد أنه سيغير رايه. فأبستمت بحزن وهزت رأسها.

"إنه ليس محبوباً. بل أنا كنت كذلك ولزمن طويل. لم تكن زوجة صالحة له". اعترفت بذلك. "لقد صرت أنظر إلى زواجنا على أنه أمر عادي مسلم به، وكنت أستاذة من نجاحه واستقلاليته، وكانت هذه دناءة مني". لم تكن الفتاتان قد رأيتا شيئاً من هذا، لحسن حظهما، وكانتا تشعران الآن بالتمركز لفكرة أن والديهما سيعيشان في منزلين منفصلين.

"كيف سيدبر بابا أموره الآن؟" سألت جين وقد بدت قلقة. فقد كانت إصاباته خطيرة، وقيل لهم إنه قد لا يقوى على السير من جديد.

"لا أدري". قالت سنثيا وهي تتهدد. "إنه ولق من نفسه ومقتدر جداً.

وسوف يعرف كيف يتكبر الأمر. ولكن إجابة على سؤالك فأقول لك إنني لا أعتقد أنه سيغير رأيه. فهو لا يفعل ذلك أبداً. فعندما تخاطر في بآله فكرة ما فإنه يستقر عليها مهما كلف الأمر. وما كان ليعترف بأخطائه، بل يتعاليش معها. ولكن بقدر ما أكره ما قد قرره تجاهي، إلا أنني لا أعتقد أنه مخطئ في ذلك. فمن جهة، لقد عمل ما كان يريد، فقد حافظ على صداقتهما بإنهاء زواجهما، ورغم أسف سنثيا إلا أنها كانت معجبة به من هذه الناحية. لقد شعرت بالأسف من أجل الفتاتين، فقد كانت هذه ضربة لهما، وكانت تشعر بالخوف على نفسها. فقد كانت تعلم أنها سوف لن تجد رجلاً آخر مثل بيل.

"هل تعتقدن أنه كان له علاقة غرامية مع إيزابيل فوريستر؟" سألت أوليفيا بصراحة. وفكرت سنثيا بالأمر. لقد كانت قد فكرت كثيراً بهذا الموضوع بينها وبين نفسها.

"لا أعلم. إنه ينفي ذلك، وهو لم يكذب عليّ أبداً، وأنا متأكدة من ذلك. أعتقد أنه بحبها، ولكن لا أعتقد أنه جرى بينهما ما هو غير لائق. فهي ملتزمة بزواجها من غوردون فوريستر، على حد قول والدكما. أعتقد أنهما كانا متيمين ببعضهما بعضاً، أو مجرد أصدقاء."

"هل تعتقدن أن بابا سيتزوج بها إذا ما نجت من الموت؟" سألت جين باهتمام.

"لا أعتقد أن هذه المسألة مطروحة الآن" قالت سنثيا فالمرأة المسكينة كانت تشبه ميتة، "ولكن لا. لا أعتقد ذلك، حتى لو بقيت على قيد الحياة. فوالدكما يقول أنها سوف لن تهجر فوريستر أبداً، كما وأن حياتها متركزة حول طفلها المعاق للمريض."

"ماذا تعتقدن أن والدي سيفعل الآن، بعد أن يأتي إلى المنزل... أقصد بعد أن يعود إلى الولايات المتحدة..." سألت أوليفيا وقد بدا الحزن عليها.

"لا أندري سيحصل على شقة على ما أظن. ويعود إلى عمله. سوف يبقى في مركز إعادة تأهيل لفترة طويلة. ولا أعتقد أنه سيعود قبل شهرين. إنهم

يريدون أن يعالجوه الآن". أومأت الفتاتان والزمنا بالصمت خلال بقية طريق العودة إلى الفندق. كانتا لا تزالان غير قادرتين على تصديق ما قد سمعتهما لئزهما. وسنثيا أيضاً كانت لا تزال عاجزة عن أن تصدق للقرار الذي كان قد اتخذه.

لقد كان بيل دائماً يفعل ما كان يعتقد أنه الصواب، مهما تكن الصعوبات التي تعترضه. لقد انتهى زواجهما مع حفاظها على احترام عميق له، وكانت تترك تماماً أنها لن تحظى برجل مثله في حياتها. لقد كانت تتمنى الآن لو أنها فكرت في الأمر قبل ذلك. لقد كانت تترك أن معظم مسؤولية الطلاق تقع عليها مهما كان اللوم الذي كان مستعداً لإلقائه على نفسه.

عادت سنثيا والفتاتان إلى الولايات المتحدة في اليوم التالي، وكان ذلك في وقت مبكر جداً بحيث لم يستطعن معه أن يعرجن لرؤيته في المشفى قبل رحيلهن. واتصلن به من المطار لكي يودعه وكانت الفتاتان كئيباها تبتكيان عندما أغلقنا السماعة. ولم يقل لأحد عن ذلك، ولكن بعد رحيلهن، كان حزياً. لقد بدأ يشعر بالوحدة، وهو يدرك الطريق الشاق الطويل الذي ينتظره. فليسوف يعاني لسنة على الأقل آلام وعذاب لإعادة التأهيل لجسده، وربما أكثر. ولكن لم يكن لديه أي خيار آخر. كان يجري الاتصالات المتعلقة بالعمل من وقت لآخر، وكان عدد ضئيل من الناس قد سمع عن الحادث واتصل به. ولكنه عموماً كان يشعر وكأنه يعيش في شرفة محاطة بالمرضات والأطباء، وكانت إيزابيل لا تزال في حالة غيبوبة عبر الردهة. كان وقتاً عصيباً بالنسبة له.

خلال أسبوعين من الحادث استطاع بيل أن يحقق تقدماً ملحوظاً بالنسبة إلى شفائه، وكان غوردون فوريستر لم يأت بعد لزيارة زوجته. وقد تغير بيل أمره في إحداث عادة للذهاب به على سريره كي يراها كل صباح ومساء. وكان يستلقي في سريره هناك ويتحدث إليها لبرهة أملاً بأنها تسمعه في سباتها العميق، ثم يعود إلى غرفته.

أفسرته الممرضات أن فوريستر لم يستطع المجيء لأن ابنهم كان مريضاً، وشعر بيل بالقلق على تودي طوال الوقت إذ عرف كم كانت إيزابيل تهتم لأمره. وكان يرجو ألا تكون حالته سيئة جداً. وكان يفكر بصوفي أيضاً بين القنينة والأخرى ويرجو أن تكون على ما يرام.

لقد كاد يفقد الأمل تقريباً في استيقاظ إيزابيل من غيبوبتها في نهاية الأسبوع الثالث من الحادث، وكان يتسامل إذا ما كان غوردون سيرتكها هناك منسية ومحرومة من الحب. لم يكن ثمة إمكانية لنقلها إلى باريس مع جهاز التنفس الاصطناعي، فقد كان في الأمر خطورة كبيرة عليها، وكان بيل قد بدأ بالقلق حول مصيرها عندما يعود إلى الولايات المتحدة. لقد قال الأطباء أنه قد يكون قادراً على العودة إلى دياره خلال شهر آخر أو نحو ذلك. ما كان ليطلق فكرة البعد عنها، وتركها على ذلك النحو دون أن يكون هناك من يزورها، أو يتحدث إليها، أو يعزيها، أو يهتم بما يحدث لها. ما كان ليستطيع أن يتصور كيف يستطيع غوردون أن يتخلى عنها الآن، ولكنه فعل ذلك. كان بيل يفكر في هذا الأمر في إحدى الليالي وهو مستلق في سريره في جوار سريرها، ويتحدث إليها وقد أمسك يدها بيده. ما عادت الممرضات يستغربن هكذا أمور. كانوا يبتسمون ويدردشون معه، عندما كان يزورها وكانهم يتوقعون أن يروه في غرفتها عدة مرات في اليوم.

لقد كان يخبر إيزابيل كم أنه يراها جميلة، وكم اشتاق إلى الحديث إليها. وكان ذلك في ليلة داغنة منمشة من شهر تموز. كانت اللؤلؤ مفتوحة، ولمكنهما أن يسمعا الأصوات الكثيرة من الخارج. ووجد نفسه يفكر في الليلة التي مضيا فيها إلى بار هاري، ثم نادي أنابيل. كان كل ما يمشاه الآن هو أن يعيد عقارب الساعة إلى ذلك الوقت فيعود في الزمان إلى تلك الليلة.

"هل تذكرين كم كان ذلك الوقت الذي أمضيته جميلاً؟" ندم لها وهو يداعب ويقل أصابعها وقد أمسك بيدها. "أحب أن أرقص معك يا إيزابيل" قال لها. إذا ما استيقظت فقد نستطيع الذهاب للرقص ثانية يوماً ما". ولكن بالنسبة

لـه كان ذلك مجرد ذكرى وحلم بعيد المنال. كان لا يزال يتحدث إليها ويذكرها بتلك الليلة، عندما شعر فجأة بضغط خفيف في راحة يده. لقد فكر أن ذلك قد يكون رد فعل منعكس في البداية، وتبع الحديث إليها، ثم شعر بنفس الضغط الخفيف من جديد. فأنهال من ذلك وتوقف عن الحديث لوهلة، ونظر إلى الممرضة عندما دخلت. لم يرد أن يقول شيئاً، واستمر في محادثته لإيزابيل بطريقة مقصودة إلى حد ما، ثم توقف، وحاول أن يعدل وضعه بحيث يستطيع أن ينظر إلى إيزابيل.

"شعرتُ بأنك تضغطين على يدي قبل قليل". قال لها بوضوح. "أريدك أن تفعل ذلك من جديد". وانتظر لثوانٍ بنت له زمناً طويلاً، وولحت الممرضة ترقب حركتهما، ولكن لم يحدث شيء، فاشاحت الممرضة بنظرها. "الغبي ذلك ثائية يا إيزابيل. اضغطي على يدي، قليلاً فقط... أريدك أن تحاولي ذلك حقاً". وعندئذ شعر أنها كانت تحاول العودة إليه من العالم الآخر، وفعلت ذلك، وبشكل لطيف. فأشرق وجهه بابتسامة عريضة، واتهمرت للدموع من عينيه. "هذا رائع وراح يشجعها وقد أخذ بما قد شعر به للتو. "والآن أريدك أن تتحني عينيك. ولو قليلاً... وها إني أنظر إليك يا إيزابيل. وأريدك أن تنظري إلي". لم يكن هناك أية علامة تدل على الحياة في وجهها، ولكن عندئذ تحركت أصابعها من جديد، وتسامل إذا ما كانت مجرد ردة فعل انعكاسية عشوائية في نهاية الأمر. وإن بدأ حماسه يتباطئ، غصنت لُفها، ولكن عينيهما بقيتا مغلقتين. وشعر بنقائ قلبه تتسارع. "لقد كانت تصحو من غيبوبتها. "ما هذا؟ لقد كان هذا وجهاً مضحكاً، ولكن ممتاز. ماذا لو تبسمين قليلاً؟" قال لها ذلك والدموع تسهم من عينيه وتسيل على وجنتيه، وكان قد وضع كل ثقل جهوده وقوته وحبه عليها. وقفت الممرضة بلا حراك في الغرفة وهي تشاهد ما يجري، ولكن من الواضح أنها رأَت التكتئبية الخفيفة السريعة التي أبدتها إيزابيل. كان من المؤكد بشكل قاطع أن هذا ليس برد فعل منعكس. "هل تستطيعين أن تبسمي من أجلي يا حبيبتي؟ يكفي أن تتحني عيناً واحدة... لقد اشتقت إليك

الغرفة لتوه، وتكحى جانباً ولم يرد أن يتدخل. فقد كان يبيل يقوم بدوره بنضبه، وما كان الطبيب يعتقد أنه سينجح في ذلك مثله. وحاول ببيل من جديد: 'ها يا إيزابيل. إني أنتظرك أن تنظري إليّ. إني أنتظرك منذ زمن بعيد'. وإذا قال ذلك أبدت إيزابيل تهيدة طويلة وبارتعاش خفيف فتحت عينيها، ثم أغلقتها دون أن تنظر إليه، وكان الجهد الذي بذلته كان فوق استطاعتها. 'ها يا حبيبتي، أبقى عيناك مفتوحتين وانظري إليّ. أرجوك يا حبيبتي... مشاهدته لها وهي تعود شيئاً فشيئاً إلى الحياة بينما هو يتحدث إليها كانت كما لو أنها كانت تحط على الأرض رويداً رويداً وقد جاءت من مكان بعيد. وأخيراً فتحت عينيها من جديد، وأدارت رأسها، ونظرت إليه بشكل مباشر وقد أصدرت صوت آيين خفيف. لقد توقع أن تكون الحركة هذه قد جعلتها تشعر بالألم في رأسها. ثم تبسّمت وقد أغلقت عينيها من جديد وابتدت وكأنها تجاهد لأن تنطق بكلمة. حاولت كل طاقتها مطولاً، ثم فتحت عينيها من جديد ونطقت باسمه بصوت كان أشبه ما يكون بالنعيب.

'بيل...'. وقبل يدها عندما نطقت باسمه، وتمالك نشيجاً من البكاء راوده كسى يستطيع أن يتحدث إليها. لقد كان يريد أن يكافئها على الجهد الذي بذلته الآن.

'أحبك جداً يا إيزابيل... يا لك من فتاة رائعة. لقد بذلت جهنك للعودة إليّ'.

'تعم'. همست له وقد أغلقت عينيها من جديد، وهذه المرة فتحتها بازديتها. 'أحبك...'. همست له ثم نطقت باسمه من جديد وكأنها كانت تتلذذ في لفظ اسمه.

'أعتقد أننا هنا ألقنا إلى الحياة' قال وهو يتبسم من خلال دموعه. لقد بدا وكأن دهرأ أو أكثر مرّة على الليلة التي قبلها فيها واصطدما بالباص. لقد غبت طويلاً يا حبيبتي. وقد اشتقت إليك جداً'.

'حكّيتي...'. قالت له بعمومة، وهي تتبسم، في حين راح ببيل

كثيراً... لقد كان يتوسل إليها أن تبذل جهودها، راضياً من كل جوارحه أن تستيقظ من غيبوبتها وترجع إليه، ولقد كان كل ما يريده هو أن ينزل إلى أسفل درككت الهاوية حيث هي فيسحبها إليه بأمان. استلقى هناك يتحدث إليها ساعة أخرى ولكن دون أن يحصل على نتائج جيدة، ويبدأ منهكاً للغاية، ولكنه لم يأن يستسلم. 'إيزابيل... حسناً، أظهرني ذلك الوجه المضحك من جديد... ها... أرني ما تفعلين بأنفك'. ولكنها في هذه المرة، وبدلاً من ذلك، رفعت إحدى يديها بضعة بوصات فوق السرير ثم تركتها تستطع، وكان الجهد الذي بذلته لذلك كان كبيراً جداً. رائع، رائع جداً. أحسنت صنعاً. استرحي لدقيقة الآن يا حبيبتي. وبعدها نحاول من جديد'. لقد أراد أن يسترعي انتباه كل حواسها لكي ينشطها، ويعيد إيزابيل إليه وإلى الحياة من جديد. لقد راح يتحدث إليها بشكل متواصل، محاولاً أن يجعلها تنظر عينيها، أو تحرك جزءاً من وجهها، أو تفتح عينيها، أو تضغط على يده من جديد. ومضى وقت طويل لم تحرك فيه ساكناً، ثم لاحظ الرفرفة الضعيفة في عينيها.

'يا إلهي...'. همس للمرضة، وهذه هزعت خارجة من الغرفة بحثاً عن أحد الأطباء كسى يرى ما يحدث. بعد ثلاثة أسابيع من التحويم قرب هوزر الموت، بدأت إيزابيل تعود للحياة. وكان ببيل هو الذي أعادها إلى ديار الحياة بمحبته وحذره وكفه الذويب.

'إيزابيل' ناداه ببيل بصوت فيه حزم أكثر. 'عليك أن تفتحي عينيك يا حبيبتي. أعلم أن الأمر صعب عليك. فقد كنت دائماً لفترة طويلة. وأن الأوان لتستيقظي. أريد أن أراك تنظرين إليّ. يكتفيني أن تفتحي عينيك ولو قليلاً'. وبعد أن قال ذلك بديققة فعلت ذلك. وحتى إنه لم يكن يتوقع ذلك. فبعد كل ذلك الوقت كان يُشعر بسرور بالغ لمجرد إيدانها أية علامة توحى بالحياة فقد غابت عنهم طويلاً، وها إن العينين اللامعتين منذ زمن بعيد قد انفتحتا قليلاً. 'تعم... هكذا تماماً... هلا تستطيعين أن تفتحي عينيك أكثر الآن... ها ابيني جهنك يا حبيبتي... افتحي هاتين العينين الجميلتين...'. كان الطبيب قد دخل

والمرضة والطبيب يضحكون. لقد كان يتحدث إليها لثلاثة أسابيع خلث،
ولساعات في تلك الليلة. لقد بدا وكأنه يعرف أنه سيتمكن من إعادتها إلى
الحياة. لم يستسلم قط، رغم أنه أحبط مؤخراً، ولكنه لم يتوقف. "... أحب...
أن أسمعك... وأنت تتكلم". قالت له ذلك وقد بدت وكأنها متعبة بشكل كبير،
وهذا ما أدركه بيل. فقد أنهكت فعلاً.

'أحب أن أسمعك أنت تتكلمين. لقد انتظرتُ طويلاً حتى أسمعك تتحدثين
إليّ. أين كنتِ يا حبيبتي؟' قال لها برفق وهو لا يزال ممسكاً بيدها.

'بعيداً'. قالت ثم ابسمت من جديد، ونظرت إليه وألقت سؤالاً في عينيها.
وكانت تعرف أنه يملك الأجوبة التي لا تعرفها. كم طال على غيابي؟'

'ثلاثة أسابيع' أجابها صادقاً، وبدت مندهلة.

'كل هذا الوقت؟' لقد بدت وكأنها تصارع لتجد الكلمات، ولكنها كانت
تفعل، وكان الطبيب الذي يراقبها يفكر بذلك أيضاً.

'نعم كل هذا الوقت.' لقد كان هناك الكثير ليخبرها به، والكثير ليشاركها
فيه، ولكن كان الأوان باكراً على ذلك. فقد حطت لفتوها من رحلة بعيدة جداً.

'ثم فكرت في شيء ونظرت إليه بعينين فلتقتين: تيدي... وصوفي؟'

'إيهما خير.' لقد كان يروجو ألا يكتب عليها، لأنه لم يكن حصل على
أخبار جديدة مؤخراً، وكان يعرف أن تيدي لم يكن على ما يرام. ولكنه كان

متأكداً من أن حالة تيدي ستحسن عندما يعرف أن والدته قد أفاقَت من
غيبوبتها. لقد كانت صوفي هنا. جاءت لزيارتك، إنها فتاة رائعة، وهي تبدو

مثلك تماماً. ابسمت إيزابيل وأغمضت عينيها، وعندما فتحتهما من جديد،
كانتا تحملان سؤالاً آخر. لقد كان بيل يعرف سؤالها فقد أمكنه أن يقرأ

أفكارها. فقال لها: 'لقد كان هنا'. ولومأت برأسها، ثم أجفلت بسرعة وقالت.
'رأسي... يؤلمني'. فقال: 'أعتقد ذلك ولا ريب'. كان من الطبيعي أن يعرف

وأنشعر بسألأم أخرى... عديدة... أيضاً. وهنا بدا الطبيب مهتماً أكثر

بالاستماع إليها بهذا الخصوص، وعندها سألتها عدة أسئلة، ولكنه كان مسروراً
للغاية، واقترح عليهما أن يأخذاً قسطاً من الراحة فقد مرت بهما ليلة صعبة
جداً. بدت إيزابيل قلقة مما قاله الطبيب في حين جاء الحاجبان ليأخذاً بيل من
الغرفة. "لا... لا تذهب... وأسكت بيده بقوة أكثر من ذي قبل. ونظر بيل
إلى الطبيب مستقهماً.

'هل لي أن أمكث هنا؟' ساد صمت لوهلة بينما كان الدكتور يفكر في
الأمر. لم يكن هناك مانع من ذلك. فقد كانا راشدين، وصديقين، ويمكن
للممرضات أن ينتبهن إليهما، فيبدو أن بيل يستحق مكافأة مناسبة على الجهد
الذي بذله من أجلها تلك الليلة، وكان هناك شعور طيب حيالهما.

'أعتقد أن هذه فكرة جيدة'. فما عاد بيل موصولاً إلى أجهزة المراقبة
وكل ما كان يحتاج إليه هو عمود للحقنة الوريدية إلى جوار سريره، ومسكنات
للألم إذا ما طلبهم، وكان كلما يفعل ذلك.

'أريدك أن تنام هنا'. قالت إيزابيل وهي ممسكة بيده، فابتسم بيل لها في
إشراقة. لقد عادت إليه، لقد عادت إلى الحياة. لقد كانت هذه أسعد ليلة في

حياته. لقد كانا يتسلمان كلاماً في حين رتبَت الممرضات وضعهما وهما
مستقلين. وقام الطبيب بفحص إيزابيل بعناية، وكان راضياً بالنتيجة. سألتها

بضعة أسئلة أخرى، وأخبرته عن حالة رأسها. وقالت أنها تشعر بجسدها
ضيقاً جداً الآن، وأن كل ما في داخلها منكمش متقبض، وفسر لها الأمر بأن

ما تشعر به هو بسبب إصاباتنا الداخلية وسيستمر هذا لفترة. لقد كان لديه
متسع من الوقت كي يفحصها أكثر في اليوم التالي. أما الآن فكلهما يحتاج

إلى الراحة.

أطفأت الممرضة كل الأضواء ما عدا ضوء صغير خافت، وجاءت
ممرضة أخرى لتساعد بيل على الاستلقاء على جنبه. ولقد سره بهذه الوضعية

إذ يمكنه معها أن يراها بشكل أفضل الآن. لم يكن يريد أن ينام، بل أراد فقط
أن ينظر إليها طوال الليل، ويرى وجهها ويلمس يدها. كانت لا تزال تمسك

بيده، وقد استلقيا قبالة بعضهما، وبدت كطفلة وهي تبسم له. ولقد اندهش إذ رآها على نفس صورة صوفي.

"أنت جميلة جداً. همس لها، وأنا أحبك جداً." لقد كانت تستحق أن ينتظروها، لقد انتظروا ثلاثة أسابيع خلت، وقيل لك مدى العسر.

"لقد اشتقت إليك وأنا غائبة عن الوعي." همست له.

"كيف تعرفين ذلك؟" قال لها هامساً في حين لبست الممرضة في ركن الغرفة.

"أعرف هذا." لقد كانا كمثل طفلين يطلب إليهما أن يخلدا إلى النوم، فراحا يتهايانان في الظلام، في حين كان الطبيب والممرضة الأخرى قد غادرا الغرفة. وتبادل هذان الإبتسام والنظر خارجاً. فقد كانا مسرورين من منظر بيل وإيزابيل معاً. فلم يكن أحد ليتوقع أن تتجو إيزابيل.

اتصل الطبيب ببانيس تلك الليلة ليخبر غوردون أن زوجته ما عادت في عيبوية، فقد شعر أن من واجبه أن يقول له ذلك. ولكن غوردون خرج المنزل فطلب الطبيب من المرأة التي أجابت على الهاتف، وهذه كانت ممرضة تبدي، بأن تقول للسيد فورمستر بأنه اتصل به. لم يرد أن يترك له أي رسالة أخرى، وبيل وإيزابيل كانا يشعران بالامتنان له لو علمتا بذلك.

لقد بدا وكأنهما كانا بنامان معاً دائماً وهما مستقلتان هناك قبالة بعضهما البعض. حاولت إيزابيل مرة أن تستلقي على ظهرها، لكنها تألمت كثيراً وهي تحرك رأسها، وهكذا استدارت من جديد نحو بيل. وقد كان مستلقياً تماماً ويراقيها.

"ماذا حدث لك؟" سألته، وقد لاحظت لتوها السناد الكبير الحجم حول عنقه، فهي لم تره من قبل. لقد كانت هناك أشياء كثيرة تدور حولهما، وأما الآن فقد بدت قلقة عليه.

"لقد أذبت عنقي، وظهري. سأكون على ما يرام" قال لها ذلك وهو يتبسم لها. نعم سيكون على ما يرام. فهذا كل ما كان يريدته طوال الأسابيع الثلاثة

للماضية.

"هل أنت متأكد؟"

"نعم أنا متأكد. لم أشعر يوماً بأني أفضل مما أنا عليه الآن."

"وأنا أيضاً." قالت ذلك ثم نظرت إليه متفكرة: "أنا لا أتذكر شيئاً... كيف وصلنا إلى هنا؟"

"إنها قصة طويلة يا حبيبتي سأخبرك عنها غداً. فلقد اصطدنا بحافلة." ما كان يريد أن يقول لها إن أحد عشر شخصاً لا هموا حقهم، وكادت هي أن تكون الضحية لفتاة عشرة الحادث. "آخر ما أتذكره هو أنني كنت أقبلك، ثم صرت هنا."

"أتذكر ذلك أيضاً." وابتسمت والنعلان يداعبها، وراحت تتناوب. لقد كان يوه أو يقبلها دائماً ولكنه لم يكن يستطيع الحركة. لقد كان يمكنه فقط أن يستلقي وهو في تلك الوضعية، وكل ما أمكنه فعله هو أن يلمس خدها أو يدها. "في أحد هذه الأيام، سأود أن أقبلك من جديد" قالت له حاملة، ولم يرد بيل. ساد صمت عميق راح بيل خلاله يفكر ملياً في احتمال أن يكون قد فقد رجولته. وأمسك بيدها في هدوء وصمت. لقد كان هذا كل ما يمكنه القيام به الآن. "أمل أن يكون الأولاد بخير." قالت وهي تفكر بهما، وهي لا تدرك بالمخاوف التي يشعر بها بيل.

"سوف يكونان بخير عندما يسعان عن أحوالك الآن." قال لها مطمئناً.

ولكن، ولوهلة، بدت غريبة وأمسكت بشدة بيد بيل. "وعندها سوف يأتي ثلثية، أليس كذلك؟" لم يشأ أن يخبرها أن زوجها لم يعد لزوجتها خلال أسبوعين فما كان يريد أن يكون هو من يعلمها بذلك، وقد صار يكره الرجل لكل التقصير الذي كان عنده تحوها والاشياء القبيحة التي فعلها.

"دعك من التفكير في هذا الآن" قال لها بيل هامساً. لماذا لا تغلفين

عينيك وتحاولين النوم؟" وتعنى لو استطاع أن يداعب شعرها.

عدت كذلك منذ تلك الليلة، بغض النظر عن نتائج ذلك، وكان يعلم أن هذا لن يتغير. لقد سارت عبر ظلال الموت وعادت إليه، ومهما حدث، وأينما ذهب، فقد كان يعلم أنه لن يفقدنا من جديد.

لقد سرتُ معك نحو ضوء ساطع جداً... لقد كنا ذاهبين إلى مكان ما سائرين في طريق ضيقة... وبدأ الأولاد ينادوننا، وجعلتني ألتفت إلى الخلف".
شعر وكأن البرق صغفه وهو يسمع هذه الكلمات، فقد كانت لديه نفس هذه الذكري، تماماً كما وصفها له، عندما استيقظ هو أيضاً من غيبوبته.
"كيف كان ذلك؟"

"لقد كان الضوء ساطعاً جداً... وقد كنت متعباً جداً... جلست على صخرة. لم أرُ أن أعود، ولكنك بقيت تشدني. قلت لي أن بإمكاننا أن نذهب إلى هنا مرة أخرى... لم أرُ ذلك، ولكني تركتك تشدني إلى الخلف". وقد فعل ذلك ثانية، تلك الليلة. ففي المرة الأولى أعادها من الموت، وفي المرة الثانية من أعماق العتمة التي كانت تنام فيها إلى ما لا نهاية. ولكن ما وصفته عن الصخرة والنور الساطع كان تماماً ما رآه بنفسه.

"لقد كنتُ هناك أيضاً يا إيزابيل". لقد بدأ مشوهاً، ولم تعرف ما به. "لقد رأيتُ نفس الحلم. بنفس الطريقة التي تصفونها".
"أعلم أنك كنت هناك". لقد بدأ الأمر طبيعياً لها، "قد رأيتُك وأمسكتُ بيدك، وعدتُ معك".

"لماذا؟" كان يبحث في ذاكرته، وأراد أن يفهم ما حدث لهما. لم يكن ليعتقد أن هذا أمراً عادياً. لقد كان الناس يحكون عن هكذا خبرات، ولكن معظم الناس لم يشاهدوا نفس الضوء الساطع في نفس الحلم، ونفس الصخرة، ونفس الطريق، ونفس الذكري. لقد أدرك عندئذ أن روحاهما التقتا وتعلقتا في مكان ما، وبطريقة عميقة ذات مغزى. ففي حياة أخرى، التفتيا وصارا واحداً.

"لقد عدتُ بناءً على طلبك". قالت في هدوء. "ولكنني ضللتُ الطريق بعد ذلك. أعدتُ أنني غفوتُ على قارعة الطريق".

قالت له مازحة: "كنت أظن أنك تريدني أن أستيقظ". لقد كان من المؤكد أنها مستعيد عافيتها، بعد غيبوبة دامت ثلاثة أسابيع، وتعرضها لذلك الحادث الذي نجت منه بأعجوبة. لم تكن قد تغيرت بعد كل ما حدث لمعنوياتها لا تزال عالية. وفي نهاية الأمر إن معنوياتها وحبها لها هما من أعادها إلى الحياة.

"عودي إلى النوم، إنك كثيرة الكلام، وستهكين نفسك". لم يتوقف عن الإلتسام وهو ينظر إليها. لقد بدت له حتى أجمل بكثير من قبل.

"لود أن أتحدث إليك طوال الليل". قالت وهي تبسم ابتسامة عريضة، ثم تذكرت شيئاً آخر فقالت. "لود أن أذهب معك لنرقص من جديد". فابتسم لها، وشعر كأنه يراقصها.
"سوف نقوم بذلك يوماً".

"وأريد أن نعود إلى بار هنري". كانت تضع له قائمة بالرقصات التي يشعر بها، وكان يبتسم.

"الآن؟" قال مازحاً، وهو يشعر بأنه لم يكن يوماً سعيداً كما هو الآن. لقد كان مسروراً في استئاقه إلى جانبها والحديث إليها.

"حسناً، غداً. وبعدها نذهب إلى مطعم أنابيل. فيجب أن نعرض عن الوقت الضائع. فإنا لم أرقص منذ أسابيع". قالت وهي تتهدد.

"من الأفضل لك أن تتأدي وإلا سوف يعيدك الأطباء إلى الغيبوبة من جديد".

"يكفيني أن أستلقي هنا معك". ثم ضحكت بنعومة في الغرفة المظلمة.
"يمكننا الآن أن نقول أننا نمنا مع بعض، ليس كذلك؟"

"يساً تهذيب هذه المرأة التي ما برحت مريضة منذ ثلاثة أسابيع! لا أظن أن عليك التفكير في هكذا أمور" قال لها موبخاً، وتمنى لو أحاطها بذراعيه، ولكنه شعر بأنه قد ضمها إليه في قلبه. فهي مالكة قلبه وحببية روحه. لقد

بالتأكيد فعلت، وإذا قمت بذلك ثانية يا إيزابيل، فأني حقاً سأغضب منك.
فإليك أن تضوي مني ثانية".

"سن أفعل". قالت وهي تقبل أصابعه ويده. "شكراً لك لانتظارك لي
ولإعادتي إلى هنا". كان النعاس يداعب أعينها الآن، وتناوبت عدة مرات،
وقبل أن يقول لها أي شيء آخر، كانت قد غرقت في سبات عميق هادئ آمن
وهي تمسك بيده. وإذا نظر إليها، كان لديه تصور كامل عما وصفته، عن
سيرهما معاً نحو الضوء الساطع، وإيزابيل تسبقه على الطريق. وتطلب الأمر
منه أن يستخدم كل قوته كي يرجعها عن ذلك الضوء، وها قد عادت إليه الليلة
ثانية. لم يكن متأكداً من معنى كل ذلك، ولكنه كان يترك أن شيئاً فائق الطبيعة
كان قد حدث لهما، وإذا كان مستقياً يربحها دائماً، كان يعرف أنه ورغم كل ما
كان قد حدث لهما، فإنه رجل محفوظ جداً.

الفصل العاشر

اتصل الطبيب غوردون فوريستر الساعة الثامنة من اليوم التالي ليخبره
بالنبا. ولكن نفس الصوت أجابه من جديد ليقول له أيضاً أنه خارج المنزل،
وأخيراً تمكن من الاتصال بغوردون في مكتبه الساعة العاشرة. ذهل لسماعه
النبا وقال له: "كان في غاية السرور، وسأل إذا كان بإمكانه أن يتحدث إليها،
ولكن لم يكن عندها هاتف بعد. وقال الطبيب أنه سيجعلهم يضعون هاتفاً لها
في غرفتها، وأن بإمكان غوردون أن يتصل بها إلى غرفتها بعد ظهر ذلك
اليوم.

لا بد أن الأولاد يودون أن يتحدثوا إليها" قال وقد بدأ منذهلاً وهو يجلس
إلى مكتبه، ويفكر بها. لقد كان قد تأقلم مع فكرة ألا تستيقظ من غيبوبتها،
ولكنه دهش لسماعه النبا بأنها قد استعادت وعيها. ورغم أنه كان مرتاحاً لذلك
من أجلها إلا أن الأمر استغرق منه بعض الوقت حتى يتأقلم مع هذا الوضع
الجديد.

"كيف حدث ذلك؟" سأل غوردون ببراءة، فساد الصمت من جهة الطبيب
لوهلة. فلم يُرد أن يخبره عن بيل روبنسون، إذ كان يعتقد بأنهما لا يريدان
الحديث عن ذلك، وقد كان محقاً.

لقد استعادت وعيها بنفسها". قال له وكان هذا كل ما يريد غوردون
معرفة.

"أحسنتم صنعاً". قال غوردون وكأنه يتحدث عن دورة غولف أو مباراة
تنس. فعلى النقيض من دموع الفرح التي ذرفها بيل ليلة أمس، بدا غوردون
عديم المشاعر وكأنه يتحدث عن صديق بعيد. لقد كان يصعب على المرء أن
يصدق أنه إنما يتحدث عن زوجته. ولكن ربما فسر هذا سر علاقتهما مع بيل.

كانت لدى الطبيب أسئلة عديدة لم يُرد أن يطرحها، وبعد رؤيتهما معاً ليلة أمس، ما عاد بحاجة لأن يعرف أجوبة الآن. لقد أمكنه أن يفهم الأمر برمته. وتساءل كم من الوقت سيمضي حتى يعود غوردون إلى لندن ليراها من جديد. لقد كان يرجو، ومن أجل بيل وإيزابيل، ألا يحدث ذلك عاجلاً. لقد أحبهما وأعجب بعلاقتهما، إذ لم يكن من الممكن لأحد أن يقاوم حباً كهذا، ذهب معهما إلى هوة الموت وأعادهما إلى الحياة من جديد. لقد كان هذا الحب من النوع الذي قلما يتشاطرهُ الناس، وإن نعمة وغطّة لهما أن يكونا معاً هكذا. قل لها أنني سأصل بها بعد ظهر هذا اليوم عندما أصل إلى المنزل! كان هذا كل ما قاله غوردون، وأكد له الطبيب أنه سيفعل ذلك.

نقلت الممرضة الرسالة إلى إيزابيل عندما وضعت جهاز الهاتف في غرفتها. لقد كانت تتشوق للحديث إلى الأولاد، ولكن ليس إليه.

"ماذا سنفعل الآن؟" قالت لبيل بعد ظهر ذلك اليوم، وقد جلست في سريرها في غرفتها، وبقي بصحبتها بينما كانت تتناول أول وجبة غداء لها. كانوا قد أحضروا لها جيليه وزبديّة من حساء خفيف. كان قد مضى عليها وقت طويل منذ أن رقت الطعام لآخر مرة ولم يكن لديها شهية للأكل على الإطلاق.

"ماذا تصدّين؟" سألها بيل. "هل تصدّين أن نلعب الكروكي أو الغولف؟ أو أن نتمشى في المنتزه؟" كان يملحها من جديد ولكنها لم تبسّم هذه المرة.

"سوف يرد غوردون أن يعيدني إلى باريس عندما تتحسن صحتي". كانت تريد رؤية أولادها، بالطبع، ولكنها لم تكن تريد أن تترك بيل.

"لا أعتقد أن هذا سيكون عمّا قريب". قال بيل وهو يحاول أن يبقى بنفسه هادئاً. "لا أعتقد أن في مقورك أن تقفزي من السرير وتجري عبر الباب". لقد كان أمامها أن تشفى من الكثير من الإصابات للدخالية، وكانوا يريدون أخذ الحوصلة فيمَا يتخطى بإصابة رأسها. لقد أخبرها الطبيب صباح ذلك اليوم أنه يتوقع أن تبقى هناك لأربعة أسابيع أخرى شاقّة على الأهل. لقد كانت تقريباً

نفس الفترة التي سيفقون فيها بيل في المشفى.

"وماذا بعد ذلك؟" سألته بينما كانت الممرضة تطعمها بالمعلقة. فما كانت لذراعها القوة الكافية بعد لتقوم بذلك بنفسها. لقد كانت ضعيفة للغاية ولم يكن هذا موضع استغراب أحد إلا إيزابيل.

"سوف نرى". ما كان قد أخبرها بعد أن رجليها قد أصابها التشلل بشكل دائم، وما كان متأكداً من أنه سيسير من جديد أبداً. لقد كان يريد أن يفكر في الأمر. لم يكن متأكداً فيمَا إذا كان من الضروري أن يخبرها بذلك. فحتى لو لم تتفسير الأمور بشكل جنزي بينما كانت في حالة غيبوبة، فقد كان يعرف أنها ستعود إلى غوردون كي تُعنى بابنها المريض. وكان لا يزال بإمكانه، بالطبع، أن يتصل بها هاتفياً، وأن يراها من وقت لآخر، ولكنه لم يكن يريد شفقتها إذا ما كان سيبقى في كرسي متوالب. لقد كان حبها هو كل ما كان يريد. وكان يفكر أنه طالما ما عاد يستطيع السير على قدميه من جديد فربما لا ينبغي أن يراها بعد أن يغادر المشفى، بل أن يكتبي بتواصل علاقتهما عن طريق الهاتف. ما كان متأكداً بعد مما سيفعل، أو كم سيستطيع أن يراها بعد أن تغادر المشفى. حتى الآن، كانت تعتقد أن وضعه آني مؤقت، وقد كان يعيل إلى الإبقاء على فكرتها هذه. فهكذا إن تلقى عليه، ولن تشفق عليه. ولم يكن قد أخبرها أيضاً عن طلاقه. لم يكن يريد أن تشمر بأنه يشكل ضغطاً عليها. لقد كان يترك تماماً أنه سيتوجب عليها في نهاية الأمر أن تعود إلى عائلتها. كل ما كان يريد الآن بدأ هو أن يستمتعاً بهذا الوقت المتاح لهما.

كانت في غرفتها بعد ظهر ذلك اليوم، وكذلك الأمر لبيل، عندما اتصل غوردون. أخبرها أنه كان مرتاحاً للغاية لمعرفة أنها كانت تتحسن. لقد بدا وكأنه يتحدث عن شفاتها من التواء كاحل أو من سقوط سينة. في الواقع كان يشعر وكأنها قد عادت من الموت. في الوقت الذي عادت فيه إلى وعيها، لم يكن يتوقع أن تعيش أو أن تخرج من الغيبوبة. لقد بدا يشعر وكأنه أرملة، واضطر لأن يعيد عقارب الساعة فكرياً إلى الوراء، كي يستأنف حياته

الزوجية معها. لقد بدا غريباً جداً، وأصابت في تخمينها بأنه كان حائفاً بسبب بيل، وبعاقبها على ذلك. لقد بدا مرحجاً معها، ولكن لم يكن هناك أي إخراج عندما تحدثت إلى تيدي وصوفي. لقد بكت صوفي عندما سمعت صوت أمها، وما أمكن لتيدي إلا أن يلهث طالباً للهواء وينشج بالبكاء. لقد شعرت إيزابيل بأنه في حالة سيئة وسألت غوردون عن حالته عندما أنهى الأولاد حديثهم معها وأعطوه السماع. كانت لا تزال تبكي من العواطف التي غمرتها عندما سمعتهما. لقد كانت قلقة عليهما.

"سوف يكون تيدي في حال أفضل الآن". قال غوردون بلا مبالاة. وكانت صوفي قد قالت بأنها تود أن تأتي لزيارتها، ولكن غوردون قال أن ولادتها ستكون في البيت في القريب العاجل. "متى سيسمحون لك بالخروج من المشفى في أقرب وقت؟" سألتها بطريقة عسيلة. لم يكن هناك داع ليذهب لرؤيتها، على حد قوله، بما أنها ستأتي إلى المنزل.

"قالوا لي أن ذلك ممكن بعد حوالي أربعة أسابيع، فهذا يعتمد على حالة كيدي ورأسي وقلي". لم تكن هذه الأعضاء ضئيلة الأهمية، ولكن غوردون لم يهتم بالتفكير في ذلك. فيما أنها الآن خرجت من حالة الغيبوبة فإنه صرف النظر عن باقي الأمور.

"أربعة أسابيع فترة طويلة على ما يبدو، أليس كذلك، أنا متأكد بأنهم سيفرجونك من المشفى أسرع من ذلك إذا طلبت ذلك". لقد كان مرتاباً بها، ويتساءل إذا ما كانت تتوي أن تتباطأ أو تتواني لأن بيل كان لا يزال هناك. فما كان غوردون ليتساهل في ذلك. "سأحدث إلى الطبيب بنفسي. إذ بإمكانك أن تحظلي هنا بكل العناية الطبية التي تحتاجين إليها". وشعرت إيزابيل بالهلع عندما أغلقت السماع، وأخبرت الطبيب بأن غوردون سيتصل به ليضغط عليه كي يخرجها إلى منزلها سريعاً.

"هل هذا ما تريدان يا إيزابيل؟ ربما يمكننا نقلك إلى مشفى في باريس خلال أسبوع أو نحو ذلك. نست أهلاً بعد لتكوني في المنزل".

"أريد أن أمكث هنا" قالت له وقد بدت قلقة وكان كلامها يعرف السبب. "سأهتم بالموضوع". قال لها مطمئناً. لقد كان مستعداً ليقبل ذلك من أجلها ومن أجل بيل، فقد كان يحبهما كليهما. فقد ذهبا إلى هوية الجحيم وعادا، وكان يمكن لأولادهما أن ينتظروا، ولكنها اعترفت لبيل، فيما بعد، بأنها كانت قلقة على تيدي. فلم يكن يبدو على ما يرام على الهاتف، وهذا هو الأمر الوحيد الذي جعلها تشعر بوجود أن تحاول الذهاب إلى البيت أسرع مما كانت تتوي. لقد كانت لتصاب بالجنون لمجرد معرفتها بأن تيدي كان يحتاج إليها جداً وبأن وقتاً طويلاً مضى عليها بعيدة عنه، رغم أنها كانت تعرف أنه في أيدي أمينة. وكان بيل متعاطفاً معها كعادته عندما تحدثنا عن الأمر فيما بعد.

"إني على ثقة أن هذا كان مضيقاً له. والله أعلم بما قاله غوردون له عن حالته. ولكن بما أنه سمع صوتك الآن وعرف أنك ستكونين في المنزل خلال بضعة أسابيع، فإني متأكد بأن هذا سيجعله يتحسن يوماً بعد يوم". وشعرت بالإطمئنان مما قاله بيل.

"أسأل لذلك". قالت بحماس متقد. "الحمد لله أن صوفي هناك. لقد كانت تريد أن تأتي لثرائي، ولكن لا أعتقد أنها ستقبل ذلك. فتيدي يحتاج إليها هناك أكثر مما أحتاج إليها أنا هنا". ومن جهة أخرى فإن بيل معها هنا. وكانت تود أن تمضي هذا الوقت معه قبل أن يفترقا ويتعود إلى منزلها، ولكن ليس على حساب الأولاد. "ماذا عن سيندي؟ هل تظن أنها ستعود لرؤيتك هنا؟".

"لا". قال لها ببساطة دون أن يعالج السبب. وستكون الفتاتان مشغولتين طوال الصيف. لقد أخبرتني أنني سأراها عندما أعود". كان قد طلب إلى الطبيب ألا يخبر إيزابيل عن مدى خطورة الإصابة في عموده الفقري، أو أنه لن يستطيع المشي أبداً. لقد كان هذا الأمر، إضافة إلى موضوع الطلاق، هو الوحيد الذي لم يرد لإيزابيل أن تعرفه. لقد كان يريد أن ينتظر مرور الوقت ليصرف كم يمكن أن يتحسن. وكانت هي تعتقد أن الأمر يستغرق وقتاً طويلاً حتى يشفي، ربما ستة أشهر أو سنة، ولذلك لم تتدهش من أنه لم يستطع السير

لأنها كانت مستعدة لهجر غوردون، لكن الأمر مختلفاً له. ولربما أخبرها بالحقيقة عن سابقه. ولكن بما أنها كانت تعزم العودة إلى غوردون فلم يشأ بيل أن يجعلها تشعر بالقلق عليه، فلدورها ما يكفيها من الهموم والأعباء مع وجود تلك الطفل المريض تحت كفها. وأما الآن وبعد أن رأى غوردون عن كثب فقد أدرك ما سيواجهها، ولقد كان التفكير بها معه يجعله يشعر بالإعياء. فقد بدا أن غوردون ليس لديه اعتبار لها، أو حب، أو لطف، أو احترام، أو نغمة عاطفي. فغوردون فوريمستر كان يعيش وكان العالم كله متمحور حول ذاته، ولم تكن إيزابيل بالنسبة له سوى وسيلة راحة وآلة يستخدمها لتحقيق مآربه، وشخص يعتني بابنه المريض. لم يكن لديه أي تقدير أو اعتبار لهذه الجوهرة التي يملكها، كما يرى بيل. وكان يشعر بالقلق لأنها ستعيش حياة قاسية معه، بل قد تكون أفسى من قبل. فقد كان غوردون مرتكباً فيها الآن، وغاضباً منها بسبب بيل، وكان بيل يخشى أن يعاقبها غوردون على خطاياها يعتقد أنها ارتكبتها من وراء ظهره. وكان عليها أن تكون شديدة الحذر منه، وأن تولججه بنفسها، وإلا فإنه سيحيل حياتها إلى كابوس من التعذيب والازدياء. لم يكلف نفسه عناء المكوث معها في لندن عندما كانت في غيبوبة وتحضر، ليضعة أيام أخرى، ولم يعد إليها منذ ذلك الوقت. أما الآن وقد عادت إلى رعيها، فإنها ستكون مع بيل من جديد، وكان هذا صحيحاً.

عندما تحدث الطبيب إلى غوردون على الهاتف لاحقاً بعد ظهر ذلك اليوم، لاسر من جديد على رأيه في أن إيزابيل لا يمكن نقلها قبل أربعة أسابيع أخرى على الأقل. ولم يكن زوجها مسروراً بذلك. وكان يعتقد أن الأمر غير معقول وأن الحذر مبالغ فيه بخصوصها، ولكن الطبيب أثار مخاوفه في نهاية الأمر إذ ذكر له المضاعفات السيئة التي قد تنجم عن ذلك، بل إنه افترض أنها قد تعود إلى غيبوبتها من جديد. "سأفقد رخصة عملي من جراء ذلك". وضحك عندما أخبر إيزابيل وبيل عن ذلك فيما بعد. لقد كان يعتقد أنهما

يستحقان فرصة صغيرة للسماعة على الأقل، ومكافأة لهما إزاء الأهم المبرح الذي عانها منه. ولم تكن آلام بيل قد انتهت بعد. فقد كان الطبيب يعلم جيداً كم ستكون عملية إعادة تأهيله بتنبأ طويلة وقاسية وصعبة. لقد كان قد رتب له لخطه أن يذهب إلى مشفى في نيويورك حيث سيساعونه على استعادة القدرة على استخدام سابقه قدر الإمكان. لم يكن لدى أي من بيل أو إيزابيل أدنى فكرة عما يخبئ المستقبل لبيل.

حتى الآن كان لديهما أربعة أسابيع يمضيانها معاً، يجلسان معاً، يضمكان ويمرحان ويتحدثان ويستمتعان بالحب والعزاء الذي يستمده كل منهما من الآخر. لقد كانت المشفى ملجأً آمناً لكليهما، بعد الآلام التي مرا بها، وقيل أن يعود كل منهما إلى حياته الاعتيادية. فالواقع سيصنعهما بما فيه الكفاية عما قريب.

ناما بحذر معاً في غرفتها مرة أخرى تلك الليلة، وجرباً ذلك في غرفته بعد ذلك. لقد كانا قد تحررا من شاشات أجهزة المراقبة، وكانا يمضيان ساعات طويلة بعد الظهر يتحدثان عن حياتهما وأمالهما ولحلمهما. لقد كان الوقت الذي يمضيانه معاً ممتعاً من السماء، وقد استحقاها كلاهما بعد جهد جيد.

كانا يلعبان بالورق، ويقرآن كتاباً، وقد علمها لعبة نرد للكذاب. كانا يجلسان معاً ويتحدثان لساعات، وكانا يتناولان وجبات الطعام في نفس الغرفة. كانت حالة كيدما آخذة في التحسن، وكانت تتماثل للشفاء. كان نبض قلبها لا يزال غير منتظم ولكن في حال أفضل من السابق. وكانت تعاني من نوبات صداع شديدة أحياناً. وكانت تتعب بسهولة، وتنام كثيراً، وفي أغلب الأحيان مستلقية في السرير إلى جانبه. أما عنقه فكانت لا تزال مثبتة إلى ذلك السناد السريع الذي كان عليه أن يضعه، وشفي عوده الفقري، وكان يشعر ببعض الألم في ظهره أحياناً، وكانت تنك له كنفه وذراعيه برفق. لقد لاحظت كم قل استخدامهما لسابقه، ولكن بيل كان يؤكد لها بشكل مطرد بأنها ستجده يسير على قدميه في المرة القادمة التي يلتقيان فيها، وكانت تصدقه لأنها أرادت ذلك.

لقد بدا معقولاً لها أنه لا يزال عاجزاً عن السير. فلم يمض سوى شهر على الحادث، ولم يكن هذا زمناً طويلاً. وكانا يتحدثان قليلاً عن الآلام والأوجاع المتسوعة التي يعانيان منها. ومعظم الوقت كانا يتبادلان اللقمة، ويتحدثان بلا انقطاع، ويمزحان ويضحكان.

كان قد مضى عليها أسبوعان كاملان منذ أن خرجت من الغيبوبة عندما كانا مستلقيين على سريريه بعد ظهر يوم مشمس من شهر تموز. كانت التوافذ مفتوحة، وكان النهار دافئاً، وكانا يحكيان القصص عن طفولتهما، فيما كانت تستلقي معه على سريريه. لقد كانت حريصة على ألا ترتطم أو تلمس أعضائه لتسبب له آلاماً. وكانت حريصة بشكل خاص على عموه الفقير. وإذا راحت تحكي له عن الوقت الذي أمضته مع جديها في هامبشر، كانت تمرر أصابعها برفق على ذراعه. وكانت قد حكّت له عنقه من الخلف، وبعد ذراعه، ومررت أصابعها على كتفيه وإلى أسفل ظهره حيث لا تسبب له أي أذى، وإذا كانت تفعل ذلك نظر إليها وقد انتابته رغبة شديدة فيها، فابتسم لها، وقد بدا كطفل صغير مثل مدلل عايش.

"لماذا تنظر إلي على هذا النحو؟" سألته وهي تتسائل إذا ما كان يضحك منها. "لقد كنت أحدث بجد عن جدي. لقد كان رجلاً رائعاً."

"بالتأكيد. ولكنني توقفت عن الإصغاء إليك منذ خمس دقائق قال لها بصوت. "إن رغبتى فيك تكاد تفقدني صولبي."

"ماذا في ذهنك؟ لعبة نرد الكذاب من جديد؟" لقد كان يعقلها في هذه اللعبة بشكل مستمر، وكان يأبى أن يخبرها كيف أمكنه أن يعرف أنها كانت تكذب في اللعبة. لقد كانت تنقصها البراعة في الكذب، وهذا ما أحبه فيها. فقد كانت بخلاف زوجته السابقة.

"لا بل أفضل من ذلك." قال لها وهو يقبلها بنعومة على شفتيها. لقد تعلم كيف يستند إلى الأمام بما يكفي ليقلبها مراراً وتكراراً خاصة ليلاً وهما مستلقيان جنباً إلى جنب. وقال لها بهدوء: "إيزابيل. لا أدري كيف سينجح الأمر

معي ولكنني أريد أن أطارحك الغرام." لقد انتابته رغبة جامحة بها خلال نصف الساعة الأخيرة. وكان مرتاحاً كثيراً إليها الآن وعلى سجيته حتى إنه رغب لو يحاول. لقد كان لا يزالان كلاهما هشين ضعيفين، ولكنه كان يرغب في مطارحتها الغرام. ومنذ زمن بعيد، حتى قبل الحادث بكثير، ولكنه ما كان يطلب منها ذلك قبلاً، وأما الآن فكانت في عينيها نظرة متقلبة نفثت إلى قلبها.

"صناً يا حبيبي." لقد كانت هي أيضاً تريد ذلك، رغم أن كل ما فعله حتى الآن هو أن يستلقي في أحضان بعضهما بعضاً. لقد كانت تفهم تماماً ما كان يدور في خلده الآن. "ما عليك لو أغلقنا الباب بالمفتاح؟" كانت هناك أفعال على الأبواب لم يستعملها أحد قبلهما أبداً، ولكن كان هذا وقت مناسب لبادرة كذلك.

"هل تظنن أنهم سيرمون بنا خارج المشفى؟" سألتها بإسماة عريضة، في حين نهضت وأقفلت الباب. لقد كان بالكاد يستطيع أن يتحرك، ولكن كانت لديه رغبة لا تقوّم نحوها، وكان هذا كل ما أمكنه أن يفكر فيه الآن. لقد كان قلقاً جداً بخصوص ذلك منذ وقت طويل وكان يشعر بالتوتر لفكرة أن يجرب ذلك معها، ولكن لم يستطع أي منهما أن يقاوم هذه الرغبة. لقد كانت علاقتهما مليئة بالحنو والحب ومعززة باللقمة المتبادلة بينهما.

"لا أدري إذا كانوا قد وضعوا هذه الفكرة في حساباتهم عندما سمحوا بنا بأن ننام في نفس الغرفة." قالت إيزابيل بحذر وابتسامة لعوب على شفتيها.

"يا لسخفهم" قال لها وقد بدا شديد التوتر. "هذا أحلى شيء." أو على الأقل كان يأمل أن يكون الأمر كذلك، ولكن ماذا إذا لم ينجح الأمر؟ وارتجف للفكرة.

جلسته بترتيب لولهة، وهي تبدو جيدة، ثم قبلته برفق على الشفتين. "أود فقط أن أخبرك أن أحلى شيء هو الذي لدينا الآن... أن نحب بعضنا، ونكون مع بعضنا... ونعناق بعضنا... لحب كل ما يتعلق بك يا بيل. وما نلله الآن هو هبة إضافية، ولكنها ليست أحلى شيء. بل أنت هو الأحلى."

أن يجرب ذلك.

كانت إيزابيل مدركة تماماً لما كان يحدث له، ولكنها كانت تحبه للغاية حتى أرادت أن تسعده وتجعله يشعر بأنه محبوب ومرغوب فيه. لقد كانت تدرك في قرارة نفسها أن هذا قد لا ينجح، أبدأ، أو على الأقل في المرة الأولى. فقد كانت إصاباته بالغة وكان من المنطقي أن تتوقع أن الأمر يتطلب صبراً حتى يستعيد قدرته الجنسية من جديد. لم تكن تريد له أن يخوض تحدياً مع نفسه، بل أن تعطيه الأمل والحياة. ولكن بدل الأمل شعرت باليأس في عينيه، وأخفت محاولاتها بأن يشبع رغبته.

"حسناً يا حبيبتي... حسناً... أعط الأمر وقتاً كافياً" همت له وقد التصق بها، ثم شعرت به يتكفي إلى الوراثة ويصرف انتباهه عن الموضوع. لقد شعر بالإتلاف لأنه عجز عن أن يطارحها الغرلم. كل ما كان يفكر فيه بيل وهو مستلق إلى جوارها هو أنه قد أخفق، وما كان لشيء مما تقوله أن يغير هذه الحقيقة. ولقد أقسم لنفسه، وهو يضمها إليه، أنه سوف لن يحاول ذلك أبداً مرة أخرى. ورغم حنوها وحبها له، فقد شعر بالخزي وبالاعتكاف والقفوط الآن أكثر مما شعر به منذ الحادث. لقد كان هذا أسوأ يوم في حياته. فهو لم يعد رجلاً. وفكر في نفسه أن ما من شيء على وجه الأرض يمكن أن يدفعه لأن يحاول مرة أخرى. وبالتأكيد ليس معها.

"الرتدي ثوبك". همت لها، فتردنت، وهي تشعر بالرغبة لأن تفعل كل ما يمكنها لأجله. ولكنها رأت كم كان محيطاً وأدركت أن أية محاولة لإسعاده أو إرضائه، أو ملاحظته، أو تدليله سوف لن تؤدي إلا إلى استيائه أكثر. فتمت نفسها تحت الغطاء معه، وتذرت بالملاءة وهي مستلقية قربه.

"حسناً يا بيل". همت له في حنان. "سوف نلجج في نهاية الأمر". لقد كان كلاهما يدرك كم كان يجيها بعمق، ولكنه كان يريد أكثر من ذلك، ولأجل كليهما. "هذه هي البداية فقط" قالت وهي تقبله بركة على وجنته وتحاول أن تضع يده في يدها، ولكنه سحب يده. لقد كان يحاول أن يقارم دموعه، وكان

لم تكن لديه أدنى فكرة فيما إذا كان يستطيع أن يمارس الحب معها، ولكنه أراد أن يحاول ذلك ويشغف شديد. كان الطبيب قد قال له أن ذلك ممكن، وكان بيل يرجو أن يكون على صواب. وإذا كان الأمر كذلك فإنه يود أن يشاركها في ذلك. وإن لم يكن، فقد كان يشعر بالتأكد أنها ستكون خيبة أمل كبيرة لكليهما، فضلاً من ناحيته. ولكنه لم يصرّح لإيزابيل عن مخاوفه. لقد كان يخشى أن تشعر بالقلق أو بالأسف من أجله. وكان هذا الأخير هو جل ما كان يخشاه.

لقد كانت في غاية اللطف معه وهي تنزع عنه لباس المشفى، لقد كان يتشبع بجسد جميل، وكان يتوق إليها بشدة. لم يكن من خجل أو حياء بينهما، فقد اعتادا على بعضهما بعضاً، وكان الأمر كما لو أنهما كانا معاً على الدوام وراحت تمشده وتلاطفه وقد بدا قلقاً. لقد كان يشعر عاطفياً بكل ما كانت تقوم به، ولكنه لم يكن متأكداً من بقاء الأمور. خلعت عنها رداء النوم، وكان الأجساد التي كانت قد تهشمت وتآذت بشدة نسيت الأمها فجأة، وراحت تقبله بكل لطف وأناة، مبتدئة بغمه ثم أخذت طريقها ببراعة نحو الأسفل. لقد كانا يطمان كم يحب أحدهما الآخر، وكان هذا الجانب الخفي الوحيد الذي لم يتطرقا إليه، بل اكتشفاه وريداً وريداً معاً. وكان مخموراً بوعاطفه نحوها. لقد راحت تحاول إثارته وهي حريصة جداً على ألا تلقي بأي ثقل عليه، بل بما يكفي وفي المكان المناسب، وشعر هو بمتعة كبيرة أرادت لها، ولكن التأثير المطلوب لم يحدث، ويا لروعه.

وحتى ما شعر به كان بيل يدرك أنه كان يشعر به مخموراً مكتوباً نوعاً ما. ورغم إحصائه برغبة جامحة نحوها، إلا أنه كان يشعر في نفس الوقت بأنه لم يكن مالِكاً لنفسه. لقد كان يشعر بشمة انفصال في داخله، ولم يكن يعرف أهو في عقله أم في حبله الشوكي. ورغم توفقه لممارسة الحب معها إلا أنه شعر بخوف مثبِّط بشكل علقاً له. لقد بدا يدرك وهي مستلقية بتوازن عليه أن الأمر لن يفلح، وشعر نفسه ليس أنه أحقّ فحسب بل مخبول أيضاً لأنه أراد

الوطأة عليه. لقد كان يخشى أن تكون هذه نهاية المطاف بالنسبة لهما، رغم أن عجزه عن ممارسة الحب لم تكن بذات أهمية بالنسبة لإيزابيل. فرغم كل شيء، وبنتيجة ذلك، صارت تحبه أكثر، وتشعر بخلان غير محدود نحوه.

يعنى الآن لو يفر هارباً مبتدأ، ولكن لم يكن بيده حيلة.

لا ليست هذه البداية. قال غاضباً. فقد كان مستاءً من نفسه، وليس منها. إنها للنهائية. إنها نهاية حياته كرجل في نظره.

إنها ليست نهاية أي شيء. قالت له كما لو كانت تخاطب طفلاً. لقد قال الطبيب أن الأمر يستغرق وقتاً حتى تعود الأشياء إلى وضعها الطبيعي من جديد. ولكن بيل كان يخشى أن يكون فشله في القيام بالعمل الجنسي دائماً. لقد كان يصعب على أي امرأة أن تتصور ما يعنيه له الفشل في ممارسة الحب. لم يكن هذا أمراً يمكن تجاوزه بسهولة. فكل ما أمكنه أن يتصور أمامه الآن هو مستقبل مخيف ليس فيه حياة جنسية، إذ أنك أنه لن يكون في مقدوره بعد الآن أن يقوم بدور وظويف كرجل، كان قد حدث له هذا مثل أي رجل بين وقت وآخر من حياته، وذلك عندما كان متعباً جداً، أو منزعاً جداً، أو قلقاً جداً بخصوص السياسة، أو عندما يكون قد أسرف في الشراب. ولكن هذه التجربة الآن كانت الحد الفاصل، ونقطة تحول، إذ إنها المرة الأولى على الإطلاق التي يمارس فيها الحب مع إيزابيل. فبعد الحادث، كان يرى أن هذه هي فرصته الوحيدة ليثبت أنه لا يزال رجلاً، سواء استطاع أن يمشي لم ينه ما كان قد اكتشفه غير كل شيء حوله، إن لم نقل حولها. كانت إيزابيل مستقيمة ومتركة تماماً للموضوع ومتقبلة له دون استياء. وكانت متأكدة أنه سينجح في نهاية الأمر. وحتى وإن لم يكن، فقد كانت على استعداد لتقبل أن عجز لديه، وأن تحبه مهما يكن من أمر. لم يبدل هذا جذب شيئاً من جهتها، ولكنه غير عالم بيل كلياً. لقد كان على يقين بأنه إذا لم يستطع أن يستعيد رجولته، إن لم يكن سابقه، فليس من مجال أمامه ليبقى في حياتها. لقد خسر الكثير تلك الليلة، احترامه لنفسه وتقديره لها، وإحساسه بتكوريته، وكل أمل من أي نوع في مستقبل مع إيزابيل، إذ كان قد فقد قدراته كلياً، وهذا ما كان يخشاه. وبالنسبة لها فقد كان من الجنون أن يصل إلى هكذا استنتاجات بسبب محاولة واحدة فاشلة في أن يمارس الحب معها. ولكن مخاوف بيل كانت شديدة

الفصل الحادي عشر

تلقت معنويات بيل صنمة قاسية بعد محاولتهما الفاشلة في ممارسة الحب. ورغم أنهما ظلا ينمان في نفس الغرفة، إلا أنه كان مصعماً على ألا يعيد الكرة. لقد وجد نفسه عرضة لكل الخزي الذي أمكن أن يتحمله، وحاولت إيزابيل أن تشجعه كي يكون متفائلاً، ولكنها لم تقرض نفسها عليه. بل في الواقع كانت حريصة على ألا تفعل ذلك. لقد كانت هادئة ومشجعة، وقد أصرت، عندما أعطاهما فرصة للحديث عن الموضوع، على رأيها في أنه بمرور الزمن وبالصبر سوف يستعيد على الأرجح قدراته الجنسية. أما هو فقد كان يشعر بشكل كبير، حتى خلال محاولتهما السريعة الصغيرة، بأنه سيبقى فاقد الحس إلى الأبد. بل حتى كان يأبى أن يتقبل الاحتمال البعيد بوجود أمل له. فبالنسبة له، صار يعتبر أن الباب إلى استعادة حياته الجنسية كرجل كان مغلقاً. وبقي وإيزابيل قريبين وحميمين، وكانا يستمدان عزاء وارتياحاً كبيرين كل من الآخر، ولكن لم يكن ينوي أن يحاول ممارسة الحب معها ثانيةً أبداً.

وبينما أخذت علاقة بيل وإيزابيل تزداد حميمية عاطفياً، بدأ الزمان وكأنه يتحرك بسرعة لم يسبق لها مثيل. وكان المعالجون الفيزيائيون قد بدأوا يعملون على معالجة بيل، وخضعت إيزابيل لمجموعة من الفحوصات، التي كانت تشمل صورة التخطيط الدماغي وصولاً إلى تخطيط الرنين المغناطيسي للقلب. ورويداً ورويداً راحا يتقدمان في عملية الشفاء، وكانا يدركان بشكل متصاعد أن أيامهما معاً سوف تنتهي في القريب العاجل. لقد كان الحادث باهظ الثمن لينفعا ثمنه حوالي شهرين بعضيلتهما معاً، ولكن مع مرور الوقت بدأ يشعران وكلهما متزوجين.

لقد كانا يجلسان في غرفة أحدهما طوال النهار، وكان يرالفها من أجل

إجراء الفحوصات، ويقرآن الجرائد ويتناولان طعام الإفطار معاً صباحاً، ويصلمان ليلاً في سريرين من أسرة المثنى قد وُضعا إلى جانب بعضهما بعضاً. الشيء الوحيد الذي كان ينقصهما من الحياة الزوجية هو ممارسة الجنس، وهذا الأمر الذي كان لا يزال مؤلماً بالنسبة له. ورغم أنهما لم يكونا على اتصال جسدي في علاقتهما، إلا أن إيزابيل لم تكن يوماً سعيدة مثل تلك الأيام في حياتها.

أشعرني أديور منتجماً على شاطئ لبحر هنا قالت إحدى الممرضات لاطلفة إياهما وهما عائدتان من جلسة تحت الشمس. شعرت إيزابيل بالصداع ذلك اليوم، وكانوا قد أجزوا لها فحص تخطيط للدماع قبل الغداء، ولكن الطبيب قال أن كل شيء على ما يرام فيما يبدو. لقد كانوا يتابعون رحلة شغائنا بانتباه وعناية، وكانت تحرز تحسناً ملحوظاً. وكان غوردون يضغط عليها بشأن موعد عودتها إلى المنزل، وكانت تعلم، مثل بيل، أن عودتها إلى باريس سوف تكون بعد أسابيع فقط. لم تكن تخشى أن تحدث مضاعفات لأي منهما بقدر ما كانت تخشى أن تغارق بيل وهي لا تعلم متى سيمكثها أن تراه من جديد.

لقد كنت تتصل بأرلادها كل يوم، وكانت تشعر أن صوفي مكتئبة للغاية، وهذا ما جعلها تشعر بالقلق. فالمسؤولية نحو فتيدى كانت تقع كلياً على كتفها، ورغم أن إيزابيل كانت تتحدث إليه بشكل مستمر، إلا أن حالة الغلام ما كانت تبدو كما في الفترة التي كانت أمه برافته. وشعرت إيزابيل بالذنب لبقائها بعيدة عنه كل ذلك الوقت، ولكن في هذا الوقت، ليس من خيار آخر لديها سوى أن تكون في مستشفى في باريس. ولكنها كانت تعلم أنه بمقدار سعادتها لرؤية أولادها من جديد، سيكون أيضاً من المولم جداً بالنسبة لها أن تترك بيل.

تحدثنا عن هذا الموضوع أحياناً، وقالت لهما قد يستطيعان في المستقبل الاستمرار برؤية بعضهما بعضاً في مكان ما، كما فعلا في حزيران. لم تكن تعرف كيف ستخرج من المنزل ولكنها فكرت بأنها ستستطيع ذلك. فما كانت تشارك بيل به الآن لم يكن بأمراً سهلاً التحلي عنه، حتى ولو التقيا بضع مرات

في السنة. أما بيل فكان غامضاً مبهماً عندما كانت تتحدث عن لقاها كل بضعة أشهر. بسل حتى لم يكن يستطيع التفكير في ذلك الآن، ورغم أنه كان يحق تقديماً مطردماً، إلا أن شغافه كان لبطاً منها، وكانت معنوياته أخذة في الانحدار. لم يشأ أن يتعهد برويتها إلى أن يعرف كيف ستسير أمور إعادة تأهيله البدني. وكان لا يزال يأبى أن يكون عبئاً عليها. ولم يكن أيضاً ينوي الامتناع عن رويتها. فبعد ما تشاركاه فيه في المستشفى، والوقت الذي أمضياه معاً، كان من الصعب عليه أن يتخيل الاكتفاء بالكلمات الهاتية.

لا أعتقد أنك تفكرين بواقعية عندما تتحدثين عن لقاءنا في باريس. قال بيل مرة في هدوء. فغوردون لا يعرف بما حدث هنا، ولكنه يعلم أننا كنا معاً تلك الليلة. ولقد طلب إلي أن أخرج من غرفتك بدون أي قيد أو شرط عندما كان هنا. ولا أعتقد أنه سيكتفي بأن يقف متراجماً بينما تخرجين وتجوولين هنا وهناك. أعتقد أنه سيرتاب بنا كثيراً، وبك. لقد كان بيل يدرك أنه قد يراقب حتى مكالماتها الهاتية. فقد صدم غوردون عندما أدرك أن زوجته كانت قد أقامت علاقة صدقة مع رجل دون علمه.

لم يقل بيل ذلك لإيزابيل، ولكنه كان قد قرر قبل أسابيع أنه إذا ما ظل حبس للكرسي المدولب لبقية حياته فإنه سيرفض أن يشكل عبئاً عليها، أو على أي شخص آخر. ولقد كان هذا أحد العوامل، وليس العامل الأهم، الذي دفعه لطلاق سنثيا. وعلاوة على ذلك، فإن لم يستطع أن يكون رجلاً مع إيزابيل بكل معنى الكلمة فإنه سينهي العلاقة بينهما.

لو أمكنه أن يتعلم السير من جديد لكان سيقابلها بهدوء في مكان ما من فرنسا عندما تستطيع أن تجد طريقة أو حجة للخروج من المنزل. ولكن المسألة الجنسية بقيت علامة استعظام بالنسبة له. فإن لم يستطع مركز إعادة التأهيل في الولايات المتحدة النجاح في جعله يسير على قدميه أكثر من الأطباء في إنكلترا، كما يعتقد، فإنه سوف لن يراها من جديد. فالجنس لن يكون موضع بحث آنذاك. فسا كان ليود أن ينقل عليها بعجزه إذا ما قدر له البقاء في

كرمي مدولب طوال حياته. لقد كان هذان الموضوعان يعذبانه ويؤرقانه كثيراً خلال الأيام الأخيرة لهما في المشفى وهما موضوع أن يمشي على قدميه من جديد، وفيما إذا كان سيستعيد رجوله مع الألم. وما كان يريد أن يحمل إيزابيل وزر أي من هاتين المعضلتين، اللتين ما كانت لتعرف مدى الإجهاد والباس الذي يشعر بهما بسبب ذلك، لقد حرص بيل على ألا يعز لها عن مدى تشاومه، رغم أنها أحياناً كانت تشعر بذلك دون أن يحكي عنه.

واعترف مرة للطبيب أنه كان قد حاول أن يمارس الحب معها، وعن مدى الألم الذي شعر به بسبب فشله في ذلك، وكان قد طمأنه الطبيب قدر استطاعته.

'هل تعلم. أنا لست مندحشاً من ذلك.' قال له الطبيب الجراح بتفهم فائق لمشكلته. 'في الواقع إن الأمر يدعو إلى التفاؤل نوعاً ما، بالنسبة لأول مرة، وبعد كل هذه الإصابات البالغة التي تعرضت لها، أعط وقتاً لهذا الموضوع، وأعتقد أن ما حدث من المفترض أن يشجعك أكثر. فلا يزال من المتوقع جداً والمنطقي جداً أن يمكنك أن تحقق الانتصاب وهزة للجماع كليهما خلال أول سنة. أعتقد أنك كنت متسرعاً ومتحمساً ومفاجئاً قبل الأوان. فلا يزال ثمة متسع من الوقت أمامك'. ولكن وعلى الرغم من الارتياح الذي كان يمكن أن تحدثه كلمات الطبيب في نفسه إلا أن بيل لم يصدق. لقد لازمه الخوف من أن حالته ميؤوس منها، وأن الأمر لن ينجح معه على الإطلاق. وكان قد عقد العزم على ألا يحاول ذلك أبداً في أي وقت من الأوقات في المستقبل القريب، رغم أن إيزابيل كانت سبباً في جهودها لتكون مبدعة خلاقاً في هذا الشأن أكثر منه. لقد طرد من ذهنه كل فكرة بعلاقة جسدية مع إيزابيل في الوقت الحاضر، وربما إلى الأبد. ولم تكن لديه أدنى فكرة عن الوقت الذي سيمسح له هكذا فرصة ليحاول ذلك من جديد أو فيما إذا كان هذا الأمر متاحاً.

ولكن وعلى الرغم من اللذاب المرير الذي كان يعاني منه بيل، إلا أنه بقي وإيزابيل يتسلطران غرفة واحدة، وكانت تفكر ملياً بما تفعله بحياتها.

كانت تعلم أنها لن تتخلى عن زوجها أبداً وذلك بسبب تبدي وصوفي، ولكنها ما كانت مستعدة الآن للتخلى عن بيل. فإن يكون عشيقاً لها بشكل جانيباً من حياتها لم تكن لتتصوره من قبل أبداً، ولكن كان هذا ما أرادته الآن وكل ما كان يمكنها أن تحظى به. لقد كانت تجمعها وبيل لشيء لم تعرفها أبداً من قبل، لقد كانت معظم الوقت تشعر وكأنهما جسدان في روح واحدة. وما كان لشيء في الكون ليستطيع أن يجعلها تتخلى عن ذلك.

كانت تتحدث إلى غوردون مرة كل بضعة أيام. لقد كان يجعل مسكوتيرته تتصلل بقسم المعرضات كل يوم كي يطمئن على حالتها، ولكنها كانت غالباً تريد أن تتصل به في المكتب بدافع من احترامها له ولظروف عمله، والطمئن على حال بيكي. وكانت صوفي تتصل بها في العادة لتتلق لها أخباره. وكانت إيزابيل تتصل بتبدي شخصياً كل يوم. وعندما كانت إيزابيل تتحدث إلى غوردون، كان يبدو، كما هي العادة، بعيداً وبارد العواطف. وصارت تشعر معظم الوقت وكأنها كانت تقاطع عمله لو أنها اتصلت في وقت غير مناسب. ما كان لديه الكثير ليقوله لها، منذ الحادث. وأمكنا أن تشعر أنه ما عاد يقربها، رغم أنه لم يتحدث صراحة عن ذلك. لقد كانت تشعر وكأنه كان يعاقبها، وكانت تعلم أنها عندما تعود إلى باريس وتكون معه، فإن لديها بعض التصير لتفهم له. ولكن حقيقة أنها كانت مع بيل في نادي أنابيل وفي بار هاري، وأنها كانت معه في ساعة الحادث عندما اصطدمت الحافلة بسيارتها، كان سيحول دون قيامها بذلك. قال لها مرة في إحدى مكالماتها: 'لنت لسب المرأة التي تزوجتها يا إيزابيل. وفي الواقع، لست متأكداً من أنني أعرف من أنت'. وشعرت بالذنب أحياناً بسبب قوله هذا، وأدركت أنه لم يكن من الصواب أن تقسم علاقة مع بيل، ومع ذلك فقد كان بمثابة نواة لها الآن، وحياتها تعتمد عليه، وما كانت لتريد أن تتخلى عن ذلك.

كانت تتحدث إلى بيل في هذا الموضوع في إحدى الليالي بينما راحت تلك مساقبه. وقال إنه ما زال يشعر بخدر في ساقه، ولكن لديه بعض

الإحساس كما في أمكنة أخرى، وكانت ساقاه تؤلمانه أحياناً كما لو أنه مشى مسافة طويلة. كانت تخبره عن الحوار الذي دار بينها وبين غوردون ذلك اليوم. لقد كان يتحدث إليها بطريقة عملية مقتضية، وتفتت الصعداء عندما أغلقت سماعة الهاتف.

"لا أعتقد أنه سيق بي من جديد على الإطلاق". قالت لبيبل، وبإلتطع هو على حق. ولا يسمعي أن أتصور حتى كيف يمكن أن تكون عليه حياتي عندما أعود إلى المنزل. وماذا عنك؟ إلى أي درجة سنبتا غاضبة منك؟" فقد لاحظت إيزابيل أنه لم يتحدث أبداً عنها، بل عن الفتاتين فقط. ولكن علاقتهما كانت مختلفة كثيراً عن علاقتهما مع غوردون، فقد كانت لهما حياة منفصلة أكثر، ويكاد لا يكون هناك من علاقة حقيقية بينهما بل مجرد إحصاء بذلك، وحسب بعد الآن. ما كان قد أخبر إيزابيل بعد عن الطلاق. لقد كان هذا هو السر الوحيد الذي أخفاها عنها. ما كان يريد بها أن تعلم أنه سيكون مطلق الحال عما قريب. لم يكن يريد لها أن تشعر بالأمل. لقد كان يعلم أنها ستحافظ على زواجها، وبدا له أن من الأفضل أن تعتقد أنه هو أيضاً سيبقى متزوجاً.

"لا أعتقد أنها كانت مسرورة عندما رحلت". قال بيل بصدق. لقد كنت صريحاً معها فيما يتعلق بمشاعري تحوكم، ولم أكن مضطراً لذلك. ولكنها تعرفني، وكانت تعرف كم كنت قلقاً عليك".

"لم تزعج من ذلك؟" سألتها إيزابيل باندهاش.

"بالتأكيد نزعجت، ولكنها تعرف أن من الأفضل لها ألا تتبرر جلية كبيرة. إذ أن ماضي حبيبها حافل بالأسرار التي تحرص على ألا تتكشف. وباسم إيزابيل وتابع قوله: "لا يمكن زج إنسان في السجن لأنه عاشق. كما وأن سنبتا قد عاشت حياتها الخاصة على هواها على مدى زمن طويل. فما كانت لتبقى بدون علاقة خلال السنوات العشر الأخيرة".

كانت إيزابيل غارقة في التفكير وهي تصغي إليه. "لا أعتقد أن غوردون قد خانني يوماً". قالت في هدوء. "إنه أكثر محافظة ولباقة وعقلانية من أن

يفعل شيئاً كهذا". ولكن ما كان يعرفه بيل عن طبيعة الحياة الزوجية بينهما جعله غير متأكد مما كانت تقول، ولكنه لم يشأ أن يقول لها ذلك. فقد بدا غريباً من زوجها أن يكون رجلاً على هذه الدرجة من البرودة والقسوة نحوها دون أن يكون له راحة أو عزاء في مكان ما آخر. وعلى العكس من ذلك، فعندما التقى به، لم يزر في غوردون ذلك النوع من الرجال المخلصين الصادقين نحو أي كان. فقد كان على الدوام خارج البيت سعياً وراء مرضاة نفسه. وكان بيل يعتقد أن وجود عشيقه ما في مكان خفي يفسر سلوك غوردون المخيف نحو زوجته.

"ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟" سألتها بيل بحذر، فلم يكن يريد أن يعكّر صفاء الأمور، خاصة وأنها عاتدة إليه. لقد كان يريد لها أن تحيا حياة سلمة آمنة، لا أن يساعدها على شن حرب على الرجل الذي بإمكانه أن يكون شديد القسوة عليها وأن يحطمها.

"العولطف لا تهتمه، وكذلك الجنس". قالت بصراحة. "فنحن لم نتم في نفس الغرفة منذ سنين". لقد كان يدرك ما تحبه بقولها هذا، فابتم لها. لقد كانت امرأة تتصرف بخجل ولباقة بكل معنى الكلمة. ولكنها صريحة وصادقة معه جداً. وشعر أنها سانحة إزاء ما تفكر به نحو زوجها.

كان بيل وإيزابيل سعيدين معاً وللغاية، ولكن الأسبوع الذي أعقب ذلك بدأ يشعران بالتوتر. كان أمامها مجموعة اختبارات عليها أن تخضع لها ضمن جدول محدد، وإذا كان الأطباء راضين عن النتائج فإنها ستذهب إلى منزلها. كان ذلك في أواخر شهر آب (أغسطس)، وكان قد مضى عليهما شهران في المشفى. وكان غوردون يزداد غيظاً وغيظاً يوماً بعد يوم، وينهم أطباءها بالتسباطو والتواني في إخراجها من المشفى. وتم ترتيب استقبال بيل في مركز التأهيل لعدة أشهر قادمة. وكان يتوجب على إيزابيل العودة إلى باريس، وهو سيعود إلى الولايات المتحدة. وشارفت قصتهما الرومانسية على الانتهاء. وهذا ما كان صعباً على كليهما أن يواجهها.

هل تقسم أن تتصل بي كل يوم؟ سأنته وهي حزينة ولجمة في إحدى الليالي وهما مستقلتان في السرير. وكان من المفترض أن تجري آخر تخطيط دماغ لها في اليوم التالي. كان كبدها أخذاً في الشفاء، وبدأ قلبها طبيعياً في تخطيط الرنين المغناطيسي الأخير الذي أجرته، وكانت رنتاها سليمين أخيراً. كنت لأتصل بك عشر مرات لو استطعت. قال لها وهو يندبها منه كثر. وتعلمين أنك تقدرين على الاتصال بي.

سوف أعمل. سأستيقظ باكراً جداً كي أتمكن من الاتصال بك قبل أن تذهب إلى النوم ليلاً. ولكنها كانت تعلم أيضاً بأنها إذا كثرت من الاتصال به فإن غوردون أو مكثرت به سوف يرى أرقامه على فولتير الهاتف. لم يكن بوسعها الاتصال به بقدره هو. وكانت تترك كم سيكون مريباً أن تستمر في علاقتها معه عبر الهاتف، ولكنها ما كانت لتطيق فكرة أن تكون بمنأى عن الاتصال به. فما برحا يعيشان معاً منذ شهرين.

لقد تنمعا بفترة وجودهما في المشفى، وكانت لتخفيفها فكرة فراقه الآن. ولم تكن لديها أئني فكرة متى ستراه مرة أخرى. كان الأطباء قد أخبروه أن من المتوقع أن يبقى في مركز إعادة التأهيل في نيويورك لفترة تتراوح بين السنة أشهر والسنة. وقد بدأ الأمر وكأنه حكم بالسجن المؤبد على كليهما.

عليك أن تسعى جهنم لتتأمل للشفاء بسرعة. قالت له وهي تقبل صدره وتحنى فوقه على السرير. أريدك أن تأتي إلى باريس بأسرع ما تستطيع. إذ كان من المستحيل عليها أن تستطيع الذهاب إلى نيويورك. فقد حصلت صوفي عصبه تيدي لوقت طويل بما فيه الكفاية، وكانت على وشك العودة إلى الجامعة. وكانت إيزابيل تترك أنه لن يمكنها أن تغادر باريس ثانية إلا بعد وقت طويل. وكانت تشعر بشوق كبير لتري تيدي بنفسها. فقد كان يبدو ضعيفاً أكثر فأكثر على الهاتف.

ولكن بيل تحاشى أن يقول أي شيء عندما ذكرت موضوع قدومه إلى فرنسا، ولم تلاحظ إيزابيل ذلك. لقد كان قد قطع على نفسه وعداً بأن ينسل

تدريجياً من حياتها إذا عجز عن استعادة قدرته على المشي أو في حال أسوأ، إذا ما ظل فاقداً لرجولته. لقد كان هذا اتفاقاً أجراه مع نفسه ولم يقل لها أي شيء عنه. لم يخبرها عن تقديره القاتم لمستقبله، وكم كان يخشى ألا يستطيع السير على قدميه من جديد. لقد كان يريد أن يعرف أولاً ما سيقولونه له عندما يعود إلى الولايات المتحدة. فكان لا يزال عاجزاً عن أن يصدق أنه سيبقى مقيداً إلى كرسي متحرك، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فيكفيها إذا شخصاً واحد عاجزاً في حياتها، وإن يسمح بأن يكون هو الثاني أيضاً.

لم يكن بيل يحتمل فكرة أن تشفق عليه، أو أن تعنتي به لأن عليها أيضاً العناية بابنها. لقد أمضت أربعة عشر عاماً مع طفل عاجز للغاية. ولم يشأ أن يجعلها تعنتي به أيضاً أو حتى أن تفكر نحوه هكذا، ولكن حتى لو كان لن يراها من جديد، ما كان ليستطيع أن يتخيل ألا يتحدث إليها على الهاتف. لم يكن ليطيع أن يتصور أن يصحو في الصباح، أو في الليل، دون أن تكون إيزابيل بجانبه. لقد ألمه حتى مجرد التفكير بأن تكون بعيدة عنه دون أن يستطيع أن يرقبها، أو يعتني بها، أو يراها تبتسم له وهي داخلة إلى غرفته. لقد كان الوقت الذي أمضاه معها أجمل أيام حياته. ولقد كان يتمنى لو أخذت الأمور منحى آخر، ولو أن تيدي كان أوفر صحة، وأن غوردون كان أقل سطوة وتسلطاً عليها. لقد كانت لديه آمانيات لا تعد ولا تحصى من أجلها، وكان يخشى ألا يتحقق أي منها.

بدأت الأيام القليلة الأخيرة لهما في المشفى تمر بسرعة الصوت. كانت نتائج اختباراتها جميعاً طيبة ولستعانت بعضاً من قوتها وعافيتها من جديد. لقد كانت أهلاً لمغادرة المشفى، وتم ترتيب وإعداد كل شيء لأجل ذلك. كان من المفترض أن يأتي غوردون من باريس كي يعيدها إلى النظار، ولكن في آخر دقيقة، أخبرهم أنه استخدم ممرضاً لتقوم بالرحلة معها بدلاً منه. قال إنه لديه أعباء كثيرة. ولكن إيزابيل أثرت ذلك، فلم تكن تريد لأحد أو لأي شيء أن يمنعها من البقاء مع بيل في ليلتها الأخيرة معه.

وتركتهما المرصلت وهدما في ليلتهما الأخيرة. لقد كادا في أمس الحاجة إلى بعض الوقت الهادئ معاً، ليكرنا على مقربة وبسلام معاً. لقد كانت مزمنة أن ترحل في الصباح وبيل سيغادر في الأسبوع التالي. فكان لا يزال لديه بضعة اختيارات أخيرة عليه أن يعملها.

قالت إيزابيل حزينة. 'يُصعب علي أن أتخيل أن أفارقك عدأً. ولوقت سريره، وتعاقنا بحرارة. لقد كانت تود لو تجد طريقة لينطارحا الغرام فيها، ولكنها لم تُرد أن تزعجه إذا لم ينجح الأمر وخاصة في ليلتهما الأخيرة. لم تكن لتتصور عودتها إلى غوردون الآن، وشعرت بالارتياح لأنها وغوردون حافظا على فجوة تباعد بينهما. بالكاد كانت تستطيع أن تتذكر كيف كانت حياتها مع غوردون، فقد كانت تشعر أنها متزوجة إلى بيل أكثر بكثير.

'أريدك أن تهتمي بنفسك يا حبيبتي'. قال لها وقد ضمها إليه أكثر. لقد استبدلوا له سداد العنق للضخم بأخر أصغر حجماً، فأمكنه أن يحرك رأسه قليلاً. لقد كان هذا يعطيه مجالاً لأن ينظر إليها بسهولة أكثر، وكان كل ما أمكنه أن يراه الآن هو النظرة في عينيها. لم يكن أحدهما في حاجة إلى كلمات ليبررا عما يشعران به. لقد عدت علاقتهما أقوى من ذلك بكثير، والآن ستردد مستأنة أكثر. كان عليهما أن يتعلما أن يعيشا دون أن يرى أحدهما الآخر كل يوم، دون أن يلمس كل منهما الآخر، دون يداها الحائيتان على كتفيه عندما يكون متعباً، أو ذراعه تحيط بها عندما تنغو. ولم تكن هي لتتصور ذلك ولكن كانت تترك أن كل هذا سيكون حقيقة واقعة في اليوم التالي عندما تخطو داخلة إلى منزلها في شارع رو دي غرينيل. ولقد تحطم فؤادها لمجرد فكرة فرقه.

'لا أستطيع ذلك'. همست بصوت ناعم والدموع تنهمر على خديها وهي مستلقية إلى جواره. 'لا أستطيع ذلك من دونك.'

'بيل تستطيعين. وسوف لن أكون أبعد من الهاتف بالنسبة إليك'. ولكن كان كلامها يعرف أن الأمر سيكون مختلفاً الآن. وانتابها شعور غريب حول

رجوعها إلى غوردون. لقد كان قاسياً بارداً معها على الهاتف مما جعلها تترك أنه سيعاقبها بسبب التجاوزات التي ارتكبتها، وعلى وجودها مع بيل عندما وقع الحادث. وكان ما كان قد حدث تلك الليلة لم يكن عقاباً كافياً. ولقد صدق حدسها في أنه كان حانقاً عليها لأنها كانت مع بيل في السيارة، وكل ما كان يعنيه ذلك، وما يدل عليه الآن.

استلقيا هناك في صمت ولوقت طويل يراقبان النيزر في سماء الليل. وبسرعان ما انبج الصبح عليهما. لقد رقدا في السرير معاً لأخر بضع دقائق يمشيان معاً، ودخلت ممرضة لتتذكر إيزابيل أن عليها أن تستيقظ. فاستمعت وارتدت ملابسها وجلست إلى مائدة الفطور مع بيل. ولكن لم يستطع أي منهما أن يأكل شيئاً. لقد جلسا وراحا يتبادلان النظر، في حين راحت إيزابيل تتشجج بالكاء، ثم عاقتة وقد راح يعزبها ويشجعها.

'سأكون على ما يرام يا إيزابيل. سوف أتصل بك الليلة'. قال لها وتمالك نفسه وانكفا إلى الخلف. 'لا تبكي يا حبيبتي...'. لقد بدت كطفلة محطمة الفؤاد، وكانت كذلك حقاً بشكل أو بآخر. فأن تقارقه كان أصعب بكثير من أن تترك منزلها. لقد كان مصدر العزاء والحب الوحيد في حياتها.

كان غوردون قد أرسل لها بعض الثياب من باريس: طقم بسيط أسود اللون من ماركة شانيل قد ارتدته الآن، وحذاء جلدي أسود شعرت أنه واسع على قدميها. لقد فقدت الكثير من الوزن، وتغير شكل جسدها. وكانت نحيفة مشوقة القوام، ولكن بيل رآها الآن أجمل بكثير من أي وقت مضى. لقد كانت قد سرحت شعرها إلى الخلف على شكل ذيل القرس، ولم تكن قد وضعت شيئاً من المكياج، ولكن أحمر شفاه فحسب. ورويته لها على ذلك الشكل نكوه بها وعندما وصلا إلى لندن في حزيران، وذلك في أول يوم عندما خرجا للفداء، وإلى بار هاري تلك الليلة. لقد حدثت أمور كثيرة، واجتازا جسوراً عديدة. ما كان أحد يصدق أنهما قد كادا يصلان على حد الموت، ثم وجد كل منهما الآخر من جديد. والآن قاربت أحلامهما على الانتهاء. كان يجب أن يعودا إلى

الفصل الثاني عشر

العالم الحقيقي، العالم الذي ما كان ليكنهما فيه أن يكونا معاً، وفي الواقع سيفترقان عن بعضهما بعضاً مدى العمر.

'لتسبه جيداً إلى نفسك'. قالت له وهي تعانقه بشدة. 'عد إلي سريعاً'. همست له في حين لبس لها وسط عينيه الحزبتين. 'ولا تنس كم أحبك'.

كوني قوية يا إيزابيل... أنا أيضاً أحبك" قال لها وهو يشعر وكأن جزءاً يُنزع منه. مشت بشجاعة وثبات نحو الباب، ثم توقفت، ونظرت إليه للمرة الأخيرة وابتسمت وسط الدموع، وخرجت من الغرفة.

شكرت الممرضات، وودعت كلا الطبييين اللذين جاءا لإلقاء تحية الوداع عليها، ووقفت الممرضة التي استخدمها غوردون لأجل الرحلة على مقربة منها لكي تساعد إذا ما سقطت أو تهافت، ورافقتها إلى المصعد. وأثناء ذلك، كان كل ما تمنناه هو أن تعود أترجها إلى الغرفة لتعيد عقارب الساعة إلى السوراء، لتعود إلى الغيبوبة إذا لزم الأمر، وذلك فقط كي تبقى معه. صعدت إلى المصعد وقد طأطأت رأسها، ولمنكن للجميع أن يروها تبكي فيما لوحوا لها وأغلقت الأبواب.

لم يدخل أحد إلى غرفة بيل بعد أن غادرت إيزابيل، وذلك احتراماً له. لم يسه أحد يبكي، أو ينظر بعينيه إلى السقف ونظرة من الألم المبرح تبدو قبيها وهو يفكر فيها. ولو كان قد أصفى أحد من خلف الباب إليه لسمعه يتشجج بالسبكاء لبرهة. لقد كان صوت أمل يحتضر وأحلام ضائعة. كان صوت رجل عرف أنه لن يرى أبداً المرأة التي أحبها ثانية. وعندما دخلت الممرضات عليه في نهاية الأمر بعد ساعت كان قد بكى إلى أن غلبه النعاس فنام.

حطت الطائرة التي حجزت عليها سكرتيرة غوردون مقعداً لإيزابيل في مطار شارل دي غول بعد الساعة الثانية بقليل. لم يكن معها الكثير من المتاع، بل حقيبة صغيرة وحيدة مع عدة المكياج وبضعة كتب وبعض الصور لأولادها ولبيبل. لم تجمع أي مقتنيات شخصية وهي في المشفى، وبنظرة إلى جواز سفرها، أشار لها موظف الهجرة بالمرور. لم يكن هناك من ينتظرها، فقوردون لم يأت، ولم يخبر صوفي عن رقم الرحلة التي ستكون والنهتأ على منتها.

في الوقت الذي استقلت فيه السيارة التي كان غوردون قد أرسلها لها، كانت في غلبة للدهشة من شدة الإرهاق الذي شعرت به. فبالكاد كانت تستطيع أن تسفل خطأها. كانت تعرف أن بعض هذا الإنهالك يعود إلى سبب عاطفي، ومن ناحية أخرى فقد كان تغييراً هائلاً عليها التأقلم معه وقد عادت الآن إلى العالم من جديد. وكتبها الممرضة في المطار وهي على كرسي متدولب، حيث كانت إيزابيل تجلس في هدوء تفكر في بيل. وقد حاولت أن تتصل به قبل أن تركب السيارة، ولكن الممرضات في لندن قلن لها أنه كان نائماً. لم ترد أن توقظه، وبطبيعة الحال لم يكن لديها ما تخبره به، سوى أنها تحبه وأنها تمقت أن تكون بعيدة عنه. لقد بدأت لتوها تشعر بالوحدة والعزلة والاشتباق إليه، مع أنها لم تصل إلى البيت بعد. وكانت بالمقابل تعلم أنها ستكون سعيدة لرؤية أولادها من جديد ما أن تصل إلى المنزل.

تحدثت إليها الممرضة بعض الشيء خلال رحلة الطريق إلى باريس. لقد كانوا قد استخدموها في المشفى، وكانت تعمل كممرضة شخصية. كانوا قد حجزوا لها كي تعود إلى لندن الساعة السادسة من تلك الليلة. لقد كانت مجرد

جليسة أطفال خلال رحلة الطريق كما كان قد قال بيل، وقد ظن أنها فكرة جيدة ألا يرافقتها غوردون. فإن شعرت إيزابيل بالدوار، أو سقطت أرضاً، أو خافت أو ارتبكت فمن الأفضل لها والحالة هذه ألا تكون وحدها. لقد كانت مريضة منذ وقت طويل وتحملت صدمة كبيرة. سألتها تلك المرأة بضعة أسئلة تتعلق بالحادث، قرأت مخطط للرحلة، ومن ثم التزمت بالصمت، وقرأت كتاباً في الطائرة.

كانت إيزابيل تشعر بالاكئاب على نحو غريب فيما كانت السيارة تسير بهما إلى البلدة. لم تكن متشوقة لرؤية باريس من جديد، وعندما رأته برج إيفل لم تشعر بأنه يعني لها أي شيء. لقد كانت تريد أن تكون على الجانب الآخر من القنال الإنكليزي، في المشفى مع بيل. وحملت نفسها على التفكير في تبدي وصوفي عندما وصلا إلى باريس وعبرا إلى الضفة اليسرى. وشعرت بالإثارة بشكل مفاجئ وغريب عندما تعطلت السيارة بهما إلى شارع رو دي غرينيل. كل ما أمكنها أن تفكر به الآن هو أولادها، وما كانت تطيق صبراً لتزامم من جديد، وفي نفس الوقت لجتاحتها شعور غامر بالاشتياق والحزن وهي تفكر في بيل.

كانت الأبواب السروازية للضخمة المادية إلى اللقاء مفتوحة، في انتظارها. وكان الحارس يتربص السيارة، وإذا دخلت السيارة إلى الفناء، نظرت إيزابيل إلى الأعلى باتجاه المنزل. لم تستطع أن ترى أحداً ولكن غرف الأولاد كانت في مواجهة الحديقة، مثل غرفها تماماً، ولم تكن لتتوقع وجود غوردون في المنزل في ذلك الوقت من النهار. لقد أخبرها أنه سيكون في المنزل الساعة السادسة، وكان يومه حافلاً بالمواعيد في مكتبه، وقالت له بأنها تتفهم ذلك. لقد كان يشعر بتفوق أكبر إذا تجنب أن يكون هناك لدى وصولها أو أن يأخذها بالسيارة أو يلاقيها. لقد كانت هذه طريقته يظهر لها أنها لم تكن لتتحكم به وسوف لن يكون لها ذلك أبداً. ولم يكن هناك أحد في استقبالها فيما ترجلت من السيارة.

لأحني الحارس ولمس بيده قبعته دون أن يتقوه بكلمة، وأومات له، ودار السائق بالسيارة، في حين تبعتها الممرضة صاعدة الدرجات القليلة المؤدية إلى المنزل.

قرعت إيزابيل الجرس، ولم تتلقَ جواباً للقبعة، ثم ظهرت جوزفين، مديرة المنزل. وما أن لمحت إيزابيل حتى انفجرت بالدموع وارتمت عليها تعانقها.

'آه، سيدتي... لقد كانت نظن أن إيزابيل سوف تموت، وكانت سعيدة لرؤيتها الآن بدون تكلف. لقد كانت معها طوال سنين حياة إيزابيل الزوجية. ومسحت عينيها في حين عانقتها إيزابيل وهي تبسم.

تسرنى رويك'. قالت إيزابيل ذلك ودخلت إلى الردهة المألوفة، وأجالت الطرف حولها. لقد بنت مختلفة عما كانت تتكلمها. بنت أكبر، وشاحبة أكثر، ومشيئة للحزن أكثر نوعاً ما. غريب كيف أن الدماغ يخدع المرء، ولكن ما عاد البيت يُشعرُ بالراحة. لقد بدا غريباً، وكأنها دخلت إلى المنزل الخطأ. وتساملت هل الحادث والإصابة التي تعرضت لها في رأسها جعلها تشعران على ذلك النحو، أم أن الأمر كان حقيقياً. لقد غابت لفترة طويلة، فقد مضى أكثر من شهرين على رحيلها لتضفي يومين في لندن في شهر حزيران. أشياء كثيرة قد حدثت، وبدا كل شيء غريباً بالنسبة لها وقد عادت الآن. لقد كانت تشعر بأنها ما عادت لتتنتمي إلى هذا المكان، وما عادت تريد هذا الانتماء إلى ذلك المنزل في شارع رو دي غرينيل. والشيء الوحيد الذي أبقاها هناك كان أولادها.

شكرت الممرضة على إحصارها لها إلى المنزل، وتركتها مع جوزفين، وسارت في سؤدة وصعدت السلام لتزى أولادها. وفتت على قمة السلام لسبرهة لتلقط أنفاسها، وأمكنها أن تسمع أصواتاً في البعيد. ولوهلة خبا كل ما حولها ما عدا صوت ابنها. لقد أمكنها أن تسمعه يتحدث إلى أحد ما، وبخطى صامتة سارت نحو غرفته وفتحت الباب.

لم يرها تبدي لأول وهلة، إذ كان مستلقياً على سريره، ويتحدث إلى ممرضته المفضلة، مرتاً، واستطاعت إيزابيل أن تسمع دون أن تراه وشعرته أنه كان متعباً ومكتئباً. لم تقل له أي كلمة تنبيه، بل دخلت الغرفة وهي تبسم.

نظر إليها لأول وهلة وكأنه لم يستطع فهم ما حدث ثم أطلق صرخة هتاف كبيرة من الطرب وفقر من على سريره وركض نحوها. وضمتها بشدة حتى كاد أن يوقعها أرضاً.

'مامسا، لقد عدت'. لقد كان يعانقها ويضمها ويشدها إليه ويقبّلها بشدة، حتى شعرت أنهما على وشك أن يتهلوبا على الأرض كلاهما، وحاولت أن تتمالك نفسها لسئلاً يسقطاً، في حين نبهته الممرضة أن يبدأ قليلاً. وكانت معانقتها له على هذا النحو والإحساس به ولمسه وشم رائحة شعره النضرة العطرة كغيلة تجعلها تترف الدموع من عينيها.

'يا الله، لقد اشتقتُ إليك كثيراً... لا أصدق ذلك... تبدي، أنا أحيك...'. لقد كانت كمثل أم مع جرو صغير، في حين كان يسحبها ويشدها، ويقبّلها، ويبيدي مدى محبته لها. وشعرت فجأة كم أنها كانت مشتاقة إليه، وعندما انتزعت نفسها منه قليلاً وجلست على سريره وهي لا تزال تمسك ببنيده، لمكنها أن ترى كم كان شاحباً. لقد كان هزياً أكثر مما سبق وبدأ ضعيفاً أكثر منه عندما رحلت، وشرع يسعل عندما جلس إلى جانبها على السرير، ورأت كم كان يصعب عليه أن يتوقف عن السعال أو أن يتنفس.

نظرت إيزابيل إلى الممرضة، وكانت الدموع على وجنتيها وهي تراقبهما أمامها. ولكن لم الصببي أمكنها أن تترك من كمية مجموعات عذب حبوب الدواء والعقاقير الدوائية إلى جانب سريره أنه لم يكن على ما يرام. لقد كان في حال جيدة عندما تركته. ولكن تبدلت حالته جذرياً للأسوأ خلال الشهرين الماضيين.

'سأذا تفعل في سريرك في مثل هذه الساعة؟' سألتها، وقد بدا القلق في

عينيها، فابتسم لها مسروراً وهو يسحب نفسه إلى الخلف على السرير ويستند إلى الوسائد وينظر إليها.

'لم يسمح لي الطبيب بالنهوض'. قال وكان الأمر برمته لم يكن بذي أهمية. فإذا إنها الآن في المنزل ما عاد أباه لمدى مرضه. قلت له أن هذا من الصلابة. لقد أردت أن أخرج إلى الحديقة البارحة، ولكن صوفي لم تسمح لي. إنها أسخف منك حتى، فهي تلقط طوال الوقت. ولا تسمح لي بأن أفعل أي شيء على الإطلاق.

'هذا يبدو معقولاً'. قالت الأم وهي تبسم في وجهه بارتياح. يبدو أنها اعتقدت بك كثيراً من أجلي خلال فترة غيابي.

'أنت على ما يرام؟' سألتها، وقد بدا قلقاً. كان قد توقف عن السعال، ولكن عندما نظرت إليه عن كثب أكثر رأيت رجفة في بنيده. وتوقعت أن يكون ذلك من جراء إحدى الأدوية التي كان يأخذها، ولكن لم يرق لها ذلك على كل حال. لقد كانت بعض أجهزة التنفس التي كان يأخذها قبلاً تسبب له ارتعاشاً وارتجافاً. وكانت إيزابيل تكره في هذه الأدوية تأثيرها الشديد على قلبه. ولكن صوفي ما كانت تعرف ذلك، وكانت إيزابيل متأكدة بأنها قد قامت بعمل جيد. قال بابا أنك كنت في غيبوبة، ثم أنك استيقظت، وها أنت على ما يرام.

'هذا صحيح إلى حد ما، ولكن لم يكن الأمر بهذه السرعة التي تتصور. ولكني بخير الآن.'

'كيف كانت الغيبوبة؟ هل كانت جميلة؟' سألتها وفي عينيها نظرة حزن غريبة. 'هل تتذكرينها؟'

'لا. لا أنكر. ما أنكره فقط هو حلم وحيد رأيته، وكنت أنت فيه. كان هناك ضوء سامع وكنت أتجه إليه، وأنت جعلتني أرجع، وها قد فعلت'. لقد كان نفس الحلم الذي رآه بيل وتحدثنا عنه مرات عديدة. ولكن لم تكن لتستطيع أن تخبره عن بيل. وشعرت بألم الشوق له الآن وهي تفكر فيه. لقد كانت

تتمنى لو أمكنه رؤية تبدي، فقد تحدثنا عنه كثيراً، وبدأ من غير الإنصاف إلا بقلتها، رغم أنها كانت ترجو أن يحدث هذا يوماً ما.

هل تألمت كثيراً؟ لقد كان في غاية القلق عليها، لقد بدأ كالأمير الصغير في كتاب سانت إكزوبيري، فيما جلس على سريرهِ وضاعاً رجلاً على رجلٍ، وشعره الحريري المجدد الناعم يحيط بوجهه. لقد بدأ أصغر بكثير من سنه. لقد كان في الرابعة عشرة من عمره، ولم يشن له الذهاب إلى المدرسة، وكان قلماً يعاندر المنزل، ولم يكن له أصدقاء. كل ما لديه كان صوفي ووالديه. وكان اعتماده الكبير على إيزابيل دائماً.

تألمت في البداية، وبعد ذلك استرحت كفاية، وأجريت اختبارات، وأخذت أدوية، وتحسنت وهكذا استطعت أن أجيء إليك في المنزل.

لقد اشتقت إليك. قال ببساطة، ولم تكن كلماته لتصف لها كم كان مشتاقاً لها وخائفاً أن يفقدها إلى الأبد.

وأنا أيضاً اشتقت إليك. ونظرت إيزابيل حولها عندئذ وهي تجلس إلى السرير. شعرت بالارتياح في هذه الغرفة أكثر بكثير منها في الودعة الأمامية أو حتى في غرفتها. فقد كانت هذه الغرفة هي المكان الذي تمضي فيه وقتها دائماً عندما تكون في المنزل. أين صوفي؟

أدبها بعض المهمات تنجزها لنا. سوف تعود إلى الجامعة الأسبوع المقبل. فصناً لك عدت إلى المنزل. لقد كان باباً خارجاً طوال الوقت، وكانت صوفي منزعة من ذلك.

إنما سوف يكون لك ولي متسع من الوقت للقراءة، وللمعمل في اللوحات التركيبية. فيما أن الجميع مشغولون سيكون لدينا وقت أكثر نكون فيه معاً وحدنا، أليس كذلك؟ قالت ذلك وهي تبدو غير مهالبة بما قاله عن غياب غوردون، ولكنها لم تكف عن التفكير أين غوردون يذهب. وكانت تعلم أيضاً أن هذا ما فهمه تبدي، ولكن ربما لم يتعجب غوردون خارج المنزل بالقدر الذي يظنه تبدي.

لقد كنا يتحدثان ويضحكان ويتعاقبان عندما خلعت صوفي داخلة إلى الغرفة تحمل كسرة من المجلات من أجل تبدي، وأطلقت صيحة صغيرة عندما رأت أنها مستيقية في السرير إلى جانبه.

أمسا. وركضت نحوها وكانت ترمي بنفسها عليها، ثم خضيت فجأة أن تكون قد ألمتها. وعلى نفس هيئة أحيها، فقد بدت أنها ضعيفة سهلة العكس. تبدين نحيفة جداً.

كان الطعام في المشفى مرعباً. وابتسمت إيزابيل لها. لم تخبرها أنها وفي مناسبات عديدة قد حصلت وبيل على وجبات جيدة قد أرسلت لهما. ولكنها لم تكن تجوع، وكانت شهيبتها للطعام ضعيفة جداً هذه الأيام. وكانت التياب فضفاضة عليها.

هل تشعرين أنك على ما يرام؟ سألتها صوفي قلقة. لقد غدت الشخص الذي يعنى بالعائلة في غياب والدتها في المشفى في لندن.

أنا بألف خير الآن إذ أستطيع أن أراكما كلاكما من جديد. وابتسمت إيزابيل مبتهجة وكانا هما أيضاً مسرورين. ولمضت إيزابيل معها ساعة أخرى قبل أن تعود إلى غرفتها كي تستلقي قليلاً. لقد كانت منهكة للغاية، وقالت لها مرثاً، ممرضة تبدي، أنها ستفقداهما.

استلقت إيزابيل في سريرها، وخلعت حذاءها، وراحت تجول بنظرها في أرجاء الغرفة وهي مستيقية هناك. لقد كانت الغرفة كلها مليئة بالحرير ذي الزخارف الوردية الدقيقة الباهتة. كانت هناك ورود زهرية وبيضاء وأرجوانية شاحبة على خلفية عاجية اللون. والأثاث في أرجاء الغرفة كان يعود إلى عهد الملك لويس الخامس عشر. وعموماً كانت تشعر بالارتياح لكونها هناك، وشعرت أنها بصحة وعافية من جديد الآن وقد رأت أولادها. ولكن في نفس الوقت كان جزء من قلبها في حالة شوق فقد كان يفكرها شوق كبير إلى بيل. وهذا جعلها تشعر بالخوف. لقد كانا رابطي الجأش عندما افتراقا، ولكن لم تكن لديها أدنى فكرة متى يلتقيان من جديد. لقد اشتاقت لسماح

لأجله، ولكن كانت حاجته كبيرة، وكان يجب أن يكون موضع عناية ومراقبة دائمة. لقد كانت حياة من البيضة الدائمة حيث لا يجد فيها أولئك الذين يهتمون به الراحة. "أنا أسفة لأني تأخرت كثيراً حتى عدت إلى المنزل" قالت إيزابيل برفقة.

"تكفني سروراً أنك على قيد الحياة" قالت لها صوفي بانتسامة متعبة. "أريدك أن تستريحي الآن". قالت لها إيزابيل وقد بدت قلقة عليها. 'ساعد إلى العناية بتيدي من جديد غداً. وأريدك أن تستمتعي وتلهي قليلاً قبل أن تعودى إلى العسفة". وإذا أصبحت صوفي هذه المرة، بدت كفتاة من جديد. لم تُرد أن تتشكى أو أن تخبر أمها كم كانت صعبة تلك الفترة وكم شعرت بالوحدة فيها. فمما كان حولها من تتحدث إليه أو تشاطره مخاوفها، ما عدا أصواتها عندما كانوا يتصلون بها. وقد جاؤوا لزيارتها من حين إلى آخر، ولكن بعد بضعة أسابيع تعبوا من تفقيدها الشديد. وكان أصدقواها يعيدون عنها معظم المسيف. لقد كان هذان الشهران طويلاً قاسيين وحافلين بالوحدة والعزلة بالنسبة لها. ولم يقدم لها والدها أية معونة. لقد بدأ وكأنه لم يشأ أن يحرف شيئاً عن تيدي. لقد كان لديه زوجة مريضة، وابن مريض، وحياة خاصة به. كان نادراً ما يتحدث إلى صوفي في غياب أمها، وشعرت بنفسها وكأنها مستخدمة مثقلة بأعباء العمل أكثر منها ابنة.

نهضت إيزابيل، وغسلت وجهها، وسرحت شعرها، وفكرت أن تتصل ببيبل، ولكنها فكرت أنه لن يكون لديها متسع من الوقت قبل أن يصل غوردون إلى المنزل. فقد تبين أنه كان يأتي إلى المنزل الساعة السابعة فقط. كانت إيزابيل في غرفة تيدي، تقرأ له كتاباً، عندما رأت هيئة رجل طويل داكن يمر. لا بد أنه مئير صوتها، ولكنه اكتفى بأن يعبر دون أن يتوقف ليلقى نظرة إلى الغرفة أو أن يحييها.

أنهت إيزابيل الصفحة، وألقت الكتاب جانباً. كان تيدي قد تناول طعام عشائه على صينية قبل ساعة، وكان متعباً من المشاعر والعواطف التي

صوته، ورويته يبتسم لها، أو يلمس يدها، وشعرت بالوحدة الآن في هذا المنزل الذي كانت تعيش فيه مع ولديها ومع زوج غداً غريباً بالنسبة لها منذ وقت طويل.

لقد كانت تنوي أن تستريح لبضع دقائق وحسب، ولكن للناس عليها رغباً عنها، ولم تستيقظ إلا عندما دخلت صوفي إلى الغرفة ولمست كتفها برفق.

"أنت بخير يا ماما؟" لقد نضجت كثيراً خلال هذا الصيف، وبدت كما لو أنها قفزت من الطفولة إلى مرحلة الرشد بكل أعيانها. وإذا أصغت إليها شعرت أنها غدت والدة الآن أكثر منها ابنة. تقلبت إيزابيل في سريرها واستلقت على ظهرها ونظرت إليها وهي تبسم. ودون أن تقول شيئاً، شعرت بحميمية جديدة بينهما.

"أنا بخير يا حبيبتي. لا بد أنني غفوت. إنني متعبة قليلاً فقط."

"لا تدعي تيدي يرفهك، إنه في غاية السرور لرؤيتك، إنه يشبه جرواً كبيراً. لقد أصابته الحمى من جديد خلال بضعة الأيام السابقة". قالت صوفي وهي تبدو قلقة.

"إنه يبدو نحيلاً هزياً جداً". علقت إيزابيل وهي ترتب السرير إلى جانبها كي تجلس صوفي إلى جوارها.

"ولنت أيضاً". قالت صوفي وهي تنظر إلى والديها عن كثب. لقد بدت مختلفة عما كانت عليه قبلاً، وكان أمراً جليلاً حدث لها. وقد كان كذلك بقليل. لقد شارفت على الموت ثم ولدت من جديد. وأحببت رجلاً رائعاً جداً حقاً. لقد كانت التغييرات التي طرأت عليها بادية حتى لابنتها التي تبلغ الثامنة عشرة من العمر.

"لقد أحسنت صديعاً مع تيدي". أظرت عليها إيزابيل، وقد كانت تستحق الشفاء فعلاً. لقد كانت تعرف حق المعرفة أن الاعتناء بطفل مريض كتيدي كان عملاً ليس سهلاً. كان محبباً ودائماً يقدر الأشياء التي كان الناس يعلمونها

اعتلمت في نفسه لروية ولذته من جديد. وكانت صوفي قد خرجت من
 أصدقائها لقضاء المساء خارج المنزل لأول مرة خلال شهرين. وبعد أن قبضت
 سيدي برقة على خده ووعته بأن تعود إليه، سارت إيزابيل في الردهة بهبوط
 كي ترى زوجها. عندما وجته، كان غوردون في غرفة الملابس الخاصة به
 يجسري اتصالاً هاتفياً، بدا مندشاً لرويتها هناك، وكأنه نسي أنها كانت عاتية
 إلى المنزل. كانت تعلم أن هذا غير ممكن، ولكن كان هذا أسلوبه ألا يحدث
 جنبة عند الوصول أو المغادرة. كان قلما يلقي عليهم تحية الوداع عندما يذهب
 في رحلة ماء، ولا يفعل ذلك عندما يذهب إلى مكتبه صباحاً، وعندما كان يعود،
 كان يذهب عادة إلى غرفته فيرتاح قليلاً قبل أن يذهب لروية إيزابيل وأولاده.
 ولم يكن في هذه الليلة مختلفاً عن باقي الأيام. لقد أصاب في تخمينه أنها كانت
 مع تيدي، وعرف أنه سيراهما في الوقت المناسب. لقد كان واضحاً أنه لم يكن
 على عجلة.

"كيف كانت رحلتك؟" سألتها وهو يتنسم لها من على بعد. لم تدر منه أية
 حركة تعبر عن رغبته أن يخطو نحوها حيث وقفت بحذر في مدخل الغرفة.

"عظيمة". لقد بدا وكأن الشهرين الماضيين لم يكونا. شعرت فجأة وكأنها
 قد غابت ليومين فقط، ولم ينتبه إلى أنها قد غابت لشهرين وأوشكت على
 الموت خلال غيابها. فهي لم تره منذ أن غادرت إلى باريس، ذلك لأنها كانت
 غائبة عن الوعي عندما زارها في المشفى في لندن. "كانت الممرضة معونة.
 وكان من الصعب أن أسافر بدونها. ويبدو الأولاد في حال جيدة". قالت إيزابيل
 بهدوء، وطبعاً ما قالته كان صحيحاً إذا ما أهملنا حقيقة أن تيدي قد فقد وزناً
 وكان يعرض للحصى، وأن صوفي قد كبرت خمس سنوات خلال شهرين وقيما
 عدا ذلك كان كل شيء "عظيماً". ولكنها كانت تعلم أنه ما كان ليود أن يسمع
 ذلك. فبالنسبة لغوردون، إن الأمور التي تتعلق بالأولاد والمنزل لم تكن ضمن
 دائرة اهتمامه أو اهتمامه.

كسيف حاله؟" بدا قلقاً وهو يسألها عن ذلك، وهذا ما أدهشها. لقد كانت

تتوقع منه أن يريد منها أن تدعي أنها لم تكن مريضة على الإطلاق. فقد كان
 يكره كثيراً المرض والناس الذين يمرضون، وكانها علامة ضعف أن يمرض
 الناس. وكان كلاهما يعرف أن المرض بكل أشكاله كان يذكره بوالدته وألمه
 عليها. ففي فكره، كانت طفولته كلها معوقة ومقيدة بسبب مرضها.

"أشعر أنني بخير. متعبة فقط. أعتقد أن الأمر سيستغرق مني بعض
 الوقت لأعود على سجليتي من جديد". كان عليها أن ترى لخصاصياً في
 الأسبوع القادم من أجل قلبها وكبدتها، وكان الطبيب قد حذرها أنها إذا ما عانت
 من صداع، ولو بشكل معتدل، فقلها أن ترى طبيباً في الحال. وتوقع الطبيب
 في لندن أن تُشفى بشكل كامل خلال سنة، إن لم يكن أكثر.

"تبدسين على ما يرام". قال غوردون مبتهجاً وهو يتمنى لو كانت كذلك.
 فلأسباب عديدة كان يتمنى لو أن الشهرين الماضيين لم يمرآ. وكان لا يزال
 متمسكاً عن أن يهنئ لبعاتها أو يقبلها. ولم يقرب نحوها وهما يتحدثان. لقد
 كان مختلفاً عن بيل كثيراً. ومن جديد راحت تتساءل إذا ما كان غوردون
 غاضباً منها. لقد كان يعرف بصداقتها معه، وقال لها بيل أن غوردون قد
 طرده من غرفتها. ولكنه لم يوجه إليها أي سؤال، ولم يذكره أمامها. لقد كانت
 تعرف أن بيل رويشون قد أصبح موضوعاً محظراً كلياً ذكره بينهما. ما كان
 غوردون في حاجة لأن يحترها، كانت تترك هذا. "هل تناولت العشاء؟" سألتها
 في برود.

هزّت رأسها، ومع هذا شعرت بدوار خفيف صارت تشعر به كثيراً في
 هكذا أحوال. يجب عليها أن تتذكر ألا تقوم بأي حركة مفاجئة برأسها، لفترة
 على الأقل. ليس بعد. لقد كنتُ للنظرك. تيدي تناول طعامه وصوفي خرجت
 مع أصدقائها. فقلبت غوردون حاجبيه إذ قالت ذلك.

"لمد كنت أفترض أنك تحتاجين إلى النوم عندما تصلين يا إيزابيل. فقد
 كان يومك هذا طويلاً، وهو أول يوم تمضيته خارج المشفى. لدي عشاء عمل
 الليلة مع صويل هام من بانغوك".

"حسناً". وابتسمت له. كانت لا تزال واقفة قرب مدخل الغرفة. لم يدعوها للدخول فعلياً، وكان من اللامعيات التي تحترمها. لقد كان يوضح للجميع أنه لا يسمح لأحد بدخول غرفته ما لم يدعوه هو، وكان هذا ينطبق عليها أيضاً. سأطلب من جوزفين أن تأتني بالطعام على سبيلية. ولست جائعة على كل حال". ما كانت تحتاج إليه هو بعض الحساء أو ربما توست وبيض.

فكسرة جيدة. سوف نتناول معاً طعام العشاء غداً. في الماضي ما كنت لتستغرب عاداته ألا يحدث جلبة عندما تعود من غيب طويل. أما الآن وقد عرفت بيل بشكل حميمي ورئت كيف كان يعاملها، فقد أخطت لرؤية غوردون على تلك النحو من البعد والجفاء والبرودة. فيا للفرقة الكبيرة بين الرجلين. لم يكن هناك أي اعتبار لمرضها، أو إصغاء لسلامتها، أو ورود. بل إنه حتى لم يأت ويعانقها قبل أن تغادر غرفته بهدوء. وكانت تعلم أنها سوف لن تراه من جديد تلك الليلة. وقد تعجبت في الواقع عندما توقف لرؤيتها دقيقة في طريقه خارجاً. كان يرتدي بذلة زرقاء غامقة، وقميصاً أبيض، وربطة عنق بلون أزرق بحري من ماركة هيرميس، ويضع بعض الكولونيا. لقد بدا وكأنه ذاهب إلى حفلة عشاء، ولكنها لم تسأله عن ذلك.

"هل أكلت؟" كان هذا السؤال علامة جزع غير مألوف، وقد تأثرت بهذه البادرة. لقد كانت هي فتاة المشاعر المتيقية من أيام الماضي السحيق حيث كان الرضى والموودة سائدة بينهما.

لقد تناولت ببطناً وبعض الحساء". قالت بلهافة، ولو ما برأسه.

"خذي قسطاً من الراحة. لا تسهرى مع نيدى الليلة. فلديه مرضة تهتم بهذا الأمر". لقد كانت تود أن تبقى مع نيدى، ولكنها شعرت بأنها لا تستطيع السهر بعد.

لقد نام لتوه". قالت لغوردون. لقد اطمأنت بنفسها عليه لتوها، ثم عادت إلى سريرها قبل أن يدخل غوردون ويتحدث إليها.

"من الحكمة أن تعقلى أنت أيضاً كذلك". قال لها وأيضاً دون أن يقترب

من سريرها. لقد كان نادراً ما يلمسها، ولم يعانقها البتة أو يقبلها منذ سنين، وكان يحافظ على تباعد ملحوظ بينهما عندما يكونان في نفس الغرفة. الوقت الوحيد الذي كان فيه محبباً عاطفياً معها هو عندما كانا معاً علاتية. فقبل سنين كانت تتخددع بذلك، معتقدة أنه أصبح أكثر مودة واهتماماً، ثم، عندما يعودان إلى المنزل يرجع إلى برويته معها حالما يغلقان باب غرفة نومهما. كان من أصعب الأمور بالنسبة لغوردون أن يكون على علاقة حميمة مع أي كان في هذا للعالم، وبهذا كان على النقيض من إيزابيل، التي كانت دافئة، عاطفية، ومحبة. وكان أيضاً بذلك على بعد سنوات ضوئية مما قد اختبرت لتوها مع بيل، الذي كان دائماً يرغب في أن يمسك بها ويمسها ويعانقها. "أراك غداً". قال لها غوردون وقد تردد قليلاً. ولوهلة ظنت أنه قد يقترب أكثر فيدخل إلى غرفتها، ويدنو منها. ولكنه، وبدون أن ينطق بكلمة أخرى، استدار على عقبه وغادر المكان. لم يكن هذا هو نوع الزواج الذي كانت قد حملت به، ولكن لم يكن من فائدة أو داع للتفكير بذلك الآن، فقد كان هذا هو الزواج الوحيد في حياتها. وما كان عليها الآن إلا أن تتألم من جديد معه، بعد تلك الأشهر التي أمضتها مع بيل. ولم يكن هذا بالأمر السهل.

بعد أن غادر غوردون ببضع دقائق، رفعت إيزابيل السماعة واتصلت بلسدن. وعندما أجاب عامل المقسم طلبت أن تتحدث إلى بيل. لقد بدا مكتئباً عندما رد على الهاتف، وإذا سمع صوتها على الطرف الآخر من الخط أشرق وجهه بالابتهاج.

"لقد كنت مستلقياً هنا أفكر فيك". قال لها ببساطة، وكانت نبرة صوته تتأقن تماماً تحية غوردون لها. كيف حال الأولاد؟

"بخير". وابتسمت لسماعه. لقد بدا وكأنه زوج مسافر يطمئن عن يومها. لقد كانا مسرورين جداً لرؤيتي. والمسكينة صوفي تبدو منهكة".

كيف نيدى؟

تحسناً جداً. وقد عادت إليه الحمى من جديد. ولكنه بدا في حال أفضل

هذه الليلة. سوف أمضي نهار الغد معه.

"لا ترهقي نفسك. فأنت لست في كامل قوتك وعافيتك بعد."

"أعلم يا حبيبتي. كيف كان يومك؟" لقد كان مريحاً بالنسبة له، ولكنه لم يصارحها بذلك. لقد كان يشعر بالوحدة طوال النهار بعد أن رحلت، ولكنه كان يعرف أن عليه أن يعتاد على الأمر. فكل ما تبقى لهما الآن هو مكالمات هاتفية وحسب، كما في الأيام الخوالي. ولكن بعد حوالي شهرين من العيش معاً تقريباً، صارت الاتصالات الهاتفية لا تسد رمقهما. لقد كانا يشاققان إلى الغفء والحميمية التي كانا يعيشانها معاً.

"كان لا بأس به." قال لها وقد كذب عليها. لقد اشقت إليك.. إنهم يحاولون إعدادي للمغادرة الأسبوع المقبل. وأشعر كما لو كنت أستعد لشن معركة. فقد كان ذاهباً إلى مركز إعادة التأهيل البدني ذي البرنامج الأشد قساسة، ذلك لأنه كان يعتقد أنهم سيحاولون الحصول على أفضل النتائج. لقد كان مستقبلي يعتمد على ذلك، بل ربما مستقبلهما أيضاً. ورغم ما قد قالوه له عن مساقبه في لندن، إلا أنه كان متفانلاً. لقد كان لا يزال متأكداً أنه سيكون للأطباء في الولايات المتحدة رأي آخر. لقد كان لديه ثقة أكبر بهم.

راحا يتحدثان لبرهة عن عودتها إلى منزلها، وعن الأولاد، وأخيراً عن جين. قد اتصلت به بعد ظهر ذلك اليوم وهذا ما أبعج نفسه بعض الشيء. ولم يسألها عن غوردون إلا في نهاية المكالمة.

"كيف كان معك؟"

"كان غوردون. لقد كان كما هو. جاء متأخراً من المكتب، وهو خارج المنزل هذه الليلة. وهذا لا يهمني." فقد تركت قلبها مع بيل في لندن ما عدا الجزء منه الذي يخص أولادها. ولكن لم يتبق لزوجها مكان فيه. لقد فأت الأوان، وأمور كثيرة كانت قد جرت عبر السنين. وحتى لو لم ترَ بيل ثانية، إلا أنها كانت تعرف أنه قد فأت الأوان كثيراً عليها وغوردون. فكل ما تبقى لهما الآن هو قشور زواج فارغ لجوف، بل مظهر هذا الزواج وليس جوهره.

"هل يبدو غاضباً منك؟" لقد كان بيل قلقاً إزاء ذلك. فقد بدا غوردون حافقاً جداً خلال تلك الأيام التي رآه بيل فيها في لندن.

"لا، ليس كذلك. ولكنه لن يظهر ذلك. وإن كان كذلك فإنه سينفض عن غضبه يوماً ما عندما لا أتوقع ذلك. فهذا هو أسلوبه في التعامل والحياة. إنه يكتسب ويخسر. وأما العودة إلى الوراء ونبش الماضي فتأتي لاحقاً. ولكنها لم تشعر بذلك الآن. فقد بدأ منفصلاً مستقلاً عنها، وكان كذلك على مدى سنين. لم يكن قد بدأ منه أي شيء مختلف الآن. لقد كان كل شيء على حاله تقريباً.

"ما لرجوك؟" الأيماء لك أنك كنت معي خلال الحادث. لأنني أعرف أنه كان مستقلاً جداً من ذلك. لديه سبب وجيه في ذلك. بل حتى صار هناك سبب أكثر أهمية الآن ولكنه لم يعرف عن ذلك.

"هل تحدثت إلي سناً؟" سألته محولةً أن يبدو للسؤال عرضياً. فقد لاحظت في لندن أن زوجته لم تتصل به لبدأ، كان قد أجرى عدة أحاديث مع محاميه في المشفى في لندن وأعد أوراق الطلاق دون أن يخبر إيزابيل عن ذلك. قالت جين أنها في ساوثامبتون. ساراها عندما تكون في المشفى في نيويورك.

"أمل ذلك." قالت إيزابيل ذلك وهي تشعر بالاندهال من مدى لا مباليتها.

بعد ذلك وعد إيزابيل بأن يتصل بها في اليوم التالي. وقالت أنها ستكون في المنزل طوال النهار. لقد صار الاتصال أكثر سهولة بالنسبة لهما الآن لأن الفراق في التوقيت هو ساعة واحدة فقط بين باريس ولندن. لقد كان أصعب بكثير عندما كان في نيويورك، ولكن إيزابيل كانت تعلم أنهما سيتدبران الأمر تماماً كما فعلا على مدى سنوات. قال لها بيل بأنه يحبها وهو يخلق السماعه، وإذا استلقت قسي سيرها تلك الليلة، في المنزل الذي كان من المفترض أن يكون بيتها، شعرت وكأنها في مكان غريب. شعرت كما لو أن منزلها هو مع بيل في لندن.

لم تسمع غوردون وهو يدخل تلك الليلة، ولكنها كانت نائمة بعمق في

غرفة نومها. وصداقته في الردهة صباح اليوم التالي وهي في طريقها لرؤية
بيدي. لقد نمت لوقت متأخر أكثر من العادة، وكنت الساعة قد قاربت التسعة
عندما استيقظت. كانت ترتدي ثوب نوم، وقد غسلت وجهها وسرحت شعرها
ورأت غوردون آنذاك منطلقاً نحو السلام وفي يده حقيبة يده. لم يتحدث إليها،
ولكنه لَوَّحَ لَهَا بيده وهو ينزل السلام بسرعة. كان يتحدث على هاتفه
الخليوي، وما هي إلا دقيقة حتى سمعته يقود السيارة خارجاً من فناء الدار.

أضحت مع بيدي يوماً طيباً. قرأت له الكثير، واستلقت إلى جواره في
السريير، ونكرها هذا قليلاً بالوقت الذي أمضته مع بيل في المشفى في لندن.
لقد كنا يقرآن ويتحدثان ويلعبان بالألعاب، وبعد الغذاء أخذ قبولة طويلة ثم
جاء الطبيب لرؤيته. ووجد أن الصبي قد تحسن كثيراً الآن حيث أنه في
البيت، ولكن إذ شأبت إيزابيل الطبيب إلى الباب، التقت نحرها وعلى وجهه
تعبير غريب.

تعلمين أن حالته تهازل، أليس كذلك يا إيزابيل؟ فأصابها الذعر مما قال،
ولكنها ظنت أن هذا مجرد عارض مؤقت. وأما الآن وقد صارت في البيت،
فهي سوف تبذل كل جهدها لكي تعيده إلى حالته الجيدة التي كان عليها قبل
شهرين، عندما غادرت إلى لندن. وكانت على ثقة بأنها تستطيع ذلك. كانت
صوفى قد اعتنت به جيداً في غيابها، ولكنها لم تعرف كل أساليب الاحتمال
على المرض التي كانت إيزابيل تعرفها.

'إنه يبدو شاحباً، وقد فقد وزناً، ولكنه يبدو في حال أفضل هذا الصباح.'
قالت للطبيب وقد بدت متعائلة.

'إنه مسرور أكثر. ولكنه يضعف وينحدر. عليك أن تولجيه ذلك. إن
عمل قلبه الوظيفي يزداد سوءاً، وكانت رثاءه في حال سيئة طوال الصيف.'

'ماذا تقول ليها الطبيب؟' سألتها جَزَعَةً.

'أقول أن جسده يجاهد لكي يصمد معه. ولكن بما أنه يكر، فإن قلبه
ورثتيه يولجهان تحدياً لم يسبق له مثيل.'

'وماذا لو أجرينا له عملية زرع؟' سألت من جديد.

'سوف لن نجو منها'. وبدونها، كانت تعلم أن أيامه معدودة. لقد كان هذا
كثيراً عليها لتواجه بهذه السرعة وقد جاءت لتوها إلى المنزل، وهي نفسها لا
تزال ضعيفة. نكرها الطبيب ألا ترهق نفسها. 'لقد أن أراه يزداد وزناً، وأنت
أيضاً كذلك يا إيزابيل'. لقد كان قلقاً عليها، فقد تحمل جسدها صنمة رهيبة
كانت واضحة على مِحْيَاهَا.

'سأهتم بهذا الأمر. سوف نتبع نظم تسمين معاً. وابتسمت وهي
مستغرقة في التفكير فيما قاله الطبيب لئوه. لقد كان هذا الصيف قاسياً على
بيدي، بل على كليهما، ولكن بما أنها الآن في البيت فقد كانت عازمة على أن
تحدث تغييراً جذرياً في الأمور، وشعرت بنفسها قادرة على ذلك من دون
ريب.

'سأعود لرؤيته بعد يوم أو يومين وإذا ما طرأ أي خطب اتصلي بي.'

ولكن الخطاب الذي حدث لم يكن له علاقة ببيدي، بل بغوردون. لقد
عاد إلى المنزل متجه لوجه تلك الليلة، ولم يفسر لهم سبب ذلك. وتناول
العشاء على صينية في غرفته ولم ينزل ليتناول العشاء معها. ولم يتحدث إليها
على الإطلاق، ولم يدخل إلى غرفتها، وفيما بعد في تلك الليلة، وبذ كانت
مستلقية في سريرها تفكر بالأمر سمعته يخرج من المنزل. لم تكن لديها فكرة
عن أين يذهب عندما يخرج ليلاً، ولم تره مرة ثانية حتى صباح اليوم التالي.
فالتفتته صديقة عندما كانت تنزل إلى الطابق الأسفل لتتناول طعام الفطور. كان
يجلس في غرفة الطعام، يقرأ الجريدة ويشرب فنجان قهوة. وظل هكذا طويلاً
دون أن يشعر بوجودها إلى أن ألقى الجريدة جانباً وأنهى قهوته. فولد لديها
انتطاع بأنه كان غاضباً منها، ولم تكن تدري ماذا فعلت حتى ينزعج منها.

'هل سمعت شيئاً من صديقك في لندن؟' سألتها بطريقة حادة جافة،
وأحظت من السؤال. لم تكن تريد أن تكذب عليه، ولكنها لم ترد أن تقول له
أن بيل اتصل بها مرتين في اليوم السابق.

لعم فقد تحدثت إليه". كان هذا كل ما قالته. لقد انذهلت من سماعها له
بذكر بيل. فلم يكن قد قال أي كلمة عنه في اليوم الذي وصلت فيه إلى البيت،
ويدا غوردون حانقاً عليه.

"ألا تظنين أنه من غير اللائق منه أن يتصل بك هنا يا إيزابيل؟ أفترض
أن يكون حجةً محرراً من ذلك. فقد كاد يتسبب في موتك."

لقد كاد الباص يقبل علينا، لم تكن هذه غنطته.

لو لم تكوني خارجاً معه، لما حدث هذا. لا أتوقع أنك تريدني لأولاده
أن يعلموا أنك كنت خارج المنزل مع رجل آخر عندما وقع الحادث! كان
هناك تهديد مبطن في كلامه في أنه سوف يخبرهما، وقد فهمت ذلك. وكان هذا
تحذيراً.

"لا. لا أريد. ولكن ليس الأمر كما تراه في الظاهر. فحزن أصدقاء." قالت
في هدوء، رغم أن قلبها كان يخفق بشدة.

وهل تقولين لي إن هذه الصدفة قد انتهت؟"

لم أكل ذلك. لقد مررت بأمر كثيرة معاً. ونظرت إلى زوجها بإمعان
وحذر. لقد كانت تعلم كم يستطيع أن يكون حقوداً مبعباً للانتقام، ولم تكن لتريد
أن تشن حرباً معه. إذ كانت تعلم أنها لو فعلت ذلك لكان هو المنتصر. لقد كان
دائماً كذلك. لقد كان يتمتع بكل النفوذ والسيطرة، وكانت تعلم أنه لا يتساهل
معهما إذا جابهته. ما كانت لتريد الآن حسماً لهذه القضية المثيرة للجدل، إذا كان
بالإمكان أن تحدثني ذلك. "لا داعٍ لأن تخشاه يا غوردون. فأنا في المنزل
الآن".

ليس هذا هو جوهر الموضوع. أقول لك أن تقلمي عن هذا الأمر يا
إيزابيل. فإنك تجازفين كثيراً بأعضائهن. وأنت تعرفين ما أقصد."
ليس في نيتي إغضابك. ويوسفني أن الحادث خلق وضعاً محرراً جداً.
وخفضت نظرها وهي تقول ذلك.

"يا لهذا الانتقاء الجميل للكلمات". نظر إليها بحدة، وكانت نظرتها تحمل
إليها تحذيراً. "فإن تقمي ضحية حادث كاد يودي بحياتك وأنت تخونينني هو
بالتأكيد 'مخرج'."

لم تكن أخونك. لقد كنا نتناول طعام العشاء. قالت بهدوء.

"وترقصان. لقد كنا خارجاً الساعة الثانية بعد منتصف الليل". لم تسأله
أين كان ليلة أمس، أو أين يذهب عندما يغادر المنزل في وقت متأخر من
الليل. لم تسأله ذلك على الإطلاق. وما كانت لتجرؤ على ذلك. فمنذ بداية
زواجهما عودها على أن يضع هو القوانين وأنه حر أن يفعل ما يحلو له.
وكان يتوقع منها أن تلتزم بالقوانين والقواعد التي يضعها، وكان هذا الأمر
مستقفاً عليه ضمناً من قبل كليهما وما كان لها أن تطرح أسئلة، أو تتحدى
سلطته أو استقلاله. فعقوبة ذلك ستكون شديدة إذا ما تجرأت على ذلك. وكان
هذا الأمر مفهوماً بينهما. لم يكن هناك أي اعتبار بالمساواة بينهما في
زواجهما. فهو لم يكن يظهر ذلك أو يعدها بذلك، وما كان لتريد أن يبدأ الآن
بالمساواة لها بذلك. وفهمت هذا أيضاً. الأمر الوحيد الذي أدهشها الآن هو أنها
كانت دائماً على استعداد لتقبل حكمه الفردي المستبد. وراحت الآن أن هذه كانت
ديكتاتورية وليست زواجاً. "أنت امرأة متزوجة نكرها وقتل وأتوقع منك أن
تتصرفي على هذا الأساس، أمل أنك قد تعلمت درساً". وتساءلت ما هذا
الدرس: هل هو أن حافلة ندهسها إذا ما تصطت مع رجل آخر؟ وقالت في نفسها
ماذا سيفعل إذا ما عرف أنها كانت تشارك بيل الغرفة في المشفى في لندن، أو
إن أحداً أخبره بذلك. لقد كان يعبر لها عن موقفه بوضوح شديد. سوف لن
يتساهل معها إذا ما سلكت بطريقة غير نموذجية. وأي تصرف أبني من هذا
المستوى سيعاقبها عليه بالصمت، أو بالتهديد، أو الرفض، أو الإهانات إذا لزم
الأمر، أو ربما بالطرد، وربما حتى أن يطردها وحدها دون أولادها. وإذا ما
طلقها فليس لديها الإمكانية لأن تعنى بتيدي وهذا هو الأمر الوحيد الذي كان
يهما.

من حسن حظك أنني على استعداد لأن أسامحك. ولكن إذا اكتشفت أنك
تسبب لي الضرر، أو أنه يزداد هناك، فإن الأمور ستأخذ منحى سيئاً بيني
وبينك. وأقترح عليك أن تقولي له أن يكف عن الاتصال بك. ولكنها كانت
تعلم أنها سوف لن تفعل ذلك أبداً. فأتصالهما الهاتفي كانت كل ما بقي لها
الآن. بالتأكيد سوف لن تجد عند غوردون أي دواء عاطفي أو دعم معنوي.
لهض عن الطاولة بعندة، والتقط حقيبة يده، وسار خارجاً من الغرفة. لقد نقل
لها رسائله، وسمعه يغادر إلى المكتب بعد دقيقة.

جلست في غرفة الطعام لبرهة، تستجمع أفكارها، وهي تشعر بنفسها
ترتجف. كانت تتسائل إذا ما كان سيعاقبها والأن عرفت الجواب. لقد كانت
سجينة، مذانة مع إطلاق سراح مشروط، وإذا ما خرجت على القوانين من
جديد، ولتكتشف الأمر، فإن الله وحده يعرف ما سيفعل بها. وقد يطلقها حتى
ويحفظ بعضاً من تيدي. وسكون هذا أسوأ كابوس تحسه على الإطلاق. وكانت
تعرف أنه كان قادراً على جعل ذلك يصبح حقيقة. أرادت أن تتصل ببيل،
ولكنها لم تجرؤ. فانتظرت أن يتصل هو بها، وقد فعل ذلك، عند الظهر، بعد
أن أمضى الصباح في العلاج الفيزيائي. لقد بدا متعباً، ولكن محتوياته كانت
مقولة ومقبولة، وقد سره أن يتحدث إليها.

"مرحباً يا حلوتي، ما أخبارك؟" سألتها مبتهجة، ولكن حالما سمع صوتها،
أترك أن شيئاً ما قد حدث. "ما الخطب؟ تبدين قلقة؟"

"لا. أنا بخير". كذبت عليه. ولكنها لهارت وأخبرته بما حدث عندما
ضغط عليها. فحككت له عن الحديث الذي تبادلته مع غوردون ذلك الصباح.

"إنه يحاول أن يخيفك فقط، من مبدأ السيطرة بالإرهاب". كان بيل يكره
كسل ما فيه، وأدرك الآن أن غوردون لم يعد لرويتها في المشفى وذلك لكي
يعاقبها ويخيفها، وتجعلها تتشعر بالعدم الطمأنينة والأمان. ما لم يعلمه
غوردون هو أن ذلك كان بالنسبة لهما نعمة من السماء. "لا يمكنه أن يفعل أي
شيء. ولا يمكنه أن يأخذ تيدي". لقد حاول أن يطمئنها ولكن دون جدوى. ومن

خلال الحديث أترك أن إيزابيل كانت خائفة حقاً.

"إن المحاكم هنا تؤثر الأب على الأم. وربما استطاع أن يقتنعهم أنني أم
غير مناسبة". لقد فطر قلب بيل أن يسميها تبدو قلقة إلى تلك الحد. لقد كانت
مستاءة من الأمر طوال الصباح.

"لني له أن يقع أي أحد لك غير مناسبة؟ أباخبارهم أنك أمضيت أربع
عشرة سنة تعتين به ليلاً ونهاراً؟ لا تكوني سخيفة يا حبيبتي. إنه يحاول فقط
أن يربحك، ويبدو أنه ينجح في ذلك". كان خوفها لا أساس له، ولكن
غوردون كان يربحها على الدوام. لقد كان يبدو متنفذاً ومامراً في تحقيق
مأربه.

"إنه شديد الإقناع". لقد كان هكذا في نظرها دائماً.

"ولكنه لا يقنعني". قال بيل وقد بدا غاضباً. لقد كان يود لو يجابهه على
المعاملة السيئة التي يعامل بها زوجته. فقد كان غوردون فورستر يتمر على
من هم أضعف منه. "يكفي أن تحلولي أن تتجاهليه، وأن تهتمي بشؤونك".
"هذا ما أفعله".

"هل ستتولون المشاء معه لليلة؟"

"لا لري. فهو لا يخبرني عن ذلك مطلقاً".

لقد كان بيل شديد الاهتمام لسامعه عما تعنيه، ولكنه كان عاجزاً عن
فعل أي شيء لإزاء ذلك. لقد كان يرغب لو أنها طلقته ولكنه كان يعلم أنها
سوف لن تفعل. فقد كانت لديها أشياء كثيرة فيها خطر هناك، وكانت شديدة
التخوف مما قد يفعل بها وكان هذا ما يريد غوردون بالضبط. حاول بيل أن
يشرح لها ذلك، ولكنها قالت بأنها تحت رحمته كلياً. قايس لديها نقود خاصة
بها، ولديها طفل مريض معاق، وبحاجة إلى عناية طبية باهظة جداً. وإذا
سمعها تقول ذلك استاء بيل للغاية. لقد كان يود لو يتزوجها ويعني بالصبي.
ولكن فلت الأوان على ذلك، الآن على الأقل. فما كان يقتر أن يطلب منها
الزواج إذا ما كان سيصاب بالجزء. كان مكبل اليدين. وكان للرجال مثل

غوردون يجنون دائماً السلاح المناسب ليشهروه على ضحاياهم. وفي مثل حالتها كان الخوف هو سلاحه. وتساءل كم طاب بها الأمر وهي على هذه الحال، وكم من سوء المعاملة قد تعرضت لها عبر السنين. لقد بدا وكأن معاناتها كانت بلا حدود، فالرجل كان يعملها بقسوة لسنين، وبلغاتها بيل في لندن وتكشف الأمور بالحادثة كانت كأنها تلقم لسه المسنن. لقد كان من سوء الحظ أن اكتشف غوردون علاقتها ببيل.

'حلولي أن تبعدني عن طريقه. وسوف أتصل بك'. لقد كان يعلم أنه من الأفضل ألا يظهر رقم هاتفه في فواتيرها. فقد كان هذا كل ما يحتاج إليه غوردون ليقاصصها. 'التصلي بي فقط في حالة الضرورة للتصوي'. قال لها بيل. 'سأتصل بك'. شعرت إيزابيل بالوحدة والوحشة والعزلة إذ أدركت الوضع الذي تعيش فيه. كانت تشعر بالخزي، أكثر مما كان يتوقع، وكان غوردون على استعداد لأن ينتزع منها الثمن كاملاً على ذلك. حتى آخر قلس. تحننا لبرهة، ثم اضطر للعودة إلى العلاج من جديد. وواعد أن يتصل بها في وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم، وذلك قبل أن يعود غوردون إلى البيت من مكتبه.

إبان ذلك فأجأها غوردون بحضوره إلى البيت مبكراً. لقد جاءه إلى المنزل في الساعة الرابعة ويبدو وكأنه كان يتوقع أن يفاجئها تركب عملاً شيئاً مسا. ولكن بيل كان قد اتصل قبلاً. وكانت هي مستلقية على سرير تبدي تلميح معه الورق. كان لدى تبدي شغف بلعبة رومي الجين وكان يحب أن يلعب السوليتير أيضاً، ولكنه كان يفضل أن يلعب الألعاب مع أمه.

سوح غوردون بيده بينما عبر أطم الغرفة، ولكنه لم يتوقف ليتحدث إلى اللصبي أو إلى إيزابيل. لقد كان هذا نفس السلوك الذي رآته منه صوفي طوال الصيف. لقد أعطى هذا لصوفي صورة حقيقية جديدة عن يكون والدها، ولم تحب ذلك فيه. لقد كانت تمقت طريقته في الحديث إليها، وتجاهله الكامل لتبدي، وكأنه كان غير مرئي أو ليس له وجود على الإطلاق. كان للصبي

غير ملائم في نظر غوردون، وضعيفاً للغاية، وصرف الاهتمام عنه. لم يكن يستحق اهتمامه، وكان تبدي يعرف ذلك. فقد مرت سنين ما عاد يكن لوالده فيها أي احترام، اللهم ما عاد بعض المحبة. أما غوردون فلم يظهر له شيئاً على الإطلاق، ولم يبد أية عواطف نحو إيزابيل أيضاً وذلك ليس الآن فقط بل منذ سنين. وقد بدأت صوفي الآن فقط تترك ذلك. وعلمت على ذلك لاحقاً بعد ظهر ذلك اليوم عندما كانت في زيارة لوالدها قبل أن تخرج ذلك المساء من جديد مع أصدقائها.

'لماذا تضحكين له بأن يعاملك هكذا؟' قالت صوفي لأمها بلهجة تكذيب. كانت تريد أن تعرف في مواجهته، وكانت مستاءة لأنها لا تفعل ذلك. ورغم أنها كانت تتألم منها وتتشاجر معها لسنين، إلا أن صوفي صارت الآن أقوى حليف لها.

'إنه لا يقصد الأذى بذلك يا حبيبتي. كل ما هنالك هو أن طبيعه هكذا. كانت إيزابيل تسارع يوماً للدفاع عنه أمام الأولاد ولو كانوا على صواب عندما يشكون منه. إنه شخص لا يعبر عن عواطفه. أوضحت لها، في حين سدت صوفي غاضبة. لقد عرفت للكثير عنه خلال ذلك الصيف، أكثر مما كانت تريد. وما عرفت عنه حطم كل الأوهام التي كانت تضعها في ذهنها حول والدها. وصار تعاطفها الآن مع والدها بشكل كامل. وقد غدت إيزابيل بطلة في نظرها.

'إنه يظهر اللامبالاة، والرفض، والدناءة باستمرار. إنه شنيع وبغيض في تعامله معك، وهو لا يابته لتبدي'. قالت صوفي غاضبة.

'بل بالطبع يفعل يا صوفي'. وبدت إيزابيل متوترة وهي تصغي إلى ما كانت صوفي تقوله، رغم أنها كانت تعرف أن كلامها فيه الكثير من الصحة.

'بل إنه لا يهتم إلا بنفسه. وحتى أنا لا يهتم لأمرى'.

'إنه فخور جداً بك'. لم تجادلها صوفي في ذلك، ولكنها لم تصدقها بالمقابل.

حتى ولو كان كذلك، فليس له الحق في أن يعاملك أنت أو تبدي على ذلك النحو". لقد كان في تعامله مع صوفي أفضل قليلاً منه مع الآخرين، ولكنه صار أقل لطفاً معها مؤخراً، ولم يمر الأمر دون أن تلاحظه صوفي. فهو لم يشكرها أبداً على الجهود التي بذلتها، وعلى المناسبات والفرص التي تخلت عنها، أو على وابل الحب الذي أمطرت به على أخيها في غياب والديها. وصارت صوفي ترى في والدها رجلاً بارداً، قاسياً، عديم المشاعر، متحجر القلب، وقد كان هكذا تماماً بالفعل. لقد كان ناجحاً جداً في عمله، ولكن هذا لا يمنحه ميدالية أو ثناء في منزله في تعامله مع زوجته وأولاده.

"أرجو ألا تقلقي بخصوص ذلك". وأردفت إيزابيل: "إن والدك رجل طيب صالح". ولكن ولو كانت تقول ذلك، إلا أنها كانت تعرف أنها أكتوبية، وصوفي أيضاً كذلك. لقد كان أبعد ما يكون عن الطيبة أو الصلاح أو حتى اللطف. "أبوك وأنا قد اعتدنا على بعضنا بعضاً، فنحن نعرف ما نترقب، وكيف نشعر تجاه بعضنا البعض، فليس الأمر بهذا السوء كما يبدو من الخارج". ولكن صوفي كانت تعرف أنه كان أسوأ من ذلك. لقد صارت تفهم الآن السبب الذي يجعلهما ينمان في غرفتي نوم منفصلتين، وأدركت أن ولدها كان خارج المنزل طوال الوقت. فقد كان نادراً ما يمضي أسبوعاً في المنزل عندما كانت إيزابيل في المشفى في لندن، وأكثر من مرة اكتشفت أنه كان خارج المنزل طوال الليل، ولكنها لم تخبر والديها عن ذلك. فقد كانت تعرف أنها ستألم كثيراً لمعرفتها ذلك. لم تكن صوفي تعتقد أن له صديقة عشيقة. لم يبدُ من ذلك النوع. ولكن لم تكن لديها أدنى فكرة عن مكان ذهابه على الإطلاق. فلم يكن يترك لها أي رقم هاتف عندما يذهب. كل شيء على ما يرام. كررت إيزابيل ولكنها لم تقنع ابنتها. لم تكن إيزابيل تجد أي داعٍ لتخبر ابنتها كم كان الوضع مزرياً باتساً.

"هل كان دائماً هكذا؟" أما الآن وقد فكرت بالأمر ولاسيما خلال الشهرين الماضيين لم تستطع أن تتذكر أبداً أن والدها قد عمل والديها بطريقة مختلفة

يوماً. لم تتذكر أي مرة كان فيها دفاً وحوافط بينهما. ولم تتذكر والدها يوماً يقبل والديها أو يضمها. وبعد ذلك صارت لهما غرف منفصلة منذ ولادة تبدي. قالت والديها أن سبب ذلك هو كي تستطيع أن تعتني بتبدي دون أن تزعج والدها، ولكن صوفي أدركت الآن أن السبب كان أكبر من ذلك بكثير. واستغربت كيف أنها لم تصدم بذلك عاجلاً. لقد كانت صوفي دائماً تؤثر والدها وذلك منذ بداية طفولتها، ولكنها الآن شعرت بالذنب من جراء ذلك. لقد تعلمت الكثير، ونضجت فسي غياب والديها. ولأنها كانت تقفها في الحالت فإن صوفي الآن راحت تتكلم والديها أكثر من ذي قبل. "هل كان مختلفاً عندما تزوجتما؟" سألتها صوفي وقد بدت حزينة من أجل أمها. وكانت تشعر الآن بخنان كبير نحوها.

لقد كان شهماً جداً عندما تزوجنا، قوياً جداً، وشديد العزيمة، وشعرت أن هذا كان يعني أنه يجنني. كنت فتية جداً. وكان رائعاً جداً عندما وكنت. كان في غاية السعادة. لم تقل إيزابيل لصوفي إن غوردون كان يود لو كانت صبياً نكراً. وبعد ذلك أجهضت، ثم أنجبت تبدي بعد أربع سنوات من ولادة صوفي. لقد كان يوثنها بسبب ولادة تبدي المبكرة، ويصر على أنها ولا بد قد قامت بعمل ما أدى إلى حدوث ذلك، وأن تلك كانت غلطتها.

وتعلمص غوردون من مسؤولية هذا الطفل المريض المزعج من البداية. وخلال أشهر، كان قد عزل نفسه عن إيزابيل أيضاً. لقد كانت تحتاج إلى دعمه وحيه، إذ كان ذلك الوقت عصياً بالنسبة لها. وكادوا يفقدون تبدي عدة مرات أول سنتين من حياته، وهذا ما أصابها بالذعر. لقد كان ضئيلاً جداً وضعيفاً جداً وفي حالة خطيرة. ولكن غوردون جعلها تفكر على الدوام أن الغلطة غلطتها. كان يقول لها باستمرار أنها غير ملائمة، وغير قادرة، وأنها مخنقة. لقد قوض ثقته بنفسها من الأساس، وكل إيمان بنفسها، كالم، وامرأة، وزوجة له. وخلال سنتين من ولادة تبدي كان قد أقصاهما عنه كلياً. لم تفهم السبب الحقيقي، ولكنها صارت تعتقد أن ذلك نفيها. وكانت لا تزال تشعر بذلك أحياناً.

لقد كان لديها دائماً الشعور بأنها لو عملت الأشياء بشكل أفضل، لظل وجهها، ولمسارت أمورها كلها على ما برام. وكما فعل هذا الصباح منتقداً سلوكها والحادثة الذي وقع في لندن، كان يلومها بشكل متواصل، وكانت تتقبل اللوم والإحساس بالذنب معاً، ولكن هذه المرة، وبفضل بيل، صار هنا الإحساس بالذنب أقل عندها. لقد كانت تعرف أنه من الخطأ أن تلتقي به في لندن وبشكل سرري، ولكن في ذلك الوقت على الأقل، لم تكن قد ارتكبت أي خطأ. كانت تسوي أن يكون لقاء بريئاً، وكانت قد قالت له أنها كانت تجل زوجها منه. ولكن فقط في المشفى، وبعد الحادث، كان قد تغير كل شيء. وأصبحت تحب بيل جداً الآن، وكانت على استعداد لتحمّل الإحساس بالذنب، فقط لكي يكون له وجود في حياتها. وما كان بإمكانها أبداً أن تتخلى عنه الآن.

"لا أري ما الذي جعلك تتزوجين منه يا ماما". قالت صوفي وهي تستعد للانصراف للقاء أصدقائها. فما اكتشفته في ذلك الصيف عن والدها، من بين أشياء أخرى، كان يبرر نفاة نفسه لدرجة أنه كان قاسياً في معظم الأحيان. وكرهت هذا فيه.

لقد تزوجته لأبي أحببته". قالت إيزابيل بإستاماة حزينة، واستأنفت: "لقد كنت في الحادية والعشرين من العمر، وكنت أعتقد أننا سنعيش حياة رائعة. لقد كان وسيماً وذكياً وناجحاً، وكان ولدي في غاية السرور منه وقال لي أنه سيكون زوجاً مثالياً لي، وقد صدقته. لقد كان مثلاً بوالدك. فقد كان رجلاً بارعاً". فسي الثامنة والثلاثين من عمرها، كان مديراً للبنك، وكان غوردون مثلاً بعلاقتها الاجتماعية وارتباطاتها بالعائلة الملكية. واستخدم هذه لتعزير مكانته الوظيفية والحياتية في بداية الأمر. ومن خلال والديها كان لها أصدقاء قدموا له فائدة كبيرة. ولكن بعد أن كون علاقة معهم بنفسه، أقصاها جانباً. وصار من غير الممكن أن يظهر العاطفة أو الحب لها. لقد كان قائماً ساحراً في البداية، ولكنه استحال قاسياً سريعاً بعد ذلك، وتمتحوراً على نفسه كلياً، وكأنها ما كانت موجودة، إلا لخدمته.

بعد خمس سنوات ما عاد يهتم لتبديد سحره عليها. ولم يعد في الواقع كذلك آنذاك. وفي الوقت الذي توفي والدها فيه، كان زوجها قد صار كابوساً، ولكنها لم تعترف بذلك لأحد. كانت تشعر بالخجل والحزي، وقد أقتعها غوردون آنذاك أن الذنب هو لديها. ومنذ ذلك الحين أعدت بكل محبتها على صوفي وتسيدي، واعتقدت، على الأقل، أنها كانت مصيبة في ذلك. وخلافاً لخبرتها مع غوردون، فقد بدا بيل وكأنه يؤيد صحة كل ما فعلته. وكان لا يزال من الصعب عليها أن تصدق كيف أن رجلين ينظران إليها بطريقة مختلفة تماماً. ولكنها كانت تثق ببيل الآن، وتحترم آراءه. ولما قرأها بالبقاء مع غوردون فقد كان رغباً عنها، وذلك من أجل الأولاد، وكان عليها أن تقدم لهما كل ما أمكنتها.

غادرت صوفي المنزل بعد برهة قصيرة، وتناول غوردون وإيزابيل العشاء في غرفة الطعام. ولكن نظراً لطبيعة الجو والأحاديث التي دارت بينهما في الصباح لم يتبدلا إلا ما ندر من الكلمات. ما كانت إيزابيل تريد أن بغضب أكثر، وقد كانت هيته كلياً تحزنها من الحديث إليه. لم يقل لها إلا أنها تتحدث إليه بل فهمت ذلك عن ذاتها فكان بعض الحوار معه كان يشكل عنياً تقبلاً عليه، ولن يكون موضع اهتمام لديه. وكان كل ما تتحدث إليه فيه هو عن الأولاد بأي حال من الأحوال، وهذا كان يثير ضجره. لم تقل إيزابيل أي كلمة خلال العشاء، وبعد القهوة، عادت إلى المطبخ العلوي إلى غرفة تبدي. وحبس غوردون نفسه خلف أبوابه كالعادة. وإذا غادرها لكتفى بالقول أن لديه عمل يريد إنجازها. وإذا استلقت في سريرها فيما بعد، كانت تفكر في كل ما قالته صوفي. كانت متألقة، موفورة الصحة، متفهمة، وكان سلوك والدها ومواقفه تروعاها، ولكن أمها أزعتها أكثر. فقد كانت تريد أن تجانبه، أما إيزابيل فبدلاً من ذلك راحت تدافع عنه، رغم كل ما فعله من سوء تجاهها. وهذا ما جعل صوفي تحزن لأجلها.

لم تسمع إيزابيل غوردون يغادر المنزل تلك الليلة. ولكنها اكتشفت أنه لم

الفصل الثالث عشر

غادر بيل العسفي في لندن بعد خمسة أيام من عودة إيزابيل إلى باريس. كانت الأيام التي أضاهاها هناك مثيرة لكأنيته بما لا يقاس له. كان يشعر بالوحدة بغيرها، ولكن كان يعلم أن عليه أن يعتاد على ذلك. وفي حياته الخاصة الآن كان عليه أن يبذل جهوداً مضنية وكأنه يستلحق جبل بفرست. كان المعالجون قد رسموا له مخططاً لما عليه القيام به في العام المقبل، ولكن رغم أنهم وضعوا كل شيء إلا أنهم نبهوه ثلاثاً فيرط في الأمل. فاحتمال استعادة كامل قدرته على تكويرك سابقه سيتطلب معجزة، في نظرهم. وبالرغم من أنهم أعجبوا بحزمه وتصميمه، إلا أنهم لم يشاؤوا له أن يتحطم إذا كان كل ما يحققه هو تغيير أمر وقوفه اعتماداً على سناد أو على عكاز، أو إذا ما بقي أسير كرسي مدولب طوال حياته. لقد كانوا شبه متأكدين أنه سيبقى حبيس كرسيه. لقد كانوا يرون أنه من شبه المستحيل أن يستعيد الإحساس برجليه نظراً إلى مدى الأذى الذي تعرض له عوده اللقري. ولوضحوا أنه شأن ما بين تحسنه نوعاً ما لسابقه وقدرته على السير عليهما.

عانقته الممرضات جميعاً وبكين عند رحيله. لقد أحبوه جميعاً وتأثروا بعسق علاقته مع إيزابيل، وكنوا يرون أن نجاةهما من الحادث كانت منة من السماء عليهما. وهذا أعطاهم جميعاً إيمان ورجاء جديدين. لقد كان جميع من في جناح العناية المشددة مندهلين من نجاةهما معاً.

لقد وعدهم جميعاً بأن يرسل لهم بطاقات تذكارية من نيويورك، وقدم هدايا لهم من محل هارودز. فابتاع لكل منهم سواراً جميلاً من ذهب، وأهدى طبيبه ساعة من ماركة باتيك فيليب. لقد كان كريماً ولطيفاً، ومراعياً للآخرين ومقتسراً لهم، وسوف يفتقدونه كثيراً. هذا وقد رافقه ممرضة ومساعد ممرض

بسنم في سريرته عندما ذهبت لتقول له أن يرد على اتصال هاتفي هام من نيويورك في الصباح. لم تكن تتخيل أين يمكن أن يكون، ولم يكن هناك من تسأله عن ذلك. لقد أظفقت بما شاهدت، ثم تساءلت إذا ما كان يفعل ذلك معظم الأحيان. لم تكن مدركة لذلك من قبل. ولكنها صارت الآن على استعداد أكثر لأن تبقي عينيها مفتوحتين لترقب ما يجري. لم تقل أية كلمة لأحد، وأخبرت الناس على الهاتف أن يتصلوا به في المكتب. لقد كانت تود لو تتصل به وتساله بنفسها أين كان، ولكنها ما كانت لتتنازل إلى هذه الدرجة. وبدلاً من ذلك، استمرت في حياتها اليومية كما اقترح عليها بيل، واعتمت بتيدي، وانتظرت غوردون لأن يعود في المساء. وعندما جاء لم تسأله عن شيء ولم تقل له شيئاً. فالمواجهة لم تكن أسلوبها، كما وأن نبذ غوردون لها ما عاد يهمها. فليديها بيل الآن واللح الذي يهشانه معاً. مضت إلى سريرها بعد العشاء، وبعد مرور وقت طويل عليها وهي نائمة، خرج غوردون وأغلق الباب خلفه بهدوء وهو يحرص على ألا يسمعه أحد.

إلى المطار وأسنداه إلى كرسية في طائرته، واستقبله مندوبون عن مركز إعادة التأهيل في مطار كينيدي في نيويورك.

كان بسيل قد اتصل ببنتيه ليجريهما أنه قائم إلى نيويورك، ووعدها بزيارته في اليوم التالي في مركز إعادة التأهيل. لم يتصل بسنتيا عن عمد. فقد كان يحاول أن يبقى على بعض المسافة بينهما، فقد فكر أن هذا أفضل نظراً إلى موضوع الطلاق. لقد وضع من ضمن بنود عقد الاتفاق أن يمنحها مبلغاً كبيراً من المال، وأن يعطيها ممتلكاتها وعدة سيارات وسندات استثمار جيد. وكان قد بدأ معاملة الطلاق قبل شهر. وفوجئت سيندي من سرعته في التحرك نحو هذا الأمر، ومن كرمه وسماحة نفسه، وكانت لا تزال تعتقد أنه فعل ذلك لأنه كان يرجو أن يتزوج إيزابيل، ولكن بيل قال لها بوضوح وصدق أنه لن يفعل ذلك. ولو أن سنتيا لم تزد مدى حبه لها لكانت صدقته.

استطاع أن يجلس في كرسية في الطائرة بارتياح لأول بضع ساعات، ولكن بعد بركة بدأ عنقه وظهره يؤلمانه. كان يضع سنادات إلى كليهما، تمدد، وشعر بالارتياح لأنه يسافر على طائرته الخاصة. لقد كان هذا يشكل فرقاً كبيراً بالنسبة له. اقترح طبيبه أن يمتنع عن الطعام والشراب خلال رحلة الطيران، فالتزم بذلك. واقترحوا عليه أيضاً أن يأخذ مرضة معه خلال رحلة الطيران، ولكنه رفض الفكرة، وشعر بالندم عندما أفلتت الطائرة بهم. ولكنه أراد أن يبرهن لنفسه أنه مستقل ويعتمد على نفسه. وعندما حطت الطائرة بهم في نيويورك كان منهكاً للغاية ويتألم بشدة.

كان هناك ممرضان وسائق في المطار. وقد مرّ عبر الجمارك دون أن يفحصوا أعراضه، وكانت هناك سيارة مغلقة في الخارج مزودة بسنقالة. أخذ الممرضان إلى الحمام أولاً، ثم فكر أن يتربث ويتصل بإيزابيل، ولكنه قرر أن ينتظر إلى أن يصلوا إلى مركز إعادة التأهيل. لقد كان في غاية الألم، وكان يتوق إلى أن يستلقي في السيارة المغلقة.

كيف ترى هذه؟ أفضل؟" سأله أحد الممرضين وقد أضعماه في السيارة،

ويتمس بيل.

لقد كانت رحلة طويلة. وحتى الاستلقاء لجزء من الرحلة كان قاسياً بالنسبة له. كان قد أحس مقعده إلى الورا ليصير مثلاً سريراً، ولكن حتى في هذه الوضعية كان هناك زاوية لحناء خفيفة سببت له ألماً مبرحاً. لقد ذكره ذلك، وبأعاج شديد، بأنه لا تزال هناك رحلة طويلة للشفاء تنتظره. ولكنه كان لا يزال متأكد أنه سيقطعها في نهاية الأمر. ولكنه استاء إذ أدرك مدى طول هذه الرحلة المفروضة عليه.

كانوا قد أحضروا له ترمساً من القهوة، وبعض المشروبات الباردة، وسندويشة. وشعر بتحسن أكبر بكثير عندما سحبوه خارجاً. لقد كان يوماً خريفياً جميلاً، وكان الجو لا يزال دافئاً.

استترقهم الوصول إلى مركز التأهيل نصف ساعة، وكان هذا مكاناً ممتدّاً على رقعة واسعة تحيط به أراضٍ مشدبة في ضواحي نيويورك. لقد بدأ أشبه إلى نادر ريفي منه إلى مشفى، ولكن بيل كان متعباً جداً عندما وصلوا لدرجة أنه لم يستطع معها أن ينظر حول المكان. كل ما كان يريد هو أن يصل إلى السرير. سجل دخوله ولاحظ رجلاً ونساءً في كراسي متولبة وعلى عاكس في كل أرجاء المكان. وكان هناك فريقان يلعبان كرة سلة وهم في كراسيهم، وكان هناك أناس على النقالات يتزوجون عليهم ويشجعون الفريقين. كان الجو مليئاً بالنشاط والموودة، وبدأ الناس بمنتهى الحيوية والنشاط في معظمهم. ولكن أصاب هذا بيل بالاكئاب على كل حال. فهذا ستكون إقامته خلال العام القادم، أو على الأقل خلال تسعة أشهر. شعر وكأنه طفل أرسل إلى المدرسة، إذ كان يشعر بالحنين إلى إيزابيل ومشفى القديس توماس، وكل الوجوه اللطيفة المحبة المألوفة الذين تعرف عليهم هناك. ولم يسمح لنفسه حتى أن يفكر بمنزله في كونكتيكت. لقد صار هذا جزءاً من الماضي السحيق الآن. وعندما كانوا يدفعون بعربته إلى غرفته، كانت النموع تملأ عينيه. ولم يسبق له أبداً في كل حياته أن شعر بالضعف والوحدة كما هو عليه الآن.

'هل كل شيء على ما يرام، سيد روبنسون؟' ولم يستطع أن يفعل شيئاً سوى الإيماء برأسه.

لقد بدت كعزفة نمونجية في فندق نظيف محترم. وعلى الرغم من السحر، والذي كان باهظاً، فإنها لم تكن مثرفة، إذ كانت خلواً من الزخارف، مع وجود بعض وسائل الراحة. كان هناك أثاث بسيط معتدل، وسجاد نظيف وسرير مشفى مفرد، مثل ذلك الذي كان ينام عليه إلى جوار إيزابيل، وملصق وحيد لجنوب فرنسا على الجدار. لقد كان رسمة من ألوان مائية لمكان بدا مألوفاً له، واعتقد أنه سانت-تروبيز. لقد كان له غرفة حمام خاصة به، وكانت الإضاءة في الغرفة جيدة. وكان هناك فلكس في الغرفة، وماخذ لكمبيوتر، وهاتفه الخاص. قالوا أنه ليس مسموحاً له بميكرويف في غرفته، ولم يكن هذا ليهمه. لم يقولوا له السبب، ولكنه كان يعرف أن ذلك هو لنلا بمنزل العملاء أو يأكلوا وحدهم. لقد كانوا يريدونه أن يتناول طعامه في الكافتريا مع الجميع، وأن يشترك في الفرق الرياضية، ويستخدم غرف النشاطات الجماعية، ويكون أصدقاء. لقد كان هذا كله جزءاً من عملية إعادة التأهيل التي أعدها له. وكان التواصل الاجتماعي في ظروفه الحالية جزءاً من ذلك. فلا يهم من يكون، أو من كان، أو ربما من سيكون، إذ كانوا يريدونه أن يكون عضواً فعالاً في مجتمعهم بينما هو هناك.

رويته للمأخذ في غرفته ذكره بأنه يجب أن يتصل بسكرتيرته. فمتابعاته السياسية قد تضاعفت حتى الصفر تقريباً خلال الشهرين والنصف الماضيين. فما كان بإمكانه أن يقوم بما يجب وهو في سريره، وكان عليها أن تلغي كل شيء. فما كان بإمكانه تعريف الناس ببعضهم بعضاً، أو أن يخطط لحملات انتخابية، أو يرعى من يسانداهم عن طريق شنه لمعركة انتخابية ناجحة. فهذه الغاية كان لزاماً عليه أن يكون على اطلاع وعلم بكل التفاصيل وأن يكون في ساحة المعركة. وأدرك من جديد، وهو يجيل الطرف حوله في الغرفة، أنه حتى وإن أمكنه أن يعود إلى معتك الحياة السياسية، فإن هذا الجانب من

حياته يجب أن يبقى معلقاً لسنة أخرى.

كان هناك براد صغير في غرفته منيء بنفس الأشياء التي تجدها في بار صغير في فندق جيد: صودا، ووجبات خفيفة والأواح شوكولا، وكان مسروراً ومتدهشاً إذ وجد نصفي زجاجة من المشرب المفضل. وفيما فتح زجاجة كولا بصوت مفرق، بعد أن تركه للمرضون، أخذ رشفة منها ونظر إلى ساعته. لقد كان يريد أن يتصل بإيزابيل، ولكنه خشي بالمقابل أن يكون غوردون في المنزل. ولكنه كان يشعر بوحدة قاتلة هذه المرة لدرجة لم يستطع معها إلا أن يتصل. وكان ينوي أن يعلق السماعة إذا ما أجاب غوردون على الهاتف.

رفعت سماعة الهاتف على الطرف الآخر من الخط، وسمع صوتها، كانت الساعة الحادية عشرة عندها، ولكنها بدت في حالة يقظة تامة. ونفذ صوتها العذب المألوف إلى قلبه كالسهم إذ كان مشتاقاً إليها.

'هل هذا وقت مناسب؟' سألها مباشرة، فضحكت.

'مناسب لماذا يا حبيبي؟ في الواقع إنه مناسب جداً. فقد كنت الآن أتمنى لو أنك كنت هنا. فغوردون في ميونيخ⁽¹⁾ لهذه الليلة. كيف كانت للرحلة؟'

'مؤلمة'. قال بصراحة، دون مراوغة. 'أنا في سجن'. نظر حوله من جديد، ورغم أنه كان يعرف أن الأمور لم تكن سيئة، إذ إنها كانت أخذة في التحسن وبلغت ذروتها الآن، إلا أنه كان مكتئباً جداً على كل حال، 'أكره هذا المكان هنا'. قال وقد بدا كمثل طفل يشعر بالحلين فيتصل بأهله من مدرسته الداخلية.

'هيا، هون عليك. ولتكن لديك روح رياضية عالية. وسوف أصعل لك أشياء رائعة'. قالت تشجعه، كما فعلت عندما ذهبت صوفي إلى المدرسة في أول يوم. وأردفت قائلة: 'سوف تعاد على الأمر، وقبل أن تعرف ذلك، فإنك

(1) ميونيخ (Munich): هي العاصمة وأكبر مدينة في بافاريا (Bavaria) في جنوب شرقي ألمانيا.

ستجج فيه. ربما لن يفترض بك إلا البقاء بضعة أشهر وحسب". كانت تحاول أن تشجعه، ولكنه بدا في حالة إحباط كبيرة، وانفطر قلبها عليه. كانت ترد لو تستطيع فعل شيء له، ولكن من تلك المسافة البعيدة كان ذلك أمراً صعباً جداً. لقد كان على كل منهما أن يخوض معاركه وحده. ومن نواح كثيرة كانت معركتها أسوأ منه.

'وماذا لو بقيت هنا لسنتين؟' سألتها وقد بدا من جديد كأنه طفل.

'هذا لن يحدث. وأراه على ذلك. ما نوع الناس الذين في المركز؟' لقد كان كلاهما يخشى أن يكون المركز يعج بأشخاص طامعين في السن يخضعون لعلاج ليشفوا من الإصابات، وبالتالي سيكون لديه عناصر قليلة مشتركة معهم. ولكن من الأشياء القليلة التي رآها، عرف أن معظم المرضى الذين رآهم في طريقه داخلاً إلى المركز بدوا شبهاً بالعينين، بل حتى أصغر منه سناً. كان كثيرون منهم هنالك بنتيجة حوادث تزاح، أو غلطات قاتلة إلى لحواض السباحة، أو حوادث سيارات، أو مأسى جميلز. وللناس الذين هنالك، كانوا في معظمهم شبهاً مستكون لهم حياة مديدة مشرقة في انتظارهم.

'يبدو أن لا بأس فيهم، على ما أظن'. وتهد وهو ينظر خارج النافذة إلى بركة السباحة في الهواء الطلق التي تبلغ الحجم القياسي في الألعاب الأولمبية، ولمكنه أن يرى عدداً من الناس يسبحون وقد انتشرت الكراسي المدولبة في كل مكان. 'لا أرعب في أن أكون هنا. أود أن أعود إلى واشنطن وأن أعمل، أو أن أكون معك في باريس. أشعر وكأن الحياة تتجاوزني'. ولكن لم يكن أياً من المكالين متاحاً له. وما كان يخشا أكثر هو ألا يتمكن من اللقاء معاً من جديد. لقد كان ينبغي عليه أن يجلس لفترات طويلة، وأن يظل واقفاً لساعات عديدة، وأن يسافر وحده بشكل حر، وأن يُعنى بنفسه، وأن يتحلى بالصبر، والقدرة على الحركة، وصفاء الذهن، إذا ما كان سيعود إلى مهنته. وكان يخاف أيضاً أن يواجه بعض الإعاقة أو العرقلة النفسية الآن. مفاهيم الناس وآراؤهم غريبة جداً، وربما يشعرون أنه إذا ما كان في كرسي متدولب ولديه عجز بشكل أو

بآخر، فإنه كان من الصعب أن يتكهن بمواقف الناس وآرائهم المجحفة. ولأسباب كثيرة إذا كان يهمه أن يستعيد قدرته على الوقوف على قدميه والسير من جديد.

ما كانت إيزابيل لتنبئه لمجزءه عن ذلك، ولكنها كانت تريد ذلك كثيراً من أجله. إلا أن حبسها له ما كان ليؤثر فيما إذا استطاع أن يسير أم لا. لقد أخبرته ذلك مراراً وتكراراً، ولكنه كان يُشغل بالها. وكان يأبى أن يكون لتكالياً أو معتمداً على أي شخص؛ سنبها، أو بناته، أو زملائه، أو أصدقائه، أو بالتأكيد ليس إيزابيل. فإن كان عاجزاً عن أن يحميها، يعني بها، ويقف إلى جوارها كرجل، ويمارس الحب معها، ففي هذه الحالة لا ينوي أن يكون في حياتها. وكان يعرف في قرارة نفسه أن هناك الكثير مما ينتظره نحو شفائه. ورغم أنه لم يقل ذلك حرفياً لإيزابيل، إلا أنها شعرت بأن ثمة مقدار كبير من المخاطرة والمجازفة أمامه. وكل ما كان بإمكانها أن تفعله الآن هو أن تكون إلى جانبه عن طريق الاتصال الهاتفى وأن تصلى من أجله.

كيف حال تيدي؟ سألتها وهو قلق جزع. وكيف حالك؟.

'أنا بخير. صوفى عادت إلى الجامعة البارحة. وتيدي لا يزال متعباً جداً، وأنا قلقة على قلبه. أحياناً أشعر أن حالته تسوء، ثم يمر عليه يوم طيب فيشعر بتحسن. من الصعب للتكهن بحالته. ولكن روحه المعنوية عالية. وقد كانت كذلك منذ عودتها إلى المنزل، ولكن حبسها الغريزي أنبأها أن ما قاله الطبيب كان صحيحاً وأن تيدي كان اضضع مما كان عليه أي يوم على الإطلاق منذ زمن طويل. لقد خسر معركة هامة جدية بالاعتبار.

تقد عادت أوليفيا وجين إلى الجامعة الأسبوع الماضي، ولكنها أخبرتني أنها ستأتيان لزيارتي في نهاية هذا الأسبوع.

'هل تأتي سنبها أيضاً؟' لقد كانت تشعر بالغيرة نوعاً ما منها، ومع ذلك فسا كانت لتتعرف له بذلك. وكان يعرف ذلك بحال من الأحوال، وكان هذا بمثابة إطراء له. وفي الواقع كانت سنبها قد اقترحت أن تأتي مع الفتاتين،

ولكنه فكر أن من الأفضل ألا تأتي. لم يشرح ذلك لإيزابيل لأنه لم يكن قد أخبرها بعد عن موضوع الطلاق. فكان لا يزال يعتقد أن الضغط سيكون أقل عليها إذا ما كانت تعتقد أنهما كانا لا يزالان متزوجين. وهكذا ان تفكر بأنه ينتظرها، أو يبحث عن شخص ما آخر. ولو كانت قد تجررت من غوردون لكان سينتظرها. ولكنه فكر أن هذا سوف لن يؤدي إلا إلى زيادة تعقيد الأمور إذا ما أخبرها عن ذلك. ولذلك حافظ على ما في مخيلتها بأنه وسنثيا لا يزالان متزوجين وأن الأمور على ما يرام.

أعتقد أن سنثيا خارج البلدة لبعضة أيام. قال لها عرضياً. وكانت إيزابيل تفكر في قرارة نفسها أنها لقصة قلب من سنثيا أن تحيا حياتها على ذلك المنوال، ولكنها لم تعلق على ذلك لبيل.

سيمضي غوردون الليلة في ميونيخ، فقد ذهب إلى هناك من أجل مؤتمر يتعلق بالمصرف. وسوف يأتي إلى المنزل في نهاية الأسبوع. أعتقد أن لديه مخططات معينة. وذكرت له بالتفاصيل، ولكنها لم تعد أبدأ جزءاً من مخططات غوردون بعد الآن، ولم تكن لديها رغبة حقيقية بذلك. فمنذ الحادث في لندن، وعلاقتها الحميمة مع بيل، صارت تشعر بأنها منفصلة كلياً عنه، وما عادت تتضيق لأن غوردون لم يعد يدعوها إلى أية مناسبة. فقد كان يتفحص أنها ترغب في البقاء في المنزل مع ابنها، وكان محقاً في ذلك. وكانت لا تزال في غاية الإرهاق. مضت إلى النوم باكراً تلك الليلة، وجلست مع تيدي طوال النهار. وكانت قد خرجت مع صوفي من أجل الغداء قبل أن تغادر، وهذا لبط كان جديراً بجعلها تشعر بنفسها مستنزفة. كان لا بد من مضي عدة أشهر أخرى، على حد قول الطبيب، حتى ترجع إيزابيل إلى سابق عهدها. والأمر سينغرق أكثر مع بيل. ولقد عرف ذلك الآن. فقد كانت رحلة الطائرة مصدر عذاب وألم له، ولم يكن قد شعر بمثل هذا الألم منذ أشهر وكان لا يزال يشعر به وهو يتحدث إليها.

ما الذي ستفعله هذه الليلة؟ سألته إيزابيل بصوت نطيف. لقد كانت

تستطيع أن تعرف من صوته كم كان متعباً وحزيناً، وشعرت بالقلق عليه. أعتقد أنني سأنام. ليس هناك خدمة غرف هنا، ولكنني لست جالماً. لقد كان يستأجر لدرجة لا يستطيع معها أن يأكل، وما كان يريد أن يأخذ مسكنات للألم. لقد انقطع عنها قبل أسابيع، وكان دائماً يخشى أن يدمن عليها، ولم يحدث ذلك، لحسن الحظ، ولكنه ما كان يريد أن يعود لأخذها من جديد.

ربما عليك أن تقوم بجولة في الجوار. لم تكن لتحب فكرة أن يبقى وحده في غرفته، فقد بدت الفكرة موحشة وتثير الإحساس بالعزلة، وكانت تخشى أن يصابها الكتابة.

سأقول ذلك عدداً. إنهم لا يقدمون لنا الكثير من الخيارات. سأبدأ العلاج عدداً الساعة السابعة صباحاً، ولن أعود إلى غرفتي حتى الساعة الخامسة. لقد كان نظاماً صاماً، ولكنه اختار المشفى لهذا السبب تماماً. لقد كان يفكر أنه إذا ما بطل جبهه أكثر فإنه يحصل على نتائج أسرع. ولكن كل ما أراده الآن، وحتى قبل البدء بذلك هو أن يرحل. سأتصل بك في الصباح عندما أستيقظ. سيكون ذلك الوقت هو الظهر بالنسبة لها، وكان يعرف أن هذا الوقت مناسب جداً. فلو اتصل بها عندما يعود إلى غرفته في نهاية النهار، فإن الساعة ستكون الحادية عشرة ليلاً عندها. وإذا رد غوردون على الهاتف، فإنه سيمسب لها المشاكل.

يمكنني أن أتصل بك أحياناً، اقترحت عليه ذلك، ولكنه قال لها أن من الأفضل أن يتصل هو بها، وكان محقاً في ذلك.

سأتصل بك عدداً يا حبيبتي. قال لها في الليلة، وهو متعب جداً ولا يقوى على الكلام أكثر حتى معها. كان ظهره يؤلمه للغاية، وكانت رقيته متبسة، ومعنوياته كانت في الحضيض، وشعر كأنه في كوكب آخر بعيد عنها وعن الحياة التي عرفها يوماً. لقد عاد أخيراً إلى الولايات المتحدة، ولكن لم يستند من ذلك بشيء. لقد كان وسط اللامكان على جزيرة صحراوية، كما كان يراها، وكان محكوماً عليه أن يبقى هناك لسنة. ولم تكن هذه الفكرة لتسرته.

'أحبك يا حبيبي'، همست له على الهاتف، وبعد أن أعلقا السماعة استقلت في سريريها تفكر فيه لفترة طويلة. وكانت تمنى لو ثمنائه وتضمنه وترجمه، ولكن وعلى هذا البعد جُل ما كنت لتستطيع أن تقطعه هو أن تحبه وتوحي له بالأفكار الجميلة.

استيقظ بيل الساعة السادسة صباح اليوم التالي. لم يكن قد غادر سريره بعد أن تحدث إليها. قلب في سريره ونام بثيابه، واستيقظ بعد أن رن جرس المنبه. كان قد سافر جواً وتعب من جراء مناطق التوقيت المختلفة، وبالكدأ أمكنه أن يتحرك. رنّ الجرس بنادي اللوصيف كي يساعده للجلوس في كرسيه من جديد، ولتخذ طريقه ليأخذ دوشاً. بعد نصف ساعة شعر بتحسن، واتصل بيزابيل قبل أن يغادر الغرفة.

'كيف تشعر يا حبيبي؟' سألته باهتمام. وبدت في حالّ الفضل وروح معنوية أعلى من الليلة السابقة.

'أفضل بكثير من ليلة أمس. لقد كنت محطماً.'

'أعلم ذلك'. وكانت تبسّم. فقد كان تبدي قد استيقظ وبمعنويات جيدة، وكان ذلك يوماً جميلاً من أيام أيلول (سبتمبر). وكان الوقت ظهراً عندها.

'أنا أسف لأني بكيت وشكوت لك ليلة البارحة. فقد كنت أشعر وكأنني طفل في مدرسة داخلية'. فابتسمت إذ قال ذلك، فقد بدا لها هكذا حقاً.

'أعلم. لقد كنت أود لو أطير وأتي بك إلى المنزل'. قالت بتعاطف.

'هذا ما تقعله الأمهات. أما الآباء فيخبرون الولد أن يتكيف. وهذا فرق جوهرى بين الجنسين. لقد كانت البنات تشعرن دائماً بالحنين عندما كانتا تذهبان إلى المخيم. كانت سيندي تتردنا دائماً أن نقلهما باكرأ، بينما كنت أعتقد أن عليهما أن يتصلا المشقات حتى النهاية.'

'ومن كان يظلب؟' بدت يزابيل مرحة. لقد كان هذا جانباً لطيفاً من سنثيا لم تكن قد سمعته يتحدث عنه من قبل، وصارت تميل إليها أكثر من ذي قبل

لأجل ذلك. فقد كانت لتقول نفس الشيء. فهي لم تدع أحداً من أولادها يتبدع عنها إلى أن ذهبت صوفي إلى الجامعة وشعرت بإزابيل أن هذا قبل الأوان. لقد كانت تريدها أن تبقى في باريس وأن تدرس في جامعة السوربون بدلاً من الذهاب إلى غرينوبل.

'هي للتى غلبت في الواقع. لقد كنت بعيداً دائماً وما كنت أستطيع أن أفرض قوانيني. وفي الوقت الذي سأعود فيه ستكونان في المنزل'.
'هذا جيد من أجلك.'

'حسناً. سأضطر لأن أستويحك العذر الآن، لأذهب وأرى كيف سيتفنون في تعذيبي. فأنا متأكد أنهم قد استعدوا لذلك هنا'. ولكنه لم يكن مستعداً للنظام المكثف الذي كانوا قد وضعوه له.

فبعد المعالجة المتواضعة التي أخضعها لها في لندن، كان العلاج الوشيك يشبه إلى حد بعيد الانسحاب إلى الماريز. لقد نفذّ التمارين البدنية بأفضل ما أمكنه من كرسيه. لقد جعلوه يرفع الأثقال بغية تقوية نصف جسمه العلوي، واستخدموا أيضاً تمارين باستخدام الآلات. وكان ذلك علاج خاص متعلق بعنقه، وتمرنات طويلة في حوض السباحة، وتمرنات خاصة لرجليه. وكان قد أعطي فترة نصف ساعة من أجل الغداء، وبالكدأ كان هذا الوقت بكفى لكي يذهب إلى الكافتريا أو يتحدث إلى أي كان. وفي الساعة الخامسة عاد إلى غرفته وكان متعباً جداً حتى إنه بالكاد استطاع أن يتحرك. بل حتى لم يستطع أن يستقل من كرسيه إلى السرير، واضطر ليقرع الجرس لينادي الوصيف، الذي ليستم عندما سمع بيل يتأوه.

لقد أجزيت تمارين جيدة اليوم يا سيد روبنسون، أليس كذلك؟ كان هذا شاباً أمريكياً أفريقياً كان قد تدرّب في سلاح الطيران، وتعرض للإصابة قبل خمس سنوات. كان يدرس كي يصبح معالماً فيزيائياً. كان بيل قد تشجع عندما رأى أنه لم تكن تبدو عليه أية علامات من إصابته السابقة وأنه كان في مظهر لا يُصدّق، وكان في السادسة والعشرين فقط من عمره.

"هل تمزح؟" نظر إليه بيل ببؤس. "أعتقد أنهم حاولوا قتلي اليوم."

"سوف لن تشعر بالثعب هكذا لمدة أسبوعين من الآن. فسوف تكون هذه التمارين خفيفة ومسهلة بالنسبة لك كما لو كنت تأكل قطعة من الكيك." لقد كان من الصعب على بيل أن يتصور ذلك. وقد أجرى الشاب مساجاً لبيل. وبعد أن غادر، قرر بيل أن يتجاوز طعام العشاء وأن يبقى في السرير. كان يخفو وإذا بالباب يفتح فاستيقظ من جنيد، وسأل وهو يشعر بالنعاس من يكون الطارق. وعندما فتح عينيه وجد شاباً في كرسي مدولب قد صلا داخل غرفته.

"مرحباً. أنا جو أندروز. أنا في الغرفة المجاورة لك. هل لي أن أدعوك إلى مباراة كرة سلة الساعة الثامنة؟" تأوه بيل وهو ينظر إليه ثم لطلق ضحكة. كان أندروز يجلس في كرسيه دونما ارتباك، وبدأ أنه يستخدم إحدى ذراعيه فقط. لقد كان قتي وسيماً وبدأ في بذلية العشرينات من العمر. لقد تعرض لحادث سيارة أودى بحياة أربعة آخرين قبل ستة أشهر.

"مباراة كرة سلة؟ هل تمزح؟ يمكنك استخدامي ككرة. فلا أعتقد أنني سأستطيع أن أجلس مستوياً مرة أخرى، فكيف بأن أتحرك وحدي؟"

"الأمر يكون قاسياً في البداية." قال له جو أندروز وهو يتبسم. ولكنه يصبح أسهل بعد حين. هذا المكان رائع هنا، فقبل ستة أشهر كنت مشدوداً إلى لوح مثبت إلى جسدي، وما كنت أستطيع أن أمرك إلا عيني! آنذاك. وكنت سأعتبر نفسي في غاية السعادة إذا ما استطعت أن أحك لفتي." لقد كان من المولم أن يفكر بتلك الطريقة، ومع أهة أخرى نهض بيل.

"إن الشباب حليف لك"، قال بيل موضعاً له، ولكنه كان دائماً مشوق القول إلى أن اصطدم به الباص. "أما أنا فرجل عجوز."

"ليس هنا شيء من هذا القبيل. إن رئيس فريق كرة السلة يبلغ للثانية والثمانين من العمر، وهو يعاني من سكتة دماغية. كان يلعب لصالح فريق اليانكينز لسنتين سنة خلت."

"أنا لست في عصبتي. وإلا لكنت سجلت في المارينز."

"سكنون أسهل، ولكن ليس هذا بطريف. وهناك بعض النساء الجميلات المنظر حقاً. لقد كان ذلك كمثل الذهاب إلى الجامعة بشكل يثير الضحك، وشعر بيل على الفور بمحبة تجاه هذا القتي. لقد كانت له عينان ضاحكتان، وابتسامة جميلة وشعر أحمر لامع.

"يبدو أنك أمضيت وقتك مشغولاً هنا". لم يكن جو كذلك، ولكن كان سعيد للنظر في الأمور. كانت الفتاة التي خطبها قد ماتت خلال حادث السيارة، ولكنه لم يذكر ذلك لبيل.

"أنا أذهب إلى نيويورك في نهاية كل أسبوع. ولربما تود أن تأتي معي يوماً ما. تستغرق الرحلة عشرين دقيقة بالقطار."

"إنها لفكرة. ولكني لا أفن الآن أنني أستطيع أن أتحرك."

"لماذا لا تأتي وتتفرج؟ سأعرفك على بعض الشباب."

لقد كان مصمماً أن يأتي ببيل إلى مركز الحياة حولهم. كان جو هو المشرف على المسنين، وكان قد تطوع للقيام بهذا العبء لكي يقوم بدوره معهم كما يفعل مع بيل الآن. لقد كان من المهم جعل النزلاء يشاركون في عدة أشياء إضافة إلى علاجهم الشخصي. وهذا ما أفق حياة جو. فعندما جاء إلى مركز التأهيل كان يفكر بالانتحار بعد أن تعرض للحادث. والآن مزّ بأسوأ مرحلة في حياته التي كان ينوي فراقها ثم لرتد إليها.

"وماذا عن النساء؟" قال بيل ممزاحاً وملاطفاً.

"هل أنت متزوج؟" سأله جو وهو يدفع بكرسيه خارجاً. لقد كان حلو المعشر مع الناس، وأمكن لبيل أن يرى فيه قتي ظريفاً حقاً. ولقد حزن لرويته جالساً في كرسي مدولب.

"لا. فسوف أتطلق."

"هذا سيء جداً. هناك فتاتان في الفريق إحداهما في الثامنة عشرة من

العمر."

'الفضّل أن تكون خارج نطق سجنها إذا استطعت. وكم يبلغ عمر الأخرى؟'

ثلاث وستون. قال جو وهو يتسم ابتسامة عريضة.

'سوف أخذ هذه. إنها أقرب إلى عمري.'

كم عمره؟'

'ثلاث وخمسون وسأغدو في التسعين اليوم.'

'هل تناولت طعام العشاء أم ليس بعد؟'

'أعتقد أنني فوتت العشاء الليلة. وكان قد فعل ذلك الليلة السابقة أيضاً. ففي الواقع كان من المزعج جداً بالنسبة له أن يخرج من غرفته مرة أخرى.

تلك فكرة سيئة. سوف أمر عليك الساعة السادسة والنصف، ويمكنك أن تقرر بعدها بخصوص المباراة'. لم يسأله رأيه، وقبل أن يستطيع بيل الاعتراض كان جو قد غادر غرفته.

لقد كان ينجذ عمله بشكل جيد، ورغم نفسه، فقد كان بيل جالساً في كرسيه للمدوب الساعة السادسة والرابع، وشعر بتحسّن أكثر مما كان عليه قبل ساعة. أخذ دوشاً وحلق نكته وسرّج شعره. كان يرتدي قميصاً قصير الأكمام لا قبة له وبنطال جينز، وبدا هو وجو كطفلين وهما يدفعان معاً عجلات كرسيهما نحو قاعة الطعام. بنا جو وكلته يعرف جميع الذين يلتقيهم في طريقه، وعرف بيل على الجميع بقدر ما استطاع. علم بيل، إيان ذلك أن جو كان في الثانية والعشرين من العمر ومن مينيابوليس. لقد تخرّج من الجامعة، وكان يريد أن يذهب إلى كلية الحقوق في العام المقبل. كان له شقيقان وأخ توأم مطابق له تماماً كان معه أثناء الحادث. وأردى الحادث حياة شقيقه التوأم وخطيبته، ومات كلا الشخصان اللذان كانا في السيارة الأخرى. كان شقيق جو هو الذي يقود السيارة عندما اصطدمت بهما السيارة الأخرى في المقنعة خلال ليلة تلجئة. كان العديد من الناس في المشفى لديهم قصص

قاسية، وفتيان كانوا يمحون ويلهون مثلهم مثل معظم الفتيان، وامرأة أصيبت بطلق ناري في العمود الفقري خلال عملية سطو مسلح على متجر عندما توقفت في وسط النهار لتشتري كولا لأولادها، وأناس كانوا قد تعرضوا لإصابات في حوالت من كل الأنواع. والكثير من هؤلاء كانوا يخضعون، ليس فقط لعلاج فيزيائي بل أيضاً لمساعدة نفسية، مثل جو والمرأة التي أصيبت بطلق ناري في عمودها الفقري. عندما كان هؤلاء يغادرون المشفى، كانت لديهم الفكرة بأنهم قادرين على أن يحيوا حياة كاملة مثمرة وطبيعية بشكل مذهل.

كان هناك حوالي مئتي نزيل في المركز، وثلاثمائة آخرين أو أكثر يتأثرون إلى المركز كمرضى غير مقيمين كل يوم. ولكن أولئك اللزلاء الذين عاشوا هناك كانوا يشكلون نواة بشرية يهتم كل منهم بالأخر فيصبحون عائلة واحدة خلال فترات مكوثهم الطويلة الأمد. الضجة التي في الكافتريا ذكّرت بيل، ليس بالجامعة بغير ما ذكّرت به حفلة كوكتيل يرتص الناس فيها جميعهم على أنغام موسيقى لسوينغ. كان الجميع يضحكون، ويتحدثون، ويضعون الخطط، بعضهم يستأخرون بانتصاراته عبر الأيام، والبعض الآخر يتأثرون من أنهم كانوا يعملون بجد كبير. ولكن بيل شعر أنه لم يشاهد مثل كل هذا العدد من الوجوه المبتسمة منذ أمد بعيد. ولم يكن أبداً يتوقع ذلك عندما وصل إلى المشفى.

'هناك دورة تنس الأسبوع المقبل، إذا كنت تحب أن تلعب.'

وزوده جو بمعلومات عنه بينما كان يتحدث إلى ستة أشخاص بنفس الوقت، وكان أربعة منهم على الأقل من الفتيات. ولكنه لم يكن غريباً هناك، فقد كان الكثير من الشبان الجملي الطلعة في كراسيهم المتولبة، واعتقد بيل أن نصف الناس الذين رأهم هناك، كانوا في العشرينات من العمر وذكوراً. أما النصف الآخر فكان يشمل أناساً من أعمار مختلفة، وكان أقل من النصف منهم نساء أو فتيات. وكان ثلاثة أرباع السكان ذكوراً. وبدا أنهم تعرضوا لمشاكل،

أو صادفهم حظ عاثر أو كانوا يقودون سيارتهم بسرعة هائلة، أو خاضوا مخاطر ومجازفات كبيرة، أو كانوا يمارسون ألعاباً خطيرة. وكان هناك أيضاً عدد من الرجال والنساء في مثل عمر بيل. وإلى طاولتهم كانت هناك فتاة جميلة ذات وجه فاتن جذاب وكانت تلفظ الكلمات بشكل متداخل وغير واضح. كانت هذه فتاة موديل وقد سقطت على درجات سلم رخامية خلال التقاط صور لها وتعرضت لإصابة شديدة في رأسها. وقد ظلت في حالة غيبوبة ثمانية أشهر، وإذا تحدث إليها بيل أنك كم كانت هي وإيزابيل محظوظتين. كان اسم الفتاة هيلينا، وكانت صديقتها المفضلة في مركز التأهيل الرقصة باليه شابة كانت قد تعرضت لحادث سيارة، وكانت قد صممت على أن ترقص من جديد. كان المركز يحفل بأناس يواهبون تحديات كبيرة لافتة للانتباه، وكلوا يبدلون جهوداً تثير الإعجاب لتغلب على الإعاقات التي تعرضوا لها. وكان الإعجاب يعمر بيل تجاههم.

في الوقت الذي انتهى فيه تناول طعام العشاء، كان بيل يشعر بالتحسن من جديد، ودعاه جو وهيلينا للمشاركة في المباراة، ولكنه لم يكن يريد أن يلعب. كان يريد فقط أن يتفرج.

"إنهم رائعون حقاً"، قالت هيلينا مبتسمة معلقة بحدثها غير المفهوم بشكل واضح. كانت في كرسي متولب أيضاً، وسبب ذلك فقط هو أنها كانت تعاني من دوخة أو دوار من جراء إصابة رأسية لديها وكانت تسقط أحياناً على الأرض دون سابق إنذار. فكانت تشعر بالأمان أكثر في الكرسي. كان بيل منذهاً بجمالها، ورأى أنها كانت تبدو مثل إيزابيل. لقد علم من جو أنها كانت تعمل في نيويورك، وباريس، وميلانو وكانت فتاة الغلاف في مجلة فوغ ومجلة هاربرز بازار قبل الحادث. وبحسب جو، فقد كانت ناجحة في عملها. في المرة القادمة عليك أن تلعب. قالت هيلينا تشجع بيل.

"وليس لا تعين أنت؟" قال مازحاً إياها، فقد كانت أطول من العديد من الرجال، وأمكنه أن يعرف ذلك من خلال سابقها الطويلتين. وقد كانت ترتدي

بضطالاً قصيراً وصندلاً وهي تجلس في كرسيها إلى جواره، وتعتني بأصابع قدمها بشكل جميل، وكان هناك طلاء أظافر أحمر اللون يراق على أظفارها. وكان العديد من الشبان قد أعجبوا بها، ولكن صديقها كان المصور الذي كانت تتصل له يوم التصوير حين وقعت، وكان يحبها بإخلاص منقطع النظير. وكان سيتروجان عندما تخرج من المشفى، وكانت تضع في إصبعها خاتم خطبة كانت سننيا لتصفه بأنه بحجم بيضة.

جاءوا يتفرجون على المباراة جنباً إلى جنب، وكان هناك الكثير من الصراخ والصفاح وهتافات التشجيع للفرقتين. وكان الجميع يبذون مسرورين مستمتعين لياً كان الفريق الذي يسجل النقاط. إن حقيقة كونهم يلعبون بحد ذاتها كانت تشكل انتصاراً لهم جميعاً. وكان بيل مذهولاً من الصالة الرياضية المثيرة للدهشة.

"هل أنت متزوج؟" سألته هيلينا عرضياً، لقد كان الجميع يعرفون أنها كانت مخطوبة، ومفتونة بخطيبها. لقد سألت بيل ذلك بدافع الفضول. لقد كان رجلاً وسيماً، ولو لم تكن مخطوبة لكانت أعجبت به، ولكنها كانت سعيدة الآن مع خطيبها.

"مطلق. تقريباً. خلال بضعة أشهر".

"يا للأسف". قالت متعاطفة. "ستكون محبوباً وذا شعبية هنا". وانضمت ابتسامة عريضة. ولكن بيل كان يعتقد انه لم يزد مثل هذا الكم الهائل من الرجال الجميلي المحيّا في مكان واحد، وكان معظمهم في نصف عمره. لم يكن هذا الموضوع لبيهم، كما وأنه لم يكن مستعداً له. فقد كان يحب إيزابيل. "هل لديك صديقة؟" كان على وشك أن يقول لا، ولكنه بعدد قرر أن يكون صريحاً معها فقال:

"نعم".

"هل ستتروجان؟" دخلت في لب الموضوع بشكل مباشر.

"ألا تستطيع أن تقوم بهذا العمل وأنت جالس؟ يا للفرابة".
"أنت تعلمين ما أقصده".

تعم، لقد اعتدت أن تشعر كذلك أيضاً، ثم وجدت أنني كنت حقا.
ستضحك إذا قلت لك. أحياناً أنسى الأشياء، وأسقط بينما أنا أتحدث إلى شخص
ما. هذا محرج جداً. ولا أعرف إذا كنت سأستطيع أن أعمل أشياء أخرى. فأنا
لا أزال أبسو مقبولة تقريباً. قالت له بتواضع. فانتصت عيناه اندهاشاً، وقد
أصبحا صديقين الآن. كانت الصداقات تنشأ سريعاً هناك، فقد كان المركز مثل
سفينة، والرباط الذي ينشأ بين التزلزلاء يجعلهم يفهمون العلاقات مع بعضهم
بعضاً بشكل سريع. "لا زلت أتمتع بالكفاءة، حتى ولو بدوت حقا. وإذا كان
هذا لا يكفي لشخص ما، فيذهب إلى الجحيم. خطيبي لا يأبه لكل ذلك، وإلا
فلن أريسه عندئذ. ربما ينبغي عليك أن تعطى السيدة الفرصة لتتخذ قرارها
بنفسها".

"إن الأمر معقد أكثر من ذلك".

"وهل من شيء ليس فيه تعقيد؟" قالت هيلينا بلا لكرث، وقد عاودت
متابعة المباراة لدية، ويحذ عنك بنظرها على بيل وأردفت قائلة: "تأكد ألا
تتخذ قرارك لأسباب غير صحيحة. فإني أراهن على أنها إذا كانت تستحق
حبك لها، وعلى الأرجح هي كذلك، فإنها لن تبالي إذا ما كنت قادراً على
المشي أم لا". لقد كان يعلم أن ما كانت تقوله كان صحيحاً. ولكن بالنسبة
لإيزابيل كانت مشكلة تبدي لا تزال قائمة. وأما بالنسبة لبيل، فأن يستمر في
رؤيتها أو لا يعود على قدرته على المشي أم لا. لقد كان هذا شرطاً فرضه
على نفسه، وكانت إيزابيل تجهل ذلك.

"ولنا أقبل رهاك يا هيلينا". كان يرد لها المجاملة. ولكنه قد سمع كل ما
قالت، وتأثر بعمق، ليس فقط بشجاعته، بل أيضاً بصراحتها معه. وكان في
مزاج طيب.

جلسا معاً كصديقين قديمين حميمين بقية المباراة.

"لا". وعندها القى بحذره وحيطته في مهب الريح. لم يكن يحتاج لأن
يكون لديه أسرار هنا. إنها متزوجة من شخص آخر، وسوف تبقى هكذا. هذا
هو الحال الآن".

"ما معنى ذلك؟" نظرت إليه بإيمان، وفاتها أن ترى إحدى النفايل
الرئيسية في اللعبة. كانت الضجة حولهما في الصلابة تصم الأذان، ولكنها كانت
مهتمة أكثر بما قاله بيل.

"يعني أنها ليست في حاجة إلى مشاكل تصيفها الآن إلى مشاكلها
الخاصة. قلديها طفل مريض. وليست بحاجة إلى زوج في كرسي متوالب". لقد
بدا الأمر واضحاً بالنسبة له.

"لم لا؟ ما الفرق الذي يشكلك ذلك؟ يجدر بك أن تزول هذه الفكرة من
رأسك. هل تفكر هي على هذا النحو؟".

"لا، على الأرجح. ولكن هذا ما أشعر أنا به. فسوف لن أكون عبئاً
عليها".

"هذا لطف منك. وماذا عنهم؟" وأشارت إلى اللبان الذين يلعبون في
المباراة، وهم يتدافعون نحو بعضهم بعضاً، ويدفعون عجلات كراسيهم حول
الملعب بأقصى سرعة وإتسامة عريضة على شفاههم والعرق يتصبب من
وجوههم. لقد كانوا يمشون وقتاً رائعاً. "هل يبدو عبئاً في نظرك؟".

"أنا لست متزوجاً منها، ولكن ربما أفكر هكذا لو كنت كذلك. انظري يا
هيلينا، أنا لا أستطيع أن أركض، ولا أستطيع أن أفك على قسي ولا أن أسير
في الشارع، بل حتى لا أعرف إذا كنت سأعمل بعد الآن. ولا أستطيع أن
أعرض ذلك على أي شخص آخر". ولم يذكر لها عن محاولته ممارسة الحب
معها وفضله في ذلك.

"ماذا كنت قبلاً؟ متزوج على الجليد؟" سألته وقد رفعت حاجبها نحوه. لقد
كانت فتاة لامعة، وقد أحب عشرتها.

"أنا أعمل في المجال السياسي".

ربح فريق جو المباراة عندما انضم إليهم في النهاية من جديد. لقد كان فتى سعيداً ومبلاً بالعرق وبهي الطلعة، لاحظ بيل ذلك من جديد، بينما كان هو وجو وهيلينا عائدتين إلى الكافيتريا ليشربوا شيئاً بعد المباراة، وقد راققهم معظم أعضاء الفريقين ومشجعهم أيضاً. لقد كانت لأسية طريقة جميلة، وعندما تركتهما هيلينا في النهاية لكي تذهب إلى غرفتها، ابتسم جو إلى بيل وقال: "إنّأ هل ستفسخ خطوبتهما؟" سأله جو بإبتسامة عريضة. "لقد حاولنا جميعاً معها".

"أعسل على هذا الأمر، ولكن ليس بعد". لقد كان كلاهما يعلم، أنه كان يمزح وحسب. لقد كانت متيمة بعشق خطيبها، وقال جو إنه شاب رائع. لقد كانا بنويان الزواج في الربيع، وكانت هيلينا مصممة على أن تسير في ممشى الكنيسة مستتدة إلى ساقبها. ومن خلال ما رآه تلك الليلة، وروحها التي لا تقهر والتي شغقت منها مثل المنارة، كان بيل متأكداً من أنها من الممكن أن تتجح في ذلك.

"إن لها أختاً تأتي زيارتها". علق جو قائلاً لبيل وهما يتفان عجلات كرسبهما عائدتين إلى مهبجهما. "إنها تبدو مثل ضفدعة". فقهقه بيل ضاحكاً. "لا بد أن لها أماً مختلفة أو شيء من هذا القبيل. لقد طبقتها هيلينا لي، وقد كنت فعلاً مندهشاً. ولكنها طريقة جداً". تبادل الرجلان اللمزات وضحك بيل من جديد.

"الأمر نتجح بهذه الطريقة أحياناً".

"وإنّأ هل ستلعب معنا في المرة المقبلة؟" سأله جو وهما يعبران الردهة باتجاه غرفهما.

"أعتقد أنّي أفضل أن أتفرج". كان قد استمتع بالحوار مع هيلينا، وكان يفكر بما قالته، وهو لا يزال يخالفها للرأي. فلن يرضى أن يكون حملاً ثقيلاً أو رجلاً عاجزاً في حياة أي شخص كان، وبالتأكيد ليس إيزابيل، حتى ولو التقيا مرتين في السنة وحسب. إنها ورطة هي ليست بحاجة إليها. يكفيها ما

لديها من مشاكل في حياتها.

"هل تريد أن تأتي إلى نيويورك غدأ؟ بعض الشباب الآخرين قادمون معي. سوف نذهب إلى العشاء وعرض مسرحي".

"كنت لأود ذلك". قال بيل بلطف، "ولكن بنتي آتينان لرويتي. فسوف تجسنان من المدرسة". كانت أوليفيا آتية من جورجتلون، وجين من جامعة نيويورك.

"كم تبلغ أعمارهما؟" سأل جو باهتمام. لقد كان مهتماً كثيراً بالفتيات رغم أنه لم يخرج مع أي فتاة منذ وفاة خطيبته.

"تسعة عشرة وإحدى وعشرين. لود أن أعركك عليهما إذا كنت هنا عندما تصلان".

"سوف لن نذهب إلى المدينة حتى الساعة السابعة". قال جو وقد وصلا إلى غرفة بيل. "لدي اجتماع لفريق السباحة غدأ، ولكن ساكون هنا". لقد كان رئيس فريق السباحة في كليته.

"سأبحث عنك". وعده بيل، ثم ذهاباً إلى غرفهما. واستاء بيل لأنه لم يكن لديه وقت ليتصل بإيزابيل تلك الليلة، ولكن كان الوقت قد تأخر حتى يتصل بها الآن. كانت الساعة آنذاك الخامسة صباحاً في توقيتها. وقرر عندئذ أن ينتظر ساعة ويتصل بها عندما تستيقظ.

استلقى في السرير وراح يقرأ لساعة محالواً ألا يغفو. وبعدئذ، وفي منتصف الليل، فصل بها. وسارعت إلى الرد على الهاتف، وبدت مرتاحة لسماح صوته.

سألته: "هل أنت على ما يرام؟ لقد كنت قلقاً عليك".

"أنا بخير. لقد ذهبت لمتابعة مباراة كرة سلة. إنهم يتحوروني هذا. ولكنه مكان ظريف". وأخبرها عن الناس الذين التقى بهم ولقصص التي سمعها منهم، والعلاج الذي خضع له طوال النهار.

يا إلهي! لا أعتقد أنني أستطيع القيام بأي من هذا. قلت له بتأثر.

"ولا أنا على يقين من ذلك، وليس لدي إلا يوم عطلة وحيد. البنات ستأكلن غداً، وسيسدني أن أراها". لم يكن قد رآها منذ شهرين، واشتاق لهما كليهما. وقد تعجب من أنه اشتاق لسنثيا أيضاً. ولكنه لم يخبر إيزابيل بذلك. فبعد ثلاثين سنة صار وجود سنثيا عادةً في حياته ومن الصعب الإقلاع عنها، حتى ولو كان يرى أن هذه العادة ما عدت تمت لحياته بصله. كيف حالك يا حبيبتى؟".

بخير. استيقظتُ لتوي. لا يزال تبدي نلماً. وراحا بندرشان لبعض الوقت، ثم أغلقت السماعة عندما سمعت الطفل يتحرك، وكانت لا تزال تفكر ببيل عندما ذهبت لتطمئن على تبدي. أعطته أنوية الصباح، وعاد مباشرة إلى النوم. فذهبت إلى غرفتها وارتدت ثيولها، ووقفت تنظر إلى الحديقة مطولاً، وهي تفكر ببيل. لقد حزنت إذ أدركت أنه سيمضي وقتاً طويلاً حتى يلتقيا من جديد، ولكن السبب معقول واضطراري. وكانت تعلم أن هذا قد يطول لمدة سنة.

وفي سريره تلك الليلة، كان بيل يتسّم في قرارة نفسه وهو يفكر بها ولستسلم للنعاس. واسترجع في ذهنه كلمات هيلينا بينما كان يفكر، كانت معقولة له، ومع ذلك فقد ظل يفكر أنها ليست صحيحة بالنسبة إلى حالته. ما عاد ينتمي إلى حياة إيزابيل أو حياة أي شخص كان، طالما أنه لا يستطيع أن يمضي. لقد كان يؤمن بذلك إيماناً مطلقاً رغم أن اعتقاده كان يتناقض مع كل ما يراه هنا. ولكن هيلينا جميلة وفتية، ولمرأة... فما كانت تستطيع أن تقهر ما كان يشعر به... لقد كان الأمر مختلفاً بالنسبة له... فهو رجل، وكان يعرف أنه إذا لم يمر على قديمه ليعود إلى حياة إيزابيل، فإنه لن يكون في حياته على الإطلاق.

الفصل الرابع عشر

عندما جاءت أوليفيا وجين لزيارة بيل في اليوم التالي، كانتا في شوق لرويته، ورات كلتاها أنه كان يبدو على ما يرام. فأخذهما في جولة حول المشفى والأراضي المحيطة بها، وعرفهما على الناس الذين التقى بهم، ثم وجد ركناً هادئاً ليجلسا فيه في الهواء الطلق في جو سيمبر (أيلول) الدافئ. كانت فترة بعد الظهر من يوم مسمس، وكانت الفتاتان تبدوان سعيدتين وبخير. لقد كان لديهما الكثير ليقولانه له، وتحذنتا كثيراً عن والتهما، وعن اشتياقهما له، ورغبتاهما أن ياتي إلى المنزل. لقد كانتا لا تزالان مستاءتين من موضوع الطلاق ولكن الجامعة كانت تشغلها كثيراً.

مضوا إلى الكافتريا طلباً للمهرغر في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، قبل ذهابهم، وعندما وصلوا إلى هناك التقوا بجو صدفه. وقام بيل بتعريف الأحداث الثلاثة ببعضهم البعض، وسرعان ما ساد جو من الوئام والألفة بينهم. وكانت أوليفيا تعرف شخصاً كان زميلاً لها في الدراسة في مينيا بوليس⁽¹⁾. لقد كان عالم طلاب الجامعة صغيراً. وسألها عن رأيها في جامعة نيويورك، فقد كان بنوي الالتحاق بكلية الحقوق فيها. فأخبرته أنها كانت تحب هذه الجامعة، واستمر الحوار يدور بينهم في جو من المودة والحيوية دون مشاركة كبيرة من بيل. وانضم جو إليهم في تناول المهرغر، وتحذوا عن كل المواضيع التي كانت تهمهم. وأما حقيقة أن جو كان يستخدم عربة مُتَوَلِّبة فقد بدا لا يشكل عائقاً أبداً لهم جميعاً. لم يلاحظ ولم يهتم أحد بذلك، وهذا ما لاحظته بيل عندما غادروا الكافتريا وساروا عائدين إلى مهجعهم، فسارت أوليفيا

(1) مينيا بوليس (Minneapolis): أكبر مدينة في مينيسوتا وهي ولاية في جنوب وسط الولايات المتحدة الأمريكية.

جنباً إلى جنب مع والدها، في حين كانت جين تتمشى إلى جوار جو. لقد بدا مأخوذاً بها للغاية، وسألها إذا كانت تحب أن تذهب إلى السينما معه ومع بعض أصدقائه تلك الليلة في نيويورك. ولكنها قالت أنه كانت لديها مخططات أخرى، وبدأت أسفة لأنها لم تستطع الذهاب معه. فطلبت منه أن يتصل بها مرة أخرى، أو يستصل هي به. لقد بدا وكأن هناك أشياء كثيرة مشتركة بينهما، وقد ظل ملازماً لهما إلى أن انصرفتا تقريباً، وعندها غادرهم بتحفظ تاركاً إياهم لاجتماعهم العائلي. لقد كان حساساً ومهذباً وذكياً، وعلق بيل بعد ذهابه بأنه أحبه كثيراً.

- "إنه ظريف". اكتفت جين بهذا القدر من القول، وضحكت أوليفيا مزحةً.

لا بأس، ظريف؟! إنه جذاب الشخصية". لقد كان فتىً حسن المظهر، وكان بيل يجد من الطرافة أن يرى كيف تقارب أولئك الأحداث مع بعضهم بعضاً وهم في مثل هذا السن. لقد ذكره بجرأ تهور.

كانت الفتاتان تزعمان أن تضامنا تلك الليلة مع والتهما. وعاد بيل إلى غرفته عندما غادرتا. وعندما وصل إلى هناك، كان جو ينتظره وقد بدا عليه الاهتمام والقلق.

سأل بعصية: "لود أن أطرح عليك سؤالاً".

أجاب بيل ظناً منه أن الحديث يدور حول لعبة كرة سلة أخرى: "حسناً يا جو، ما الأمر؟".

- "أردت أن أعرف... فعلاً... لقد كنت أفكر... يبدو أن الأمر كان جدياً، فلفقتي الجذاب الشخصية صار فجأة معقود اللسان، محمّر الوجه حتى جنور شعره الأحمر.

فمازحه بيل: "عسى خيراً. تبدو وكأنك مستمتع سيرتي. وفي الواقع ليس لدي سيارة، وما من أحد منا بمقدوره قيادة سيارة".

ضحك جو أندروز وقال: "كنت أتساءل إذا كنت تمانع إن... وأخذ نفساً

عصيقاً وغازص في كرسيه واستأنف يقول: "... إذا كنت تمانع إذا ما اتصلت بجرين يوماً ما؟ سوف لن أفعل ذلك إذا كنت تعارض، وهي قد لا تريد أن تراني بعد... أقصد... كما تعلم... إن... حسناً...".

أعتقد أنها فكرة عظيمة". لقد كان لديها صديق عتيق كانوا جميعاً يكرهونه، واستمرت علاقتهما سنتين، ولسرور بيل الشديد فإن هذه العلاقة قد انتهت العام الماضي، ولم تهتم بأحد آخر منذ ذلك الوقت. 'بحسب معلوماتي، فإنها غير مرتبطة، ولم يطلب أحد وداء، ولكني لست مهتماً بالإطلاع على التفاصيل. يجب أن تتحقق بنفسك عن ذلك منها".

لقد قالت لي أنه يمكنني أن اتصل بها، وأعطتني رقم هاتف والديتها ورقم هاتفها في المدرسة. ولكني أردت أن أسألك أنت أولاً. لقد كان حسناً منه أن يفعل ذلك، ولقد تأثر بيل بذلك.

- "لود أن أقول أنها بارقة أمل". وابتسم في وجه الفتى. "أهي إذا أفضل من شقيقة هيلينا؟".

"هل تمزح؟ لا يمكنك أبداً أن تقارن بينهما. إن جين رائعة. أقصد... إن شقيقة هيلينا كانت فتاة ظريفة ولكن...".

"أعرف. لقد كانت تبدو مثل الضفدع".

لا تقل لهيلينا أنني قلت ذلك، لقد كانت في الحقيقة فتاة لطيفة وذكيا للغاية". لقد بدا مذعوراً من فكرة أن يخبر بيل هيلينا عما قاله.

- "أعك ألا أفعل ذلك. إنه إبطاء لي أن تعجبك جين. إنني لفخور بهما كليهما". وكان جو يعرف السبب. لقد كان يحب أوليفيا أيضاً، ولكنها كانت تبدو أكبر وأكثر نضجاً، وأكثر تحفظاً. لقد كان يشعر بالارتياح أكثر إلى جين وكان معجباً بشكلها.

- "قد أتصل بها لليلة".

- "الأمر عائد إليك". قال له بيل بلهجة أبوية. واستأنف: "من الآن

فصاعداً، أنا خارج الدائرة. فهي فتاة ناشجة راشددة. ولكنه تأثر بأن هذا الفتى الذي أحبه كثيراً قد شعر بهذا التقارب نحو جين. وفكر أنه سيكون لخيرها معاً. لقد كانت في حاجة إلى شخص مثاق، مهذب، ولطيف في حياتها، وكان هو يستحق بعض السعادة بعد ما قاماه. لم يخطر له البتة لأول وهلة أن المقارنة كانت في غير محلها المناسب، وذلك لأنه كان في كرسي ذات عجالات. لقد شعر على هذا النحو بخصوص نفسه، من منظر إيزابيل، وأما بالنسبة لـجو وجين فقد فكر أن الأمر كان لا بأس به. لم يستطع أن يفرق بين هاتين الفكرتين أبداً.

سرت الفتاتان بزيارتهما لبيل. واتصلت كلتاهما به قبل أن تعودا إلى الجامعة في اليوم التالي. لم تذكر جين جو ثانية، ولذلك لم يعرف بيل إذا ما كان قد اتصل، كما وأنه لم يكن يريد أن يتطفل. وسارعت سنثيا إلى الهاتف قبل أن ينهيها المكالمة، وسألته إذا كان بإمكانها أن تزوره ذلك الأسبوع. تردد ثم وافق. فليس من ضرر في ذلك. فهو نفسه كان قد أخبرها أنه كان يريد أن يتطلقا كي يبقىا صديقين. وكما الحال مع الفتاتين، فهو لم يرها منذ شهرين.

بعد يومين، ومع قدوم يوم الثلاثاء، جاءت سنثيا لتتناول طعام العشاء معه. وانذهلت بينما دخلا الكافتريا معاً. فقد كان الناس يبتسمون ويضحكون والسعادة بادية عليهم، وما كان يهمهم حال المرء، سواء كان يسير على قدميه أم يتحرك على عربة ذات عجالات أم أن جسده مثبت إلى ألواح ثقالة، فبدا أن الجميع كانوا يعرفون بعضهم البعض وأنهم ما يتحدثون عنه. لقد كان هذا أحد أكثر الأمكنة حميمة التي رأتها على الإطلاق.

عرجت هيلينا عليه كي تسلم عليه، وقمتها إلى سنثيا التي عركها بأنها زوجته.

- 'من هذه؟' سألتها سنثيا بعد أن غادرتها هيلينا.

- 'إنها عارضة لزياء.'

- 'هل تواعدا أو تخرج معها؟' سألتها وقد التمتت للغيرة في عينيها إذ ضحك.

- 'إنها مخطوبة.'

- 'فتاة محظوظة.' قالت سنثيا وقد بدت مرتاحة.

ضحك بيل وقال: 'هذا ما قلته أنا أيضاً.' وبعد ذلك عادا إلى غرفته، وتحدثا لبعض الوقت. لقد بدت على ما يرام، ولكنها عدت حزينة عندما تحدثا عن الطلاق.

- 'هل أنت واثق أن هذا ما تريده؟' سألتها ثانية، إذ يبدو أن من المحاققة

القيام بهذا أمر الآن، وفي صرنا، وبعد كل هذه السنين.'

- 'لم يبق من شيء يربط بيننا، يا سن.' وأنت تعلمين ذلك.' قال لها ذلك بلطف ولكن بحزم.

- 'بَلْ كان هناك ولا يزال. انظر إلينا الآن. ما إننا نتحدث معاً منذ ساعات. لا أزال أحبك يا بيل. أفلا يمكنك أن تمنح أنفسنا فرصة أخرى؟'

- 'لم يبق لدي ما أعطيه.' قال لها بصدق. 'أنا أيضاً أحبك، ولكن ما

عدت أفزع. سوف أحبك دائماً، ولكن إذا حولنا ثانية فإني أظن أننا سنعود إلى ما كنا عليه. فأنا سأعود إلى العمل وأنهمك فيه، وأنت ستزعين من ذلك، وستعودين إلى تصرفاتك السيئة السابقة.' لم يُرد أن يذكر لها صراحة ما يقصده بالضبط، ولكن كلاً ما كان يعرف ما يعنيه بكلامه. فقد كانت لها علاقات عرلمية. 'وإذا لم أستطع العودة إلى العمل فسوف أبقى في المنزل متضيقاً بينما تعيشين حياتك على هواك، وفي هذه الحال أنا سأزجج. فأحصل أن أعيش وحدي. وأنت أيضاً كذلك، إلى أن تجدي الشخص المناسب لترتبطي به.'

- 'لقد كنت أنت الشخص المناسب.' قالت ذلك وقد بدا الحزن عليها، فما

كانت تستطيع أن تقول له بأنه مخطئ. ولكن كان يسوءها أن تتركه وحده معتمداً على نفسه.

- ربما كنتُ الشخص المناسب، وربما لا. ولكن لو كنتُ فعلاً كذلك لكان زولجانا أكثر نجاحاً مما كان".
- لقد كنتُ حمقاء آنذاك. ولكنني نضجتُ الآن".

- كلانا صرنا أكثر رشداً ونضجاً. فدعينا نعالج هذا الأمر بنضج. توقفت عن الحديث لوهلة، ثم تبهت. لقد أدركت أنه كان قد اتخذ قراراً حاسماً لا تراجع عنه. فعنما كان بيل يحترم أمراً ما، ما كان أيداً ليغير رأيه. هكذا كانت طبيعته.

- وماذا عن إيزابيل؟ سألتُه سنيًا عندها.
- 'ماذا عنها؟' لم يكن بيل يريد أن يتطرق إلى إيزابيل في حديثه معها. ليس عندي ما أقول".

- 'لم لا؟' كانت سنيًا مستغربة ومتعجبة. فلقد كان بيتاً جداً أنه كان مغرماً بها، وكان يصعب التصديق أنه سيتخلى عن هذا الموضوع أيضاً. وتساءلت إذا ما كان مكتئباً محبطاً.

- 'إنها متروجة. وأنا هنا. وهنا ينتهي الأمر'.
- 'لا أعتقد أنك ستخلى عن الأمر بهذه السهولة. لماذا تفعل ذلك؟' فليس بإمكانها أن تكون سعيدة مع ذلك الجبل الجليدي الذي رأيته في لندن. لقد كان يبدو ندلاً حقيقياً".

- 'إنه كذلك فعلاً. ولكن لديها ابن مريض جداً. وسبق أن قلتُ لك ذلك. فهي لا تستطيع أن تترك فورستر، إذ إنها تعتقد أن هذا قد يسبب المزيد من الضرر للعلاج، كما وأنها لا تستطيع أن تعول الطفل. صدقيني يا سن، إن المسألة في غاية التعقيد. وفيها نظر أيضاً. سوف إن أحملها مشاكل فوق كل شيء. إنها تستحق أكثر من ذلك. وأنت أيضاً كذلك".

نظرتُ إليه سنيًا بإعجاب: 'أهذا هو السبب الذي جعلك ترغب في الطلاق؟' ولرعت من هذه الفكرة.

أجابها صراحةً: 'جزئياً. ولكن لدينا أسباب أخرى أيضاً. إنني أقدمُ على ذلك من أجل. وسأبقى بعيداً عنها من أجلها. اللهم ما لم يصنعوا معجزة هنا'.
فقلتُ له مويحةً: 'أنت تعلم ما أخبروك به في لندن. هذا إن يحدث. وسوف إن استطعتُ أن أخرج من هنا على مزلاج رولر بلايد⁽¹⁾ يا بيل. فلا تصنع هذا بنفسك. ولا تأمل أكثر من اللازم".

'لستُ كذلك. وأعتقد أن أي تحسن أحصل عليه سيكون نعمةً كبيرة. ما أردتُ أن أقوله هو طالما أنا على هذا الشكل فإني سأبقى خارج نطاق حياتها'.
'هل تعرفه هي ذلك؟' بدت سنيًا ممتاعةً من أجله. لقد كان هذا السبب أسوأ بكثير من الأسباب الأخرى التي تدفعه إلى الطلاق. وشعرت سنيًا بأنه سيقووعاً ما في سببه إلى الطلاق رغم أنها ما كانت لتقر له بذلك. فلو كان مستعداً للعودة إليها لكانت سترحب به من كل قلبها. ولكنها كانت تعرف كم كانت مهمةً له ولسنتين طويلة. لقد أدركت الآن فقط بشكل كامل أي كنز كان لديها. ولكن كان الأوان قد فلت. 'هل تعرف هي السبب الذي يجعلك تنهي المسألة معها؟' سألتُه هكذا إذ كانت تشعر بالأمس عليهم.

'هز بيل رأسه نفيًا: 'إنها حتى لا تعرف أنني سأبني الموضوع. ولكن يمكننا الإبقاء طويلاً على علاقتنا طالما أننا على هذا المقدار من البعد ولا نرى بعضنا البعض. وفي النهاية سوف تنقسم علاقتنا. فأنا سأبقى هنا. وهي لها حياتها الخاصة. وسوف تتغلب على هذه المشكلة".

'لستُ على ثقة كاملة ما تقول. إذ يبدو أن ما من أشياء كثيرة أخرى في حياتها. والأهم من ذلك هو هل تستطيع أنت أن تتغلب على هذا الأمر؟ ولماذا ينبغي عليك ذلك؟ فإن كانت أقل مما أظنها عليه فهي لن تبالي بحالتك هذه. فأنت أفضل من كثير من الأشخاص القادرين على السير على أقدامهم".

(1) رولر بلايد (Rollerblade): ماركة (علامة تجارية) نوع من المزلج التي تتوضع فيها العجلات على صنف واحد مستقيم.

هذا ما كانت هيلينا أيضاً قد قالت له. 'ولكن ليس الحب هكذا'.

'ربما لا. ولكن هذا ما لنا عليه. سوف لن أشكل عبثاً عليها. وهي لن تترك فورستر بأي من الأحوال. ولا تستطيع ذلك'. لم تكن سنثيا مسرورة مما سمعت. وبعد أن غادرت بقي بيل هادئاً ساكناً لبعض الوقت. لماذا يسر الجميع أنه ليس مهماً أن يكون على كرسي متولب على الدوام؟ لقد كان يهيمه هذا الأمر. وكان يعرف أن الأمر سيهم إيزابيل بمرور الزمن. لقد لبي أن يسير في ذلك الاتجاه مع إيزابيل أو مع أي امرأة أخرى رغم ما قالته سنثيا. لم تكن لتعلم حقيقة الأمر. وكان على يقين أنها لن تتحمله. وكانت سكرهه للأبد بالنتيجة بسبب كل ما لم يكن عليه أو لم يعد يستطيع أن يكونه أو يفعله. وسوف لن يفعل هذا إيزابيل، حتى ولو اضطر للكذب عليها مدعيًا أنه ما عاد مهماً بها. لقد كان مصمماً على ألا يعود لرؤيتها في باريس إن لم يستطع أن ينزل من الطائرة سراً على قدميه. وإذ ذكرته سنثيا بحالته، فقد أحس أنه ليس له أي أمل تقريباً في ذلك. ولو أراد ذلك لتوجب عليه الذهاب إلى لورد⁽¹⁾ للصلاة وطلب الشفاء.

وبمرور للوقت شعر بيل بالأسابيع تمر بسرعة في مركز إعادة التأهيل بشكل غير معقول. لقد كان مشغولاً جداً ومتعباً جداً وكان يبذل قصارى جهده في كل أساليب العلاج المطلوبة منه حتى إنه بالكاد كان يتسنى له للوقت ليخرج لتتشق الهواء.

ولقد أحب بيل معظم المعالجين الذين كانوا يشرفون على إعادة تأهيله بدنياً، إذ كانوا لاسعين ونشيطين ويقفين، وكانوا يعنون بمرضاهم عنية فائقة. ولقد تكوّن لديه انطباع جيد عنهم من البداية. كانت هناك معالجة واحدة فقط لم يرنج للتعامل معها، وكان مستاءً عندما عبثوها له. لقد كانت هذه معالجة المشاكل الجنسية وتدعى ليندا هاركوت، وقال لها منذ أول لقاء معها بأنه لا

(1) لورد (Lourdes): بلدة في جنوب غرب فرنسا يؤمنها الناس بالصلاة والشفاء.

يهتم بمعالجتها له من هذه الناحية.

ثم '٧٩'، سألته وهي تنظر إليه بهوء من خلف طاولة مكتبها. لقد كانت امرأة ذات نظيرة ثابتة وملاحح محببة ووجه ينم عن الذكاء، وفي مثل منه تقريباً. 'هل تتوي التخلي عن الجنس؟' سألته مبسمة، ثم أن كل شيء على ما يرام؟' لقد خطر له أن يكتب عليها، ولكن الصدق الذي لمحه في عينيها منعه من ذلك. لم يريد أن يتحدث إليها عن فقدان الحياة الجنسية لديه، ولكن الطريقة التي نظرت فيها إليه جعلته يشعر بأن اهتمامها بشأنه سيقل إذا ما حول السهرت منها. ولم يدر ما الذي جعله يهتم بنظرتها إليه، ولكن ذلك كان يعنيه بالفعل. لقد كانت من ذلك النوع من الناس الذي يسترعي الانتباه والاحترام. لقد بدت له امرأة جدية، وكمثل باقي المعالجين في المشفى، بدت مهمة وحميمة. 'أرى في سجلك أنك متزوج'، قالت في هدوء، 'هل تعتقد أن زوجك ترغب في التحدث إلي؟' لقد كانت شبه متأكدة أن الوظيفة الجنسية قد تعطلت لديه من جراء الإصابات التي تعرض لها في الحادث. وإذا لم يشأ أن يناقش هذه المسألة معها فربما تود زوجته ذلك. فلم يكن من المستغرب أن يتردد الرجال في البداية من مصارحتها بشؤونهم الجنسية. وأحياناً كان من المفيد والأكثر لطفاً أن تتحدث إلي زوجاتهم بهذا الخصوص، عندما يكون لهم زوجات. ولكن بيل كان قد سارع لهز رأسه رافضاً الفكرة.

'سوف نتطلق'. قال لها ذلك بهوء وبساطة مغلقاً باب النقاش هذا معها بحزم.

'متع. وهل كان الحادث أحد أسباب هذا القرار؟' تحي بيل بنظرة جانباً، ومرت دقيقة قبل أن يجيب برأسه نفيًا ويقول: 'ليس تماماً. فقد كان ينبغي أن نقوم بهذه الخطوة منذ سنين. وما كان الحادث إلا تذكيراً لنا بذلك'. وعندما أصبحت الطيبسة أكثر مباشرة في الحديث. 'هل كان لك أي اتصال جنسي منذ الحادث، أو حاولت ذلك؟' سألته هكذا دون نية في التعقيب على جوابه ولذلك فقد استغرب أنه أجابها نعم. لقد أجابها بكلمة واحدة

مقتضية لا تتل على كثير من التفاصيل.

فسالته بصوت لطيف دونما إبطاء في التعاطف، إذ كانت امرأة عملية وصريحة، بدون أن يوحى وجهها بالشفقة: كيف كان ذلك؟.

'بالنسبة لي؟' وضحك إذ تذكر المنشار المغم، فاستمعت. لقد كان الرجال يستعملون هذا التعبير عادة للتعبير عن حالتهم عندما لا يفلحون في الأمور الجنسية. فأدرت ما سيقول بعنقه، ثم ينجح الأمر عالياً.

'لم يحدث انتصاب، لم أنه لم يحدث قذف، أم كلا الأمرين؟' سالته بلهجة جنسية كحديث علمي، فكأنها كانت تسأله إذا كان يحب أن يشرب قهوته بالحليب أم بالسكر أم بكليهما، وهذا ما سهل عليه الإجابة أكثر مما كان يعتقد.

'كلا الأمرين. فلم نصل إلى ذلك الحد.'

'هل كان احتياج؟' فأوماً من جديد. 'مكثوم أم واضح؟'

'واضح فعليا. ولكن لم يحدث انتصاب معي، لقد شعرت بكل شيء...
تقريباً بكل شيء. ولكن لم ينجح الأمر معي.'

'غالبا ما يستغرق ذلك وقتاً. ورغم ما تخبرني به، إلا أنه لا يزال ممكناً للأمر أن تنحصر إلى الحد الذي تستطيع معه أن تمارس حياة جنسية طبيعية نسبياً فيما بعد. إن قسطاً كبيراً من العلاج يعتمد على معنوياتك. والنجاح في هذا المجال يمكن أن يكون أمراً مبدعاً للغاية. وإذا راح يصغي إليها شعر بالاكنتاب والإحباط. فلم يكن يريد أن يكون 'مبدعاً' أو أن يعيد تحديد تعريفه لـ 'النجاح'. في الواقع، لم تكن لديه حتى الرغبة في أن يحاول من جديد. ومع من سيحاول؟ مع إيزابيل؟ لقد كنت في باريس، وليس لديك نية في أن يسبب إخفاقاً آخر عليها، وما عادت لديك أية رغبة في أن ينالم مع سيندي ثانية: بل حتى سيكون من المهيمن أن يحاول ذلك معها. فما عاد يجيبها. سالته الدكتورة هاركورت ببساطة: 'هل لديك شريكة؟'

'لا، ليس لدي.'

'حسن'. يمكننا أن نتحدث عن ذلك، كما يمكنك أن تجري بعض التجارب على نفسك، إن شعورك حيال هذا الأمر وكيفية تعاملك معه له دور كبير، وليس فقط شعورك الجسدي، أو كيفية ممارستك للجنس.'

'لا أريد أن أتعامل مع هذا الموضوع على الإطلاق' قال ذلك بتبدل، موحياً لطبييته أنه ما كان يريد الخضوع للمعالجة الجنسية. 'لا أعتقد أن هذا الأمر يعني في شيء في الوقت الحالي.'

'أفان يعينك لاحقاً أبداً؟' والتقت عنينا بعينيه بشكل مباشر، فأوماً.

'تعم بما كتوترة. سوف لن أجعل من نفسي أضحوكة، لأنني أعلم أن الأمر لن يفلح.'

'وماذا لو نجح؟ إن هذا الجانب من الحياة على درجة من الأهمية فلا ينبغي أن تتخلى عنه وأنت في مثل هذا السن.'

'أحياناً تسير الأمور على هذا النحو. ثم أتى منهمك بعملية جداً.'

'وأنا أيضاً'. وابتسمت له ودولته كتاباً من فوق طاولة مكتبها. بدا الكتاب فكراً وطيباً وموجهاً للغاية، فتردد ولكنه أخذه منها في نهاية المطاف. 'المطلوب قراءته. وسوف يكون لديك امتحان الأسبوع القادم'. بدا مذعوراً مما قالته، فضحكت، ليس تملأاً. ولكن قد تجد للكتاب ممتعاً.'

وهنا أنهت اجتماعها به إذ تحدثنا بما فيه الكفاية بالنسبة لأول يوم في العلاج. لقد كانت تترك وجهة نظره، وخبرته الوحيدة التي مرّ بها بعد الحادثة، وكان لديه الآن هذا الكتاب الهام ليقرأه في الوقت الحالي. وسيكون لديها مشعب من الوقت لتعمل على علاجه، وكانت مقالة أكثر منه عندما عاد إلى غرفته. فقد رمى الكتاب إلى سريده في غيظ، وجلس يجول النظر من النافذة لوقت طويل. لم يكن يريد أن يخضع للعلاج الجنسي، أو أن يتعلم كيف يكون 'مبدعاً'. لقد كان جل ما يريده هو أن يكون رجلاً، وإذا كان لن يفلح في هذا، فإنه سيتخلى عن كل ما كان يعتبره عزيزاً عليه، أو عن إيزابيل على الأقل.

وبالتأكيد ما كان سيشرح في مواعيد النساء، وأن يجرب أن يحقق انتصافاً. لقد كان مصمماً، على الأقل، أن يصون كرامته أو يحفظ ماء وجهه.

لم يخبر إيرابيل عن لقائه بليندا هاركورت في المرة التالية التي تكلم معها، ولقد كان هذا هو الجانب الوحيد من مشفى إعادة التأهيل الذي لم يصفه لها أو يحدثها عنه. ولكنه كان لا يزال مستاءً من لقائه مع المعالجة الجنسية، وممرت أيام عديدة عليه حتى التقط الكتاب أخيراً ليقرأه، ولقد اندهل من غنى المعلومات التي كان يحويها. وبحسب ما قرأه، فإن خبرته الأولى لم تكن مثالية أو كافية، وقد حصل على تحسن ملحوظ إذا ما شُفيت إصاباته. ولكن كانت لا تزال لديه شكوك عندما أنهى الكتاب. فقد كان لا يزال يعتقد أنه من الممكن أن يصير واحداً من الزمرة الكبيرة من الرجال الذين لديهم احتياج ولكن دون ضبط كافٍ، ولف، وانتصاب يمكن أن يتلشى بسهولة. وما كان ليرغب في أن يتحقق من حدوث تقدم معه، سواء مع شريكة أو من نفسه. وكما بدا في حديثه مع ليندا هاركورت من جديد بعد أسبوع، لقد كان مصراً على أن يتجاهل ببساطة هذا الجانب من حياته. قال لها أيضاً أنه ما عاد يريد لقاءها ثانية، ويد أنها تريد أن تعرف الطباعة⁽¹⁾ بالنسبة للكتب التي كانت جديدة بالنسبة لها. لقد كانت امرأة في غاية الذكاء، وكانت تتبع أسلوباً سهلاً وصریحاً. لقد أحبها في الواقع. كل ما في الأمر هو أنه لم يرد أن يناقش معها موضوع حياته الجنسية المحتملة. فيصعب اعتقاده، إنه قد صار مخصياً وكان ينوي أن يبقى على هذا النحو. وما عاد يهمة للشعور بالإذلال أو الإخفاق أو الخيبة. لقد صار يفضل أن يبقى عازباً ووحيداً.

في ذلك الوقت اكتشف بعض أصدقائه السياسيين أنه كان موجوداً هناك. وطُار اثنين منهم من واشنطن وحضرا لروزيته، وقاد عدد منهم سياراتهم من

(1) الانطباع (feedback): تعليقات، على شكل أفكار أو ردود فعل، على شيء معين يُقصد بها تقديم معلومات هامة تساعد على اتخاذ قرارات مستقبلية أو تطورات حاسمة.

نيويورك وقاموا بزيارته. لقد بدا وكأنهم يتغاضون عن حالته الجسدية كلياً عندما كانوا هناك، وأضوا كل الوقت يسألونه النصح والإرشاد. وبحلول العيد كان يتلقى مكالمات هاتفية مطردة. ولقد غدا من الصعب عليه جداً أن يركّز في أساليب للعلاج المختلفة التي كان يخضع لها، وحاول أن يحافظ على القضايا السياسية في حالة هدوء. ولكن جماعته القديمة كانوا مصممين على إعادته إلى الحياة السياسية من جديد. وعلى الأقل كان في هذا إبطاء له، وكان يحسب أن يسمع عما يقوم به كل واحد منهم، وأن يعرف عن آمالهم، واستراتيجيتهم، ومخططاتهم. وكان ما يظنونه منه، كالعادة، هو مساعدته لهم لكي يضمّنوا نتائج الانتخابات.

وكان قد وافق على أن يمضي العيد في القصر في غرينويتش مع سنثيا والفتاتين. ورتب لأن يذهب بسيارة ليموزين إلى هناك ليلة العيد، وكان قد وعد البنتين بأن يمضي تلك الليلة معهن. شعر ببعض الغرابة في ذلك، ولكن سنثيا قالت لسه أنه كان بإمكانه أن يمكث في إحدى غرفتي الضيوف في الطابق الأرضي. وكان قد سمع من الفتاتين أنه قد صار لديها رجل جديد في حياته. وكان يبذل مسروراً لأجلها، وكل شيء بدا على خير ما يرام.

جاعت السيارة لتأخذ الساعة الرابعة، وبعد ساعة كان في غرينويتش تسير به السيارة في الطريق إلى منزله القديم. لقد كان بيتاً كبيراً وفخماً، وكان دائماً يحبه، ولكن وجوده هناك أحدث فيه حنيناً غريباً إلى الماضي. ولكن حالما رأى بيت الفتاتين شعر بالتحسن من جديد.

كانوا يزيتون المنزل عندما دخل إلى غرفة الجلوس. كانت هناك تزلنيم العيد في جهاز التسجيل، وبتت سنثيا أفضل حالاً مما رآها منذ سنين. وعندما استدار ليسم على أوليفيا وجين، لتسمعت عيانه من الدهشة إذ رأى جو أندروز في غرفة الجلوس، في كرسيه.

فسأله بيل منذها: كيف جئت إلى هنا؟ كان قد رآه بعد ظهر ذلك اليوم في ردهة الطعام، فضحك جو وبدا خجلاً مرتبكاً في حين ابتسم بيل ابتسامة

عريضة. كان جو مرتاحاً ولم يبدُ عليه الاستياء، وجاءت جين إلى جوار جو وأمسكت بيده.

لقد أفلتني جين في طريقها عائدة من المدرسة. أوضح جو. واستأنف يقول: "لقد أردنا أن نفاجك". كان كلاهما يتنسم مبهتجاً، وكان بيل مسوراً بهما. لم يكن جو قد قال له أي شيء عن جين منذ اللقاء الأول الذي تم بينهما. ولم تكن لديه فكرة عن أنهما كانا يلتقيان، ويبدو أن الأمور قد تطورت على نحو جيد بينهما خلال الأشهر الثلاثة الماضية.

- "إني مندشش". قال بيل وهو يتنسم لهما، فقد كان مسروراً أيضاً. وقد كان يرى أن جو فتي رائع.

تناولوا طعام العشاء معاً تلك الليلة، وذهبوا بعدها إلى الصلاة، وفي صباح اليوم التالي ذهب مع جو على العربات المنولية إلى غرفة الجلوس بينما نزلت الفتاتان إلى الطابق الأسفل. كانت سنيا قد أعدت لهم للطور لتوها، وكان صديقها الجديد قد انضم إليهما على الغداء. لقد بدا رجلاً نكياً حلو المشعر. لقد كان أرملاً وله أربعة أولاد راشدین، وبدا مغرماً كثيراً بسنيا، وهذا ما أبهج بيل. لقد كان مندششاً من نفسه لأنه لم يشعر بالغيرة أو بالاملاكية نحوها، وهذا ما أكد له من جديد أن الطلاق كان أمراً صائباً.

ركب وجو السيارة عائدتين إلى المشفى معاً ليلة العيد، وحدثا عن هذا العيد الرائع الذي أمضوه معاً. الأمر الوحيد الذي افتقده بيل هو ليزابيل. اتصل بها عدة مرات وأخبرته أن كل شيء كان على ما يرام هناك، ولكن استمر من نبرة صوتها أنها كانت حزينة ومجهدّة. لقد كان غردون قلباً معاً خلال الشهرين الماضيين. لقد كان لا يزال يعاقبها على العلاقة الغرامية التي كان يرى أنها كانت تقيهما من دون ريب، وكان الحادث لم يكن غريباً كلياً. وبدا سيدي يفقد قوته ببطء. وكانت صوفي تأتي إلى المنزل في العطلات والإجازات، وفي اليوم الذي تلا العيد كانت ذاهبة للترجل مع أصدقائها في كورشفيل.

"لا اعتقد أنك مستاء مني بسبب علاقتي مع جين؟" سأل جو بيل بحرص وهما في السيارة في طريقهما عائدتين إلى المنزل، فابتسم له بيل وهز رأسه.

- "إنها تستحق شاباً طريفاً مثلك، ولنت تستحق أفضل بكثير من فتاة تشبه الضفدع". وضحكا لتذكرهما الموعد المتدهور مع شقيقة هيلينا. كانت هيلينا قد ذهبت إلى نيويورك لت قضاء العيد مع خطيبها. وكانوا قد تبادلوا الهدايا جميعهم قبل أن تغادر.

كان بيل متأكد أن أباً من جين أو جو لم يكن جنياً في علاقته، ولذلك لم يكن مهتماً إلا لفتاة. لقد كانا فتيين أكثر من أن يفكرا بهذا الأمر، ولكنهما كانا شخصين رايعين، وكان من دواعي سروره أن يراهما معاً. واعترفت أوليفيا بأن لها عاشق جيد أيضاً. لقد كان مساعداً لميناتور كان بيل يعرفه. ولقد فوجئ وهو في طريق العودة عندما وجد أنه كان هناك حبيب لكل واحد منهم في حياته، ما عداه هو. لقد كان لا يزال مغرماً بليزابيل، ولكن بمكوثها في باريس مع غردون وأولادها بدأ وكلها على مسافة سفر سنين ضوئية. ولأول مرة ومداً وقت طويل شعر بالعزلة والحزن عندما عاد إلى غرفته. كان جو قد مضى مع أصدقائه حالماً عاد إلى المشفى، وحين كانت سناي لزيارته في اليوم التالي. أوى بيل إلى سريريه، وحاول أن يقرأ كتاباً ولكنه لم يستطع أن يحرص تفكيره في الكتاب. ولقد ارتاح كثيراً عندما اتصلت به جين في وقت متأخر من تلك الليلة.

"هل أنت غاضب مني يا بابا؟" سألته جين في حذر. لقد كانت لها نفس نبرة الصوت عندما أخبرته يوماً بأنها حطمت له السيارة في سنتها قبل الأخيرة من المدرسة الثانوية، وضحك بمودة.

بالطبع لا. ولماذا سأغضب منك؟ وابتسم وهو يفكر بها وبالوقت الجميل الذي أمضاه معها لتوه.

- "لا أندري ما شعورك حيال علاقتي مع جو".
- "بماذا تشعرين نحوه؟" سألتها هكذا وقد بدأ يتمنى لو أن هذا الحديث

جوهره. ولكن بيل لا يزال مع ذلك يعتقد أن هذا القرار ليس بالصائب بالنسبة
لهما.

- "لا أعتقد أنك تستطيعين أن تأخذي هذا الأمر على محمل الجد كثيراً
الآن. فأنت لا تزالين في الجامعة، و... وسوف نتحدث عن هذا الموضوع
يوماً ما". وهنا غير مجرى الحديث، وتحدثنا عن المعلقة الرائعة التي قد
أضياهاها معاً كما في الأيام الخوالي، بل حتى أفضل منها. لم يكن ثمة توتر
بينه وبين سنيثا، وقد استلطف بيل صديقها الجديد. وهنا قالت له جين بأنها
ستعرج عليه عندما تأتي لروية جو في اليوم التالي.

ما أن أغلق سماعة الهاتف حتى صار لدى بيل، ومن جراء المحادثة،
الكثير من الأمور التي يجب أن يفكر بها، وأخير إيزابيل عنهما في وقت
متأخر من تلك الليلة عندما تصل بها.

"لا أريدها حتى أن تفكر بالزواج من ذلك الفتى". قال لها بصراحة: "وبه
لأمر مؤسف، إذ إن هذا الشاب رائع".

"إذاً لماذا لا يستطيعان أن يتزوجا؟ فالكثير من الناس يتزوجون وهم في
مثل أعمارهم. هما فتيتان، ولكنها تبدو أكثر نضجاً ممن في سنّها، وهو عانى
الكثير، يا له من فتى بانس".

"سيكون زواجها كارثة لها يا إيزابيل. إنها في حاجة إلى من يحافظ
عليها. إنها تحب التزلج على الثلج والركض وركوب الدراجات، وسترغب أن
يكون لها أولاد يوماً ما. أما هو فسوف يكون عالقاً بذلك الكرسي بقية حياته.
إنها تستحق أكثر من ذلك". وهو أيضاً كذلك، ولكن لم يكن لديه خيار خلافاً
لجين.

"ما هذا الكلام المريع الذي تقوله؟" قالت له إيزابيل في لهجة استياء،
"وما الفرق الذي سيكمله أن تتزنج مع أصدقائها، أو ترقص مع شخص آخر؟
هل تريد القول أنك لا تريد أن يتزوجها، رغم حبهما لبعضهما البعض، لأنه
لا يستطيع أن يمضي دراجة؟ إنها بحق محدودة منك. لا أستطيع أن أصدق

كان قد دار بينهما قبل ذلك وفي المنزل، حتى يتسنى له أن يرى وجهها
وهما يتحدثان. فلقد كان في صورتها نبرة من الجدية.
"أنا أحبه كثيراً، ولم أعرف أي شخص مثله قبلاً".

"أنا أيضاً أحبه. ولقد مرّ ببعض الظروف القاسية جداً. فقد خسر قدرته
على تحريك ساقيه، وتعرض للإصابة في الحادث، وقد خطيبته وشقيقه التولم.
وتغيرت حياته كلياً وللأبد.

"أعرف. لقد أخبرني عن كل ذلك. وقد ماتت خطيبته يا بابا بين ذراعيه.
ويقول أنه لن يغير لنفسه البتة".

"من خلال ما أعرفه، لم يكن الحادث خطأه، ما يشعر به هو إحساس
التاجي بالذنب لأنه بقي على قيد الحياة بينما مات الآخرون. وسيغلب على
هذه المشكلة بمرور الوقت".

"أحب أن أكون إلى جانبه في هذا يا بابا". وساد صمت طويل إذ أدرك
بيل العبء الثقول الذي كانت ستأخذه على عاتقها.

"ما الذي تريدين قوله يا جيني؟" لقد فرجى إذ شعر أنها تريد أن تقول
له بأنهما سيتزوجان، وما كان ليروى أن هذه الفكرة جيدة. فقد كان كلاهما
صغيراً في السن، وأمان جو طريق طويل قاسٍ. ولم يكن ثمة أمل في أن
يستطيع أبداً استعادة قدرته على السير. وشعر بيل أن هذه مسؤولية كبيرة جداً
عليها. كان الأمر سيكون ظريفاً لو كانت مجرد علاقة رومانسية، ولستئين
مثلاً، إذا ما نجحا في ذلك. ولكن كان بيل يعتقد أن أي شيء جدي أكثر من
ذلك سيكون خطأً بالنسبة لكليهما.

"أقول لك بأنني أفكر بالموضوع جدياً يا بابا".

"لقد بدأت أفهم. وهل يشعر هو بنفس الشعور؟".

"أعتقد ذلك. نحن لم نتحدث فعلياً عن ذلك، ولكنه فتى رائع". لقد كان بيل
يحب هذه الميزة في شخصية جو، فقد كان جو رجلاً لا يرقى إليه الشك في

أنك تقصد كلاماً لعمق كنهها.

أنا أعرف ما أقول. قال بغداد وقد قلب جيبينه.

لا. لست كذلك. قالت له بحزم. كانت هذه أول مجادلة تدور بينهما. واستأنفت كلامها: أسأل أن والدة جين أدكي منك. لم أسمع أبداً بمنى هذه الحماقات. أمل ألا نقول هذا لجين. فسوف لن نسامحك أبداً عليه، وستكون هي على صواب.

عندئذ تطرقا إلى مواضيع أخرى، وهذا كلاهما. فأخبرها عن احتفاله مع سنثيا والبسات بالعبد، وبالطبع لم يذكر لها شيئاً عن عشيق سنثيا الجديد لأن إيزابيل لم تكن تعرف أن بيل قد صار خارج نطاق حياتها. وقالت لبيل أن غوردون كان مغادراً إلى سانت موريتز في اليوم التالي لكي يذهب على التزلج مع أصدقائه. وأما هي فستمكث في باريس مع تيدي، وسوف يمضيان عيد رأس السنة وحدهما. فقد كانت صوفي قد غادرتهما لتوها.

لم يتوقف بيل أبداً عن الاندهال من مدى إهمال غوردون لإيزابيل. ولكنه من جهة أخرى كان مرتاحاً لأن غوردون لن يكون هناك كي يجذبها. فقد كان غيابه نعمة من السماء. تحدثنا طويلاً تلك الليلة، وكان بيل يشعر بنفسه صريحاً واضحاً وحزيناً نوعاً ما. فهو لم يرها منذ أربعة أشهر، وقد اشتاق لها للغاية، وهي أيضاً كذلك. ولم يستطعاً حتى أن يتحدثا عن اللقاء ثانية، فلا تزال أمامه أشهر من إعادة التأهيل.

بعد المكالمة، استلقى بيل هناك لوقت طويل وهو يفكر بما قالته إيزابيل له بخصوص جين وجو. كان لا يزال يخالفها الرأي، فهي ما كانت تترك ما كانت تقول، أو مدى للتحديات التي سيواجهانها. لقد كان يمتنى شيئاً أبسط وأسهل لجين، بغض النظر عن مدى محبته لجو. ورغم اختلافه في الرأي بشدة مع إيزابيل، إلا أنها كانت بغاية اللطف والمثالية حتى تقهر مضاعفات ما كانت قد قالت عن رأيها في زواج جين وجو. وكان بيل عازماً أن يصارح جين برأيه إذا لزم الأمر. على الأقل لم يبتدء عليهما لهما على عجلة من أمرهما

لاتخاذ أية قرارات حتى الآن. وكان بيل يأمل أن يعقلا الأمور بأسرع ما أمكن.

غشا بيل وهو يحلم بزينة منزله، ولأول مرة منذ وقت طويل، حكم بالضوء الأبيض الساطع من جديد. لقد كان يهدير نحوه، ممسكاً بيد إيزابيل، وعندما استدارت نحوه، قلبها، وحتى في منامه كان منزعجاً لرؤية جين وجو قادمين نحوهما في نفس الطريق. وكان هو في كرسيه المدولب، أما هي فكانت تشير إلى جانبه وتبدو متألمة، وعندما توقفت في الحلم، استدارت نحو والدها وسألته لماذا لم يحذرها بأن حياتها ستكون قاسية صعبة من جراء اختياريها جو.

الفصل الخامس عشر

عندما غادر غوردون إلى سانت موريتز⁽¹⁾، وصوفي إلى كورشفيل، سادت الصمت المنزل، بينما جلست إيزابيل في غرفة تبدي طوال فترة بعد الظهر من ذلك اليوم، وهي تقرأ له. كان الجو عاصفاً وبارداً في المنزل فدنّرت تبدي بكنزة فوق بيجامته، وضطته بلحاف.

لقد أمضى العيد مسروراً، وأهدوه مئات الكتب والألعاب الجديدة. ولشّرت له لعبة على شكل دب محشو بالفراء ليبقى برفقته. وكل ما تمنّت إيزابيل لو تستطيع أن تقدمه له كان الصحة الجيدة والعافية. لقد كان مصدر قلق مطرد لها.

اتصل بيل بإيزابيل أكثر من العادة لأنه كان يعرف أن غوردون كان قد غادر، وهي اتصلت به مرة أو اثنتين. كان بيل يتصل بها مرتين في اليوم. وكانت تشتاق إلى الأيام التي قضياها في المشفى معاً، وكانا يستطيعان فيها أن يتحدثتا معاً في أي وقت. لم تكن لديها رغبة في الخروج من المنزل أو رؤية أصدقائها. وعندما فتحت البريد بعد مغادرة غوردون، اندهشت لرؤية دعوة موجهة لكليهما. لقد كانت مرسلة من زوجين كانت إيزابيل تعرف أنهما من الطبقة الراقية. كانت الزوجة مديرة دار لزياء، وأما زوجها فكان طاعناً في السن، وكان يتمتع بلقب شرف، وكان مديراً لمصرف هام. لم تتذكر إيزابيل إذا ما كانت قد التقت بهما، ولكنها افترضت أن يكون غوردون قد التقى بهما خلال بعض نشاطاته الاجتماعية التي لم تحضرها هي، أو ربما يكون قد عرف زوجها من خلال المصرف. لقد كانت بطالقة الدعوة جميلة جداً، وكانت

(1) سانت موريتز (Saint-Moritz): بلدة في جنوب شرق سويسرا على بعد 14 كم من الحدود الإيطالية فيها منتجع سباحي هام.

لحضور زفاف ليهنهما في كانون الثاني (يناير). وضعت إيزابيل في بالها أن ترسل هدية إلى العروس، ثم أهملت الموضوع. فما عادت تذهب إلى هكذا مناسبات، وما عاد غوردون يدعوها لأن تراققه عندما كان يذهب.

أضحت الأيسام القليلة التالية مع تيدي، وفي الحديث إلى بيل. لقد كان بنوي البقاء في مركز إعادة التأهيل من أجل عيد رأس السنة، وكانوا يخططون لكل أنواع اللهو والاحتفال. وعدها بأن يتصل بها في منتصف الليل في باريس في اليوم الحادي والثلاثين، وهكذا يستقبلان العام الجديد معاً، وهي سوف تتصل به في منتصف الليل بتوقيت نيويورك. كانت تنتظر مكانه عندما رن جرس الهاتف، وأجملت امرأة على الطرف الأخر لسماع صوتها.

يا لغبائي. أنا أسفة للغاية. يبدو أنني طلبت الرقم الخطأ. لقد كنت أتصل كسي أخبرهم أنه فانتتسي رحلة الطيران". هذا ما قالته المرأة، وقد بدت مضطربة، ومترنحة نوعاً ما، وأغلقت السماعة. ولم تعرف إيزابيل من تكون هذه المرأة وإلى أين كنت تنوي للذهاب بالطائرة. وافترضت إيزابيل أن المرأة قد طلبت الرقم الخطأ، وأغلقت السماعة بالتالي.

وفي الحال اتصل بيل، كما وعد، وعيدها بالعام الجديد في باريس، وكان تيدي نالماً أنذاك. واتصلت به إيزابيل بالمقابل الساعة السادسة صباحاً حيث كان الوقت منتصف الليل عنده. لقد كانت هذه الاتصالات طريقة ومسلية لهم. وبعد أن تحدثت إليه، نزلت إلى الطابق الأسفل لتعد فنجاناً من الشاي، وتقرأ الصحيفة، ثم عادت إلى الصعود إلى الطابق الأعلى. لقد كانت قد أعطت هذا اليوم كعطلة لمرضعة تيدي من أجل عيد رأس السنة، وكانت مسرورة للاعتناء به بنفسها.

كان قد نام في وقت متأخر ذلك اليوم، وبدأت بقراءة الصحيفة من جديد، وقد هزلت لرويتها اسم غوردون في عمود الشائعات، حيث يذكرون أنه يمكث في سانت موريتز. فقد ذكر الخبر أنه كان هناك مع أصدقائه، وحدوا اسم أعا خان، والأمير شارلز، وعدداً من الناس المرموقين. ورأت عندئذ اسماً آخر.

فقد ذكر العمود أن الكونتيسة لين كان متوقفاً أن تتضمن إليهم وأيضاً للاحتفال بعيد رأس السنة. لقد كانت نفس المرأة التي دعته في اليوم السابق إلى عرس أبنيتها، واعتقدت إيزابيل أنها قد تكون من أصدقاء غوردون. وهذا وإن راحت تفكر بالمسألة، تذكرت الاتصال الذي تلقته ليلة أمس من امرأة قالت أنه فانتتسي رحلة الطيران. ولثانية شعرت إيزابيل بالقشعريرة تسري في عرقها. لماذا اتصلت المرأة بمنزل غوردون؟ ولماذا لا تكون هذه المرأة هي الكونتيسة دي لين؟ كان اسمها الأول لويزا. ما كانت إيزابيل لتتخيل أبداً أن تكون لها أية علاقة بغوردون أياً تكن، وربما تكون صديقة أولئك الناس الآخرين الذين ذهبوا إلى سانت موريتز. ولكن المصادفة شغلت فكرها طوال النهار. وفي الساعة السابعة قررت إيزابيل أن تفعل شيئاً يبدل على جنون مطبق. لم يكن لديها ما تفعله غير ذلك، وأرادت أن تسمع صوت لويزا دي لين. فالتصلت بالاستعلامات وحصلت على رقم هاتفها بسهولة، وجنست تفكر بالموضوع طويلاً، ثم طلبت الرقم. وفي الحال رفع الطرف الأخر السماعة:

"لو؟ نعم؟"

"هل هذه السيدة دي لين؟" سألت إيزابيل مع خفض الألقاب.

"نعم."

"أتصل بك لأؤكد رحلة طيرانك إلى سانت موريتز". قالت إيزابيل نون أن تكون لديها أدنى فكرة عما يمكن أن تقوله بعد ذلك.

كما قلت لك قبل ساعة، لا أستطيع السفر حتى يوم الغد. فزوجي مريض جداً. قالت ويبدو عليها الإهتياج، ولكن إيزابيل سمعت ما أرادت أن تعرفه. لقد كان نفس الصوت الذي تحدثت إليها ليلة أمس وكان مضطرباً بعض الشيء ومنذها في الظاهر حيث قالت أنه فانتتسي رحلة الطيران.

"آه. أنا في غاية الأسف. لا بد أنك تحدثت إلى زميلتي. لا ريب في ذلك. أعتذر منك يا سيدة دي لين."

"هل هناك حلجة لأن أؤكد ذلك من جديد؟" سألت للكونتيسة ويبدو عليها

نوع من الغطرسة، غريب. لقد كان في صوتها نفس ميزة التكبير المنفرد التي تميز غوردون كما لاحظت إيزابيل. لقد بدا وكأنهما توأمان.

"لا لسبب مضطرة لذلك. أتمنى لك رحلة سعيدة". قالت إيزابيل بحوية، ثم أغلقت السماعه. ودون أن تعرف السبب، كانت ترتجف، وهي تحاول أن تستجمع للمعلومات التي عرفتها. لم تدري لماذا كانت ترتاب فيها، ولكنها أدركت أن ثمة ما يريب، وفضاء، ودون أن تستطيع أن تمنع نفسها من ذلك، رحلت تتسائل عن السبب الذي جعل الكونيسة تتصل بغوردون الليلة الفائتة. لم تتأ أن تنفز إلى استنتاجات، ولكن بدا الأمر واضحاً بالنسبة لها. بحاسنها السادسة شعرت أن ثمة علاقة ما بين غوردون والكونيسة. ولا بد أنها كانت تريد أن تتصل به في سانت موريتز لتخبره أنه فاتتها رحلة الطيران، ومن الواضح أنها كانت تحتسي مشروباً مفضلاً فاصلت بمنزله في باريس بدلاً من ذلك.

"من هذا؟" سألت بيدي وهو يتجول داخل غرفة أمه، التي قلما كان يدخلها. ولكنه أجفل عندما رأى منظر وجه أمه، فسألها: "هل من خطب؟".

"لا، أنا... لنا كنت أتصل بوالدك في سانت موريس. ولكنه في الخارج".
"على الأرجح أنه يتزلج، أو ذهب إلى حفلة عشاء". قال بيدي بعقلانية، وأومأت هي برأسها.

وعندما اتصل بيل بعد ذلك، ذكرت الأمر له.

"أنا أستبعد هذا الأمر". قال لها بخزر. "ولكن للنساء حسناً مذهلاً بخصوص هكذا أمور. أنا أتق بإحساسك أكثر من عقلي. لقد كنت دائماً أعلم عندما كانت سنفا تنام مع أحدهم. فقد كانت عندها تبدو مختلفة، إذ تكون أكثر لطفاً ووداً ومرحاً. وأعتقد أنها كانت تجد في علاقاتها تلك مسرات كبيرة ما كانت لتشعر بها معي". لقد حدث هذا كثيراً معه، وكان دائماً على صواب عندما شك بوجود علاقات غرامية معها.

"لا أدري حتى لماذا اتصلت. فقد يكون مجرد خطأ في الرقم، ولكنها

كانت في غاية التهذيب في حديثها. ولو كان الأمر كذلك لكانت اكتفت بإغلاق السماعه. ولماذا تدعونا إلى حفل زفاف ابنتها؟".

"إذا كانت فرصتيك صحبة، فإنه أخبرها على الأرجح أنك لن تأتي، وهي تريد هناك. وهكذا احتالت على الأمر بطريقة لبقة". وعلق بيل على ذلك بطريقة جافة. "وكان يمكنك أن تكفني بدعوته".

"سوف أخفيهما وأقبل الدعوة". قالت إيزابيل.

"وهل يهكم الأمر؟" سألتها بيل وقد استغرب رد فعلها. فقد كان يعلم أنها لم تتم مع غوردون لسنوات، ولكنها لا تزال متزوجة منه. وكان غوردون بغيضاً جداً معها منذ الحادث، فسيكون من المريح لها أن يكون لديها أشياء تستخدمها ضده. لم يكن هذا بالأمر الحسن، ولكن هذا ما شعرت به. لقد صار يعاملها بعد عربتها من المشفى وكانها جرحت كرامته، وكانت إيزابيل مستاءة من معاملته لها وكأنها مجرمة وهي في منزلها.

"لا أدري ما أحس به". قالت ليل بصدق: "غاضبة، متألّمة، مرتاحة، راضية في الانتقال، مهانة، لست متأكدة. ربما كنا مجرد صديقين وأكون أنا على خطأ".

"سيكون ممتعاً أن نعرف حقيقة الأمر". قال بيل في هدوء.

"أتى لي أن أعرف؟ فإن كنت محقة، لن يعترف لي بذلك. وسوف يُصاب بالجنون إذا ما اكتشفت حقيقة الأمر. ليس لدي فكرة عما يفعله، أو أين يذهب، أو من يرى". فهو لم يخبرها بأية معلومات كهذه عنه على مدى سنين.

"استأجري تحرياً". اقترح بيل عليها بشكل عليل.

"سيكون في هذا جراً ووقاحة. وسيحرق عليّ جداً إذا ما عرف. سوف يحبيني أكثر بكثير كي يغطي على ذنبه". ووافقها بيل الرأي في أن ما تقوله صحيح على الأرجح.

"إذا أبقِ أذنك مصغبتين. قد تجدن شيئاً في الصحف بعد أن تذهب إلى

"إن غوردون أكثر ذكاءً وحنقاً من أن يكشف نفسه إلى ذلك الحد". قالت إيزابيل وهي تعمن التفكير في الموضوع، وبعد أن أغلق السماع، طرأت في ذهنها فكرة أخرى. فكانت تعرف لمرأة منذ سنوات تعمل في عالم تصميم الأزياء. كانتا تذهبان معاً إلى المدرسة وكانتا صديقتين حميمتين، ولكن إيزابيل لم ترها منذ سنين، منذ أن ولدت ابنتي قبل واثني عشر عاماً. كان اسمها نتالي فيغير، وكانتا على علاقة حميمة قبل زواجهما.

اتصلت إيزابيل من جديد بالاستعلامات وحصلت على رقم هاتف نتالي. وهذه لم تكن قد تزوجت أبداً، وكانت شخصية مرموقة في مجال ابتكار الأزياء. لقد كانت على نفس الدرجة من الأهمية مثل لويزا في مؤسسة منافسة. وشعرت إيزابيل وكأنها تحل لغزاً كبيراً، وكانت مضطرة للبحث والتقصي لتعرف كل ما أمكنها عن لويزا دي لين. فصار هذا هوساً لديها خلال الساعات الاثنتي عشرة الماضية.

انتظرت إيزابيل حتى حان وقت مناسب واتصلت بنتالي. لقد كان يوم سبت، واجابت بنفسها على الهاتف. وانذهلت عندما عرفت من المتحدث.

"يا إلهي، لم أتحذث إليك منذ سنين... كيف هو ابنك الصغير؟" وشكرت لها إيزابيل أنه كان مريضاً خلال السنوات الأربع عشرة الماضية وقد عدا كل حياتها.

لقد شعرت أن شيئاً كهذا قد حدث. فلكل يقول أنك أصبحت ناسكة! لا زلت ترسمين؟"

"ليس لدي وقت لذلك". وسألت كل منهما عن أحوال الأخرى لبعض الوقت. لقد كانت والدة نتالي قد ماتت، وتزوج والدها من جديد، وعاشت مع

(1) الناسك: (recluse): هو شخص يختار أن يحيا منعزلاً عن الناس في السلوات والتأمل. يُستخدم هذا التعبير هنا للدلالة على العزلة التي تعيش فيها إيزابيل بانتعادها عن الاحتلاظ بالناس والمجتمع.

سليقورة لعشر سنوات. عاد بعدها إلى زوجته المحضرة. لم يسبق لها أن تزوجت أو أنجبت أطفالاً، وقالت إنها لا تزال تحب عملها. وبدا كما لو أنه لم يمض وقت طويل منذ أن التقيا آخر مرة. لقد كانتا صديقتين حميمتين في المدرسة، ثم تباعدتا عن بعضهما بعضاً عندما تزوجت من غوردون. لقد كانت نتالي تبغضه، وترى أنه مغرور ومكبر، وكانت مقتنعة أنه تزوج من إيزابيل من أجل علاقات أهلها الاجتماعية. لم تتق به أبداً، ولكنها لم تتكبر إيزابيل بذلك الآن. لقد كانت إيزابيل هي من ذكر اسمه أولاً.

"أريدك أن تسدي لي خدمة كبيرة. لست مدينة لي بشيء يا نات، كل ما هنالك لي أريد أن أصرف شيئاً معيناً ولا أظن أن أحداً غيرك يمكن أن يساعدني في ذلك. لانت نتالي بالصمت على الطرف الآخر من الخط وهي تتسامح إلى أي درجة من الصدق يمكنها أن تكون عليها. كانت تتسامح فيما إذا كانت ستتلقى هذه المكالمات، ولم تكن مستغربة تماماً من اتصال إيزابيل بها، رغم أنه بدا من الغريب أن تسأل الآن بعد كل هذا الزمان.

ماذا تريدني أن أفعل؟" سألت نتالي بهدوء.

"أريد أن أسالك عن شخص، وأريد أن يبقى هذا سرا بيننا. وأتمنى أن تخبريني الحقيقة. ماذا تعرفين عن لويزا دي لين؟"

أبدت نتالي تنهدة خفيفة وقررت أن تجيب بشكل مباشر. "إنها موهوبة جداً، وصعبة المراس جداً، ومتألقة جداً، وجميلة المظهر، رغم أنها أكبر منا قليلاً، وأحياناً تكون فظة جداً. وهي باردة العواطف وطموحة جداً على ما أعرفت. يقولون أنها الممولة للمؤسسة التي تعمل فيها. أعرفت أن زوجها اشترى لها قسماً كبيراً من هذه المؤسسة، وهو يبلغ من العمر حوالي الثمينة، ولا علاقة له بشيء البيت، على ما أعرفت، وهو مريض جداً. وسوف تراث أمواله عندما يموت. كان متزوجاً من قبل، ولولادة بكرهونها على ما أسمع. ولكنها شديدة الذكاء لدرجة تستطيع معها أن تضع حداً لهم. ولقد تبجحت كثيراً بقدرتها على ذلك. لقد تزوجت منه طمعاً بأمواله عندما كان في حوالي الثمانين من العمر

وأنجبت منه طفلاً لكسي تضمن مستقبلها معه، وها هو الآن قد دخل في التسعينات من العمر. لا يمكنه أن يعيش بعد لكثير. إنه يملك إحدى أكبر الثروات في فرنسا. كانت هذه المعلومات شائعة ولكن ليست هي بيت القصيد عند إيزابيل.

ما الذي تعرفينه أيضاً؟

إيزابيل، لا تبحثي عن الأشياء التي قد تؤلمك، فالحياة مؤلمة بما فيه الكفاية. لماذا تسأليني ذلك؟

لأني أريد أن أعرف، ويبدو أن ثمة شيئاً تعرفينه ليس كذلك؟

ساد صمت طويل بينهما ومن ثم تهيدة أخرى. إنه ليس سراً تماماً. فنصف باريس تعرف. وهنا شعرت إيزابيل بقلبيها يتسارع لسماع هذه الكلمات.

هل هي على علاقة مع غوردون؟ سألتها إيزابيل أخيراً عما أرادت فعلاً أن تعرفه، وضحكت نتالي. لقد كانت إيزابيل لا تزال ساذجة بعد كل ذلك السنين. وكان هذا ما كانت قد أحبهت نتالي فيها عندما كانت في المدرسة. لقد كان لدى إيزابيل براءة تلمس بها قلوب الآخرين، ولكن كان عليها أن تتضج وتصبح راشدة، ولربما أن الأوان لذلك.

إنها عشيقته منذ عشر سنين أو اثنتي عشرة سنة تقريباً. إنها يذهبان معاً إلى كل الأماكن. ويدهشني أنه ما من أحد أخبرك بذلك من قبل. إنها يخرجان معاً بشكل علني في كل المجتمع، وهما على ذلك منذ سنين. والجميع يعرفون.

ما عدت أحثك بأحد. قالت إيزابيل ويبدو عليها التأثر. هل أنت جادة؟

تعم. إنه يشتري لها مجوهرات، واشترى لها سيارة، وأعتقد أن لهما شقة في مكان ما في الليفيت بانك. أعتقد أنها في رو دو باك. ويذهبان إلى فندق دو كلب في الصيف، التفتت بهما صدفة في سانت ترووييز العلم الماضي. لقد كانت لديه حياة كاملة، عالم كامل، يعيش معها، ولم تكن إيزابيل تعرف أي

شيء البتة عن ذلك. لقد كان هذا أسوأ بكثير مما كانت تخشى. هل سيهجرني؟ سألتها نتالي عملياً. إذا كان سيفعل فإن عليك أن تنكيري أمرك بعيداً عنه. فما سمعته، لقد صرف ثروة طائلة عليها.

لا أستطيع أن أصدق ذلك يا نتالي. هل أنت متأكدة مما تقولين؟

بالطبع، وإن كنت لا تصدقيني، اتصلي بعشرة أشخاص تعرفينهم وسوفولون لك نفس الأشياء تماماً. إنهما يعيشان كزوجين منذ سنين.

إنه لا يتوهم أن بهجرني. قالت إيزابيل متفكرة. لقد فكرت بذلك للبارحة، أو خمنت ذلك، ولكني لم أتوقع ذلك أبداً. بل الأسوأ من ذلك أنها كانت تتوقع عملاً طائشاً مؤخراً بينهما، أو علاقة غرامية عابرة، وليس حياة أخرى كاملة قائمة بينهما لاثنتي عشرة سنة بينما هي في منزلها تقوم بالتحلية بابنها.

ليس من دأج لديه بعد ليهجرني، فهي لا تستطيع التصرف بشكل كامل إلى أن يموت زوجها. وعندما يحدث هذا فإني أعتقد أن غوردون سوف يستغلها بكل ما في وسعه. إنها ذات نفوذ وثروة. ومن يعلم، لربما تكون قد ملئت من غوردون الآن. لا يمكن معرفة ذلك. احترسي منها، فهي سيئة الأخلاق جداً. إذا شعرت بأنك تشكلين تهديداً لها فإنها سوف تلاحقك. لقد رأيتها تفعل ذلك في مؤسسة تصميم الأزياء. إنها امرأة مبدعة. لقد كانت خبائطة صغيرة في أحد الزوايا اللثائية في مكان ما عندما التقت بالرجل العجوز، وجعلها كوثيقة وساعدها على أن تدير شؤون ذلك العمل الخيالي. وهي بارعة فيه، وإنني أشهد لها بذلك. ولكن لا يمكن العيث معها إذا ما اعتبرتك تهديداً لها بشكل أو بآخر. فعندها سوف تتخلص منك برمشة عين ومستعمل كل ما بوسعها لأجل ذلك. فإني كانت تريد، فلسوف تأخذك منك رغم أنك. وفي الواقع كانت كلتاها تعلم الآن أنها كانت تريد.

إنما لا أشكل تهديداً لها قالت إيزابيل وهي تبدو متألماً. لقد شعرت بنفسها حمقاء للغاية. وفوق كل ذلك، فقد كان قاسياً معها ولسنين. لقد كان من

الدعاء أن يسلك معها هكذا.

ثم لا تنتظر هي إلى الأمر على هذا النحو. يوسفني أن أقول ذلك يا إيزابيل. لقد كانت نتالي مزعجة من أنها الشخص الذي ينقل لها النبأ السيئ. فقد كانت تحبها دائماً.

لقد كان مذهلاً أن تفكر بأن غوردون كان مرتبطاً بعلاقة مع امرأة أخرى إلى ذلك الحد. ولم تستطع إيزابيل أن تتوقف عن التساؤل هل كان ذلك ذنبها لأنها كانت منهمكة جداً بابنتها. لقد قالت لها نتالي بأن العلاقة بينهما قائمة منذ حوالي عشر أو اثنتي عشرة سنة. وكان غوردون قد أغلق دونها غرفته وقلبه وحياته بالضبط منذ ذلك الوقت. ومن هنا بدأت الأمور تتضح لها.

من الأفضل لك أن تهجريه يوماً ما يا إيزابيل" قالت لها نتالي بلهجة صادقة. "ومن أجل تلك المسألة بشكل خاص. وإنه لاني لا يقيم اعتباراً للآخرين، وكنت أعتقد دائماً أنه يكره النساء". فأخبرتها إيزابيل عن الحادث، ولكن ليس عن بيل، ووعدها أن ينقلها إلى بيتها في أقرب فرصة. لقد كانت إيزابيل تشعر بالامتنان لسماعها الحقيقة مهما كانت مؤلمة بالنسبة لها. بعد أن أغلقت السماعه جلست إيزابيل تحرق في الفضاء طويلاً، ثم اتصلت ببيل. لقد أيقظته من نوم عميق، ولكن ما كان بإمكانها أن تنتظر حتى تخبره بما سمعته.

سردت له كل شيء دفعة واحدة بينما كان يحاول أن يستيقظ، وعندما أنهت حديثها كان قد استوى جالساً في سريره، مستغرباً ومذهولاً. لقد بدأت هذه المسألة فرنسية جداً. فأن يكون للمرأة عتيقة على مدى طويل لمدة حوالي عشر سنوات أو أكثر أمر غير مألوف في الولايات المتحدة. معظم الناس لجأوا إلى الطلاق. أما الكونيتسه فكانت تنتظر موت زوجها كي ترثه.

يا لهذه القصة المخرية. هل أنت ولقعة من صحتها؟ لقد أكتت له هذه القصة ما كان يرتاب فيه وأظهرت له كم كان غوردون نذلاً.

تعرف نتالي دائماً كل شيء. وإني استغرب لماذا لما يخبرني أحد

بالحقيقة من قبل؟" لقد كان مهيناً لها أن تترك أن كل الناس في باريس كانوا يعلمون. وهذا ما جعلها تشعر وكأنها حقما.

ربما ظننوا أنك تعلمين وما أراوا أن يجرحوا شعورك. فالكثير من الناس يسلكون هكذا خاصة في أوروبا، وحتى هنا يعملون هذا أيضاً. لم يخبره أحد قط عن علاقات سنثيا الغرامية، وأدرك ذلك لتوه.

"ما عاد للناس بلجان إلى هكذا علاقات سرية طويلة الأمد تلك لأنهم يستطيعون أن يتلقوا. ماذا يجب أن أفعل بريك؟" لم تكن لديها فكرة عن كيفية استخدام هذه المعلومات التي جمعتها.

سألها بيل بعقلانية: "ماذا تريدان أن تفعلين؟".

"لا أدري. أود أن أواجهه بكل ما عرفته حالما يأتي إلى المنزل، أو أن أتصل به في سانت موريتز، ولكنني أشعر أن ليس هذا من الحق في شيء". لقد كانت تعلم أنه سيهاجمها بضرورة إذا ما فعلت ذلك.

"أنا أرى أن تنتظري وأن تواجهيه بذلك في الفرصة التالية التي يهاجمك فيها. هل تريدان أن تهجريه؟" لقد كانت تريد ذلك، ولكن ما كانت تعتقد أنه يجب عليها ذلك. فالتصوير كان لا يزال قاسياً جداً على تيدي، ولم تكن لديها أية ضمانات بأن غوردون سيعطيها ما يكفي لتتق على الصبي. كما وأن صديقته لن يكون بمقدورها أن تتزوج بأي حال من الأحوال، ولذلك فسوف لن يتشوق لطلاق إيزابيل، أو يكون سخيّاً معها إذا ما فعل. سوف لن يريد فضيحة لنفسه، خاصة نظراً إلى شهرته وسمعته التي تخلو من الشوايب والعيوب، في المصروف. لقد بدا أنه من النكاه أكثر إبقاء الأمور هادئة والانتظار كما قال بيل. لقد كان لديها أشياء كثيرة تفكر فيها، وقرارات عديدة عليها أن تتخذها. قال لها بيل: "انظري. إن لديك بعض الخيرة الآن تستخدمها عند الضرورة. إن أفضل ما تفعلينه الآن هو أن تخبي خبيرتك إلى أن يحين الوقت المناسب وعندما تطلقين خبيرتك عليه في عينيه".

بما أن الجميع يعرفون بعلاقته هذه فسوف لا تكون فضيحة كبيرة إذا ما

لقد كانت نصيحة حكيمة صائبة، وكانت إيزابيل تعرف أنه على صواب، ولم تعرف ما تفعل إزاء ما عرفته الآن. وأدركت، وهي تفكر بالأمر الآن، أن النبأى العديدة التي لم يذم فيها في المنزل كان على الأرجح بمضيها مع الكونتيسة في الشقة التي لستحت لبها نتالي. لم تشعر إلا مؤخراً بالارتياح من كثرة نومه خارج المنزل، وكذلك الأمر صولي. وعادت بذاكرتها إلى السرحلات التي ذهب فيها مع أصدقائه، والمناسبات التي حضرها وحده، والحفلات التي ذهب لبها، والأماكن التي زارها، وشعرت أن نتالي كانت على صواب، فقد كان ذلك كله بدأ منذ حوالي اثنتي عشرة سنة.

"إنه لأمر مشير من دون ريب، أليس كذلك؟" قالت إيزابيل ولا يزال الدهول بادياً عليها من جراء الصدمة. لقد بدأ غوردون فجأة غريباً عنها، وكانت لويزا دي لين أكثر فحشاءً وحنكةً بكثير مما كانت تعتقدها. شعرت إيزابيل بأنها في غاية الغباء لأنها لم تكن تترك ما يجري حولها كل تلك السنوات الطوال.

"أريد أن أفكر بالموضوع أكثر. لا تفعلني شيئاً الآن. قال لها بيل وهو غارق في التفكير. على الأغلب ما كان ليريدها أن تتأذى بأي شكل من الأشكال، وكانت عرضةً لذلك بكل سهولة.

"حسناً، إن أفعل أي شيء."

وتذكر، إن تحصره في الزلوية سيهاجمك. هذا الأمر أنا متأكد منه تماماً. ووافقت الرأي مئة بالمئة. فكان يمكن لغوردون أن يصبح أشد ضراوة إذا ما هاجمته بأي وسيلة. ولقد اكتشفت ذلك بنفسها منذ سنين.

في الأيام القليلة التي تلت ذلك، راحت تتحدث إلى بيل عن الموضوع، ولكن لم يتوصلا إلى حلول جديدة، فعندما عاد غوردون إلى المنزل، بدأ سعيداً وأسمر للون مصفره، وكان ودوداً ولطيفاً معها بشكل عجيب. بل حتى سألها عن حال سيدي، وأكدت له أنه بخير، ولم تبس ببنت شفة عن الكونتيسة دي لين.

تعم. ستكون. أن يكون للمرء عشيقاً بالسر حتى لو كان الناس يعرفون عن ذلك هو شيء. وأن تكون له زوجة غاضبة هو شيء آخر تماماً، فهذه سوف تفضح كل شيء، وتحدث إلى الصحافة، وتقوم باتهامه علانية، وتكلفه المال الكثير، وتحول للرأي العام ضده. فأنت تبدين طاهرة ومعك طفل مريض وعاجز. أنا أتعاطى الشؤون السياسية منذ زمن طويل. وعندما كان أحد المرشحين لديه بعض اللعب كهدايا، كنت لأقول له أن يخبئ ويحتمي، وأن يبقى متزوجاً، وأن يظهر للناس محترماً ما أمكنه ذلك، وأن يبدأ بإطعام الأيتام أو يكرس المال والاهتمام لصالح راهبات عريان. وبالتأكيد ما كنت لأصحه بأن يخبئ عن الغطاء الذي يحتمي به، ويخبر الجميع، ويطلق زوجته. سيكون في حاجة إلى أن يخبئ كل عيبه وطيشه بكل هدوء ممكن. وفي مثل حالتك، إن الأمر يعتمد عليك يا حبيبتي. إن الكرة، بل حتى مصيره هو، هي في ملعبك وفي بنك. الأمر الوحيد الذي سوف لن يريده هو فضيحة علنية، أو طلاق. وخاصة أنها ليست مطلقة الحال بعد. سوف يريد أن يتفادى أية مشاكل عندما تصبح هكذا، وليس قبل ذلك مطلقاً. إذ أعرف شخصيته، فإني لا أعتقد أنه سيعتذر لك، ويصبح لطيفاً معك بأي شكل من الأشكال. وفي خاصة المطاف سوف يلقي اللوم عليك، وكلما ازداد ما يحب أن يخفيه، كلما صار أكثر ضراوة، فإين تواجهه فإيه سيهدك وسيتب لك عملياً إلى أي درجة من الحضارة والنداءة هو عليها، وسوف يحاول أن يخيفك لئلا تزيحي الغطاء عنه. كوني حذرة جداً حبيبتي. إن تحصره في الزلوية، ينشب مخالبه في عنقك. أعرف هذا النوع من الرجال، فهو لن يهدأ أو يفر عينه بالنوم لو يرتاح باله ما لم يتفك. فهذا الزواج على جميع الأحوال كان في صالحه مهما كانت طبيعة هذا الزواج، ولن يسمح لك أبداً بأن تعيبي فيه. إنه يريد الحفاظ على زواجه منك كي يحفظ ماء وجهه. فهي لن تتخلى عن العجوز قبل وفاته. أعتقد أن أموراً كثيرة تجري هناك لا تحرفينها، فكوني حذرة، ولا تدفعيه لأن يتهور."

'إني على طاوله مكتبي'.
 'سوف أخذها في طريقي خارجاً، وسوف أجعل سكرتيرتي تهتم
 بالمسألة'.

شكراً يا غوردون. وسوف أرسل لهما هدية نظيفة معطرة منهما'.
 'سوف أجعل إليزابيث تهتم بذلك أيضاً، يكفيك ما تعانيه من أعباء'.
 شكرته بلطف، وغانر إلى مكتبه وبطاقة الدعوة لا تزال في يده وضحك
 بيل كثيراً عندما أخبرته عن ذلك عندما اتصل بها.

'يا لك من شريرة مكررة. ولكن تنكري ما قلته لك. كوني حذرة منه،
 فهو ليس بالأحمق. ولربما يراقبك ليعرف ما تكون عليه ردة فعلك وما تتوهم
 أن تفعله. وربما يعتقد أن أحدهم قال لك شيئاً ما، اللهم إذا كانت صدقيتك
 مصيبة، وأن كل من في باريس يعرف بالأمر'.

قالت: 'إن أقدم على أية خطوة'. وخلال الأيام القليلة التي تلت ذلك
 الحديث، اكتفت بأن تتحقق من وجوده في غرفته في آخر الليل وعند الفجر
 عندما تستيقظ. ولاحظت ما كانت تتوقفه تماماً، فقد كان يغيب عن المنزل
 طوال الليل متوقفاً أنها لن تعرف بذلك، إذ إنه كان محظوراً عليها ضمناً أن
 تأتي إلى غرفته. ومن المفترض إذاً أن يكون في الشقة في شارع رد دو باك
 مع لويزا.

وفي الشهر التالي بدا وكأن إيزابيل وغوردون يلعبان لعبة الهر والفار،
 ولم يتغير شيء في حياتهما، إذ بقيت الأمور على حالها كما كانت منذ سنتين.
 كانت له حياته مع تلك المرأة، وشقة، وعلاقة، وكان متزوجاً بها، بمعنى من
 المعاني، أكثر مما كان متزوجاً بإيزابيل. على نفس المنوال، كانت تشعر هي
 بأنها أكثر ارتباطاً ببيل من غوردون وكان بيل هو زوجها.

كان قد مضى عليه عشرة أشهر في مركز إعادة التأهيل حتى ذلك
 الوقت، وقد غدا أقوى، وشعر بأنه في حالة صحية أفضل مما كان عليه خلال
 سنتين. ما عاد عقه يسبب له أية مشكلة تذكر، ولما كلفاه، وكانت أوراكه

الإزعاج للصغير الوحيد الذي سيُتَبَّه له كان عندما ناولته بريده.
 فاستنثت جزءاً من بريده، لأنه كان موجهاً إلى كليهما، ونكرت له عرضاً
 بأن الكونت والكونتيسة دي لين يدعونهما إلى حفل زفاف. وقالت بأنها قبلت
 الدعوة الموجهة لهما معاً وقالت أنه سيكون من الطريف حضور هذه الحفلة.
 لقد بدت بريئة للغاية، ولم تظهر في عينيه أية إيماءة وهو يصفي إليها. بل لم
 تظهر عليه أية ردة فعل على الإطلاق.

'يقول طيب يدعي أنه يجب علي أن أسري عن نفسي قليلاً بالخروج من
 المنزل لفترة، وأعتقد أنه على صواب. لقد افترضت أنك تعرفهم، وبما أن
 الدعوة جاءت لكليتنا لذا فقد اعتقدت أنك لن تمنع في ذهلي'. قالت له بحنوية
 وبعينين متسعيتين.

'لا، ليداً'. قال لها وهو يبدو غير مهبال على الإطلاق. وتوهلة تساءلت إذا
 ما كانت تتالي مخطئة فيما قالته، ثم ما لبثت غوردون أن استدرد نحوها وتعليق
 غريبة على محياها وقال: 'إنهما شخصان مهملان قليلاً. وهما طاعتان في السن.
 أعتقد أنك ستصايبين بالسأم إذا ذهبت. فإن كنت تفكرين بالخروج من المنزل
 فأعتقد أن من الأفضل أن تختاري القيام بأمر أكثر إمتاعاً'. لقد بدا جزعاً أكثر
 منه خائفاً.

كسم يمكن أن يكون عبرها طالما أن لهما ابنة على وشك الزواج؟
 سألت إيزابيل ببراعة، وهز غوردون كتفيه بلا مبالاة.
 'لا اعتقد أن ابنتهما فتية جداً، أعتقد أنها عانس كبيرة في السن وغير
 جذابة. ولا أجد المناسبة مسلية'.

لقد كان موطن العزم على ألا تذهب إيزابيل، ولأول مرة خلال سنوات
 طويلة، إذ تتعامل معه، فإنها كانت تشعر بالتسلية.

'معك حق. فلا يبدو الأمر مسلياً. هل ينبغي أن أكتب لهما واعتذر لهما
 عن الحضور، أم أن هذا سيدل على عدم اللبقة؟'
 'سوف أختار أنا بالأمر. أين هي الدعوة بالمناسبة؟'

نخيفة، وعندما كان يرتدي لباس السباحة كي يسبح، كان يبدو كمثال شاب فني. وعادت إليه معظم القدرة على الإحساس بساليقه، وصار بمقدوره أن يتحرك بسهولة أكبر في كرسيه ذي العجلات، ولكن لم يكن ليستطيع المشي أو الوقوف. فما كانت لساليقه القوة بعد ذلك، وكالمتا تخوناته تحت وطأة ثقله عندما كان يحاول الوقوف على قدميه. وحتى السندات التي كانت قد ثبتت إليه كي تساعداه على الوقوف والحركة لم تفلح في مساعدته على ذلك. بل إنه كان يتهاوى أسرع عندما كان يستخدمها. أما فيما يتعلق بليزابيل فما كان قد أحرز تقدماً فيما يتعلم في نفسه نحوها.

كان لا يزال يقابل الطبيبة هاركورت، للمعالجة للشؤون الجنسية، رغم تصنعه لذلك في البداية. لقد كان لا يزال مصرراً على التفكير بأن الجنس قد انتهى من حياته. لقد كان جارحاً له جداً عندما فشل في محاولته مع ليزابيل. وتولدت لديه قناعة أنه لن يحدث له أي تغيير من هذه الناحية. ولكنه على كل حال كان يروق له الحديث إلى ليندا هاركورت. لقد كانت تعطيه الكثير من الكتب الممتعة على الدوام. ولكنه بقي غير مقتنع.

ومما زاد الطين بلة، أن جين وجو جاما إليه في آذار (مارس)، وأخبراه أنهما يعترمان الزواج، ورغم أنه كان يحب جو كثيراً، إلا أن بيل استاء من الأمر، وتحدث مطولاً إلى ستيبا مرات عديدة على الهاتف بخصوص هذا الموضوع. لقد كانت أكثر تفهماً منه لهذا الأمر، وتجادلا في هذا الشأن أسابيع عديدة. وأخيراً، تحدث بيل حديثاً طويلاً إلى جين عندما جاءت من جامعة نيويورك بغية زيارته.

يا بابا، نحن نعرف ما تفعل. فلنسا أطفالاً. فانا نتردد إلى هذا المكان منذ سبعة أشهر. وأعرف إلى أين تقودني قدامي". بسبب طبيعة إصاباته، كان جو يستعمل حفازاً، ويأخذ الأدوية، وكان بمقدوره استعمال نراع واحدة فقط. لقد كان عجزه ومحدوبيته أكبر بكثير من بيل. وكان قد قبل في كلية الحقوق في الخريف، وكان متقد الذكاء. وكان الأطباء يحقنون، ولكن ليس بشكل مؤكد،

بأنه قد يستطيع إنجاب أطفال في نهاية الأمر. وشرحت ليندا لبيل أن بعض الرجال، رغم عجزهم عن ممارسة الجنس اعتماداً على أنفسهم، بإمكانهم أن يخصبوا زوجاتهم اعتماداً على المعونة الطبية. لم يكن واضحاً فيما إذا كان جو واحداً من هؤلاء. لقد كان هو أيضاً واحداً من مرضاهما. ولكن بيل كان يشعر أن جو يتمتع بالشباب وهذه نقطة في صالحه. أما بيل، وهو في هذا السن، فما عاد يرضى بأن يكون 'موضوع تجربة'، أو أن يجعل من نفسه أضحوكة. لقد كان يفضل أن يتقطع كلياً عن ممارسة الجنس ما بقي له من العمر. وخلافاً لجو، فقد تقبل بيل ذلك، وكأنه أمر محتم لا يمكن اجتنابه.

"لست لا تتركين عولقب هذا الأمر" قال لها بيل مجادلاً إياها، واستأنف: "سوف يكون معزلاً عليك بشكل كامل، جسدياً وعاطفياً".

"لا أعتقد ذلك، فجو يهتم بي، وهو الرجل الوحيد الذي اعتنى بي، اللهم ما عداك. سوف يكون محامياً، وقد استمر المال للتعويض الذي أخذته من جراء الحادث، وإن لديه مليون دولار في سوق البورصة في شركة موثوقة، إضافة إلى استثمارات جيدة أخرى عديدة. لقد اطلع عليها مسمار البورصة الذي تتعامل معه ماما، وقال أن جو قد قام بالعمل للصلب. ولا يهمني إن كان لا يستطيع تسلق الصخور، أو رقص الفالس".

"ربما سيهكم هذا يوماً ما".

"لم تفعل ذلك أنت أو أمي، ولكننا نستطيعان أن نسيراً على أقدامنا. فلماذا ستهتم نحن بذلك؟ لماذا ستكون حالتنا أسوأ مما كانت عليه حالتكما عندما تزوجتما؟".

"لأنه مُنق". قالها بيل بحزم. "وهذا سيكون عيناً ثقيلاً عليك. صحيح أننا أنا ووالدتك لم نقم بهذا أشياء عندما كنت أستطيع المشي، ولكن لو كانت حالتي آنذاك كما هي الآن لما كنت أقدم على الزواج من والدتك".

"هذا أمر محزن. لا يمكنني أن أصدق أنك تفكر بهذه الطريقة". لقد شعر فجأة بالأسف لأنها زارته يوماً في المشفى وعركها على جو. لقد كان يفكر

أنا ذلك بأنه ليس من ضرر في ذلك، ولكنه كان مخطئاً. لقد ناقش الموضوع مع إيزابيل وسونيا، وكلتا ابنتيه في الأسبوعين التاليين، وفي نهاية الأمر جلس مع جو وتحدث إليه بهذا الشأن. لقد كان جو يتوقع الكثير من الضغط الجدي عليه، وكان واضحاً وحتى قبل بدء المحاوره بينهما، أن بيل كان مستاءً من هذا الأمر. ولكنه لم يكن يتوقع من جو الإجابات التي ألقى بها.

أعرف حقيقة ما تشعر به يا بيل. قال جو بهوده. لقد كان قد سمع عن كل شيء من جين. لقد كانت غاضبة من والدها بسبب هذا الموضوع، وأرادت أن تتزوج من جو دون موافقة والدها. ولكن جو كان يحترمها ويحترم بيل في نفس الوقت... "لا أستطيع أن أقول أنك مخطئ. ولا أستطيع القول أن الطريق ستكون سهلة لمانا. كلانا نعرف ذلك. نعم. وبني أنكفهم ذلك أكثر من جين. وكلانا يافع فتى. الزواج ليس سهلاً حتى في أفضل الأحوال. والداي تطلقا، وأنت وسونيا أيضاً. ليس من ضمانات في الحياة. ليس من شيء مضمون. ولكنني أيضاً أعتقد أن ربطاً خاصاً بجمعتي جين، وأصدقك القول أنني أظن أن بمقتورنا أن نجعل الأمر ينجح بيننا. سوف أعمل كل ما في وسعي كي لحميمها وأحبها وأعتني بها". وكانت الدموع آنذاك تترقق من عينيه، فاشاح بيل بوجهه إذ لم يريد أن يتأثر. "وبالمقابل فإني لحترمك جداً ولا يمكن أن أقوم بأي أمر لا توافق عليه. إنني أتق بعقلك الراجح وحكمك الجيد على الأثباء، رغم أنني أعتقد أنك مخطئ فيما تفكر به بخصوص زولجانا. أعتقد أنني وأنت لسنا الحق بأن نحظى بحياة سعيدة، وزواج سعيد، كما كل الناس. وإن كنت لا أستطيع أن أمشي أو أن أستخدم ذراعي اليسرى فهذا لا يعني أنه ليس لي الحق بأن أحب. أمل أن تؤمن أنت أيضاً بذلك، ومن أجلك. ولكن إن كنت لا تريدني أن أتزوجها، أو كنت ستمانع، فإني سأقول لها بأنني أعدت النظر في الموضوع وعجزت رأيي. إن كان هذا ما تريده، فإني أفضل أن تكرهني أنا على أن تكرهك أنت. فأنت والدها، وهي في حاجة إليك، ربما أكثر مما تحتاج إلي. ولن أرضى بأن أكون عضواً في عائلتك إن كنت لا تريد ذلك. الأمر

يعود إليك". كان بيل يشعر بالألم وهو يصغي إليه. لقد كان يريد أن يصيح كل ما يقوله حقيقة، ولكنه كان يعتقد أن الأمر سيكون بالغ الصعوبة بالنسبة لكليهما، وكان يريد أن يحمي ابنته الصغيرة. كان يريد لها أن تتزوج رجلاً يستطيع أن يسيروا معها عند غروب الشمس معتمداً على ساقيه.

ماذا لو اكتشفت بعد المحاولة أنك لا تستطيع أن تتجلب لطفالاً؟ لقد كانت هذه قضية هامة بالنسبة له، وكان يعرف أن جين ستفكر بهذا الأمر الذي سيصبح مشكلة لها أيضاً يوماً ما.

تسي هذه الحالة سنقيني طفلاً. لقد ناقشت هذا الأمر مع جين. ليس هناك ضمانات لأي كان. فالكثير من الأزواج ليس عندهم عجز أو نقص ما، يجدون أنه ليس بمقتورهم إنجاب أولاد. سوف تفعل كل ما نراه صائباً ومناسباً لكليتنا". كان بيل يعرف أنه لا يستطيع أن يسل أي رجل المزيد من الأسئلة. لقد كان جو لطيفاً، محبباً، ومفتوناً بجين، وتكياً، ومهذباً، ومراعياً لمشاعر الآخرين، ومتقفاً، ويحالف مالهية جيدة، ولكنه كان مقيداً إلى كرسي منولب لبقية حياته. لقد كان هذا أصعب قرار يمكن لبيل أن يتخذه. أصغى إلى جو طويلاً، وبعدها، وبدومع في عينيه رفع ذراعيه وتعلق الرجلان.

حسناً أيها الوغد الصغير". لقد كانت الدموع تنهمر من عينيهما، وكانت شفتا بيل ترتجفان وهو يصارع لتلا يقول سونيا. "إلى الأمام. ولكن الويل لك إذا سببت لها التعاسة. فعندها سأناك أنا منك".

أقسم لك أنني سأفعل كل ما أمكنني لإسعادها ما حبيت". ولم يكن هناك للمزيد ليقال، فكان هذا كل ما يمكن أن يطلبه رجل ممن سيتزوج ابنته. مسح كلا الرجلين عينيه ولبتسما، وأخرج بيل إحدى زجاجات المشروب المفضل من التلاجة في غرفته.

مضى تقويان الزواج؟" سأل بيل وهو يصب كأساً من المشروب المفضل لكل منهما. لقد شعر بالتعب وكفه تسلق جبال الألب في نصف الساعة الأخيرة، وشعر جو بنفس الإرهاق أيضاً.

لقد فكرنا أن نعتد زفافنا في حزيران (يونيو) أو تموز (يوليو). وسوف
الستحق بكلية الحقوق في جامعة نيويورك، ويمكننا أن نحصل فيها على مسكن
للمتزوجين، وهكذا لن يؤثر زواجنا على التزامها بالجامعة. كنت ستبلغ
العشرين وتصل إلى السنة قبل الأخيرة خلال خريف ذلك العام. أما هو فكان
في الثالثة والعشرين. لقد كانا فتيين بالتأكيد، ولكن ثمة آخرين تزوجوا قبل
هكذا عمر، وكان زواجهما ناجحاً. كان بيل يأمل أن يكون الحظ من نصيبهما
في الزواج، وكان هذا كل ما يتناهاه لهما.

متى ستغادر هذا المشفى؟ سأله بيل.

أخبرته أنني سأغادر هذا المشفى في غضون شهر أو اثنين. فقد مضت سنة على وجودي هنا، ويعتقدون أنه آن
لني أن أغادر. لقد كنت أفكر بأن أذهب إلى منزلنا في مينيبوليس لبرهة. أوما
بيل برأسه. لقد بدا كل شيء معقول، إذا كنت تستطيع أن تقول هكذا. لو لم
يكن جو في كرسي ذي عجلات لكان بيل سيقفز من الفرح. ولكن الآن، على
الأقل وافق على الزواج.

أخضى كلاهما بعض الشراب، واتصل جو بجين عندما عاد إلى غرفته.
لقد كان يشعر بأنه مستنزف للقوى تماماً. لقد كان مرتاعاً مما سيقوله بيل،
ولكن سارت الأمور على ما يرام بشكل مدهل. وإذا سمعت جين بالدنيا لتفجرت
بالدموع من الفرح. فقد كانت مباركة والدها للزفاف تسلاوي العالم بالنسبة لها.
فلم تكن لتريد أن تتزوج ما لم يوافق، وهذا كان موقف جو أيضاً.

وما هي إلا خمس دقائق على مغادرة جو للفرقة حتى اتصلت جين ببيل،
وكانت تبكي وتضحك في نفس الوقت وهي تشكره، ثم أعطت السماعة لسنثيا
التي دخلت على الخط.

تعمم ما فعلت. لقد قلتُ عليك لوهلة، ولكنك فعلت الصواب. لقد بدت
هائجة ورشدة بشكل لافت للانتباه. لقد نضجنا جميعاً في السنة الأخيرة، وليس
قط الأولاد.

ما السذي يجعلك متأكدة إلى هذا الحد؟ سألهما بيل ولا يزال يبدو القلق

عليه.

لقد عرفت للتو. وأدرك أنك خائف قليلاً عليها. ولكن نيطمئن قلبك،
لسيكون جيداً طويلاً معهما. لقد كان هذا جلاً ما يطالبه. أما باقي الأشياء
فمتروكة للقدر.

تحسن به أن يكون هكذا. وإلا سيكون عليه مواجهةي أنا عندئذ.

إني فخورة بك. قالت سنثيا.

إليك وذلك، فالشاب ظريف، ولم يكن في وسعي أن أرفضه.

يسرنني ذلك.

وهذا ما قالته إيزابيل أيضاً عندما اتصلت بها لتعرف مجريات الأمور
معه.

ما كنت لأسامحك لو أنك رفضت. قالت له بحماس. لقد كان هذا
الموضوع يقلق بالها طوال الليل، واستيقظت في الساعة الرابعة لكي تتمكن من
الاتصال به. لقد كان الجميع يشجعونها ويؤيدونها. فالحب لا يمكن أبداً
مقاومته، وكان من الواضح والمؤكد أن جو وجين كانا يحبان بعضهما البعض.
وكان بيل يأمل أن تكون الحياة طيبة معهما. فعلى الأقل جو دفع رسوم الحياة.

في ذلك الوقت حل الربيع في باريس، ولم يكن قد طرأ أي تغيير على
حياة إيزابيل في الشهرين الأخيرين. فهي لم تجابه غوردون باكتشافها للحقيقة.
لقد كانت تكسب الوقت. ولكن كل شيء تغير بالنسبة لها منذ اكتشفت علاقته
بوليزا. فما عادت تشعر بالذنب بسبب ما كانت تشعر به نحو بيل، وظلت بعيدة
عن غوردون معظم الوقت. فلم تقدم له أي اعتذار، ولم ترج شيئاً منه. لقد
عدا مجرد رجل ما عادت تعرفه يقطن في نفس العنوان. وكان بيل يخشى أن
يكتشف غوردون أي تغيير عند إيزابيل. ولكن حتى الآن لم يبد عليه أنه لاحظ
أي شيء.

كان بيل لا يزال يتصل بها كل يوم، ولكنه كان يعلم أن عليه اتخاذ بعض

جهدهم هناك، وكانت مصيبة في إحسانها بأنه يستصعب الانتقال. فمغادرته لمركز التأهيل كان كمثل ترك الجنين برحم أمه.

وأما بالنسبة لجروحها هي فقد كانت قد شفيت آنذاك. والاختبارات والتحليل التي قامت بها لظهرت نتائج طبيعية، وما عادت تشعر بالصداع. لقد تماثلت تماماً للشفاء، ولم يبق أي أثر للحادث ما عدا ندبة رفيعة طويلة على ذراعها اليسرى حيث أجريت عملية خياطة لشرخاتها. فلم تبق هناك أية آثار من الحادثة إلا العلاقة التي نشأت بينهما في المستشفى، وكانت لا تزال مشتاقة إليه، وطلبت منه أن يأتي لزيارتها عندما يخرج من مركز إعادة التأهيل، ولكن كتبها ثلاث منهن ذلك كان يجب بطريقة مبهمه. لقد كانت تعلم أنه لم يحن الآن بعد بالمصيبة له ليقوم بمخططات سفر، ولكنها كانت ترجو أن يقوم بذلك عاجلاً لم تره خلال سبعة أشهر بدت دهرية لها. وكانت كذلك بالنسبة لبيبل.

لقد كان هذا مصدر عذاب دائم له مع مرور الوقت، وكان يعاني من ذلك منذ زمن ليس بيسير. لقد كان يريد أن يراها، ولكنه لم يكن يجد هذا مناسباً له. فمنذ نفهم وتقبل حقيقة أنه لن يكون بمقدوره أن يمضي من جديد تفسير كل شيء بالنسبة له. شعر وكأنه يخدعها. ففي نظره، لم يعد يملك ما يقدمه لها ما عدا الدعم المعنوي وبعض التفاتك الخاطفة التي كان يمكن أن يشاركها حبها بضع مرات في السنة. لم يكن لديه إلا القليل ليعطيه لها، وليس لديه أي شيء في المستقبل لها طالما أنها متزوجة ولا يمكن أن تحظى بالسلام هي أو طفلها المريض بسبب غوردون. ما كان لديه إلا الكلمات ليقدمها لها. الشيء الوحيد الذي لم يكن يريد منها هو الشفقة. فما كان ليحتمل ذلك. وكان يعلم أنه إذا ما اختار أن يتركها، ومن أجلها، فإنها يجب أن تظن أنه سليم معافى. وإلا فإنها ستشعر أنه بحاجة إليها وفي هذه الحال لن تسمح له بهجرها. لقد كان يعرف طبيعتها تمام المعرفة. ولكنه في كل مرة فكر أن يهجرها، أو ألا يتصل بها، كان يشعر بقلبه يكاد يتحطم. لم يكن يريد لها أن

القرارات في القريب العاجل. لقد مضى عليه سبعة أشهر في مركز إعادة التأهيل، ورغم أنه كان أقوى وأفضل صحة، إلا أنه لم تطرا عليه أية تغييرات كبيرة هامة. لقد تماثل جسده للشفاء، وكان قد خطط أصلاً لأن يبقى سنة هناك، ولكن المعالجين الفيزيائيين القائمين على العناية به كانوا يقولون له بأنه سيكون قادراً على مغادرة المستشفى قريباً. لقد كان يفكر متردداً بأن يغادر في أيار. لقد قالوا له أخيراً أنه ما عاد لديهم المزيد ليعملوه من أجله. لقد تحتم عليه أن يبيت مفقداً إلى كرسي متحرك طيلة حياته. لم تكن هناك إمكانية لاجتراح معجزة، وما من عملية جراحية كان يمكن أن تنقده. صار عليه لزماً أن يتكلم مع العيش على هذا المنوال الذي هو عليه والذي سيبقى عليه. لقد كانت هذه الضربة الأقسى التي يمكن أن يتخذها، أما أسوأ ضربة كانت مستصيبة فيما لو ماتت إيزابيل في الحادث عندما اصطدموا بالحافلة. بالنسبة له، عجزه عن المشي كان يطغى عدم رؤيتها من جديد. لقد كان يؤثر الموت على أن يحملها عبء عجزه. وشعر كأنه مات عندما أخبروه أنه ليس في مقدورهم أن يعملوا أي شيء آخر له. لم يكن قد أخبرها بعد أن الأمر قد انتهى، ولكن كان يدرك أنه سيتوجب عليه ذلك في أقرب وقت، ولذلك فإنه لن يغير رأيه. لقد كان قد أقسم أن ينسحب من العلاقة معها بهدوء في أقرب فرصة.

كان أصنقاؤه لا يزالون يتصلون به من واشنطن، ولقد المرشحين الهامين لمجلس الشيوخ كان يطلب منه أن يتولى حملته الانتخابية في حزيران (يونيو). لقد كان هذا يتشوق إلى الوصول إلى سدة الرئاسة خلال أربع سنوات، وكان يعرف أن بيل هو الرجل الذي يستطيع أن يضمن له ذلك. ويرغم كل شيء. وعده بيل بأنه سيفعل ذلك.

وتحدث عن هذا إلى إيزابيل، وقالت إنها أصبحت تعتقد أنه سيكون مفقداً له أن يعود إلى أجواء العمل. لقد كانت تدرك أنه ولا بد كان يشعر بالإحباط أحياناً لأنه لم يحقق تقدماً في مركز إعادة التأهيل البني رغم أنهم بذلوا كل

تشعر أنها متروكة مهملة، ولكنه كان في قرارة نفسه يفكر أن هذا أفضل بالنسبة لها على المدى البعيد. لو أمكنه أن يقدم لها مستقبلاً ما على الشكل الذي يرغب به لكان لانتظرها إلى الأبد. أما الآن وقد أدرك أنه لن يستطيع ذلك وأنه سيبقى معتمداً على الكرمي للمدوب للأبد فقد كان يرتأي أن يتركها وشأنها وذلك من أجلها. وحتى لو كان جو وجين مجالين كفاية ليحاولا بناء حياة زوجية معاً، وهذا ما كان لا يتوقعه، فإنه لن يفعل ذلك مع إيزابيل. وشيئاً فشيئاً بدأ هذا الأمر يصبح مباراة مصارعة بين بيل وضميره كل يوم.

للنعمة الوحيدة التي منّت بها السماء عليها، إضافة إلى بيل، كانت أن تسدي تحسن وضعه الصحي بشكل كبير جداً خلال الشهرين الأخيرين. لم تصرف إذا ما كان ذلك بتأثير الطقس، أم للحظ، ولكنه بدأ أقوى وأفضل حالاً مما كان عليه طوالم السنة. بل حتى لقد نزل إلى الطابق الأسفل ليتناول طعام الغشاء معها في غرفة الطعام عدة مرات، وفي نيسان (أبريل)، أختته إلى بوا دي بولون⁽¹⁾ لأول مرة منذ سنوات، وتوقفاً لتناول المتلجات في جارين دي أكليماتاسيون، وكانت في غاية الإبتهاج عندما اتصلت ببيل وأخبرته بذلك. فلم تكن قد فعلت مثل هذا منذ كان تبدي صغيراً. وشكرت الله على فضله في حياتها عندما بلغ الخامسة عشرة من عمره في الأول من أيار (مايو).

والتصل بيل بعد ظهر اليوم التالي، وبدأ يضع الأساس لما ألتق نفسه بأن عليه القيام به. فأخبرها بأول اكتشافه. لقد فكر بها كثيراً. ورغم صعوبة ذلك إلا أنه كان يعرف أنه يفعل ذلك من أجلها. لقد كان يحبها لدرجة أنه كان مستعداً ليضحى بحياته من أجلها. لقد غدا تبدي في حال أفضل، وغوردون تركها بسلام لعدة أشهر. فقد كان قلماً يتواجد في المنزل، وشعر بيل أنه لن تسحق له فرصة أفضل من الآن للقيام بما كان يعتقد أن عليه القيام به. ويقتب منمحق اتصل بها ليحمل لها أخباراً طيبة، وحاول أن يجعل نفسه يبدو مقدماً.

(1) بوا دي بولون: (Bois de Boulogne)؛ منطقة مترفة للاستجمام في ضواحي باريس.

لقد كانت تصرفه حق المعرفة، فكان يخشى أن تترك أن ما يقوله لها ليس حقيقياً. ولكن صدقته وباعجوبة عندما أخبرها أنه مشى على قدميه ذلك اليوم، وأنه استعاد قدرة نماغه على السيطرة على ساقيه. بنتت منهذلة مما تسمع، وانفجرت بالدموع من الفرح لأجله، وهذا ما جعله يشعر بالأسى أكثر. ولكنه كان مصمماً على متابعة الخطة التي بدأها. لقد كان يعتقد أن عليه أن يدعها تمضي في سبيلها، كرمي لها، وأن يقتنعها بأنه كان محقاً. فليدعها تبدي لتعنى به، ولا يعوزها عيب بيل أيضاً لتحملة. لم يكن يشعر أن لديه ما يقدمه لها مهما كانت نتيجة علاقتها مع غوردون. لم يكن يريد أن يزيد من هومها وانتقالها. لقد كان يبلى أن يحطم حياتها ويحولها إلى حاضنة أو مربية أطفال له يوماً ما. خلافاً لجو وجين، كان لبيل معرفة أكبر بأمور الحياة. ما كان ليتقبل أن تشفق عليه، أو أن تنقذه، أو تعتني به. وبما أنه كان عاجزاً عن المسير، فإنه كان يبلى أن يبقى في حياة إيزابيل. وما كان قد أخبرها به لتوه، في أنه سار ذلك اليوم، إلا الخطوة الأولى نحو إطلاقه لحالتها. ففي نظره، كان هذا هو ما تبقى له ليعطيه. لقد كان ذلك بمثابة إطلاق الحرية لعصفور جميل.

تحنناً معاً وقتاً طويلاً، وسألته عن شعوره عندما خطا أول خطواته، وهزل كان خائفاً أم مسروراً. لقد كان قد درس خطته بإحكام. و يوماً بعد يوم صار بعزّز قصته. لقد شعر بالألم والإرهاق لاتصاله بها، إذ كان يكره أن يكتب عليها. شعر أنه ليس لديه خيار، ولكن هذا أفضل كل تصالاتهما الهاتفية، لأنه كان يكتب عليها. لقد كانت حميمة رائعة رقيقة وواقعة به، وكان يحبها للغاية، حتى إنه ما كان يطيق أن يبقى في حياتها على وضعه الحالي. لقد كان يرى أنه الآن نصف إنسان، أو أقل، وليس عنده بعد ما يقدمه لأي امرأة. حتى ولو كانت أجزاء من جسمه تقوم بوظائفها الآن ولكن كانت هناك أيضاً أعضاء مثبطة معطلة، وسوف لن تعمل أبداً. في نظره، إن التكهنات التي أعطاهما له للمعالجون الفيزيائيون قد حطمت فعلياً آماله في الحياة والعلاقة التي كان

عندما كان بيل لا يتحدث إليها، كان يخطط لحياته المستقبلية في واشنطن. لقد بدأ يفكر ويضع مخططات لما سيفعله بعد أن يغادر مركز إعادة التأهيل. كان قد وعد أن يأخذ على عاتقه الحملة الانتخابية لمرشح عضو مجلس الشيوخ في نهاية حزيران (يونيو).

كان عليه أن يحصل على ثقة بيل ذلك، وكان يجب أن يمضي بعض الوقت مع المرشح ويعرف كل ما أمكنه عنه. وقبل العودة إلى العمل كان هناك زفاف جو وجين في حزيران (يونيو). لقد كانت تنوي أن تضع نصف ذينة من الأشنابين، وأن تكون أوليفيا إثنينية الشرف، وكانوا يعترمون إقامة حفل زفاف في المنزل في غريويتش. كانوا سيستقبلون ثلاثمائة مدعو في خيمة على المدرجة الأمامية. كانت الحياة حافلة بالأحداث، وكانت سنثيا في سعي حثيث لإجراء الترتيبات مع متهدي الحفلات وبليني الزهور، والذهب مع البنات إلى تجريب الثياب.

كان جو وجين على اتصال دائم، وكانا قد تسجلا في مساكن الطلاب المتزوجين في جامعة نيويورك. وكانت قد ذهبت إلى مينيابوليس لتتعرف إلى والديه. وكانا يعترمان قضاء شهر العسل في إيطاليا، وإذا كان يصغي إلى جو كلما ذهب إلى جلسة العلاج معه كل يوم، كان بيل يشعر بالتعب والاستياء أكثر بسبب ما ينوي القيام به بخصوص إيزابيل. ولكنه كان قد صمم الرأي وعقد العزم. وكان يشعر بشكل كبير أن هذا هو الخيار الوحيد أمامه، وأنه العمل للصلاب الذي ينبغي أن يقوم به. بالنسبة له، كان قد استقر على قراره الذي اتخذته، ولم يبق إلا أن يخبرها به.

"هل أنت على ما يرام؟" سأله جو بعد ظهر ذات يوم بينما كانا يعودان أراجهما إلى غرفهما. "إنك في غاية الهدوء في الأونة الأخيرة". لقد كان جو قلقاً عليه. لقد كان يدرك أن بيل وصل إلى طريق مسدود في رحلة شفائه، وكان قلقاً بخصوص تأثير ذلك عليه. لقد كان هناك وقت كانا فيه معاً عندما

توجب عليهما مواجهة الحقيقة والواقع.

"لستعد العودة إلى العالم الحقيقي. لدي أمور كثيرة أقوم بها بعد الزفاف". أوضح له بيل، ولكن جو كان قد لاحظ أن حماء المستقبل قد فقد اهتمامه بالعلاج بشكل كامل تقريباً في الشهر الأخير، وأنه أيضاً توقف عن رؤية ليندا هاركورت في جلسات المعالجة. لم يبق عنده ما يقوله، ولم يعد لديه اهتمامات بكتبها. لقد فقد كل أمل بالحياة مع إيزابيل ووافق بيل على المكوث في مركز إعادة التأهيل لشهر آخر، ولكن بدا كأن قلبه ما عاد هناك. لقد صار خاضعاً لعقله. وبدأ ذاهلاً وهاذلاً، وعندما كان لا يلتقي بالأى الناس حوله، وقد غدا هذا كثيراً الآن، كان يبتدر مكتئباً، وهكذا كان حاله بالفعل.

في نهاية أيار (مايو) التقى بيل بالصدفة بويلين في طريق العودة من ردهة الطعام، وكانت تبكي. لقد كانت تتجاوز به بكرسيها وكانت ترتطم به وهي تتجاوز.

"هيه. أن تصطمني بلحد وتهربي هي جنابة". ناداها بيل بصوت عال، فلبطت سيرها كي تتوقف دون أن تحاول أن تلتفت إليه. ووضعت يداها على وجهها وراحت تتنحج بالبكاء. فقترب بكرسيه لمحاذاتها ووضع يده على كتفها وقال لها: "هل أستطيع مساعدتك؟". هزت رأسها لوهلة، ولم تجب. ثم نظرت إليه بعينين تالفتين. وإذا أراح يدها عن وجهها، أمكنه أن يرى أنها كانت قد ضلعت الخاتم من إصبعها، تلك الجوهرة الكبيرة الحجم التي كانت تضعها في إصبعها والتي رأها في يدها منذ التقيا لأول مرة قبل تسعة أشهر. وأمكنه بسهولة بالتالي أن يخمن ما حدث. "هل تودين أن نتحدث معاً قليلاً؟" فأومأت برأسها. فعادا عندئذ إلى غرفته، ونالها لفتحة من المناديل الورقية. وبعد أن تمسخت، شكرته بإسماة حزينة.

واعترضت منه قائلة: "أنا أسفة، فأنا مشوشة". لقد كانت جميلة كالعادة حتى وهي تبكي. لقد كانت فتاة تثير الإعجاب، رغم أنها كانت في كرسي منولب.

هل سأخمن ما حدث وحدي أم أنك تريدني أن تخبريني؟

إنه سيرجيو. لقد اتصل... إن الحظ العاثر يرافقتنا مؤخراً. لقد كان يعمل في ميلان، وكان يغيب كثيراً. أجتنا موعد الزفاف منذ عدة أشهر لأنه اعتقد أنه في حاجة إلى مزيد من الوقت... تبا، يا بيل، لقد كنا نتواعد لمدة ست سنوات... ولكننا لم نخطب إلا بعد الحادث. اعتقد أنه قام بهذه الخطوة لأنه شعر بالذنب إذ إنني سقطت عندما كنت أصغر لحسابه. في ذلك اليوم، كان يطلب مني أن أعود إلى الوراء أكثر وأكثر، وبعدها سقطت على درجات السلم... والآن أخبرني أنه لا يستطيع الاستمرار في هذه العلاقة معي، لأنها صعبة جداً عليه. إذ إنني في حاجة إلى رعاية شديدة، ويقول إنه يحتاج إلى امرأة في حياته تكون مستقلة أكثر. إنه بسبب هذا. قالت ذلك وضربت جوانب كرسيسها للمولسب، وشرعت بالبكاء من جديد، في حين وضع بيل ذراعه حول كتفها. إن قدرتها على التلطف غير الواضح تحسنت كثيراً في الأشهر التسعة الأخيرة، خلافاً لباقي أحوالها التي إن نتحصن أبداً. لقد كان هذا ما يشناه بيل بخصوص جو وجين، وهذا هو السبب الذي لأجله أراد إطلاق حال إيزابيل الآن قبل أن يأتي وقت تكرهه فيه بسبب عجزه.

لربما أفزع هذا الوضع. قال بيل بعقلانية. كان سيرجيو أكثر المصورين الشبان الناجحين في هذا المجال، وكان في التاسعة والثلاثين من العمر. وكان بإمكانه أيضاً أن يحصل على أية عارضة أو فتاة موديل يريد. حتى من لا تكون في كرتي مذولب. لقد كان جميلاً فوراً ولكنه أن يفتر بوعده ليهلين، ولكن، كما قال بيل لها، إذا كان هذا الأمر فوق طاقته فمن الأفضل أن يصارحها بذلك الآن. "هل تعلمين يا هيلينا؟" إذا كان لا يستطيع الالتزام معك فإن ما فعله هو الصواب. فأنت لا تريدني أن يهجرني بعد أن تكوننا قد تزوجتما. فمن الأفضل لك الآن أن تعرفي إذا كان هو الشخص المناسب لك أم لا. لقد كان هذا رأيي أيضاً بخصوص إيزابيل، فرغم أنه كان يعرف أنها لن تتخلى عنه أبداً، إلا أنه فكر أنها يجب أن تفعل ذلك. وإذا كانت لا تقبل أبداً لن

تقوم بذلك، فهو سيفعل ذلك ومن أجلها هي. لقد استسلم لنوبة اليأس التي انتابتها في الأسابيع الماضية وأنتع نفسه أنه كان على صواب. وما فعل سيرجيو الآن إزاء هيلينا أكد له صحة كل ما كان يفكر به، فلنأس "الأصحاء" ليس لهم أن يتواصلوا مع من هم أقل شأناً. "صديقني يا هيلينا، يوماً ما سوف تُسرِّين لأن هذا حدث". قال لها، وبدأت في البكاء على نحو أشد. لم تكن لتفقه الموضوع على هذا النحو. فقد كانت تحبه وتظن أنه هو أيضاً كان يحبها. لقد كانت قد جهزت فستان زفافها، واختارت متعهد الحفلات، والمصور للفوتوغرافي، والفرقة الموسيقية ولكن الزواج كان أكبر من ذلك بكثير، خاصة في ظروفهم هذه.

لما سيسرني أن يكون هذا قد حدث؟" لم تكن لتجد أن كلام بيل مغفولاً.

تلك الأثمة لا تودين أن تكوني عبئاً عليه. فهكذا سيركك فقط.

أنا لست عبئاً. قالت وهي تبدو ساخطة. أنا لست مختلفة عما كنت عليه قبل الحادث. فأنا لا زلت نفس الشخص. كان جو وجين ليستحسان ما كانت تقول. أما بيل فلا. لقد كانت لديه وجهة النظر المعاكسة.

ليس أحد منا هو ذاته. لا يمكننا أن نكون هكذا. إن لدينا عجزاً ومحدودية. فثمة أشياء لن نستطيع القيام بها ثانية. قال بيل في هدوء وهو يفكر بليزابيل.

مثل ماذا؟ للرقص؟ التزلج على الثلج؟ التزلج؟ من يهتم؟ وتمخضت من جديد.

من الواضح أنه هو يهتم. هذا رأيي. على الأقل كان صادقاً معك، وهذا يعجبني في هذا الشاب.

أما أنا فليست معجبة به. فهو ختالة. فأنا لم أخطئ إليه حتى يتخلى عني.

لا. كل ما هنالك هو أن حظك سيء. كلنا كذلك. ولهذا فنحن هنا.

'هل تريد القول أن ما من أحد سيحبنا لأننا على هذا الحال؟ إنك مخطئ، على ما أعتقد، ومن البغيض أن تقول ذلك، وماذا عن جو وجين؟ نظر إليهما.'
 'إنك أكثر نضجاً وورشداً وبنينى أن تكوني أكثر نكاهاً منهما'. كانت في الثامنة وللعشرين من عمرها، وكانت ترغب أن يكون لها حياة وزوج وأولاد.
 'لا زال أعتقد أنهما يرتكبان خطأ، ويوماً ما سوف يدفعان شئنا. ولربما ستفعل جين ما فعله سيرجيو لتود. وماذا سيكون عليه الأمر عندئذ؟ في ذلك الوقت سيكون قد صار لديهما ولدان، وسوف يدمران حياة الجميع.'

'أهذا ما تعتقده؟ أنه ما من أحد سيقبلي إلى جانبنا أو يرغب فينا؟ هذا هراء، فأنت تعرف ذلك. أو على الأقل أمل أنك تترك ذلك، إن لنا الحق في أن نحظى ونتمتع بكل الأشياء التي ينالها الآخرون.'

'ربما لا'. قال لها وقد بدا متجهماً. 'أو لنقل على الأقل، أنني لا أعتقد ذلك. لا يسعني أن أتحدث عن نفسي فقط. ولكن لا أعتقد أن لي الحق في أن أبلني الآخرين بهذه' قال ذلك وقد أشار بيده إلى الكرسي ذي العجلات. 'قليل هذا من الإنصاف في شيء'. لقد كان كلاهما يدرك أنه إنما يتحدث عن إيزابيل، وبدت هيئنا أكثر استياءً.

'هل نتحدث إلى الطبيب النفساني هنا يا بيل مؤخراً؟ سألته وقد أصابها فجأة قلق عليه أكثر من القلق على نفسها. 'أعتقد أنك في حاجة إلى ذلك، لأنني أظن أن موقفك هذا بغيض ومقيت. وفي رأيي أن سيرجيو نذل حقير، وربما تكون على حق في أنه كان من الأفضل لي أنه تركني الآن بدلاً من أن يهجرتي فيما بعد، ولكن لا أعتقد أن لهذا علاقة بهذه' وأشارت بيدها إلى كرسيه المدولب بنفس الطريقة كما فعل. 'أعتقد أن هذا يتعلق بحبه لي أو لا، وبنوع الزوجة التي يظن أنني سأكونها. ربما يعتقد أنني لست صالحة ككافية له.'

'هذا رأيي'. قال بيل بثقة، ونظرت إليه هيئنا بغضب.

'لا نيس الأمر كذلك يا بيل. إنك مشوش. أنت تعتقد أننا قفنا هنا بأن نحبب لأننا انتهينا إلى كرسي مدولب. لا أعتقد ذلك، وسوف لن أفكر هكذا أبداً.

هناك أناس كثيرون خارج هذا المكان لا يشكل أي فارق بالنسبة لهم أبداً فيما إذا كنا نستطيع الوقوف على أقدامنا أم أننا مقعدون. أنا أيضاً لا أحب أن أكون هكذا، فأنا أحب أن أركض مستندة إلى ساقبي وأن أقتل الأذنبة ذات الكعب العاليي. ولكني لست كذلك. فماذا إذا؟ هل تريد أن تقول لي بأنك لا يمكن أن تحب امرأة في كرسي مدولب؟ هل أنت محدود التفكير إلى هذا الحد؟ لا أعتقد أنك كذلك' ونظرت إليه نظرة ثقيلة حادة.

'ربما لا'. قال بملوحة متقادياً سؤالها، ولكن كان يدرك، رغم نفسه، أن ثمة بعض الحقيقة والصواب في ما كانت تقوله. فلو كانت إيزابيل انتهت إلى كرسي مدولب، لأحبها بنفس المقدار بل ربما أكثر. ولكن لم تكن هذه هي الحالة. وما أود قوله هو أن بعض الناس ليست نفوسهم كبيرة ليفعلوا ذلك. وحتى لو كانوا كذلك، فعليك أن تعمني للتفكير وتسالي نفسك إذا ما كنت تريد أن تفعل ذلك بهم. هل تريد حقاً تعريضهم لذلك، وهل تحبينهم بما يكفي لتجربهم؟' لقد كان يتحدث عن نفسه، وبدت هيئنا مشوشة محتارة.

'لماذا لا يلقون بنا جميعاً على جبل جليدي بعد في مكان ما؟ فهذا قد يحل المشكلة. عندئذ لن تشكل مشكلة لأحد، وسوف لن يضطروا لأن يكونوا بشرأ مهينين، أو أن تكون لديهم أية مشاعر عاطفية نحونا، أو حتى لأن يكونوا راشدين ناضجين. هل تعلم؟ إنني معجبة جداً بجين وجو على الخطوات التي يقومان بها. إنهما يؤمنان ببعضهما البعض، وهما على صواب. كل منهما يحب الآخر، وهذا يجعلهم جديرين بكل شيء. وما خلا ذلك، ووجود الكرسي المدولب، أو العاكيز، أو اندامها لا يهم البتة. على الأقل لا يهمني أنا هذا أبداً. فلا يهمني حتى لو كان للشخص الذي أتزوجه أصماً وأبكم وأعمى، طالما أنه شخص جيد طيب، وأنا أحب بعضنا البعض، وأنه إنسان جدير بالاحترام، فهذا يكفي. فهذا الكرسي المدولب لا تعني لي شيئاً البتة حتى وإن كان هناك شخص آخر مكثني فيها.'

'حسناً. إذا تزوجيني' قال بيل مازحاً، وأسندت رأسها إلى الخلف في

كرسيها وهي تقسم وسط الديموع.

"أنت مزعج للغاية" ضحكت وهي تقول له ذلك. وأراوك بغوضة. ولا
أزال أعتقد أن عليك أن تتحدث إلى الطبيب النفساني قبل أن تغادر هذا المكان،
وإلا فإنك سترتكب بعض الحماقات. لقد كانت إحدى مريضات ليندا
هاركورت أيضاً، وقد أحرزت نجاحاً كبيراً معها، لأنها كانت تريد ذلك.
"مثل ماذا؟" بدا يتخذ موقفاً دفاعياً. لقد كان يجيها، فقد كانت فتاة متألقة،
وكانا قد أصبحنا صديقين حميمين.

كان تخلى عن الناس الذين يحبونك لأنك تشعر أنك عبء عليهم. لماذا
لا تتركهم يقررون ذلك بأنفسهم بدلاً من أن تقرر أنت بنفسك عنهم؟ ليس لك
الحق أبداً في أن تتدخل في تفكيرهم أو تتخذ القرارات عنهم."
ربما أنا أعرف أكثر منهم. إذا كنت تحبين شخصاً فإنك ترغبين أن
تحبيه حتى من نفسه."

"لا يمكنك أن تحمي الناس" قالت هيلينا بوضوح. لقد بذلت جهداً كبيراً
كي تشفى ووجهت أموراً كثيرة، حتى أكثر من بيل. لقد أمضى كل وقته يرفع
الأثقال، وتحاشى الاحتكاك مع الطبيب النفساني في نهاية المطاف. وكانت
هيلينا تعرف ذلك. واستأنفت تقول. "للناس الحق في أن يتخذوا قراراتهم
بأنفسهم. لا يمكنك أن تحرمهم هذا الحق، كما ولا يمكنهم هم أيضاً ذلك. إنها
مسألة احترام."

ربما تكونين محقة. قال بيل وهو غارق في تفكير حزين. أليست لدي
الأجوبة. لدي فقط الأسئلة. أنا أكبر منك سناً بكثير. ربما كنت أكثر شجاعة لو
كنت فسي مثل سنك. ربما تكونين على صواب. وربما يكون سيرجيو تالفهاً.
ولكن إذا كان كذلك، فإن الأفضل لك أن تكوني بدونه، ومن الأفضل لك أن
تظلمي ذلك الآن."

"لوفئك الرأي من هذه الناحية." قالت له بحزن ولكن الأمر مؤلم بما
حال من الأحوال."

تعم. إنه كذلك. ولكن الحياة مؤلمة أيضاً. فتمة أمور كثيرة تحدث لتسع
الإيمان كبار الجحيم. بعض الناس يخلونك. فمن الحسن أن تتخلصي منهم في
أسرع وقت ممكن. قال لها ذلك، وأومات هي برأسها موافقة. لقد كان يفكر
بمستقياً، ولم يكن لهذا علاقة بكرسيه.

"أعتقد أن سيرجيو هو نموذج عن هؤلاء." قالت له متألمة متفكرة.

ربما تحصلين في المرة القادمة على خاتم أصغر حجماً، وشاب أكبر
حجماً. وأومات برأسها، وراحا يتحدثان مع بعض لفترة، ثم عادت إلى غرفتها
بعد أن تكثرت بيل ثانية بأنها ترى أن يحاول رؤية الطبيب النفساني قبل
رحيله. وعندما اتصلت به إيزابيل فيما بعد تلك الليلة بدا مضطرباً. فبعض
الأشياء التي كانت قد قتله له هيلينا أربكته من جديد. لقد كانت نظرتها إلى
محدوبيتهم وعجزهم تثير الإعجاب إذ كانت ترى أن هذه العوائق لا تشكل
حاجزاً بينهم وبين الناس الذين يحبونهم، وكان يتساءل إذا ما كانت مصيبة في
رأيها، ولكن ليس تماماً. لقد كانت امرأة قتيبة، وإذا كان من رجل يريد أن يهتم
بها هذا أمر. وأما هو فكان رجلاً، وبالتالي فهذا أمر آخر، إذ كان يشعر أن
عليه أن يكون أكثر قدرة على العطاء من ذلك.

تبدو متعباً. قالت إيزابيل وقد شعرت سريعاً أنه يشعر بالإحباط
والإثباتك. "هل سرت كثيراً اليوم حتى أجهدت نفسك؟" لقد صدقتة تماماً،
بخصوص ما قاله لها عن تمكنه من المشي من جديد. وإذا أصغى إليها نظر
إلى كرسيه المدولب وهو يشعر بالندب. لقد كانت هذه الكذبة هي ما جعل
رؤيته لها أمراً مستحيلاً. ولكنه بذلك قد وضع لنفسه السم في الطعام، وما عاد
يستطيع الاقتراب منه. ولكن كان هذا عزمه وخطئه. وما كانت لديه نية بأن
يستراجع عنها الآن رغم ما قالته هيلينا. لقد تجاوز الحد الذي يستطيع معه
التراجع، وكان لا يزال مقتنعاً أن هجره لها هو الحل الصحيح الذي عليه القيام
به. ولكن السؤال الوحيد الباقي في ذهنه هو متى يكون ذلك.

"تعم على ما أعتقد. لدي أمور كثيرة أصعلها قبل رحيلي." قال ذلك

فسي غايته. فما كان يمكنه أن يضع حداً لعلاقته معها لو كان تبدي في حالة سيئة. لقد كانت بذلك وكأنها ترسم قفراً بنفسها فختبر ببل أنه كان محقاً في رأيه. لم يكن أبداً في حال جيدة كهذه.

"حسناً. ثم أخبرها بأنه كان ذاهباً إلى واشنطن كي يبحث نفسه عن شقة في الأسبوع المقبل. وهذا ما جعلها تسأله عن إمكانية مجيئه إلى باريس من جديد.

لربما يمكنك أن تجيء إلى هنا بعد الزفاف، إذا لم تكن متعباً جداً. بضعة أيام قد تكون كافية قبل أن نشرع في العمل. لقد كانت تود أن تطلب منه الكثير، ولكنها كانت تخشى ألا يتوفر لديه الوقت ليقوم بذلك. لقد كانت تدرك تماماً مدى تراحم الأمور الملقاة عليه وتلك التي سيقوم بها الآن.

سأرى إمكانية ذلك. فقد بدأ الحملة الانتخابية ذلك الأسبوع. لقد كانت هذه أكوام أخرى. فما كان سيبدأ الحملة قبل نهاية شهر حزيران (يونيو)، وكان سيخشي أنه الوقت لينذهب إلى هناك، ولكنه ما كان يستطيع للمشي وما كان يستطيع أن يخبرها عن ذلك. لقد جعل الأمر مستحيلاً عليه ليزورها.

سوف تفكر في الموضوع. كان هذا كل ما قاله، وعندما أنهى المكالمة ووضع السماعة، كانت تشعر بالقلق. لقد كان لديها إحساس واضح أنه كان يتحاشاها، ولم تكن لعماداً. لقد بدأ ذلك فجأة بين ليلة وضحاها، ما كانت تجهله هو أن الغموض الذي صار يلقه كان قد بدأ في اليوم الذي أكد له المعالجون النفسيون أنه لن يسير من جديد أبداً. كانت تلك نقطة التحول له. لقد كان قد عاقد نفسه أنه عندما يحدث هذا فإنه سيتوقف عن الاتصال بها وسيمتنع عن رؤيتها. ولكنه لم يعد يستطيع أن يحمل نفسه على عدم الاتصال بها. ومن جانبها، كانت تخشى أن تكون قد قالت شيئاً ما أزعجها، ولكنه لم يبدَ غاضباً منها، بل مجرد بعيد عنها. كان قد مضى عليها تسعة أشهر لم تره فيها، وما كانت لديها أدنى فكرة متى يمكنه أن يأتي على باريس لزيارتها. وما كان بإمكانها أبداً بأي شكل من الأشكال أن تذهب إلى واشنطن أو نيويورك لرؤيته.

لقد أنجزوا عملاً عظيماً. قالت إيزابيل وقد بدت أكثر لطفاً ورقة وشفقة من قبل ومجرد سماعها لها كان يعزق فؤاده. فرغم أنه ضلها، إلا أنه كان يسرير أن يجعلها حرة من أي عيب كان يشير ويكفي تأكيد أنه سيعمر حياتها. وكان يعرف أن هيلينا كانت لتقول له أن لإيزابيل الحق في أن تتخذ خياراتها الخاصة بنفسها، وأنه كان يحرمها من ذلك الحق. ولكنه كان مقتنعاً بأنه يعرف أفضل، وأن إيزابيل كانت في غاية اللطف والرفقة حتى إنها لا يمكن أن تتخلى عنه. ولكن وعلى مدى أيام عديدة، شعرت بشيء غريب في صوته، ولم تستطع أن تعرف ما هو. لقد بدا مختلفاً وبعيداً وتعبساً. لقد كانت تخمن أنه متوتر الأعصاب بسبب مغادرتة أبنينة مركز التأهيل التي كانت تعطيه إحصاساً بالحمالية، ولبنته بحياة جديدة. أما الآن وقد صار قادراً على أن يعيش من جديد، وعلى حد علمها، فإن الأمور ستصبح أكثر سهولة بالنسبة له، ولذلك فقد كانت تشعر بارتياح شديد.

كيف تسير أمور التحضير للزفاف؟ سألته بعد بضع دقائق، وهي ترجو أن تصرف انتباهه عما كان يزوجه ويقلقه.

مستنياً شديدة الحماسة. وأما أنا فأحاول أن أبقى بعيداً عن هذه الأمور. كل ما ينبغي علي أن أفعله هو أن أنفع الفواتير. وهذا هو الجانب السهل من العملية. أما الجانب الصعب فكان ما يخطط بالتعليم به تجاه إيزابيل. ولكنها ما كانت تعرف بذلك بعد. كيف هو تبدي؟ سألتها لغير الموضوع بسرعة، وقد لاحظت أنه يفعل ذلك كثيراً هذه الأيام، فينتقل من موضع إلى آخر وكأنه يشعر فجأة بعدم الارتياح للدخول إلى عمق المواضيع فيغيرها. لقد بدا على غير طبيعته، وعلى غير عادته في الأحاديث التي كنا يتشاركان فيها حوالي خمس سنوات. لقد كانت تعرفه أكثر مما كان يظن، بل أفضل مما كان يتوقع منها.

إنه على خير ما يرام. قالت إيزابيل، وهذا ما شجعه على المضي قدماً

فما كان بإمكانها أن تترك تبدي كل ذلك الوقت أو تخاطر إلى ذلك الحد.
في الوقت الذي حل فيه موعد الزفاف، كانت إيزابيل في حالة من
الذعر. فقد نسي أن يتصل بها عدة مرات، وعندما سألته عن سبب ذلك قال إنه
كان مشغولاً جداً. لقد وجد شقة في واشنطن، والتقى بالسيتاتور الشاب بشأن
حملته الانتخابية. لقد بدا في غاية الإثارة عندما تحدث عن ذلك. ولم يتصل بيل
بها إطلاقاً خلال اليومين اللذين أعقب الزفاف. ولسبب غريزي غريب لم تجرؤ
على الاتصال به. لقد شيد فجأة جدراناً تفصله عنها.

لقد كان الزفاف جميلاً، وهدفت الجميع عندما تبادل جو وجين القسم. لقد
كان مشهد جو في كرسيه المتدولب، وجين تقف بجانبه ممسكة بيده، مؤثراً
جداً. وكان بيل أكثر واحد هتف لهما وهو يجلس في كرسيه ذي العجلات إلى
جانب سنيها على طرف المقعد الأول.

'هل أنت على ما يرام؟' سألته في حفل استقبال العروسين. لقد كان
يجلس إلى جولهما، ووجته هائلاً على غير العادة. 'إنك تبدو مجهداً.'

'كُل ما هنالك أنني أفكر بالعمل. فسوف أغانر مركز إعادة التأهيل
وأذهب إلى واشنطن خلال أيام. أنت تعرفين أحوالي.' لقد بدا في حالة صحية
جيدة من الناحية الجسدية، ولكنها شعرت أن هناك ما يزعجه.

'تبدو مساءة'. والفترض في النهاية أنه كان يشعر هكذا إذ يشاهد ابنته
الحبيبة تتزوج.

جاءت أوليفيا وجلست إلى جانبه بعض الوقت، وعندما كان من
المفترض بجين أن ترقص معه، رقصت مع جدها بدلاً عنه بينما راح هو وجو
يتفرجان ويبتسمان لها. لم يبدُ الأمر مزعجاً بالنسبة لجو، ولكنه كان مزعجاً
جداً لبيل. لقد كان زقافاً جميلاً، وحظة رائعة، وأمضى الجميع وقتاً ممتعاً. وإذا
ذهب بالسيارة عائداً إلى مركز إعادة التأهيل تلك الليلة، كانت إيزابيل هي كل
ما كان يفكر به.

بقي في غرفته ولم يذهب إلى المعالج الفيزيائي طوال يومين، وبعد ذلك

استجمع شجاعته لكي يجري الاتصال الهاتفي. كانت آنذاك قلقة عليه، وكان قد
امتنع عن الرد على اتصالها. لقد رن جرس الهاتف عدة مرات خلال اليومين
الماضيين. وكان يعرف أنها إيزابيل. وكتفى بأن يستلقي في سريره ويفكر فيها
ويتمنى لو كان ميتاً.

'أين كنت؟' سألته عندما اتصل بها أخيراً وصوتها يدل على مدى خوفها
عليه. لقد ظننت أنك ذهبت مع العرومين إلى شهر العسل' قالت له مازحة.
ولكنه استطاع أن يرى القلق بادياً في صوتها وتأم وشعر بأنه يكره نفسه
بسبب ما سببه لها. وعرف أن القلق الذي كانت قد شعرت به لا يضاهي الألم
الذي كان سببه لها. فبعد خمس سنوات من الأحاليث المشتركة بينهما، كان
لا يَصْوِّر ألا يعود لإيزابيل وجود في حياته. ولكنه كان وفقاً الآن بأن هذا هو
الهدية الأخيرة التي يدين لها بها. 'كيف كان الزفاف؟' سألته ببراءة، فتهدت.

لقد كان جميلاً. لقد هتف الجميع في مراسم الزفاف، وبعد ذلك لمضوا
وقتاً ممتعاً.'

'أخبرني عن ذلك.' كان تبدي لا يزال نائمًا، فقد كان ينام حتى وقت
متأخر تلك الأيام، وكان لديها إذاً متسع من الوقت.

فحكى لها عن الزفاف، ثم التقط أنفاسه. لقد كان كمن يستعد للقفز من
مكان عالٍ. 'إيزابيل، ثمة شيء ينبغي أن أخبرك به.' شعرت بقلبها يتوقف. لقد
أحسّت، وقبل أن ينطق بكلمة أخرى، أن ثمة أمراً جليلاً.

'لماذا لجذني أشعر بعدم الارتياح إزاء ما ستقول؟' قالت ذلك وهي تتمالك
أصابعها، وتنتظر بقية كلامه.

لقد جددت أنا وسنيها عهدنا لبعضنا البعض. ساد صمت مطبق عليها
بينما تحاول أن تستوعب ما قاله للتو.

'لماذا تعني بالضبط؟' كانت تحاول أن تكون لطيفة، ولكنها كانت تود لو
تصرخ. ولكن كما هي على الدوام، فقد كانت لبقة وانتظرت أن يشرح لها ما

لقد جددنا التزامنا بعد الزواج بينما. كانت هذه ثاني أسوأ لكتوبة بخبرها بها. أما الأولى فكانت عندما قال لها بأنه استطاع السير على قدميه من جديد. لقد تغيرت الأمور منذ دخلت مركز إعادة التأهيل. وفكرنا أن هذا أمر هام من أجل البنات. كانت إحداهما قد تزوجت وأما الأخرى ففي الثانية والعشرين من عمرها. إلى أي درجة من الأهمية بالنسبة لمرأتين راشدين ناضجتين أن يحدد وتادها عهد الزواج؟ ولكن إيزابيل لم تسأل هذا السؤال الواضح، فما كان بهما هو ما فعلناه وسمعت عنه الآن.

ومتى قررنا ذلك؟ كانت ترتجف من رأسها حتى أسفل قدميها، ولكنها بدت هائكة في الظاهر.

قسي الأسابيع القليلة الماضية. لقد بدا يتحدث وكأنه فارس شهيم وأجبر نفسه على ألا يفكر بما يمكن أن يحدثه كلامه في نفسها.

لقد كنت أدرك أن شمة خطب ما. وكانت محقة في ذلك. لقد كانت تصرفه حق المعرفة، وهذا ليس بالأمر الغريب بعد علاقة استمرت حوالي خمس سنوات. "أهذا هو السبب أنك لم ترد التفكير بالمجيء إلى باريس؟" لقد اتضحت الأمور لها الآن. لقد كانت تعرف أن شمة ما يقلقه، ولم تكن تعرف ما هو. "وماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟".

"لا أعتقد أنه ينبغي علينا أن نتحدث معاً بعد الآن". لقد كانت كلماته أفسى من اللصحة التي تلقيتها من الباص. لقد عجزت لدقيقة عن الكلام، وراحت تفكر بما كان يقول وأوشكت على الإغماء. لم تستطع أن تتنفس، وشعرت أن قلبها يتقبض بشدة. لقد بدا الأمر وكأنه لسقط عليها كرة هدم المباني، وكانت مهشمة جداً لدرجة تعجز عن الرد. ولكنها كانت تعلم أنه يجب عليها أن تقول شيئاً. لم تكن لتتوقع ذلك. ولكن بالكاد كان بإمكانها أن تلومه. فهي رفضت أن تهجر غوردون كرمي لثديي. لقد كان لديها القليل لتقدمه لبيل، ما عدا اتصالاتهما الهاتفية. فبدا معقولاً لها الآن أن يعيد وستبنا تعيدهما نحو بعضهما بعضاً رغم

أن هذا سبب لها الألم. لقد رأته أنه له هذا الحق، وكانت هي تحبه لدرجة أنها تريد له أفضل ما يكون.

"لا أدري ما أقول. أنا سعيدة من أجلك يا بيل". لقد استعاد ليس فقط سابقه بل وزوجها أيضاً، وكانت تمنى له كل الخير. لقد أمكنه أن يسمعها تبكي وكان يود لو يموت. ولكنه كان يعلم أن هذا هو الصواب بالنسبة لها سواء عرفت ذلك أم لا. حبه لها وحده هو الذي دفعه للقيام بهذا الأمر المريع. لقد كان يدرك أن ما قاله لها كان كقولاً يتحطم قلبه هو نفسه. لقد كانت هذه أقصى تضحية يمكن أن يقدمها كل منهما للآخر.

"أريدك أن تهتمي بنفسك. لا تدعي غوردون ينال منك. حافظي على خيرتك، وإذا حاول أن يضايقك، استخدميهما ضده. وسوف لن يزجك بعد ذلك. وطالما أن زوج لويزا على قيد الحياة فهو سيقبض راعياً في الإبقاء عليك زوجة له". لقد فكر كثيراً بهذا الموضوع، وكان هذا هو الأمر الوحيد الذي كان يثير قلقه الآن. لم يكن يريد لغوردون أن يعذبها، وسوف لن يعرف بعد الآن عن ذلك. وسوف لن يستطيع أن يحميها منه بأي شكل من الأشكال، ما عدا بواسطة حبه، الذي بدا ضئيلاً جداً الآن.

"إنه لطف منك أن تهتم بذلك". قالت له وقد بدت مصدومة ومشوشة. "لست أفهم... أنت لم تقل لي أن الأمور كانت تتحسن بينك وبين سنبيا. كيف حدث هذا؟ ومتى؟".

"لا أدري. ربما عندما قرر الأولاد أن يتزوجوا، فقد فكرنا أننا في حاجة لأن نحسن سلوكنا". في الواقع كان طلاقهما قد تم في آذار (مارس) أي بعد أن أخبرهما جين وجو بأنهما يعترمان الزواج. لقد ظهرت سنبيا الآن جديفة في علاقتها مع الرجل الذي تخرج معه منذ تسعة أشهر، وكان بيل سعيداً لأجلها.

"أريدك أن تكون سعيداً يا بيل" قالت له بسماحة خلق. "ومهما كان هذا يعنيك، ومهما كان يستحق فيني أردت للقول أنني أحبك من كل أعماق قلبي".

"أعلم ذلك". قال لها ذلك والدموع تترقق من عينيه، ولكنه لم يشعرها

من صوته أنه كان يبكي. إن حريتها تعتمد الآن على درجة إقناعه لها، ولقد كان عازماً على أن يفعل ذلك بالطريقة المناسبة. "وأنا أيضاً أحبك يا إيزابيل". وكان يود لو يقول لها بأنه سيحبها دائماً، ولكنه لم يستطع ذلك. "انتهى نفسك. إذا احتجت إلى شيء اتصلي بي. فسأكون دائماً إلى جانبك".

"لا أعتقد أن سنتيا ستقبل بذلك".

"إن ثلاثين سنة زمن طويل. ومن الصعب أن ينسى الإنسان ذلك". ولكنه قد نسي ذلك بالفعل وهجر زوجته. ولنفس الأسباب. ولكن إيزابيل هي من كانت تملك قلبه، وكان يعرف أنها ستبقى دائماً حبيبة قلبه. ولكنه هو فقط كان يعرف ذلك.

"سأستأق إليك كثيراً". قالت له وبدأت تتشج بالباكاء. "ولكني أريدك أن تكون سعيداً... كن سعيداً... كن طيباً مع نفسك يا بيل. أنت تستحق الكثير". أما هو فكان يدرك أنه إنما يستحق أن يحرق في نار اللجيم لما كان يفعله بها، ولكنه كان لا يزال مقتنعاً أن هذه الهدية التي كان يمنحها لها كانت أعظم من الأم الذي شعرت به الآن. سوف تترك ذلك يوماً ما، وهو على ثقة أكيدة من ذلك.

"إلى اللقاء". قال ببساطة، ثم وضع السماعة بلطف، بينما أغلقت إيزابيل السماعة وبدأت تبكي مطولاً من فرط الألم. لقد بدا وكأنها فقدت إنساناً عزيزاً، وقد كان الأمر هكذا بالفعل.

"ما الخطب يا ماما؟" هرع تبدي داخل غرفتها بعينين مذعورتين. لقد سمعها من الردهة، ولم يكن قد رآها في حياته على هذا الحال أبداً. لقد كان مستقطع الألفاس عندما وصل إلى حيث كانت تجلس بعد أن وضعت سماعة الهاتف.

لم تستطع أن تقول أية كلمة لبقية، ولكنها أدركت أن عليها أن تتمالك نفسها من أجل ابنها. لقد توفي صديق قديم لي للتو. لم تدر ما تقول غير

ذلك، وبشكل من الأشكال هذا ما حدث. فبيل قد غدا ميتاً بالنسبة لها الآن. لقد قضى، وهو فقيد بالنسبة لها. ما كانت لتتخيل الحياة من دونه، وما كانت لتستطيع أن تتصور حياتها دون أن تكون بينهما اتصالات هاتفية. لقد كان هذا بمثابة حكم الإعدام على حياة كانت قد عاشتها لبرهة قصيرة فقط. ولما الآن فلم يتبق لها سوى أطفالها. وإذا كان تبدي يربكها، نهضت وأخذت معطفها ثم جادت تعاقه. "أنا بخير. فقط حزينة. سوف أخرج في نزهة قصيرة". وأعدته إلى غرفته، ووضعته في سريره. ثم خرجت من المنزل، وتمشت لساعات. وعندما علات كان وقت الغداء قد حان، وبنت شاحبة كالأموات، وكالعة للوجه. وحتى ممرضة تبدي خالفت عليها.

"هل أنت على ما يرام يا سيدة فوريستر؟" سألتها باحترام. فطوال السنين التي عرفتها فيها لم ترها أبداً على هذا الشكل. أوامت إيزابيل برأسها بهنوء، وهي تبدي ابتسامة كئيبة. وكانت عيناها غائرتين من الحزن والألم.

"أنا بخير". قالت بطريقة آلية. لم يكن لديها أي شيء آخر لتقوله. ولكن بعد ظهر ذلك اليوم، وإذا راحت تقرأ لابنها، كان هناك سيل من الدموع ينهمر من عينيها ويسيل على وجنتيها، وربت تبدي على يدها بهنوء. لم يدر ما يقول لها. وعندما ضمته وقد حان وقت نومه تلك الليلة انفجرت تتشج بالباكاء.

"أسف يا ماما". قال لها بلطف وهو يعانقها بشدة، وأوامت له بابتسامة حزينة.

"وأنا أيضاً يا حبيبي".

كل ما كانت تستطيع أن تفكر فيه تلك الليلة كان بيل. لقد كانت منهارة أكثر من أي وقت مضى في حياتها. لقد حُرمت من الأمل والضحك والحب والراحة، واستحالت أيلها داكنة قائمة. ما عاد لها من تلجأ إليه الآن، وأدركت أنها لن تحظى بهذا شخصية ثانية. وسوف تموت سجينة لغوردون، وما عادت لتبالي بالأمم، أو بأي شيء. سوف تعيش لكي تقوم على خدمة تبدي وصوفي، وتتفق ما تبقى لها من العمر.

ولما بيل فقد استلقى في غرفته المظلمة في مركز إعادة التأهيل. ولم يحرك ساكناً منذ أن اتصل بها. لم يدم أبدأ تلك الليلة. فقط استلقى هناك وكان يئس. ولكن كان ذلك هو الصواب الذي عليه أن يعمل. ومعرفة ذلك ولقناعه به كان العزاء الوحيد الذي لديه.

الفصل السادس عشر

بنت الأيام لإيزابيل وكانها لا نهاية لها بعد أن غادر بيل حياتها. لم يكن ليومها بداية أو نهاية ولم تشعر في أي وقت من النهار بالراحة. راحت نعتي بتيدي مثل عاداتها، وأما الآن فقد بدت هي نفسها مريضة. ما كانت تأكل وما كانت تالم، وكانت قلما تتكلم، رغم أنها بذلت جهودها من أجل تبدي. ولكنها كانت تشعر وكأنها سقطت في هاوية سحيقة ليس فيها شمس مشرقة أو ضوء. لقد كانت تتوق لسماع صوت بيل، ولكنها لم تعد حتى تدري أين يكون. عرفت أنه ذهب إلى واشنطن، وكانت تتساءل إذا ما ذهب سنيا معه. ولكن أينما كان. ما عاد يخصها، وعلمت الآن أنه لم يكن أبدأ كذلك. لقد كان هبة مؤقتة في حياتها وكانت ممتنة له. ولكن ألم فقدانه كان مبرحاً جداً حتى صارت تتساءل إذا ما ستبقى حية. لقد كان فقدانها لبيل نفسى بكثير من نجاحها من الباص. فالصدمة التي تلقتها هذه المرة كانت لروحها.

وحتى غوردون لاحظ ذلك خلال الوقت القصير الذي كان يمضيه في المنزل. وتساءل إذا ما كان ما يراه هو ترداداً صحي من جراء الحادث، وعندما رأتها صوفي بعد رجوعها من الجامعة هالها ما رآته. فقد بدت إيزابيل كما لو كانت تحتضر.

"هل أنت مريضة؟" سألتها غوردون أخيراً في أحد الأيام وهما يتناولان طعام الفطور. لقد كان قد أمضى الليلة في المنزل بالفعل. وكان لا يزال يجهل أن إيزابيل كانت تعرف أنه غالباً ما كان يقضي ليلته خارج المنزل. ولكن إيزابيل فقدت الكثير من وزنها حتى إن ثيابها صارت فضفاضة عليها أكثر منها بعد الحادث.

لست على ما يرام. فأنا أعاني من الشقيقة⁽¹⁾. قالت ذلك كي تغل لون وجهها الشاحب. لقد كانت تراه أيضاً، ولكن يبدو أنها ما عادت تأكل أو تنام.

"لا بد أنه انتكس ناجم عن إصابته". قال وقد بدا مهتماً بشكل غامض. "أريدك أن تتصلي بالطبيب لاستشارته". لقد كانت هذه أول علامة اهتمام بيديها منذ أشهر. "سوف أكون غائبا الأسبوع المقبل، وأعتقد أن عليك الاستفسار عن حالتك قبل أن أذهب". وتساءلت إذا ما كان سيذهب مع لوزيا. كانت قد أركت أن غوردون، منذ زمن بعيد في الصيف الماضي عندما كانت في المستشفى مع بيل، قد لمضى كل الوقت مع لوزيا. فغياها كان خيراً له، وكانت وثيقة من ذلك، وما كان لامتناعه عن العودة لزيارتها علاقة بها أو بيل أو بإسبائته من ذلك، بل كان الدافع لذلك هو انشغاله مع لوزيا، وحاجته لإمضاء الوقت معها خلال غياب إيزابيل. ولكنها ما عادت تهتم بذلك. لقد كان ذلك لمرأ وألماً في حياتهما، ومن الواضح أنه كان كذلك على مدى سنوات.

"إلى أين تذهب؟" سألته وهي تحاول أن تبدو مهتمة ولكنها لم تكن كذلك في الواقع، بل لم تعد مهتمة بأي شيء على الإطلاق. كل ما كان يهمها هو تبدي الأن، وكانت تشعر بالارتياح لأن صوفي قد جاءت إلى المنزل لتمضي بضعة أيام هنا.

"سأذهب لرؤية بعض العملاء في جنوب فرنسا". وكانت هي متأكدة أن هذا "العديل" لم يكن إلا لوزيا، ولكنها لم تسأله عن ذلك بالطبع. "أريدك أن تتصلي بالطبيب اليوم". قال لها مذكراً إياها بينما كان يغادر، ولكنها لم تفعل. لقد كانت محطمة الفؤاد، ولم يكن لذلك أي علاقة بالحادث الذي وقع قبل سنة. لقد مضى عليه سنة كاملة تماماً. لقد كان يصعب عليها أن تصدق أن بيل قد غدا خارج حياتها، وفي الأونة الأخيرة وجدت نفسها تمنى لو أنها ماتت خلال الحادث. لقد كان ذلك أسهل بالنسبة لها مما تعانيه الآن. وتساءلت هل سيتوقف

(1) الشقيقة (migraines): ألم يصيب نصف الرأس متكرر دورياً.

هذا الألم الذي تشعر به، ولكنها كانت تشك في ذلك. كان كل يوم يمر أسوأ من الذي سبقه. لم يكن لديها ما تتطلع إليه، أو ترغب فيه، أو ترجوه، وما عاد من شيء تؤمن به، أو إيمان بأن الحياة ستكون لطيفة معها. فقد أخذ بيل منها كل أسهل وكل رجاء ولم يبق لها إلا الذكريات والحزن. والأسوأ من ذلك أنها لم تكن ساخطة عليه. إنها كانت تحبه وعلمت أنها ستحبه إلى الأبد. لقد كانت كمثل حيوان فقد رفيقه فراح يبحث عن مكان هادئ ليُموت فيه.

"ما الخطب يا ماما؟" سألتها صوفي بصوت مضطرب عندما التقتا خارج غرفة تبدي بعد ظهر ذلك اليوم.

"لا شيء يا حبيبتي. أنا متعبة فقط". لقد بدت في حالة مزرية، وأمكن للجميع أن يروا ذلك. كانت صوفي وامراتاً، ممرضة تبدي، تتحدثان عن ذلك بعد ظهر ذلك اليوم. قال تبدي إنها صارت تبدو مريضة منذ أن تلتقت اتصالاً هاتفياً عرفت من خلاله أن صديقاً لها قد توفي. ولكن الآخرين كانوا يشعرون أن بأس إيزابيل كان يعود إلى سبب أعقق من ذلك، وكفوا خائفين بشكل كبير ليس على صحتها وحسب بل على حياتها.

عندما استعلم غوردون عن أحوالها تلك الليلة، قالت إن الطبيب قال لها بأنها على ما يرام. ولكنها في الواقع لم تكلف نفسها عناء الاتصال، وكانت تعرف أن غوردون سوف إن يتحقق مما تقول.

لقد خطر في ذهنه أن أمماً ما عاطفياً شديد اللوطة قد سبب لها ذلك، ربما علاقة فائسلة غرامية، أو قلب محطم. وهنا ففز ذهنه إلى بيل، ولكنه طرد الفكرة في الحال. فما كانت لتجروء على أن تعيد الكرة، في نظر غوردون، بعد التحذيرات التي أبدأها لها. ولكنه لم يكن ليتفهم مدى قوة حبها لبيل أو من تكون هي حقاً.

غادر غوردون في اليوم التالي إلى جنوب فرنسا وقد بدا غير مكترث. كان العنوان الذي يتجه إليه هو فندق دو كاب. لقد كان ينوي أن يتخيب عن المنزل لثلاثة أسابيع ولم تسأله إيزابيل عن ذلك. لقد كان من المريح لها ألا

يكون في المنزل. فلا يعود مفروضاً عليها أن تقدم تبريرات له عن المرض الذي ألمّ بها، أو الهيئة التي كانت عليها. لقد كان أسهل لها بكثير أن تكون وحدها.

وإذ عاد بعد ثلاثة أسابيع صدم لرويتها تبدو على حال أسوأ. أما هو فقد بدا في صحة وعافية وقد سمرت بشرته، وبدت هي وكأنها تعالي من مرض مميت على وشك أن يقضى على حياتها. لقد بدت هي وتدي مريضين على نفس الدرجة. ويكت صوفي وهي تتحدث إليه عن ذلك. ولكنه قال إن والدتها قد رأت الطبيب قبل عدة أسابيع وقال بأنها على ما يرام. لم يكن يريد أن يعرف أكثر من ذلك لو أن يوجه احتمال أن يكون في المنزل شخص آخر مريض عاجز.

غادر غوردون من جديد في آب (أغسطس) منطلقاً في رحلة عمل طويلة بمضيها في إيطاليا وأستراليا. أما صوفي فقد ذهبت إلى برتاني⁽¹⁾ ليضعة أسابيع كي تزور أصدقاءها. وكانت إيزابيل راضية لأن تكون وحدها مع تيدي. لقد كانت تقرأ له من جديد وتبذل جهودها من أجله لنلا يُصاب بالقلق عليها، ولكنها ما كانت لتتصور أن تعود إلى طبيعتها وسجيتها من جديد. لقد كان التغلب على مضاعفات الحادث أسهل من فقدان بيل. كانت تستيقظ كل صباح وهي تفكر فيه وتتمنى لو أنها كانت ميتة.

وفي فترة غياب غوردون وصوفي أصيب تيدي بأغلو انزوا صغيفة مزعجة. وهذه بدت مثل حمى رئوية⁽²⁾ في لول الأمر، ثم نزلت إلى صدره وأصيب بحمى مرتفعة، وأعطاه الطبيب مضادات حيوية لنلا تسوء حالته. ولكن الحرارة كانت أخذة في الارتفاع، ولم تفلح كل جهود إيزابيل أو الممرضة في خفضها. في يوم

(1) برتاني: (Britany); إقليم على شكل شبه جزيرة في شمال غرب فرنسا بين خليج بيسكاي والغال الإنجليزي.

(2) حمى رئوية: (head cold) بعبارة فيروسية في الأنف والحجرة والقصب الهوائية، تظهر أعراضها من خلال سعال، وعطس، وصداع، واحتقان في الأنف.

الثالث صار بالكاد قادرًا على التنفس وحتى الطبيب نضه كان قلقاً بسبب عدم استجابته للعلاج. وبعد يومين آخرين، أصيب بذات الرئة. لقد كانت حالته تتقل من سيء إلى أسوأ بسرعة. وبعد خمسة أيام من بدء المرض، وضعه الطبيب في المشفى، ومكثت إيزابيل هناك معه. وفكرت أن تتصل بغوردون ولكن بدا لها أن من الخطأ أن ترعجه. فلم يكن يحال من الأحوال مهتماً بيوس تيدي وآلامه. فهذه كلها كانت تقع على عاتقها هي.

هل سأموت؟ سألهما تيدي بعينين متسعيتين كالبلور في المشفى، فهزت رأسها، ووضعت قطع قماش باردة على جبينه ومعضيه. وكانت الممرضات معنات للعون الذي تقدمه لهن.

بالطبع لا. ولكن عليك أن تتحسن الآن. فهذا مرض سخي ف بسيط، وكفاك مرضاً حتى الآن*. ولكن كانت درجة حرارته قد وصلت إلى 41.8 درجة مئوية تلك الليلة. واتصلت إيزابيل بغوردون في اليوم التالي.

لا أدري ما هذا. إنه نوع من الفيروس. لكنه مريض جداً. وبدت حتى متعبة أكثر من ذي قبل وفي حال أسوأ.

إنه مريض دائماً. قال غوردون بامتعاض. لقد كان في توسكانا⁽¹⁾، وكان يصعب على إيزابيل أن تتخيل أي نوع من العمل لديه هناك. لقد كانت تلك إجازة يقضيها مع لويزا ولا ريب في ذلك، ولكن إيزابيل ما عادت تهتم. لا أستطيع أن أفعل شيئاً من هنا.

لقد فكرت أنك ربما تريد أن تعرف. قلت له وهي تتسائل لماذا كلفت نفسها عناء الاتصال به. لقد كان ذلك منها لياقةً منها أكثر منه مناقشة للمساعدة.

تتصلني بي إذا ساءت حالته أكثر*. وماذا سيفعل في تلك الحالة، قالت إيزابيل في قرولرة نفسها. ماذا لو توفي، هل سأحصل به عندئذ؟ أم أن هذا

(1) توسكانا (Tuscany): إقليم في شمال إيطاليا، وكان مركزاً حضارياً هاماً خلال عصر النهضة، عاصمة فلورنسا.

سيشكل عبئاً ثقيلاً عليه أيضاً؟ ولكنها لم تقل له شيئاً البتة.

استطرت يومين آخرين، وبعدها اتصلت بصوفي. كان تبدي في ذلك الوقت في حالة هذيان من الحمى، وكانت إيزابيل تشعر بالخوف الشديد وهي تحاول أن تتحدث إليه. لقد كانوا يعطونه مضادات حيوية ضمن الأوردة، ولكن في غضون ذلك كانت رثاءه قد بدأتاً تقصران في وطبقتهما، ولصوب الدكتور بالقلق بخصوص قلبه. وفجأة انتابها الخوف من أن تكون هذه اللحظة التي كانت تخشاها دائماً، وخلافاً لولدها، فإن صوفي جاءت إلى المنزل في تلك الليلة عائدة من بريتنى. وجلست المرأتان معه لساعات، ولم يغمض جفن لأي منهما، وكنا تسمكان يد بعضهما البعض، وتقنان على كلا طرفي السرير بينما عليه التعلس. لقد كان يحكى في تومه أحياناً، ولكن لم يكن لمعظم ما قاله أي معنى.

ولخيراً بدأ هائناً ينعم بالسلام في صباح اليوم التالي عندما استيقظ. لقد كان ذلك اليوم حاراً ورطباً، وكان يبدو مرتفع الحرارة عند اللمس، لكنه ظل يقول إنه كان يشعر بالبرد. وحل الظلام قبل أن يتحدث إليهما ذلك اليوم. كان الطبيب يتردد إليه، والمرمضات تتفحصنه، وفي وقت متأخر من تلك الليلة أخير الطبيب إيزابيل أن الأمور لا تبدو على ما يرام. فقد كانت حالته تسوء أكثر.

ماذا تقصد؟

إنني قلق على قلبه. فلا يمكنه أن يصمد أمام هكذا إجهاد. إن الفتى مريض جداً. لقد كانت قد أدركت ذلك لتوها، ولكنها أحبطت لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء له.

ولخوفها فقد امضوا أسبوعاً آخرأ على ذلك النحو، وتبدي يتأرجح فيما يبدو بين الموت والحياة. وكانت صوفي وإيزابيل في قمة الإرهاق آنذاك. لقد بدتا في حالة سيئة مثله. وهال إيزابيل أن غوردون لم يتصل أبداً لبسأل عن حال سيدي، بعد اتصالها به إلى توسكانا منذ قرابة أسبوعين. وتصورت أنه افترض أن تبدي قد تماثل للشفاء. ومع بداية الأسبوع الثالث، غاب تبدي عن

الوعسى. لقد انتابته عدة نوبات مرضية، وكانت ذات الرئة هي الأسوأ. وكانت إيزابيل تعجز عن أن تتصور كيف لا يزال يصارع الموت كل هذا الوقت، وجلست في الكرمة وولحت تبكي، ثم عادت لأرجاعها إلى الغرفة لتجلس إلى جواره. واتصلت بغوردون في تلك الليلة من جديد.

وصدق تخمينها فقد افترض فعلاً أن الطفل قد صار على ما يرام، وأجفل إذ سمعها تخبره إلى أي درجة لا يزال مريضاً.

"لا أنري إذا كنت تود أن تعود إلى المعزل".

"هل من الضروري ذلك في رأيك؟ لم تعجبه الفكرة ولكنه بدا مهتماً. لقد كانت الحالة أسوأ بكثير مما كان يتوقع أن تكون عليه عندئذ.

"الأمر عائد إليك. إنه مريض جداً. لم يكن قد استعاد وعيه منذ ليلة ما قبل البارحة، وما عاد الأطباء على يقين من أنه قد يستعيده أبداً. وقال لها غوردون أن تتصل به في اليوم التالي.

لازمت إيزابيل وصوفي تبدي طوال الليلة تلك، وفي الساعة الخامسة فجراً فتح عينيه ونبتسم لهما. فيكتا كلتاهما من الفرح لأنه استعاد وعيه ورائتا في ذلك علامة طيبة. ولكن الممرضة قالت إن حرارته ارتفعت بشكل كبير خلال الليل. وقررت إلى 42 درجة مئوية. ولكنه كان يتحدث إليهما. وهذه المرة هز رأسه عندما جاء الطبيب. لقد كان قلب الصبي ينفار. لقد كانت إيزابيل تخاف هذه اللحظة طوال حياتها، وها قد جاءت الآن. فبنت إيزابيل محطمة مخلوطة الفواد، ولكنها كانت تشعر بيهود في داخلها في انتظر ما تفعله يد القدر لهما.

راح يتحدث إليها بوضوح وقد أمسك يدها. ونظر إلى صوفي بانسامة ملاكية. وقبلت إيزابيل وجنتيه، وشعرت كم كانت ساخنة ورطبة إلى أن اغتملت بدموعها. ولم تستطع أن تكف عن البكاء.

"أحك يا صغيري". لقد كان محباً لها دائماً، وصبوراً وحلوأ. لقد أمضى

تتصل به أو تتطفل على حياته.

ذهبت وصوفي إلى صلاة المأمم بعد ظهر ذلك اليوم وقامتاً بإجراء ترقيبات من أجل جنازته، واختارتنا تلوياً أبيض بسيطاً، وطلبت إيزابيل أن هاراً، وزنابق الولدي ووروداً بيضاء، وكانت تعلم أنه ما من أحد سواهما وممرضاته سيأتي إلى جنازته. فهو لم يذهب أبداً إلى المدرسة، ولم يكن له أسدقاء، وعاشت إيزابيل حياة منعزلة على مدى سنين عديدة. لقد كنّ للوحدات اللواتي عرفنه وأحبينه. ما كانت إيزابيل لتستطيع أن تتصور ما ستعمل من توبة. لم يكن فقط حياتها وقلبها، بل شغلها الشاغل على مدى سنين كثيرة. وعندما عادت إلى المنزل كانت إيزابيل تبكي في هدوء وأما صوفي فكانت بلا عزاء. ووصل غوردون من روما في وقت متأخر تلك الليلة وكان يبدو مكتئباً ومغلوباً على أمره.

تتصل مع إيزابيل وصوفي إلى صلاة المأمم في اليوم التالي. فقد كانت إيزابيل قد طلبت إغلاق التابوت. فلم تستطع أن تحتفل رؤيته على ذلك النحو، رغم أنه كان جميلاً في مماته كما كان أيضاً في حياته. وقال غوردون إنه لم يرد أن يراه، وكانت إيزابيل تتفهم ذلك. لم يكن ليتقبل ضعف تبدي أو مرضه، ورغم أنه كان أباه، إلا أنه بالكاد كان يعرفه. لقد كان طوال حياته يقاوم فكرة التعرف عليه، وكان الأولون قد فلت الآن.

تناول الثلاثة طعام العشاء في حجرة الطعام تلك الليلة. لم تقل إيزابيل أي كلمة فيما صوفي وغوردون كانا يتحدثان. لم ينكر أحد شيئاً عن تبدي، فقد كان ذلك مولىماً للغاية. بعد ذلك ذهبت إيزابيل إلى غرفتها واستلقت على سريرها، وكل ما كانت لتستطيع أن تفكر فيه إذ ذلك هو ذلك الطفل الذي حملت به والذي كانت حياته ضعيفة هشّة للغاية وعلى اللولم. لقد كان مثل فراشة هربت منهم أخيراً وطارت مبتعدة. لقد كانت ممثلة لأنها أحبته وعرفته. كانت الجنازة في اليوم التالي، ومما أنهك إيزابيل حتى كانت تنهار، هو الموكب إلى المقبرة، فما كانت لتستطيع أن تتحمل أن تتركه هناك ولرأت لو

حياته كلها في ألم ولم يتنمز أبداً. ولم يتنمز الآن. لقد أمسك يدها بيده وهو بين السنام والمستيقظ. كان يخلع في نفسها باعث لا يمكن للتغلب عليه يجعلها تتمسك به لتقيه بعيداً عن حافة هاوية الجحيم حيث كانت ترفرف روحه. ما كانت لتطيق فكرة فقدانه. ولكن لم يكن في يدها حيلة إزاء ما كان يجري له.

وعندئذ نظر إليها ولتسّم. "أنا سعيد يا ماما." قال في هدوء، ثم استدار نحو أخته وقال لها: "أحبك يا صوفي." وهنا أطلق زفرة متناهية في الصغر وفارق الروح في حين كنا تسكان ببيده. لقد كان هائناً ومسالمًا لفتاق روحه من الجسد الذي كان يعينه طوال حياته، واحتضنته إيزابيل بين ذراعيها وعانقته وهي تبكي. وراحت صوفي تنظر إليها وهي تتشجج بالبكاء، فعانقتها إيزابيل عندئذ. بدا تبدي جميلاً وهو يردد في سريره، وعانقته المرأتان وقلبتاه لأخر مرة، ثم خرجتا من الغرفة في هدوء. لقد كان يوماً مشمساً حاراً وشعرت إيزابيل بالضيق عندما وصلت إلى الشارع. ما كانت لتفكر أن تتخيل أنه تركهما. لقد كان ذلك أعجز من أن تتخيله أو تفكر فيه أو تتحمّله. لقد بدا حلواً جداً. وكانت تعرف أنها مستنكر آخر عبارات نطق بها طوال حياتها. وفتت في الشارع تتشجج في البكاء وقد عانقت ابنتها صوفي التي تشبّثت بها بقوة. ركبت المرأتان سيارة أجرة وذهبتا إلى المنزل، وانفجرت إيزابيل في البكاء عندما رأَت حجرته. لقد كان حقاً مثل الأمير الصغير في كتاب سانت إكزوبيري، والآن قد مضى إلى عالمه الخاص، العالم الذي ما كان عليه أن يغادره ولكنه كان لها فرحاً كبيراً طوال حياته القصيرة الأجل.

أعدت فنجان شاي لصوفي، ثم اتصلت بغوردون، وقد بدت في غاية الهدوء. وانصعق لسماحة النبأ. وقال إنه سيكون في المنزل تلك الليلة. لم يبك ولم يقل لها إنه أسف أو حزين. بالواقع لم يقل شيئاً يستحق الذكر وأغلق السماع. وفكرت إيزابيل بالاتصال ببيل، ولكنها كانت تعرف أنه لم يكن من داعٍ لذلك، فما عاد هناك من أجليها، وهو لم يلقِ بالصبي على الإطلاق. كانت تصرف أنه عليها أن تترك بيل وشأنه. وشعرت أنه لم يعد لها الحق في أن

ترمي نفسها على ثيوته. لقد لمستهُ مئات المرات قبل أن تغادر المكان. وأخذت معها إحدى الورود البيضاء الناعمة لكي تضعها في كتاب. لقد كانت تشعر وكأنها تسبح تحت الماء أو تستيقظ من غيبوبة أخرى. لم تكن لديها فكرة كيف كانت تبدو متعبة ومريضة عندما وصلوا إلى المنزل. كانت بالكاد تستطيع أن تتنفس أو تتحرك. وكل لحظة كانت تمر كانت مؤلمة بشكل لا يطاق بالنسبة لها.

في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم دخل غوردون إلى غرفة نومها، وقطب حاجبيه ونظر إليها. لقد كانت راكدة في سريرها وكان وجهها أبيض كالرخام. "لا أدري ما خطبك". قال لها وقد بدا منزعاً أكثر منه مهتماً أو قلقاً عليها. لقد بدأ يكره أن يكون قريباً. لقد كانت دائماً ومنذ فترة تبدو مريضة جداً. "إنك تبدو وكأنك قمتا بفنك أنت اليوم بدلاً من تيدي. ما بك يا إيزابيل؟".

"لقد فقدت ابني وحسب". كانت عيناها منكسرتين وهي تنظر إليه، وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه.

"وأنا أيضاً. ولكنك تبدين على هذه الحال منذ شهرين".

"أحقاً؟ يوسفني ذلك". قالت ذلك وأشاحت بوجهها عنه. لم تكن لتريد أن تراه، وكانت ترغب لو يتركها.

"إن الأمر صعب جداً على صوفي أن تراك على هذا الشكل".

"إن الأمر صعب جداً عليّ أن أفقد ابني" قالت دون أي تعبير في صوتها. لقد كنا نتوقع ذلك منذ سنين. نكرها وقد استأنف يقول: "رغم أنني أعلم أنها صدمة، وخاصة بعد الإصابة التي تعرض لها جسديك في العام الماضي". لقد بدأ يفكر الآن بأنها لم تستمد عافيتها كلياً. ولكنها كانت مصدومة، وهي ترقبه، بسبب البرودة والتعالم العواطف التي كانت تظهر عليه. فما من أحد كان ليصدق أنه فقد ابنه لتوه. لقد بدأ كزارت للمنزل أكثر منه فرد من الأسرة، وبالتالي ليس كوالد للطفل. نظر إلى إيزابيل بفضول وسألها سؤالاً غريباً: "ماذا ستفعلين الآن؟".

"بخصوص ماذا؟" غرفة؟ حياته؟ ثيابه؟ ما كانت لتقوى على أن تفكر في ذلك".

"إن العناية بتيدي هي كل ما كنت تفعلينه في السنوات الخمس عشرة الأخيرة. لا يمكن أن تنفي نفسك معه الآن".

لم لا؟ فكرت هكذا ولكن لم تقل له شيئاً. فعلى كل حال، كانت أخذة في الاحتضار. بعد فقدان تيدي، وبيل، ما عاد لديها الكثير لتتحيا من أجله إلا ما عدا صوفي. ولكن غوردون صمقها بما قاله ببند. "أعتقد أن عليك أن تذهبي للمكوث مع صوفي في غرينوبل عندما تعود إلى الجامعة بعد أسبوعين. أعتقد أنها فكرة جيدة حقاً. فأنت بحاجة لأن تخرجي من هذا المنزل في نهاية الأمر، جسناً أن تكوني معها هناك". قيمت إيزابيل من حديثه في الحال أنه كان يطردها إلى الأقاليم كي يستطيع البقاء مع لويزا. لقد كانت خطة بارعة، وسهل تفسيرها بعد أن توفي تيدي. لقد كان غوردون ذكياً بارعاً.

"هل أنت جدي؟" كانت تضحك لمراى وجهه. فقد بدأ جزعاً وتوفاً جداً لأن تغادر المنزل. لا بد أنه كان يخشى الآن، بعد وفاة تيدي الذي كان يشغل وقتها، أن تحاول المطالبة بمكانتها كزوجة. "وماذا تتوقع مني أن أفعل هناك؟ فأننا متأكدة بأن صوفي سيصيبها الهلع عندما تراني محنرة". وكان هذا آخر شيء تريده إيزابيل أن تقوم به الآن.

"لا يمكنك الاكتفاء بالاستلقاء هنا وحسب، قال لها وقد بدأ منزعاً من جديد.

"هل تظن أن هذا ما أفعله؟" كان هناك حد للحوار بينهما. فقد كان لإيزابيل ما يكفي من الادعاء والخزي اللذين عاشاه خلال سنين كثيرة وسوف لن ترضى بأن تطرح جانباً وتداس الآن بحجة أنه يعتقد أنها يجب أن تكون مع صوفي. لقد اتصقت من فقدان تيدي، ولكنها سوف لن تقبل أن تكون مصدر إزعاج لابنتها وهي تتدب ابنها. فليدبها إحسان وكرامة أكثر من ذلك بكثير. وكانت من الذكاء بمكان بحيث لا يخفي عليها ما يدور في ذهنه.

ليس لدي فكرة عما تفعلين". قال بلهجة استياء "ما عدا العناية بذلك الطفل".

تلك الطفل الذي تحكي عنه كان ليلك، وهو ميت الآن. أفلا تبدي بعض الاحترام. من أجله ومن أجلي". كانت هذه أول مرة تجرؤ فيها على توجيه الحديث إليه على هذا الشكل، ولم يكن مسروراً من ذلك.

"إيزابيل، لا تقولي لي كيف أتصرف، إذا كنت تتكرين، فقد كنت متساهلاً ومتسامحاً جداً إزاء سلوكك الماجن في العام المنصرم في وقت الحادث وما تلاه. وسوف لن أتقبل أي هراء منك بعد".

"حقاً؟" سألته إيزابيل وبريق خفي يلمع في عينيها. لقد كان قد بدأ يتجاوز الحد الذي يمكنها أن تتساهل معه، وبسرعة مذهلة. "أأي نوع من السلوك الماجن كان ذلك؟"

تعرفين ما أقصد بالضبط. لقد تساهلت في علاقتك الغرامية مع بيل روبنسون. وكان من حسن حظك أني لم أطلقك". ها قد بدأ تلقيم الأسلحة. وبما أن إيزابيل فقدت الكثير مما عادت لتخاف منه. فيموت تبدي خسر غوردون سطوته عليها، وربما للأبد. وعلى الأقل الآن، وبشكل كئيد.

"ولحسن حظك أنت أني تساهلت معك في طريقة معاملتك لي خلال السنوات العشرين الماضية، وعلى طريقته المروعة في تعاملك مع ابنتك للسنوات الخمس عشرة الماضية". لقد اشتبكنا في عراك مبيت، فيزابيل لم تتوقع أن يدور الحديث معه بهذه السرعة بعد وفاة تبدي، ولكنها كانت على أهبة الاستعداد له. وتذكرت ما كان قد قاله بيل لها عندما رحل، عن ائثار التخيرية أو السبارود إلى أن يهاجمها غوردون من جديد، وها قد فعل أخيراً، وفي يوم جنازة تبدي. لقد كانت هذه قسوة مريعة وقلة احترام كبيرة، ولكنها لم تستغرب أن يبدد هذا عنه.

وقف غوردون ينظر إليها وكأنه يريد أن يصفعها، ولكنه لم يجرؤ. "سوف لن أتساهل معك في ذلك. وسوف تجدني نفسك ملقاة على قارعة

الطريق يا إيزابيل إذا لم تكوني حذرة".

"ما عنت تخيفني يا غوردون". لم يبق لها ما تخسره، فما عادت بحاجة لحماية تبدي، وما عانت لتبالي إن ألقى بها غوردون خارج المنزل. وفي نهاية الأمر سيكون هذا لصالحها. "إنك لا تخيفني على الإطلاق". ولمكنه أن يرى أنها فعلاً ما تقول.

"وأين ستذهبن إذا ما ألقيت بك خارجاً؟" قال لها هذه الكلمات، وبنت إيزابيل في غيلة الهوء، والتقت عيناها بعينيها وثبتت نظرها فيه وقالت: "أعتقد أنه سيكون من لطيفك أنت والكونتيسة دي لين أن تسمحا لي بالمكوث في شقتكما في شارع رو دي باك. إذ أظن لك، إذا ما ألقيت بي خارجاً، فإنها ستبقى معك هنا". قالت له بصوت هادئ مليء بالكبرياء فهدر غوردون من الغضب. لقد بدا كالأسد الجريح، واقترب منها للغاية فاستطاعت حتى أن ترى مسامحة. لقد كان مهتاجاً للغاية ويرتجف من الانفعال.

"أنت لا تعرفين عما تتحدثين". صرخ في وجهها ولقد انصعق بما قالته. لقد كانت هذه لطمة لم يكن يتوقعها، ولو هلة أفقدته توازنه.

"ربما لا. ولكن بالتأكيد نصف باريس يعرفون ذلك وطوال السنوات العشر الماضية. لقد اتصلت بك هنا خطأ" في ليلة عيد رأس السنة. أعتقد أنها كانت منذلة، ولكنها فتحت عيني لما كان يجب أن أراه منذ سنين. لذلك لا تحدثني عن بيل روبنسون يا غوردون. فهو خارج الموضوع.

"ألا يزال في حياتك؟" لم يكن يحق له أن يعرف، ولكنها أخبرته على كل حال. وقد كان منذلاً لكونها تعرف عن لويزا ولم تقل له شيء عن ذلك أبداً.

"لا، لم بعد في حياتي. ولكن أعتقد أن الكونتيسة لها اعتبار كبير في حياتك. وأظن أنها كانت معك في إيطاليا". لم يعترف لإيزابيل بذلك ولكن ظنها كان في مكانه، وكان عدد من الناس يعرف بذلك، واستأنفت تقول: لقد قيل لي أنه لا تستطيع وسوف لن تتزوج بك إلا بعد وفاة زوجها، وأعتقد أن الأمر

وإذ نظرت إلى ابنتها، أدركت إيزابيل فجأة كل ما حدث للتو. كل ما في الأمر أنه طلب إليّ أن أرحل! لقد كانت هادئة ورابطة الجائش بشكل غريب وهي تقول لها ذلك، وكانت صوفي بحاجة لأن تعرف ما حدث.

'وهل ستعلمين ذلك؟' واتسعت عينا صوفي في حين راحت إيزابيل تفكر بالأمر. بعد بدت صوفي خائفة بعكس إيزابيل، لقد كانت هادئة بشكل غريب.

'أعتقد ذلك، فهذا منزله' لقد انتهى زواجهما في يوم جنازة تبدي، وكان يجب أن يحدث هذا. فأخيراً قضى الأمر.

'أين ستذهبين؟' سألت صوفي والمواع في عينيها.

'أعتقد أن عليّ أن أستاذر شقة. كان يجب أن أفعل ذلك منذ زمن بعيد، ولكن ما كنت أستطيع الاقتداء بتبدي دون مساعدته. طأطأت صوفي رأسها، وفهمت إيزابيل أن كل شيء حولها قد انتهى. لقد خسرت الكثير: تبدي، وبيل، ومنزلهما، وزواجهما. كل ما عرفته أو أحبته أو تعلقت به أو اعتمدت عليه أو آمنت به قد انتهى. لم يبقَ لها ما تفعله سوى أن تبدأ من جديد. وإذ نظرت إلى ابنتها، دنت صوفي منها وأحاطتها بذراعيها، وتعاقت المرأتان دون أن تتبصرا ببنت شقة.

تبدي هو من حررها من غوردون في نهاية الأمر. تبدي هو من أخذ بيدها واقتادها بعيداً. ما كان بيل يستطيع ذلك، وقد تركها أولاً. وما كانت لستمك الشجاعة لتفعل ذلك من نفسها. ولكن تبدي، بتحرير نفسه من جسده الأرضي الترابي الذي كان مصدر عذاب له طويلاً، قد حرر والدته من الحياة التي كانت تتعذب فيها. لقد بدا وكأنها تشعر به إلى جوارها، مسروراً مما فعله. قبعد كل ما فاعته لأجله لخمس عشرة سنة كانت هذه هدية نهائية يقدمها لها. وتحررت أخيراً.

صعباً بالنسبة لك. فما الذي كنت تخطط لتفعل بي عندئذ يا غوردون؟ كيف كنت تنوي التخلص مني عدا نظلي إلى غريوبل لأبقى مع صوفي؟'

'لأنت مجنونة، أنت مشوشة من جراء فقدانك لابنك. وسوف لن أصغي إلى هذه الترهات'. بدا غوردون على وشك أن يخرج. فلم يشأ أن يسمع أي كلمة أخرى منها.

'لا، قالت بهنوء. بل أنا محطمة الفؤاد، ولست مجنونة. ولكن لا بد أني كذلك، وإلا لرأيت ما كنت تفعله كل تلك السنين. فأنت ما كنت تمام هنا، وكنت من الغياب حتى لم أعرف ذلك، لأنك كنت طوال الوقت تحاول أن ترعيني وترهني. على كل حال، لقد ولت هذه الأيام.'

'أخرجني من منزلي'. صرخ فيها وهو يرتجف من الحنق.

'سأفعل، ولكن ليس قبل أن أكون مستعدة لذلك. وإيان ذلك، أقترح عليك أن تبقى معها'. فخرج من غرفة نومها وهو يهدر كالرعد، وبعد دقيقة سمعته يصفق الباب الأمامي. لقد كان مشهداً لا يصدق، وأدركت فجأة أنه كان يحاول سحقها، ولم يتبالي بذلك. لقد بدا وكأن فقدانها لتبدي قد حررها أخيراً. لقد فقت الكثير بفقدانها لتبدي وبيل وما عاد لديها شيء تخسره ما عدا صوفي. ويرحليها، سيكون غوردون قد حررها من اليأس والإكاذيب التي كانت تروح تحمها على مدى سنين كثيرة.

'ماذا قال لك يا ماما؟' سألتها صوفي بهنوء. لم تكن إيزابيل قد رأتها تدخل إلى غرفتها. كانت قد دخلت بعد أن غادر ولدها، وبنت خائفة فلم تكن قد سمعتها يتشاجران على هذا النحو طوال حياتها.

'ليس بالأمر الهام'. قالت إيزابيل وهي تجلس إلى سريرها من جديد. لقد شعرت بأنها مصدومة ولكنها مرتاحة.

بل هام يا ماما. إنه مخيف في سلوكه معك. إنه أبي وأنا أحبه ولكني لا أريده أن يعاملك معاملة سيئة بعد الآن. وخاصة اليوم، بعد جنازة تبدي، فقد كان سلوكه شائتاً.

الفصل السابع عشر

لم يعد غوردون إلى المنزل في شارع رو دي غرينيل لعدة أيام. وكانت إيزابيل تعرف أنها تستطيع أن تجده إذا أرادت، لكنها لم تحاول. لم يكن من داع إلى ذلك. لم يبقَ هناك ما بقولائه، وكانت على ثقة بأنه مع الكونتيسة دي لين.

راحت إيزابيل تجول أرجاء المنزل نون هدف معين لبرهة وهي تحاول أن تستوعب كل ما حدث. وجلست في غرفة تيدي لساعات، وبكت، ثم ابتسمت فجأة عبر دموعها إذ تذكرت أشياء كان قد فعلها أو قالها. لقد بدت مأخوذة إلى عالم آخر. وبذ كانت وحدها، وفي وقت متأخر من إحدى الليالي، شرعت تجمع أغراضه. لقد كانت هذه قليلة، وكأنه كان يعبر هذا العالم عبوراً فقط. كان لديه كتب، وألعاب تركيبية ودمى من طفولته، وثياب نوم لا تحصى، وبعض المقالات الدينية التي كانت الممرضات قد أعطتها له عبر السنين. راحت إيزابيل تنتشق ثيابه ووسادته قبل أن توضعها. ولكن لم يكن لديه الكثير فعلياً. فقد كان أكثر ما يهمه هو الصور الفوتوغرافية التي كان يحتفظ بها لأمه وصوفي. وكانت هناك صورة جميلة جداً لإيزابيل وغوردون في يوم زفافهما. لقد كانت هذه الصورة الوحيدة التي يحتفظ بها أو يريد لها لوالده.

حزمت هذه الأغراض جميعاً، وظلت ساهرة حتى الصباح. وفي الوقت الذي استيقظت فيه صوفي صباحاً كانت إيزابيل قد أنهت ذلك. كانت هناك علب كرتون محزنة ومكدسة في غرفته. وعندما انتهت من ذلك، رجعت إيزابيل إلى غرفة نومها ونامت.

واستمعت إلى غوردون في وقت متأخر من ذلك اليوم. لقد كان يريد أن يعرف بمخططاتها.

لم أعرف بعد. لقد كنت لأحزم أغراض تيدي.

يَا لهذا السعي الذي يولد المرض. لماذا لا تدعين الممرضات يفعلن ذلك؟ لقد فعلت ذلك بنفسها بدافع الاحترام للطفل الذي أحبته للغاية. لكن غوردون لم يكن ليفهم ذلك. فهو ما أحب أهدأ إلا نفسه، ولم يحب أهدأ أبداً. ولسم تكن إيزابيل لتتخيل طبيعة علاقته مع لوزيا. لقد كانت متأكدة من أن تلك للعلاقة قلست على أساس مكائنتها الاجتماعية ولقبها. لقد كانت نفس للواقع التي لجتذبتة يوماً إلى إيزابيل. ولكنه لم يكن يحصل الشخص أو الواقع. لم يعد بحاجة لهما. لقد أسأت التصرف تلك الليلة. قال يهتم إياها ويحاول أن يخوفها بنبرة صوته. كانت قد سمعته يتحدث هكذا كثيراً وما عادت تتأثر بكلامه. وما أفزعها هو جرأتها على مواجهته لعلاقتها الغرامية مع لوزيا. لقد انذهل من أنها اكتشفت ذلك بعد كل تلك السنين. وعندما سألت لوزيا إذا كانت قد اتصلت بمنزله فعلاً ليلة عيد رأس السنة عندما فلتقتها رحلة الطيران إلى سانت موريتز قالت إنها فعلت ذلك على الأرجح. لقد كانت غلطة بريئة غير مقصودة. ولكنها حلت للفرز وكشفت أكانيبه المنمقة المدروسة بعناية التي كان يمارسها عليها لعشر سنوات. ولم يجرؤ على أن يشكي لها عن ذلك.

لقد كان هذا وضعاً رديئاً على مدى زمان طويل. قالت إيزابيل ببساطة، وكانت هذه هي الحقيقة. لقد كنت دائماً أعتقد أنني خذلتك نوعاً ما وأن هذا هو سبب سرودتك وهمسواتك نحوي. لقد كنت أعتقد أنه ذنبي، لأني كنت دائماً منشغلة بتيدي. ولكنني فهمت أخيراً أن ليس لذلك أي علاقة بي أو به. وكل ما هنالك هو أنك وبكل بساطة لم ترد أن تكون هنا.

بل أنت السبب في كل ذلك. فلو بذلت جهدي لتكوني زوجة صالحة لما حدثت كل ذلك. لم يكن ليقر بشيء لها بل يلومها على كل شيء. فقد كان من ذلك النوع من الرجال.

لقد كنت زوجة صالحة لك يا غوردون. لقد كنت هنا دائماً من أجلك وفي خدمتك. وفي الواقع لقد أحببتك في البداية. ولكنك أنت من عزلتني عنك

والأرجسي من حياتك وشيد جدراناً بيئي وبينك، وأنت من هجر غرفة نومنا ونبتني. وليس لي علاقة في كل ذلك وأعتقد أنك تعرف ذلك.

ليس بإمكانك أن تبرري تصرفاتك بتلك السهولة. فما كنت لأقدم على أي شيء من ذلك لو أنك تعلمت واجباتك منذ البداية.

لقد كان أسئداً لها، وهي التلميذة. ولرأها أن تعرف أنها أخفت بالمناهج بشكل كبير. فكل حبها وإخلاصها وولائها لم يكن له أي اعتبار عنده. ولم يكن ليهم بشخصها أو يعرف من تكون. لقد كان هذا واضحاً جداً. لقد كانت تؤدي له حركات بهلوانية على مدى سنوات بينما كان هو يصرخ قائلاً: "أطسى"، "أسرع"، ولم تكن جيدة أو ماهرة كافية بالنسبة له. فبعد أن استغل الخلفية الاجتماعية والعلاقات والارتباطات التي كانت لأهلها وأسس نفسه، لم يعد له فائدة ترتجى منها. وكانت تعلم أنه سيقيم بنفس الأمر مع لوزيا. فعندما يعلم الناس أنه تزوج من كونيسة، وأنها كانت امرأة ثرية وناجحة، واستطاع لإرضاء رغبته وتحقيق مصالحه، فإنه سيقلي بها أيضاً إلى الخارج. وما كانت إيزابيل لتتصور أن غوردون يهتم لأحد، أو لها، أو لأولاده، أو حتى لعشيقته. لقد كان نرجسياً⁽¹⁾ إلى أقصى الحدود.

"أعتقد أن دعائك قد تخرب منذ الحادث" قال بيروود، واستطاعت في الحال أن تتخيل الصورة التي كان سيرسمها، بأنها ليست على ما يرام تماماً بعد الغيبوبة، وأنها كانت دائماً غريبة الأطوار، وأنها تعرضت لخلل نفسي قلبي بعد وفاة ابنها. لقد كان هذا المبرر المثالي ليتخلص منها. لقد بدت وكأنها لمحت فجأة كهفاً عميقاً مظلماً ورأت الوحش الذي يعيش فيه. في سابق الأيام كان هذا يخيفها ويرعبها ولكن ما عاد كذلك. لم تكن تريد أن يكون لها أي علاقة مع ذلك الوحش. "توقع منك أن تتخلى بسرعة". قال بيروود. لقد كان يستغني عنها، وكل ما كان يريد منها الآن هو أن تختفي. وكان هذا بلائمه

(1) النرجسي (narcissistic): من لديه خلل في شخصيته يتمثل بتقديره المفرط لذاته ومظهره وقدراته وحاجته كبيرة لأن يكون موضع إعجاب.

تماماً. فما عادت له فائدة منها وقد أصبحت مشكلة الآن، وأراد إقصائها. فقد كشفته، ولم يكن ليُسهلها معها. وقد سلطت ضوءاً ماطعاً عليه ورفضت أن تكون حصفاً. لقد خدعها على مدى سنوات عديدة، ولم تعد كذلك الآن.

سوف أعاود عندما أجد شقة يا غوردون". قالت له وقد بدت متعبة. فقد كانت مستيقظة طوال ليلة أمس وهي تجمع أغراض نيدي، "أنت تعلم ولا شك، أنك إذا ما ألقيتني في الشارع بعد وفاة نيدي فإن الناس سوف ينتقدونك بشدة".

سأقول لهم عندئذ أنك قد فقدت عقلك بسبب موته وأنك هربت لأسباب أجعلها متأثرة بالطبع بالإصابة في دماغك". لقد كانت فكرة بارعة منه بالفعل، وقد تبين أنه يفكر بهذا منذ زمن. وكانت تتسامح يا ترى هل استعان بلوزيا.

"أنت تقترض أن الناس يصدفونك، وأنا أشك في ذلك. نعم ربما بعضهم لكن من يعرفني يدرك أنني لست (مجنونة دي شابلوت) المختبئة في العلية. أنا امرأة كذبت أنت عليها وخنثها وعاملتها بكل قسوة. يوماً ما سيعرف الناس حقيقتك كما فعل أبنائك، فلا يمكنك أن تغش الناس وتخدعهم إلى الأبد، ولا حتى أنا". كانت خيانتها لها كامل ضربة قوية لتلقاها منه. وما كان يفعله الآن بدا أسوأ إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الصدمة التي تلقاها بوفاة نيدي. لقد هجرها بهل، بعد خمس سنوات، والآن غوردون، والذي كان في الواقع قد هجرها عاطفياً قبل سنين، ورحل نيدي عنها لأنه لم يكن لديه خيار. ولكن على جميع الأحوال كانت هذه الصدمات قوية ومؤثرة على إيزابيل. وكانت تعرف، وهي تصغي إليه يتحدث عن نوابه بأن يسيء إلى سمعتها، أنها سوف لن تكون في منأى كلياً عن خذل الناس الذين أحببتهم كثيراً لها. لقد قضى هذا على كل إيمان لديها بأن الحياة منصفة عادلة وأن الأمور تنتهي إلى نهاية سعيدة. فلم تكن ثمة نهايات سعيدة في عالمها، بل حتى ما عادت تتوقها. كل ما كانت تريده هو أن تتمع بالسلاح وحسب.

أرحلني متى شئت. ولكن أعلميني بذلك وحسب. لقد فصلت بمحملي

السيوم. وسوف يضع مسودة عقد اتفاق بيني وبينك". لقد تحرك بسرعة كبيرة جداً. وتساءلت إذا ما كانت حالة الكونت دي لين تتهازل. لقد بدا غوردون على عجلة من أمره فجأة. وسوف يناسبه جداً إذا ما كانت على استعداد لأن ترحل إلى غرينوبل. فقد كان يمكنه أن يقول إنها كانت في مصحة، أو أنها فقدت صوابها، أو أنها كانت تعاني من اكتئاب. كان يعتقد أنه أن يقول أي شيء طالما ما عاد أحد يراها. ولكنها لم تكن تتوي أن تجعل الأمور بمثل تلك السهولة له. وأدركت، وهي تصغي إليه، أن عليها أن تجد محامياً ما. ووجه غوردون إليها تحذيراً آخراً: "النتهي عندما تحزمين أغراضك يا إيزابيل أنك تستطيعين فقط أخذ ما هو لك، وكل ما جلبته معك عند الزواج. أما كل شيء عدا ذلك فهو يخصني أنا".

لقد كان هذا في نيدي". قالت له في برود. كم كان سريعاً أن تصغر علاقتهما إلى درجة تحديد ما يخص كل منهما. لقد كان كل ما تريد أخذه معها هو ثيابها، وأغراض نيدي، وبعض اللوحات والأشياء الأثرية التي تعود إلى ولديها، وبعض قطع المجوهرات التي كان غوردون قد قدمها لها. وما كانت تريد حتى أن ترى بقية الأشياء من جديد وكانت ستأخذ المجوهرات معها فقط لكي تتحمها لوصفي في المستقبل. سوف أعلمك متى وجدت مكاناً أسكن فيه".

راحت تبحث عن شقة بسمي محمود خلال الأسبوعين التاليين، وقد كان ذلك أسهل عليها عندما عادت صوفي إلى الجامعة. لقد كانت صوفي منذلة من كل ما حدث، وبأن إيزابيل لم ترد أن تزججها أيضاً. وفي نهاية أيلول (سبتمبر) وجدت إيزابيل شقة مناسبة جداً لكتلتهما في شارع رو دي فارين، ليس بعيداً عن المنزل الذي كانت تعيش فيه مع غوردون في شارع رو دي غرينيل. كانت الشقة مؤلفة من غرفتي نوم، وغرفة جلوس كبيرة مشمسة، وغرفة طعام صغيرة، ومطبخ عتيق الطراز نوعاً ما مع خزائن للمون وشرفة صغيرة يطل على موسي رودن. لقد كانت هذه الشقة في الواقع هي الطابق الثالث في فندق بارتيكولير القديم. وكان هناك موقف للسيارة كان يوماً

تحارب لتحصل على نصيبها العادي، وحتى أن تكسب المنزل في رو دي غرينيل. ولكن إيزابيل كانت تترك أن هذا الانتصار أجوف فارغ لا قيمة له. لقد كانت راضية بأن تتركه بأقل ما يكون معها وذلك لسد حاجتها وليس أكثر. وتقريباً لم تكن تريد منه أي شيء.

انتقلت إلى الشقة في شارع رو دي كارين في منتصف شهر تشرين الأول (أكتوبر)، ودهشت لرؤية الشقة بذلك الجمال بعد أن قلمت بإجراء بعض الإصلاحات فيها. أما الأمر الوحيد الذي كان يؤلمها بتركها منزلها القديم فهو أن تترك تلك الغرف التي أمضت فيها مع تيدي كل حياته. ولكن كانت تعلم أنها سيتفلسفها إما كانت تنقل معها ذكرياتها أيضاً. وألقت نظرة أخيرة من فوق كتفها إلى المكان وخرجت من المنزل في حين كانت جوزفين، مدبرة المنزل، تبكي. لقد عهدت إيزابيل أن تأخذها لزيارتها في عنوانها الجديد.

وحتى صوفي اندهشتت في أول مرة تأتي إلى الشقة في عطلة نهاية الأسبوع. لقد كانت عطلة All Saints' day⁽¹⁾، وكان لديها أربعة أيام عطلة عن الجامعة.

"إنها تبدو رائعة يا ماما." أشرق وجه صوفي بابتسامة عندما رأت غرفتها. كانت إيزابيل قد استخدمت بعض القماش في تزيين الغرفة، فعملته من الحرير ذي اللون الأرجواني الغامق ورسمت عليه أزهار الليلك والبنفسج وطلعت الجدران بلون عاجي دافئ مع تليمة رقيقة بلون أرجواني شاحب. كانت غرفة مثالية لفتاة. وكانت قد طلت غرفتها بالأصفر، وكانت غرفة الجلوس مليئة بالقطع الأثرية التي كانت يوماً لوالدة إيزابيل، والتي كانت قطعاً فنية جميلة يعود معظمها إلى عهد الملك لويس الخامس عشر والسادس عشر. ما كان قد مضى عليها سوى أسبوعين هناك، ومع ذلك فقد كانت تشعر بالارتياح إلى المكان، وبشكل ما أكثر من رو دي غرينيل. فقد كانت هذه الشقة

(1) All Saints' day: يقع في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر).

اصطبلاً، وكان في حالة مقبولة نوعاً ما. لقد كان هذا المنزل بعد ذاته أنيقاً يوماً ما، كمثل البيوت الكبيرة الجميلة التي تعود إلى القرن الثامن عشر الواقعة على الضفة الشمالية، وكان للناس الذين يملكونه عبر الأجيال قد أفضوا فما عانوا يستطيعون صيافته منذ زمن بعيد. كان هناك مصعد صغير بدا كفضص عصفور وأستف مرتفعة، وأرضيات جميلة ولكن بالية، وكان مالكو المنزل عائلة أرستقراطية سبق لها أن ألقت بهم يوماً. لقد كان حياً جميلاً وعنواناً جيداً، وأتركت أنها ستعيش في سلام وأمان هناك. وكانت تعلم أن لديها ما يكفي من الأثاث من والديها لكي تزين البيت بشكل أنيق. اتصلت بمحملي غوردون بعد أن وقعت عقد إيجار الشقة، وقالت له إنها ستنتقل خلال أسبوعين. ثم اتصلت بصوفي.

لقد بدا الأمر لصوفي وكأنه سرور مختلط. فقد كانت سعيدة لأن والديها قد وجدت هذه الشقة، ولكن كان من المستغرب أن تعيش في مكان آخر. كانت لتسبقي في رو دي غرينيل عندما تزور والديها، ولكن بما أن والديها وتيدي قد غادرا المنزل، فإن مجرد التفكير في ذلك كان يشعرها بالاكئاب.

حصلت إيزابيل على عقد الاتفاق من غوردون بعدئذ. كان يقدم لها قبة ضئيلة، والتي ما كانت أبداً لتتناسب مع الحياة التي شاطرتها فيها على مدى إحدى وعشرين سنة. واقترح محاميه أن تحاول الحصول على عمل، وكان هذا ما اتوي فعله على كل حال، بدلاً من أن تطلب العون من غوردون. كان كل ما في العرض الذي قدمه يسير لصالحه، وقد كان في الواقع صفقة كبيرة لها على وجهها. في الواقع، إنها لم ترد أي شيء منه، وقد تأكد لها صحة ما فكرت به عندما كانت تأتي أن تنفصل عن غوردون خشية على تيدي. فقد كانت تترك أنه سيجعلها يتضوران جوعاً إذا ما هجرته. ولما الآن فلم تكن تريد منه إلا النذر اليسير، فقط ما يكفي لتغطية النفقات فيما إذا حدث طارئ ما لها أو أصيبت بالمرض.

لقد كان محاميتها غاضباً جداً بما كان قد قدمه غوردون، وأرادها أن

تحدثت عن الانتخابات الوشيكة في الولايات المتحدة، وعن دوره في تنقل هام بين أعضاء مجلس الشيوخ. لقد كانت المقالة إبطاءً له، وطلبت تحقق إلى الصورة مطولاً، ورأت أنه يبدو بحال جيدة. لم تكن تستطيع أن تعرف على وجه الدقة، لكنه كان يبدو كما لو كان واقفاً ضمن مجموعة من الرجال، والمرشح الذي يناصر قضيتته كان يقف إلى جانبه. وذكرت المقالة باختصار أنه تعرض لحادث سيارة كاد يؤدي بحياته في لندن العام المنصرم وأنه حقق شفاهةً ملحوظةً، وعاد إلى الحياة السياسية أقوى من قبل. ورغم أن المقالة ما كانت تذكر في إذا ما كان يسير أو يركض في سباقات الماراثون، إلا أنها بدت تدعم ما كان قد قاله بيل لها عندما كتب عليها بشأن قدرته على المشي من جديد. لقد بدا وكأنه في كامل صحته وعافيته وأنه استرد طاقته كلها. وفي النهاية، بعد أن حققت إلى الجريدة ليومين وهي تعذب نفسها، أقتت بالجريدة جانباً.

كانت صوفي قد عادت لتوها إلى الجامعة بعد عطلة عيد التوسانت عندما رأت إيزابيل بيل على التلفزيون على محطة سي إن إن⁽¹⁾. لقد كان في جلسة للشيوخ في واشنطن، وقد جلس إلى طولة طويلة يخاطب لجنة من الشيوخ في جلسة مخصصة. ما كانوا يقولونه بدا تقنياً للغاية ومملًا بالنسبة لها، ولكنها تسمرت إلى التلفزيون كالمولود مغناطيسياً عندما رأت وجهه. لقد كانت قد عانت من يوم سيء لتذكرها تبدي، وأخيراً استسلمت لمحاولة بأن تسري عن نفسها. فذهبت إلى سريرها وأدارت التلفزيون لتتدهل لما تراه. ولم تستطع أن تبعد نظرها عنه وهو يتحدث وقد ألقى خطاباً مثيراً للعواطف، ثم استدار نحو الكاميرا وكأنه يتحدث إليها.

فهمست في رقة: "يا لك من نذل". لقد كانت تود أن تمنى له كل الخير بعد أن جدد نظره نحو سنثيا، ولكنها لم تستطع. لقد كانت لا تزال متألّمة جداً

(1) سي إن إن (CNN): هبة اختصار لـ (Cable News Network)، وهي من أشهر المحطات التلفزيون الأمريكية.

والأكثر من ذلك، إن ما أثار دهشة إيزابيل هو مدى السهولة التي تأقلمت فيها مع حياتها الجديدة. لم تفقد غورون، ومن افتقده كثيراً جداً كان تبدي، وكان قلبها يسفطر كلما تذكرته. العيش في الشقة الجديدة سبب لها بعض للتسلية، ولكن لم يكن ممكناً أن تكرر حقيقة أنه رحل. ولكن أن تكون في مكان جديد كان أسهل بالنسبة لها، فهذا إن تتجول في الأماكن التي سارت معه فيها يوماً، أو تجلس في الحجرة التي أمضت معه ساعات فيها. ورغم انتقالها إلى مكان جديد، فإنها أخذت معها ليس حزنها على تبدي وحسب بل أيضاً توفيقها للاعتكاش إلى بيل. فما كانت لتتقبل بسهولة فكرة أنها لن تراه من جديد أبداً بعد أن أمضت معه خمس سنوات تتحدث إليه، وينصحها، ويرجعها. فقد كان التصالح المخلص، والصديق للصدوق لها، وأخيراً الحبيب. فلا يمكنها بعد كل ذلك أن تستوعب فكرة أن يتركها ويمشي. لقد كان هذا آخر ما كانت تتوقعه منه، وبذلك القسوة للوحدة التي بدرت منه، والتي كانت أسوأ ما تعرفت له في حياتها. وكانت تدرك أنها لن تنساه على مدى العمر. وما كانت لتقدر أن تتصور أن تحب شخصاً آخر أو تنفق بشخص آخر من جديد. وبالنتيجة، لم يكن غوردون الذي حطم قلبها ودمر إيمانها، تلك لأنها ما كانت لتزجر شيئاً منه، ولسم تكن كذلك لسنتين، بل بيل هو الذي قد ألمها أكثر لأنها أحبته حقاً ووقفت به. ولكنها كانت تعلم أن عليها أن تتعاش مع هذا الوضع مهما كلف الأمر.

بعد أسبوعين من انتقالها إلى الشقة، وحتى قبل مجيء صوفي إلى البيت في عيد التوسانت⁽¹⁾، رأت صورة له في الهيرالد تريبيون. كانت المقالة

(1) عيد التوسانت (the toussaint): نسبة إلى توسان لوفرتور (Joussaint L'Ouverture): وهو فرانسوا دوينيك (Francois Dominique) (1743-1803): جندي ورجل دولة هايتي، ولد في الميودية، وكان ناشطاً في الحركة التي أدت إلى إلغاء الاسترقاق في هايتي (1791). وصار حاكماً لهايتي منذ عام 1797. ولكن الفرنسيين أسروه عام 1802.

منه بسبب ما فعله بها، وكانت لا تزال تتذكر كل كلمة قالها عندما أخبرها أن الأمر انتهى بينهما، لم تكن لتستحق ذلك، فقد أحبته حباً جماً، وكنا سعيدين للغاية. كانت تتعذب وهي تتذكر كل ذلك، عندما ارتد المصور بالكاميرا إلى الخلف في نهاية الخطاب، ورأت أحدهم يدفع عربته خارجاً، فقضت فاهما وهي تشاهد ذلك، كان قد أخبرها أنه استعداد قدرته على استخدام سابقه بشكل كامل، وكان من الواضح مما تراه أنه كان لا يزال مقيداً إلى كرسيه مدولب. ولكن لماذا؟ لماذا أخبرها أنه صار يستطيع المشي إن لم يكن كذلك؟ ما الهدف من ذلك؟ وعندها وهي تشاهده يخفي من على الشاشة مع مجموعة من الناس في الحشد، تنكرت ما كان قد قاله لها في البداية. فقد لمح لها قليلاً وهما في لندن إنه إذا لم يستطع أن يسير من جديد، فسوف لن يبقى معها نثلاً بشكل عينا عليها، لم يقل ذلك بالحرف الواحد، ولكنها فهمت ما كان يقصده، وقد فكرت أنه كان مكتئباً. لم تصدقه حقاً آنذاك، وكانت تفكر أنه إما يتحدث بطريقة مسرحية، ولكنه صارت تتساءل الآن إذا ما كان يعني تماماً ما قاله. وبدا كما لو أنها كانت تسمع كلماته الآن بوضوح شديد جداً، لم تفكر أبداً في هذا الموضوع لأنه قال لها بوضوح أنه كان يسير من جديد. وفجأة سألت إذا ما كان يكذب عليها بشأن كل شيء آخر.

جلست في سريرها طويلاً وهي تفكر بما ستفعل الآن. وكيف تستطيع أن تكتشف ما قد حدث. أرادت أن ترفع سماعة الهاتف وتساؤه، ولكن لو أنه كان يريد لها أن تعرف الحقيقة لأخبرها من قبل خمسة أشهر بدلاً من أن يكذب عليها، لكنها كانت مشوشة الفكر تماماً. ألقت عنها الأغطية ونهضت من سريرها وراحت تدرع الغرفة جيتةً وذهاباً فيما التلفاز يعمل. وأطفائه لكي تستطيع أن تفكر بصفاة ذهن، ثم نظرت إلى ساعتها. لقد كان ذلك وقت الظهيرة في واشنطن والساعة السادسة مساءً في باريس. ثم خطرت لها فكرة، فهرعت، نحو المطبخ، والتقطت سماعة الهاتف.

طلبت رقم الاستعلامات في واشنطن وسألت عن رقم هاتف مكتبه،

وأعطوها الرقم في الحال. ما كانت لتعرف ما ستفعل بعد ذلك، ولكن عندما أجاب صوت، وقد بدأ منشفلاً، سألت عن مساعد السيد روبنسون، فجاءها صوت ذكري على الهاتف. فأوضحت للمتلقي أن السيد روبنسون قد شجعها على الاتصال به من أجل جمعية محو الأمية عند الأطفال في ديب ساوث، ولمكانها أن تسمع المساعد يصفي بانتيابه. لقد كانت إيزابيل تعلم أن محو الأمية في كل أرجاء أمريكا كان لمرأاً مهمماً بالنسبة له، وكان يحث كل مرشحيه على مناصرة هذه القضية الهامة.

"بالطبع". قال المساعد مؤيداً فكرة إيزابيل.

لقد كنا نرجو أن يحضر وزوجته حفلاً الذي سيقام في كانون الأول (ديسمبر). ونود أن تكون زوجته ضيفة الشرف عندنا. ساد صمت لبرهة فيما كان المساعد يلتقط أنفاسه وتستمع إيزابيل أفكارها وشجاعتها وهي تصلي أن يكون حدثها في محله.

بالتأكيد سيود السيد روبنسون للمشاركة في ذلك، سوف أتحقق من جدول مواعيدته عندما تحدد لي التاريخ والوقت ولكن أخشى... أن... ألا تستطيع السيدة روبنسون أن تكون ضيفة الشرف. أو بالواقع، قد يمكن هذا، ولكن... حسناً. إنهما مطلقان. في الواقع، قال ذلك وقد بدا مرتبكاً محرجاً قليلاً، "وهي سوف تتزوج من جنيد الشهر القادم، وأعتقد أنها ولا ريب ستهمم بالأمر إذا ما كنت تودين أن تسألينهما. يمكنني أن أعطيك رقم هاتفها إذا أحببت الاتصال بها، ومن جهة أخرى، أعتقد أن السيد روبنسون سيكون مهتماً بحضور حفلكم كضيف شرف، إذا ما أرسلت لي بعض البيانات عنها وأعطيتني الموعد".

"من كل بد. سوف أرسلها لك اليوم". قالت إيزابيل ويدها ترتعش وهي تمسك بسماعة الهاتف وتغمض عينيها. لقد كذب عليها في كلا الأمرين. فهو وستنيا ليسا معاً، وليس بمقتوره أن يمضي، وتأكدت الآن من أنها عرفت ما كان قد فعل. لقد حررها، كرمي لها، من فكرة مجنونة كان يريد أن ينجبها

فأوضحت إيزابيل: 'سأذهب لأرى صديقاً قديماً'.
 'وهل أعرفه؟' سألت صوفي وهي تحاول أن تحزر. كانت والديها
 تتصرف بشكل غريب إلى حد ما. لقد بدت سعيدة ومنفصلة وخاتفة.
 'بيل روبنسون. لقد كنا معاً أثناء الحادث'. قالت إيزابيل بلطف، فابتسمت
 صوفي على الطرف الآخر.
 'أعرف يا ماما. لقد كان لطيفاً معي في لندن عندما زرتك في المشفى.
 إن لديه ابنتين وزوجة رائعة'.
 'هذا صحيح تقريباً'. ما عدا ما يتعلق بزواجه.
 'لقد بكيت كثيراً'. قالت صوفي ببراهة، وابتسمت إيزابيل.
 'وأنا أيضاً أجه. سأتصل وأعلمك أين أكون ومتى أعود إلى البيت.
 حسناً! انتبهي جيداً إلى نفسك يا حبيبتي'. سأرجع عما قريب.
 'لا تتسرع في العودة فلست قادمة إلى المنزل حتى العيد القادم.
 فلست معي بوقتك'.
 'شكراً'. قالت إيزابيل وأغلقت السماعة.

لم تستطع النوم تلك الليلة، وغادرت إلى المطار اليوم التالي الساعة
 الحادية عشرة. كان يجب أن تكون هناك عند الظهر. وكانت بالكاد تستطيع
 أن تتمالك نفسها في الطائرة. لم تكن لديها أدنى فكرة عن كيف تراه، أو ما
 ستقوله له عندما تراه. وربما يمتأنا منها عندما يجد أنها اكتشفت أمره
 وطارده. وقالت في قرارة نفسها أنه لو كان يريد أن يكون معها، لكان عليه
 أن يفعل ذلك. لقد أوضح فكرته تماماً، وكانت تتناقش الأمر في نفسها وهي
 تصبر فوق الأملسي. ولكنه كان مخطئاً. هذا هو الموضوع. لقد كان مخطئاً
 تماماً وبالكلية. ما كان عليه أن يفعل لها ذلك، أو أن يضحى بنفسه. فما كانت
 لتهم حتى ولو لم يمش على الإطلاق، إلا من أجله هو، وليس من أجلها هي.
 كل ما كان يمكنها أن تفعل الآن هو أن تجده وأن تخبره بذلك. ولكنها تعرف

منها، لأنه أحبها. ولكن ربما ما عاد يحبها... ولكن الأمرين كنا مؤكدين، فما
 عاد متزوجاً إلى سنثيا، وما زال بعد في كرسي متولد.

شكراً جزيلاً. قالت لمساعدته على الهاتف.

'هلاً لتفضلت من جديد وذكرت لي الموعد؟'

'الثانية عشرة من كانون الأول (ديسمبر)'.

'تأسح هذا في جدول مواعيد من أملك وأعلمه بالأمر'.

'شكراً'.

'ما هو اسمك؟ عفواً... لم أحفظه...'

'لا بأس. سالي جومز'.

'شكراً أئمة جومز. شكراً على اتصالك'.

جلست في سريريها بعد ذلك طويلاً وهي تفكر ملياً فيما ستفعله في
 الخطوة التالية. جلست هناك وهي تفكر فيه، وهي متأكدة أكثر مما قد فعلت
 وعرفت المسبب في ذلك، وشعرت وكأن كل شيء قد تغير في لمح البصر.
 ولكن في هذه المرة، وبدلاً من أن تتمني الموت كما حدث معها قبل خمسة
 أشهر، فقد شعرت بنفسها على قيد الحياة من جديد.

وعند منتصف الليل، وبعد أن أصلت فكرها في ذلك ولحاحها، عرفت
 ما عليها أن تفعله. فرفعت سماعة الهاتف، وأصلت بشوكة الطيران، وابتسمت
 بالحجز على رحلة الطيران بعد ظهر اليوم التالي. لقد كانت لتتأنا بعد
 أربعة أيام فقط، وربما كان التوقيت غير مناسب، ولكن ما كانت لتطيق صبراً
 على الانتظار. فحجزت مقعداً في رحلة الساعة الثانية لليوم التالي. ثم اتصلت
 بصوفي وأخبرتها بأنها ذاهبة إلى واشنطن ليضعة أيام.

'ماذا؟' سألتها صوفي وقد بدت مندحشة ولكنها كانت مسرورة. فقد كانت
 ولديها فائدة الحياة، وحزينة، ومضطربة وذاهلة منذ أشهر، وخاصة بعد موت
 تيدي، فشعرت بالارتياح لفكرة ذهابها إلى أي مكان.

لها لن تكون مسألة سهلة. فقد كان رجلاً عنيداً جداً. وتكررت الآن بشكل واضح اعتراضاته الكثيرة من زواج جو من جين.

ما إن حطت الطائرة في مطار نوليس حتى أغمضت إيزابيل عينيها وتلت صلاة صامئة راجية من الله أن يصغي إليها. فما كانت لتعلم إذا ما كان سيستمع إليها أم لا. ولكنها ستحاول ولو مرة على الأقل.

كانت تحمل عنوان مكتبه في جيبها وكانت ترتجف من الجو القارص، ووثبت إلى سيارة لجرة وأعطت السائق عنوان فندق الفصول الأربعة في جورجتاون، حيث كانت قد حجزت ليلة أمس. كل ما سيتوجب عليها الآن هو أن تكتشف أين يكون.

الفصل الثامن عشر

كانت الساعة قد قاربت الرابعة عندما وصلت إيزابيل إلى غرفتها في الفندق. وكانت تعرف أن عليها أن تتصل بمكتبه في أقرب وقت لكي تعرف أين سيذهب تلك الليلة، أو ربما عليها فقط أن تدخل إلى مكتبه مباشرة. وربما هي فكرة مجنونة أن تأتي بنفسها إلى هنا. كان في ذهنها سيناريوهات عديدة، ولم تعرف كيف ستنفذ أي منها. وإذا نظرت إلى الهاتف، بدلت تشعر أنها ارتكبت خطأ فادحاً. فربما ما عاد يحبها. وأخيراً، وبعد نصف ساعة أخرى من اللخوف، التقطت سماعة الهاتف.

ردت موظفة الاستقبال على الهاتف وأوحى إيزابيل لها بأنها منهيكة جداً وعلى عجلة من أمرها.

مرحباً. أنا مع جماعة الأمن لهذه الليلة، في أي وقت سيصل السيد روبنسون؟ قالت ذلك وهي تبذل جهداً أن تبدو أمريكية، لئلا تعرف المرأة أنها فرنسية.

'يا الله عليك، لا أعلم،' قالت الفتاة وقد بدت أكثر إجهاداً مما ادعت إيزابيل. 'سيذهبون إلى ستة مواعيد مختلفة. من معي من جديد؟'

'الأمن. كما تعلمين، تسأل من أجل العشاء.'

'أه. نعم. طبعاً... أف... لقد ظننت أنه ألقى ذلك... لا، هذا صحيح... حسناً... إنه قائم إليكم الساعة التاسعة... ويوسفه أنه تأخر، ولكن لا يستطيع أن يكون هناك قبل هذا الوقت. أنتم محطته الرابعة. وسوف أن يطول المكوث... وأنتم تعلمون أنه في كرسي مدونب، أليس كذلك؟'

'حسناً. لقد كتبت ذلك في دفتر ملاحظاتي.' قالت إيزابيل وقد بدت رسمية ومطلعة على الأمور.

"عليكم أن تأخذوا الكرسي من على الطاولة لكي يضع كرسية المدولب مكانها بنفسه. هو لا يجب أن يحدث جلبة. ولا يجب أن يصور وهو في كرسية. بل فقط صور جانبية منخفضة. سوف يدخل هو والسيناتور جونسون من باب جانبي، وسيفادان بنفس الطريقة".

"حسناً". قالت إيزابيل، ولكنها لم تعلم بعد أين سيكون العشاء ولا يمكنها أن تسأل عن ذلك.

"السيناتور جونسون له حرسه الخاص، وسيتوقعون بكم عند المدخل الجانبي لمركز كينيدي مثل المرة الماضية تماماً...". للحد من همسات إيزابيل وبينها وبين نفسها. إنه مركز كينيدي إذاً.

"هلاً يضع ربطة عنق سوداء؟... حتى نعرفه مباشرة...". لقد أرادت أن تعرف ما تلبس.

"لا، هو متأسف... إن يفعل ذلك... ولكنني متأكدة أن الأمور ستسري على ما يرام".
"حسناً".

تحدثا في التفاصيل لعشر دقائق أخرى، وما عادت إيزابيل تهتم بما كانت موظفة الاستقبال تقول. كل ما كانت تريد معرفته هو أنه سيكون في مركز كينيدي الساعة للثامنة ليلاً. وسوف يغادر في الساعة العاشرة إلى محطته التالية. فكان أمامها إما أن تولجه في طريقه دلفلاً، أو في طريقه خارجاً، أو تحدث جلبة على العشاء، مثل أن تختبئ تحت طاولته، أو تشهر مسنداً في وجهه... كل الاحتمالات كانت ممكنة ولا نهاية لها، ولكن معظمها بدت ميؤوس منها الآن وقد صارت هناك. لم تكن لديها فكرة عن كيفية القيام بذلك، ولكنها كانت تعلم أنها يجب أن تحاول.

في النهاية، كانت قررت أن تقابله خارجاً، بعد العشاء، في طريق الخروج. وهذا سيكون في الساعة العاشرة. كان أمامها ست ساعات بعد، وهي أسلوب ست ساعات في حياتها. فأجرت لفصالتها واستأجرت سيارة ليموزين

من أجل تلك الليلة. وبعد ذلك جلست في غرفتها وهي تفكر قلقة فيما ستقوله له أو إذا ما كان سيتمنحها للفرصة لتحدث إليه. لقد كان من الممكن جداً أن يصرفها قاتلاً لها إن ليس لديه ما يقوله. فبيل هو الذي قال لها بأنه سوف لن يريد أن يراها ثانية، ولكنه كتب عليها. وأخبرها أنه صار بمقتوره أن يمسي وأنه وسيندي قد جددا عهودهما. وظلت خمسة أشهر لا تفهم كيف أمكنه أن يقطع كل الروابط بها بهذه السهولة. ولكنها الآن فهمت تماماً. لقد كان كل ذلك لأنه لا يريد لنفسه أن يكون عبئاً عليها. ولهذا لم يكن يريد أن يراها في باريس، لأنه لم يريد أن يجعلها تعرف أنه كان لا يزال عاجزاً عن السير، وأنه سيبقي كذلك أبداً. لقد فكرت في كل هذه الأمور. ولكن ما لم تفكر به هو كيف تقنعه لأن يغير رأيه. وكانت تعلم أن لديها فقط دقائق معدودة تمضيها معه، حيث سيكون السيناتور واقعاً على حدة، قبل أن يصعد إلى السيارة ويمضي بعيداً. لم تكن لديها أدنى فكرة عما ستقوله. كلمة أحبك ستكون البداية ولكنه عرف ذلك على كل حال، وكان يعرف ذلك عندما أنهى العلاقة بينهما، ولم تردعه هذه آنذاك. فكيف تردعه الآن؟

لقد كانت هناك أشياء كثيرة لم يعرفها؛ فيما يتعلق بتيدي، وعن هجرها لغوردون وتركها للمنزّل. ولم يعرف أنه قد حطم فؤادها عندما غادرها. وفوق كل ذلك، لم يعرف أنها ما كانت لتبالي كونه في كرسي متولب بقية حياته. فكل ما كانت تريده هو أن تكون معه، وأن تحبه ما دام على قيد الحياة.

وإذا جلست هناك، تفكر فيه، بدأت تتساءل إذا كان من الخطأ أن تحاول رؤيته تلك الليلة. لربما كان يجب أن تحاول رؤيته في المكتب، أو تتصل به بالهاتف. فقد كانت تعرف أنه ولا بد سيكون جزعاً متوتراً نزعاً لأن الانتخابات ستكون بعد ثلاثة أيام. وقالت لنفسها ربما ينبغي أن تنتظر إلى ما بعد ذلك، ولكنه قد يغادر البلدة أو يخفي. ما كانت تريد أن تنتظر. فقد انتظرا زمناً طويلاً بما فيه الكفاية.

لم تستطع أن تأكل تلك الليلة، وحاولت أن تأخذ قيلولة، لكنها كانت بقطة

منتسبة. في النهاية، أخذت حماماً وارنكث ثيابها، وفي التاسعة والنصف كانت في سيارة الليوموزين تنهب الطريق نحو مركز كينيدي. وبدأت تشعر بالذعر عندما وصلت إلى المنخل الجانبي. فماذا لو غادر المكان لتوه؟ لقد أصابها القلق وهي تترجل من السيارة، وتذهب للوقوف جانباً في مكان تستطيع منه مراقبة المنخل، ورويته عندما يخرج. لقد كان الجو قارساً. ولكنها ما كانت لتهتم له، وبعد ذلك، وكما لو كان نذير شوم، بدأ الثلج يتساقط.

كانت قشور كبيرة شبيهة بالخرمات تمسك من السماء وكانت من ذلك النوع الذي يلصق بالثياب وأهداف العين والشعر. وقد تساقط الثلج دونما إنذار، وكانت هناك رياح نشطة تنزيره في كل الأرجاء. دقت الساعة معلنة العاشرة والرابع دون أن يظهر له أي أثر، وشعرت أنه بالتأكيد قد غادر المكان من باب آخر. فلربما حدث تعديل في الخطة. كانت إيزابيل ترتدي معطفاً ثقيلًا كبيسراً أسود اللون وبقية من فرو السمور، وحذاء عالي لتساق سويدياً أسود، وقفازات. كانت لا تزال تشعر بالبرد القارس رغم ذلك، وكان الثلج يغطيها.

في الساعة العاشرة والنصف كانت قد فقدت الأمل، وشعرت أن عليها أن تحاول من جديد بطريقة أخرى. سوف تجرب حيلة أخرى في اليوم التالي. قالت في قرارة نفسها أنها ستحتم حتى الساعة الحادية عشرة لكي تكون راضية في نفسها، ولكنها كانت متأكدة أن بيل والسيناتور قد غادرا المكان منذ بعض الوقت إلى محطاتهم التالية.

ولكن في الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق حدثت جلبة وحركة مضطربة قرب الباب. وخرج رجلاً أمن من الباب، وتلاهما حارس بزي رسمي وعلى أذنه جهاز اتصال، ثم تلاهما رجل حرس الهيئة قد طاطأ رأسه بوجهه الريح وهذا خطأ خارجاً من المبنى واتجه نحو سيارة تنتظره ظهرت لا تدري من أين. لم تكن إيزابيل قد رأتها قبلاً. لقد بدا وكأن هذا هو السيناتور ولكنها لم تعرفه بشكل مؤكد من زاوية وجهه التي رأتها. وراحت تراقبه لوهلة، ولم يخرج أي أحد آخر. وراحت تتسائل إذا ما كان بيل لم يحضر

أصلاً، أو قرر أن يبقى. وإذا راحت تراقب المكان، رأت كرسيّاً متولباً يبرز خارجاً ببطء ورأت أناساً مستقرين في الحديث معه، وكان يوميء لهم برأسه وقد أصرغى إلى ما كانوا يقولونه. لقد كان يدفع عجلات كرسيه بنفسه. كان يرتدي لفاحاً سميكاً ومعطفاً غامقاً وعرفت أنه بيل في الحال. وشعرت بقلبيها يخفق بقوة وهي تنتظر إليه يدفع كرسيه نحو الدرجات، ثم يتجه نحو الرصيف المنحدر إلى حيث كانت تقف. لم يكن قد انتبه إليها، وتركه الآخرون وانصرفوا عائدين إلى الداخل هرباً من الثلج. وكان السيناتور ورجاله قد صاروا الآن في سيارة الليوموزين ينتظرونه.

وإذا شعرت بأنها تحمل حياتها على راحة يدها، سارت نحو الرصيف المنحدر وبدأت تصعد إلى حيث كان. فالتفت به في منتصف الطريق واعترضت طريقه. كان قد أحضر رأسه إزاء الريح، فلم ير إلا معطفها وساقبيها، ودمدم يقول: 'عذراً'. وهو شارد الذهن، ولكنها لم تتحرك من مكانها.

نظرت إيزابيل إليه، فسمع صوتها قبل أن يرى وجهها. لقد كتبت على، قالت له بصوت لطالما حلم بسماعه خلال الأشهر الخمسة الماضية، وكان يظن في قرارة نفسه أنه لن يسمعه من جديد. رفع نظره والتفت أعينهما، ولم يستطع أن ينطق بكلمة. بل نظر إليها فقط وهو مذهول وحول أن يستعيد رباطة جأشه بأسرع ما يمكن.

'مرحباً يا إيزابيل. ما هذه الصدفة التي نراك فيها هنا.' لقد افترض لأول وهلة أنها قد جاءت إلى البلدة مع غوردون لعمل ما، وأنها تراققه. لم يقصر لها وجوده على كرسي متولب، رغم ما قاله لها قبل خمسة أشهر.

'في الواقع إنها ليست مصادفة'. قالت له بصدق. لم يعد هناك مجال للمزيد من الأكاذيب. لقد طرت من باريس إلى هنا كي أراك. احتار في أمره ماذا يقول لها والريح تعصف بوجهيهما، وقد تجمع الثلج على قبعتهما. لقد بدت له كمثل بطاقة معاينة في العيد، أو كاميرة روسية. لقد بدت جميلة جداً وهذا

ما حطم فؤاده، ولكن لم يعبر وجهه عن شيء. لقد حمل نفسه على أن يبدو غير عاطفي وغير مبالي، وذلك لكي يخفي كل ما كان يشعر به. وقد صار متمرساً في ذلك.

"علي أن أذهب. فستبداً تنتظرنني في السيارة". لقد كان هذا أول عذر خطر في ذهنه ليهرب سريعاً. لقد كان يعرف أن عليه أن ينسل بعيداً عنها بأسرع ما أمكنه قبل أن يفقد عزمه.

"لا، ليس كذلك". قالت إيزابيل وهي تلف نفسها بمعطفها بإحكام. "قائمتا مطلقان. وقد كذبت في ذلك أيضاً".

"أعتقد أنني كذبت في أمور كثيرة، ما عدا أن الأمر قضي بالنسبة لي. هذا الجانب كان صحيحاً. كان كل ما فيه يدل على مقاومته لها ولكن عيناه كلتا تخونانه.

"لماذا قضي الأمر بالنسبة لك؟" كانت مصممة في بحثها عن الحقيقة، ولو قال لها بأنه لا يحبها إذاً لكأنت سترتكي وتمشي إلى الأبد. ولكن كان عليها أن تراه للمرة الأخيرة. وقد أرادت أن تستغل فرصة قدومها الآن من أجل ذلك. ولكن إذا كان سيخفي عنها من جديد، فعلى الأقل كانت تريد أن يقول لها ذلك وجه لوجه.

تحدثت الأمور على هذا الشكل أحياناً. كيف حال تيدي؟" سألها لكي يحطم جدار التوتر بينهما، ولكي يغير الموضوع، ولكنه لم يكن يتوقع أو على استعداد لما قالته بعد ذلك.

"لقد مات منذ ثلاثة أشهر. فقد أصيب بالغلانزا حادة. ويوسفني أنك لم تتعرف عليه". قالت في حزن وهي تتجاهل لتتأكد روعها فما كانت تتوي أن تنقل عليه بحرنتها. ولكن فكرت أنه عليه أن يعرف.

"أنا أسف". قال بركة وقد بدا متألماً من أجلها. ولوهلة ارتبك من اللطمة التي تلقفتها بموت تيدي من غير ريب، ومن إحساسه للشخصي بالذنب لأنه لم يكن إلى جانبها آنذاك. "أنت على ما يرام". لقد كان يود لو يصل إليها

ويحيطها بذراعيه، ولكنه لم يجزؤ. وكان من المحرج والمريب له أنها اكتشفت لكاذبته وأن تراه في كرسبه. لقد كان مقتنعاً جداً أن طرفهما سوف لن تلتقي أبداً من جديد وأنها لن تعرف أبداً.

تيس بعد، ولكنني سأكون على ما يرام في نهاية الأمر. لقد اشقت إليه كثيراً. واشتقت إليك أنت أيضاً. كان صوتها حزيناً وناعماً. "كيف حالك؟" لقد كانت تود أن تسأله عما إذا كان قد اشتاق إليها أو ندم على ما فعل، ولكنه كان تواقاً لأن ينصرف. لقد كانت تعلم أن السيناتور ينتظره. ولكن كانت هذه فرصتها الوحيدة.

"أنا بخير. أفضل من أيما وقت مضى. لقد عدت إلى عملي. الانتخابات بعد ثلاثة أيام، وهنا نظر إلى ساعته. لقد كانوا متأخرين ساعة عن موعدهم التالي، فنظر إلى إيزابيل نظرة استئذان بالانصراف، ولكن لم تبد عليه أية علامة على أنه يريد أي شيء منها. 'علي أن أذهب الآن فعلاً'.

"لا تزال أحسبك يا بيل"، قالت له وهي تشعر بأنها ضعيفة أمامه، وقد كان هذا هو سبب مجيئها. وقد كانت تريد أن يعرف. "أنا لا يهمني إن كنت تستطيع الترتج بالمزلاج أو إذا كنت تستطيع أن ترقص. وعلى كل حال، فلست برائعة ماهرة ولم أكن كذلك يوماً".

ابتم لها وشعر بالتوق إلى الماضي الذي لا يمكن استعادته ثم دنا نحوها ولمس يدها. "هل أنت جادة في قولك أنك جئت إلى هنا كي تربطني؟" كان صوته لطيفاً، لقد كان هذا الصوت الذي تذكرته جيداً وكان دائماً في عقلها. كل ما أمكنها أن تفعله هو أن توميء برأسها فيما اغرورت عينها بالدموع ثم تماكست نفسها، ونزلت بضع دمعات شاردة على وجنتيها فمسحتها بيدها التي ترتدي فيها قفازاً.

"لقد رأيتك البارحة في محطة السبي إن إن، وظننت أنني علمت لماذا كذبت على وأردت أن تعرف أنني لا أبالي".

"أعلم أنك لا تباليين، وأنت لم تبالي أبداً. ولكن أنا أبالي. لن أسمح لك أبداً

أن تفعلني ذلك بنفسك. أحبك جداً حتى لا أطيق أن أدعك تدمرين حياتك بتحميك عبء هذه. قال ذلك ونظر إلى الأسفل إلى كرسية. وحتى لو تركت غوردون يوماً ما، وخاصة عندئذ. هل بعاملك برفق؟ وجال ببصره يبحث عنه في البداية، وأدرك أنه لم يكن هناك. لا بد أنها تملصت منه بطريقة ما أو تركته في الفندق.

ابتسمت لسؤاله وقالت لقد استخدمت ذخيرة البارود ضده، كما قلت لي، عندما توفي تيدي. لقد لقي بي خارجاً. وانتقلت أنا وصوفي إلى شقة في شارع رو دي فارين. لقد حدثت تغييرات كثيرة في حياة كل منهما. ولكنها لم تغير طريقة تفكيره وشعوره نحوها، أو القرار الذي كان قد اتخذته. بل في الواقع، إن رؤيته لها زادت من عزمه. لقد كانت حرة الآن، وكانت تستحق أكثر بكثير مما يستطيع هو أن يقدمه لها، أو هذا ما فكر به.

يسرني أنك على ما يرام. ولكن لكفى بذلك ولم يقل المزيد.

أعلم أن عليك أن تذهب قالت له وهي تنفض قشور الثلج عن عينيها. سأكون في فندق الفصول الأربعة. إذا أردت أن نتحدث معاً، اتصل بي. أما هو فقد هز رأسه. لقد كان الثلج يغطي شعره، وأدركت أنه شعر بالبرد بالتأكيد. قال: "سوف لن أتصل يا إيزابيل. لقد قمنا بالعمل الصائب قبل خمسة أشهر. لقد فعلت للصواب. ولكننا، وعيننا أن نتعايش مع هذا الواقع الآن".

أنا لا أوافقك لرأي، فالأمر برمته خطأ، ولكننا فلنا الحق أن نصب بعضنا يا بيل. وحتى لو بقيت خارج حياتي فسوف لن أكف عن حبك. أبداً.

سوف تتسبن في نهاية الأمر. قال لها وهزت رأسها نفياً وتحت عن طريقه. ونظر إليها مطولاً وهو متالم وقال: انتهى جيداً لنفسك. لقد كان يريد أن يسأل لها من جديد إنه أسف من أجل تيدي، ولكن لم يفعل. فما أمكنه أن يسأل المزيد. فرفع عربةه وقطع ما تبقى من الطريق نزولاً إلى للرصيف المتحدر، دون أن يسنظر إليها في الخلف، وركب السيارة. اعتذر للسيناتور

بمسبب التأخير، وقال إنه التقى بالصدفة بصديق قديم. لم يقل شيئاً آخر أبداً طسوال الطريق إلى محطته التالية، وشعر السيناتور بمزاجه المكتئب. لقد بدا شاردأ جداً.

كان الوقت بعد منتصف الليل عندما وصل بيل إلى منزله، ولم يتصل بها. لقد كان الوقت متأخراً، وقال في نفسه من جديد أنه سوف لن يتصل. لقد كان مقتنعاً بما فعله من أجلها ومدركاً بأن هذا هو فعل الحب الذي يجب أن يقوم به. لو كان حبه لها أقل من ذلك إذاً لكان سيحملها عبء نفسه أيضاً، ولكن حبه الكبير لها منعه من ذلك، وكان يعرف أنه سيحبها على هذا النحو إلى الأبد. لقد كان محطم للفواد من أجلها لوفاة ابنها، وشعر كم كان موته مدمراً لها. وارتاح على الأكل لأن غوردون لم يعد في حياتها. وقد شعر أنها بالتأكيد ستجد شخصاً آخر عما قريب. لم يسبق له أن رآها جميلة جداً هكذا أو حزينة جداً على النحو الذي رآها عليه وهي تقف هناك تحت الثلج. كان هذا كل ما أمكنه أن يفكر به وهو مستلق في سريره تلك الليلة.

كان الثلج لا يزال يتساقط بينما جلست إيزابيل في غرفتها في الفندق تتكسر فيه. وكانت تعلم أنه سوف لن يتصل بها، فكل ما رأته في وجهه كان يعلمها بعزمه الوطيد على ألا يتواصل معها من جديد. عيناه فقط أعلمتاها أنه كان لا يزال مهتماً. ولقد وجب عليها أن تتقبل ذلك الآن. وحتى ولو كان قد كذب عليها، فإن هذا ما كان يريد في نهاية الأمر. لقد كانت محقة في رأيها خلال الأشهر الماضية بأنه ليس من نهايات سعيدة في الحياة. كان هناك فقط دروس وخسائر وكان لها نصيب كبير في ذلك.

بقيت مستيقظة معظم الليل، وعندما غفت أخيراً، كانت تحلم به. كانت تغط في نوم عميق عندما رن جرس الهاتف إلى جانبها في الساعة الرابعة بعد منتصف الليل. لقد كان بيل هو المتصل. ورغم أن غشاوة النوم في عينيها كانت تلهيها إلا أنها كانت تميز صوته.

أسف لاتصالك بك في هذا الوقت المتأخر. هل كنت نائمة؟ بدا حزيناً

معدنيا تماماً مثلها عندما أوت إلى سريريها.

توي: وكانت بظفة تماماً إذ سمعت صوته الذي بدا مالوفاً جداً لها. ثم خطر لها أمر. "أين أنت؟" سألته برقة وأصت أنه تردد.

في الطابق الأسفل. في ردهة الفندق حيث أنت. أنا مجنون مثلك، ولكن لم أعرف موعد رحيلك، ويجب أن أكون في نيويورك غداً. فكرت بما أنك تحملت مشقة الرحلة من باريس إلى هنا، فيجب أن نتحدث. لم يكن أي منهما ليظن أن الوقت غير مناسب.

يسرني أنك هنا. لماذا لا تصعد إلى الطابق الأعلى؟

وسرحت شعرها ونظفت أسناتها بالفرشاة، ونضحت وجهها ببعض الماء في حين راحت تنتظره حتى يصعد. بعد خمس دقائق كان هناك قرع على بابها. كان بيل ينظر إليها وهو جالس إلى كرسيه، ودفعها ببطء داخلًا في حين أمسكت الباب له لكي يدخل ثم أغلقتة بيده خلفه. لقد كانت تود لو تقترب منه وتلمسه، ولكنها لم تجرؤ.

"أسف إني جئت إليك في هذا الوقت يا إيزابيل. فلم أستطع أن أنام. لقد صدمت إذ رأيتك هناك الليلة. وأنه ضرب من الجنون أن تعطي ذلك. ولكنه لم يبدو مسنأة منها، بل كان متأزماً، وفي الوقت نفسه منزعجاً من أجلها. لقد أيقظت الكثير من المشاعر القائمة التي أمضى شهوراً يحاول أن يهرب منها. وعندما رأها هناك خارج مركز كينيدي تحت الثلج استيقظت تلك المشاعر وعادت إليه. أنا أسف جداً بخصوص تويدي. ما الذي حصل؟"

جلست على الأريكة قبيلته، وأخبرته باختصار عن أيام ابنها الأخيرة. كانت هناك عنوبة في صوتها وهي تحكي عن ذلك، وكانت عيناها مثلتين بنموذج لا تتساقط ثم كففت نعمة سألت على خدما. وبدون أن يفكر رفع يده ولمس يدها.

وهمس قائلاً: "أنا أسف".

ابتسمت وسط الدموع. "وأنا أيضاً. يقول الآخرون إن الموت كان رحمة

لها، وأظن ذلك أيضاً، ولكنه أيضاً استمتع ببعض لحظات السعادة. وإني أفتقدك كثيراً. لم أكن أدرك كم كانت حياتي تدور حوله. ولا أدري ما أفعل بنفسي الآن وقد مضى، وصوفي ذهبت إلى الجامعة".

"سوف يستغرق الأمر وقتاً حتى تتأقلم مع الحياة الجديدة. وستعادين عليها، فهذا التغيير كان كبيراً بالنسبة لك". لقد تغير كل شيء في حياتها، منزلها، طلابها، موت ابنها وفقدان بيل. وكل ما قد فعلته هو مواجهة آلام التغييرات التي طرأت على حياتها في العام المنصرم. وهذا ما كان من أمره هو أيضاً. "لا أدري ما أقول لك". قال لها بيل وقد بدا غير مرتاح. "ما كنت أعتقد أننا سنلتقي من جديد. ولم أعتقد أن علينا ذلك، ما كنت أظن أنني لي الحسب بأن أمر حياتك يا إيزابيل. إنك تستحقين أكثر بكثير مما أستطيع أنا أن أقدمه. أنت تحتاجين إلى شخص رائع في حياتك، شخص سليم معافى... وليس رجل مثلي".

"أنت سليم معافى"، قالت في رقة وقد ثبتت ناظريها إليه. لم تكن متأكدة بعد مما يريد أن يقوله لها، ولم تكن متأكدة بأنها تريد أن تعرف. لقد بدا وكأنه وداع جديد، أو تديرات أخرى يقدمها ليعمل السبب الذي يمنعه أن يكون معها. ولكن على الأقل لم تكن هذه أكاذيب هذه المرة، بل فهمه للحقيقة مهما كانت مشوهة.

"كلاهما نعرف أن ليس هذه هي المشكلة". لم يكن يريد أن يذكرها بمحاولتهما المسأورية في ممارسة الحب في المشفى في لندن. وخلافاً لصبره، فقد كان يشعر أن عجزه يمثل عائقاً كبيراً أمام زواجه بها. وما أراد أن يقدم لها أقل من ذلك. لقد كان مقتنعاً أن ليس لديه ما يعطيه ويكون منصفاً ومعقولاً بالنسبة لها. لقد تذكر وبشكل مبهم كل ما قلته هيلينا يوماً، ولكنها كانت فتية مثالية خيالية أيضاً. ربما كان الحب فقط للشباب. وعلى كل حال، لقد جاء إلى الفندق تلك الليلة لكي يراها ويودعها ببايقة. على الأقل كان يدين لها بذلك وهذا ما كان يفكر به في قرارة نفسه قبل مجيئه إلى فندق الفصول الأربعة. كان

يعرف أن الطريقة التي تركها فيها قليلاً كانت قاسية للغاية. وما كنت لتستحق منه ذلك، وخاصة وأنا الآن قد فقدت يدي. لقد أردت أن أودعك وأن أقول لك بأنني آسف. ما كان يجب أن أشجعك لتذهبي إلى لندن وأشعر أنها كانت غلطتي من البداية".

"لقد منحتني الحب الحقيقي الوحيد الذي أعطاني إياه رجل". قالت بلفظ. "وهذا ليس شيئاً تدين لي باعتذار لأجله يا بيل".

"يوسفني أن لا أستطيع أن أكون أكثر مما أنا عليه..." وكانت هناك نمرغ في عينيه وقد نظر إليها وأمسك بيدها. "أنا آسف على كل هذا. قال لها بحزن. وهنا انحنى إلى الأمام نحوه وقلبه بينما كان جالساً في كرسيه فشدّها إليه برفق وجلس في حضنه وهو يقبلها. لقد كانت قبالتها مليئة بالحنان وللشفغ، ونكسرى كل ما كانا بروجوانه ونفوقاً ثم فقدها سريعاً. وإذا عانقها، نسي لوهلة أنه فقد رجولته، وشعر برغبة تجتاح كيانه كمثل المد الذي لا يمكن نشيء أن يوقفه أو يرده إلى الوراء. ولم يكن في نية أي منهما أن يفعل ذلك. إن قسوة ما كانا يشعران به كلاهما نحو بعضهما البعض كانت لا تقاوم ونفوق إرادتهما. وفجأة، وللحظة وحيدة ساطعة، لم يعد خافتاً. تبادلوا القبل طويلاً وكانا يلهثان ودونما شرح أو أية كلمة، ساعدته إلى الانتقال إلى الأريكة، ونزعت عنه ثيابه برفق، وخلع عن كتفها ثوب النوم الستائي ورماه إلى الأرض.

تردد لوهلة صغيرة ولكنه لم يستطع أن يكبح جماح نفسه هذه المرة. فقد كان يرغب فيها بكل جوارح جسده وروحه. وهذه المرة، لم يطرح أي سؤال عما حدث. فلم يستطع أن يتذكر أنه طارح امرأة الغرام كما فعل معها، أو يرغب بأي امرأة مثلاً. لقد كان هذا كل ما كانا يحملان به، ويرغبان به، وقد أظهر الشوق والصراحة والعاطفة التي لم يسبق أنه قد اختبرها أبداً في حياته حتى قبل الحادث، أو في فترة شبابه. لم يكن في العالم كله من هو مثلاً. لقد جعلته يشعر برجولته من جديد، وكانت الرغبة تحركهما.

بعد ذلك استلقى وقد أحاطها بتراحيه وابتسم. لقد تلاشت أسوأ مخلوقة

ولزاحت بفعل حنانها وحسبها. وما حدث بينهما للتو كان أجمل مما كان بتصوره أي منهما. لقد كان واضحاً إذاً أن كل أعضائه قد تماثلت للشفاء. وحتى لو لم يكن قادراً على أن يمشي على قدميه، إلا أنه شعر بنفسه سليماً معافى، وقد كان كذلك فعلاً.

"يا للروعة". قالت له بركة بعد ذلك وقد التصقت به، فابتسم. لقد شعر وكأنه صبي صغير من جديد بين ذراعها. لقد كان هذا مذهلاً.

"وانت أيضاً كذلك". ولكن بعد أن نذعت بعبته إلى الحمام بعد ساعة وتركته هناك، وارتدى ملابسه بشكل كامل بعد أربعين دقيقة، لمحت في عينيه نظرة آثار الفلق عندها.

"لقد كان جنوناً مني أن أتى إلى هنا". قال لها باكتئاب، وقد وقع فريسة الإحساس بالذنب ونوبات مخاوفه. "ما كان يجب أن أفعل ذلك". ما كان يريد أن يضلها أو أن يعطيها أملاً كاذباً. لقد كان لا يزال مصمماً على فكرته بأنها تستحق حياة أفضل من التي يقدمها لها، وممارسة الحب معها كان سيعتد الأمور على كليهما. أمضى نصف ساعة تحت رذاذ الدوش وهو يتعذب، ويؤنّب نفسه، وفي الوقت نفسه كان يشعر بالارتياح الشديد لما شاركها به قبل قليل. لقد تأكد له أن استخدام قدميه ما عاد ممكناً أبداً، ولكنه استعاد رجولته بكل طاقته.

"لا أفهم السبب الذي يجعلك تعتقد أنه ما كان علينا أن نفعل ذلك" قالت إيزابيل بهدوء. "نحن كلانا رائدان، ونحن أحرار. أنت مطلق، وأنا شبه مطلقة لسببكون طلاقى كمالاً خلال بضعة أشهر. فليس لدينا أطفال صغار يعترضون. وليس لنا أن نسبب مشاكل ليست موجودة. فالحياة معقدة بما فيه الكفاية دون أن نحاول أن نجعلها أسوأ". ثم قالت بجديّة وهي تنظر في عينيه، "إن الحياة ثمينة وقصيرة. كان من الممكن أن نموت معاً في لندن، أو أسوأ من ذلك أن يموت أحد منا. ولكن لم يحدث هذا. ولربما يجب ألا نهذر هذا التعميم الذي أحرقت به السماء علينا".

أنا لست نعيماً، يا إيزابيل! قال وقد بدا الجسم عليه. "الحياة مع رجل في كرسي، مولود ليست نعيماً، بأي شكل من الأشكال".

"الحياة بين شخصين متحابين هي نعيم حقاً. لقد ذهبا إلى هاوية الجحيم ثم عادا على أعقابهما، وكانت إيزابيل تشعر أن لهما الحق في أن نعيما قليلاً بجزء من السماء معاً، رغم أن الأمر قد يبدو غير عادي. لقد كانت تحبه تماماً كما كان يحبها، دون تردد أو تحفظ، وكانت على أهبة الاستعداد لأن تنفق إلى جانبها طوال بقية حياتها، وتريد ذلك فعلاً.

"لا أستطيع أن أدعك تفعلين ذلك بنفسك يا إيزابيل". قال لها بحزم. "إن أفعَل ذلك، لياً يكن ما حدث للزوج هنا، ما كان ينبغي أن أسمح بحدوث هذا. لقد كان هذا من حماقة والتعالم المسؤولية من جهتي".

"وإنساني بشري. هل تترك نفسك مساحة لتعيش هكذا؟ ألا يمكن أن تسمح لنفسك بأن تكون سعيداً من فترة إلى أخرى وأن تكف عن ضرب نفسك حتى الموت؟" ابتسم لما قالته وهو يعلم أن بعضاً مما تقول، إن لم يكن كله، كان صحيحاً. "ماذا تريد أن تجعل من الموضوع أمراً صعباً عليك في حين أنه ليس كذلك وليس من دأب لأن يكون هكذا؟ نحن نحب بعضنا. ألا يمكنك أن تحبّر أن هذا يكفي؟" لقد كانت عقلانية أكثر منه.

"أحياناً لا يكون الحب كافياً، أنت لا تعلمين يا إيزابيل عواقب هذا الأمر، بل أعلم". قالت له تجادلته، كانت الساعة آنذاك قد قاربت على السادسة صباحاً، وكانت تعلم أن عليه أن يغادر عاجلاً. "لقد أمضيت خمس عشرة سنة أعتسي بتشيدي، وأعرف ما يعني أن يهتم المرء ويحب شخصاً مريضاً حقاً. وأنت لست بمريض. أنت قوي البنية، أنت قوي البنية وفي صحة وعافية. لا تستطيع أن تمشي، ولكن هذا لا يشكل فرقاً بالنسبة لي وما كنت لأبالي لو عجزت عن ممارسة الحب من جديد. فهذا شيء جميل إضافي محبب، ولكنني على استعداد لأن أعيش دون ذلك أيضاً. فما يجمعنا يعني لي أكثر من ذلك".

"ما كان يجب أن أدعك" قال بحزم وقد بدأ يبدو متهماً، ولكنني لا

أستطيع أن أتركك تفعلين بذلك أيضاً. فلست مستعداً لذلك. لقد جئت إلى هنا كي أودعك، وهذا ما يجب علينا أن نفعله".

"هذا عمل أحرق جداً وهدر" للوقت. سوف لن أسمح لك بأن تفعل ذلك". ليس لك خيار في ذلك. فإنا لن أراك ثانية". وكان كلاهما يعرف أنه يستطيع ذلك.

"ثم ماذا؟ أنت تحكم علينا أن نعيش في وحدة وعزلة ما بقي لنا من العمر، ونحن نفكر بما لدينا وقندان، وأنه كان بإمكاننا الاحتفاظ به لو لم تكن غيبين؟ وما الغاية من ذلك؟ وأي انتصار هو هذا؟ هل يمنحونا مكافآت في السموات لأننا تعاقب أنفسنا وبعضنا بعضاً، لقاء حرمان أنفسنا حسناً. قد لا تكون الأمور بهذه النعومة. ولن تكون مثالية". ولكن ليس من شيء كامل في الحياة. وكما أرى فإن ما بيننا ليس بالشيء القليل، فلماذا لا تسمح لنا بأن نحصل على ما نستحق ونريد؟ لقد عوقبت بما فيه الكفاية، فكم من الأمل أيضاً سوف يضيفه إلى حياتك وإلى حياتي؟ لقد خسرت الكثير في حياتي وأنت أيضاً كذلك. فكن منطقياً معقولاً كرمي لله...". واغرورقت عيناها بالدموع وسالت على وجنتيها وهي تنظر إليه، ولكنه لم يبتأثر.

"أنا أسف". هس قاتلاً لها وقبّل أعلى رأسها، ثم دفع بمجلات كرسية نحو الباب واستدار لينظر إليها.

"لماذا فعلت ذلك؟" قالت وهي تبكي. "ما الغاية من ذلك؟ هل لتعذبنا كلانا؟ لتترك كل منا لأي درجة نحب بعضنا بعضاً وتتخلى عن كل ذلك مرة أخرى حتى نعيش في الحزن والأسى إلى الأبد؟ لماذا، بينما نحن سعيدان جداً معاً ونحب بعضنا البعض جداً؟ لماذا لا ندعنا نحظى بذلك؟ هل هذا صعب عليك جداً؟".

"ربما كنت لا أحبك بما فيه الكفاية" قال لها بحزن. "أو ربما لم أحب نفسي كفاية، أو ربما لأنك إن تكوني قادرة على أن تحبيني بالقدر الذي تظنين".

"لا تعقد المسألة. إنها ليست كذلك. أنا أحبك. وهذا هو المهم. ومهما أحببتى فهذا بكفيني".

"لست كافيًا وأهلاً لك، هذه هي المسألة برمتها، قال لها وقد بدا معذباً وهو يقف في مدخل الغرفة، ويود لو يعود إليها ويأخذها بين ذراعيه، ولكنه ما كان يسمح لنفسه بذلك.

"دعني أنا من أقرر ذلك. دعني أحدد من أحب، ومن لا أحب. ليس لك الحق في أن تقرر بالنيابة عني".

"بل لي الحق". قال وهو ينظر إليها لأخر مرة، ثم دفع بعجلات كرسية خارجاً من الغرفة. وانغلق الباب وراءه بعنف، في حين جلست إيزابيل تبكي على الأريكة ولم تتحرك من مكانها.

الفصل التاسع عشر

مكثت إيزابيل في واشنطن لأربعة أيام. وفاز السيناتور بالانتخابات وكانت مسرورة من أجل بيل. لقد رآته على التلفزيون في نشرة الأخبار يجلس إلى كرسية المدوالب جلياً، فقد كان ذا نفوذ ولكن من وراء الكواليس. لم يتصل بها على الإطلاق، ولم تتصل به من جديد. لقد صارت تصدقه الآن. وكانت تعلم أنه، ومهما كانت أفكاره خاطئة، إلا أن عليها أن تحترم مشاعره. لقد كان من الصعب أن يصدق المرء إلى أي درجة كان بيل عنيداً حتى إنه ضحك بكل ما كان لديهما. ولكنه بدا على استعداد لأن يتخلى عن كل ما كان بإمكانهما أن يحصلوا عليه معاً. لقد انظر قلبها لقبولها بذلك، ولكنها ما كانت لتجبره على العودة إليها. كان عليها أن تقبل الخيار الذي نجا إليه مهما كانت تختلف عنه في الرأي إزاء ذلك. لقد كان هذا من حقه، تماماً كما أن من حقها أن تعتقد أنه كان بإمكانهما أن ينعموا بحياة رائعة. لقد كانت لتفخر بأن تكون معه بكرسيه مدوالب لم لا. فما كانت لتأبه لذلك، أما هو فبلى. لقد كان له الحق أن يعيш بحسب اختياره.

اتصلت بصوفي ليلة الثلاثاء بعد الانتخابات، وأخبرتها أنها عائدة إلى الديار. وبدت إيزابيل حزينة، ولم تسألها صوفي عن السبب. لقد كان لديهما أكثر من سبب. كانت صوفي قد جاهدت كي تتغلب على صدمة خسارة أخيها، بقدر وادتها تقريباً.

"هل رأيت صديقك؟" سألتها وهي تحاول أن تسري عنها.

"نعم". قالت إيزابيل يهدوء. "إنه بخير".

"هل يمشي من جديد؟"

"لا".

ليتنحى عن الطريق وقد وقتت قبائله. كان الناس يجولون ويدورون حولهما، ولكن لم يلبه أي منهما لذلك. كانت أعينهما قد تلاقت وقد راحا ينظران إلى بعضهما بعضاً مطولاً. بدت إيزابيل شاحبة. وبدا هو وكأنه لم ينف منذ أيام. 'أنت تستحقين أفضل من ذلك.'

'أعرف أن هذا هو رأيك.' قالت له، وهي تشعر أن قلبها ينفطر من جديد. 'كم من مرة سيقول لها الأمر نفسه؟ ولكن ليس هناك أفضل من ذلك. فهذا أفضل ما يكون... لو لنقل على الأقل بالنسبة لي. لقد فقدتُ يدي. وفقدتُك. وما عاد لدي ما أحسره بعد، ما عاد صوفي. لا أعتقد أنك تغلبت على الحب بغير صعوبة، أو بالحري يجب أن لا يفعل أحد ذلك. فهو شيء ثمين ونادر جداً. ولكن من الواضح أنك هكذا. كنت تعلم أنه ما من شيء يمكن أن يفتعه بتغيير رأيه. لقد كان له أن يفكر كما يحلو له، وهي كما تشاء.'

'أريد لك ما هو أفضل من ذلك. أريدك أن تحظى بحياة حقيقية مع رجل يستطيع أن يطارلك في أرجاء العرقة ويرقص معك ليلة رأس السنة.'

'أريد أكثر من ذلك بكثير. أريد شخصاً أحبه ويحبني، شخصاً أستطيع أن أحترمه وأن أعتني به وأضحك معه ما حبيت. فأنا أستطيع أن أحب بكل سهولة. أما أنت فلا تقدر على ذلك.' قالت ذلك وقد تقبلت القدر الذي كان قد اختاره لكليهما.

'ما الذي يجعلك متأكدة على هذا النحو؟'

'هل كنت ستحبني لو كنتُ أنا مكانك في هذا العرس؟' كانت العرس تترقّق من عينيها، وكان صوتها رقيقاً عذباً، فأوماً ولم ينطق ببنت شفة. ثم أجابها، وفيهم في نهاية الأمر.

'نعم.'

'إذاً فلا تستغرب أن أستطيع أن أحبك وأنت في حالتك هذه.'

لم يقل لها شيئاً بل اكتفى بأن شدّها إليه وأجلسها في حضنه ونظر إليها،

وأحاطها بذراعيه، وقبّل شفيتها، وكانت لاهة عندما توقفت.

'لماذا فعلت ذلك؟' كان لا بد أن تسأل. 'هل كنت هذه تحية ترحيب أم وداع؟'

'اختاري أنت. أنت تعلمين بما أفكر. إنني أحبك، ولك الحق أن تقرري كما تشائين.' لقد كانت هيلينا قد أخبرته ذلك ومذد زمن طويل، وقد كانت على صواب، وأدرك ذلك أخيراً. كان قد حاول أن يحمي إيزابيل، ولكن ما عاد باستطاعته ذلك. إن لها الحق في اختيار مصيرها بنفسها، وهذه المرة ربما مصيره هو أيضاً.

أبصرت له إيزابيل وهمست 'هالو' فيما قبّلته وعانقها بقوة.